مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

حلية البشر

بتاريخ

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ

الجزء الثالث

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء مجمع اللغة العربية

دار صادر

بيروت

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى : دمشق ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م
الطبعة الثانية : بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

طبع بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق
رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ١٩٩١/١٢/٨

ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان / فاكس : ٠٤-٩٢٠٩٧٨
هاتف : ٠٤-٩٢٨٢٧١ ، ٠١-٤٤٨٨٢٧ ، ٠١-٤١٣٢٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

حرف الميم

السيد محمد بن السيد احمد بن السيد اسماعيل بن الشهاب احمد المنيني قدس الله سره ، مفتي السادة الحنفية بدمشق المحمية

بحر كمال لاستمداد جداول الفضائل ، وروض جمال قامت له أغصان المعارف على سوقها في الخمائل ، إذا جلى كواعب كلماته فضحت الكواكب نورا ، وإذا أديرت كؤوس مذاكراته كان ما سواها هبـاء منثورا . أطلع في سماء الشام قمر الهداية ، وسور حصون طلابها بالوقاية والنقاية ، وغاص لجج البحر المحيط فاستخرج لهم فرائد الدرر ، وكحل عيونهم بإثمد تنوير الأبصار فالتقطوا عوائد الغرر . إذا نثرت عقود طبعه وانتشر أرج شميمها بين الطلول ، ترنحت غصون الدوح وتاهت بمـا يزري بالشمائل والشمول :

شمائل لا جيب الزمان معطراً حكاها ولا خدّ الشمول موردا

فلا ريب أن قدره أعلا من النجوم العالية ، ومسك مداده يرخص شذاه الغالية . فاخرت مصره الأمصار بإشراق شمسه ، وعصره الأعصار بتحليه

بجمال أنسه ، فهو روض تقبل الأرض فيه ثغور الزهور ، وتطرز برود آدابه مع كونها تنسب لنفسها القصور . فحق لنا أن ننعته بأنه إنسان عين الزمان ، بل عين إنسان نوع الانسان ، وسر الليالي المضمر في خاطر الدهر ، بل بدرها الذي طلع في أفق هذا العصر . كشاف رموز الحقائق عن كنوز معاني الكشاف ، وَصّاف شمائل ذوي الرقائق بما اشتمل عليه من بديع الأوصاف ، كعبة طواف علماء القطر بل الأقطار فلذلك انتسب الافتاء إليه ، ومحراب اعتكاف ذوي القدر والاعتبار فمحور قطبهم دائر عليه . فلا غرو أنه وحيد الآفاق بالاتفاق ، وفريد أولي الأخلاق بالاطلاق ، وقد بوأه الله في الحديث تكرمة رفيعة الرواية والسنـد ، وبرأه الله من نسبة الكلالة حيث ورث المجد عن أكرم أب وجد :

يا سائلي عنه لما ظلتُ أمدحه ... هذا هو الرجل العاري من العار

لو زرته لرأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والأرض في دار

ولد حفظه الله في دمشق الشام في زمضان ، من سنة الف ومائتين وإحدى وخمسين من هجرة سيد الأنام . وبعد أن أتم قراءة القرآن بالإتقان ، أقبل على العلم بهمة ذات قدر وشان . ولازم دروس الأفاضل ، إلى أن تحلى بالفضائل والفواضل ، ورقى معارج السيادة ولاحظته عيون السعادة ، وخطبته المناصب ليكون لها سيداً ولتكون له مولى ، ورفعته المراتب على كاهلها حيث وجدته لها أهلا .

ولم يزل يصعد سلم الكمال ، إلى أن استوى على عرش الرفعة والاجلال ، فقيل لمنصب الافتاء ائته طوعاً أو كرها فأتاه طوعاً من غير مهلة ، وقال إني أقسم بمن قسم له بي ما أعطيتم الشيء إلا أهله ، ولقد رجع الأسد الى غابه ، وجلس الإمام في محرابه ، وقال لسان الحال هذه بضاعتنـا ردت الينا ، فلا عتب لنا ولا ملام علينا .

وكان ذلك بعد وفاة العلامة السيد محمود افندي حمزه ووقوع اضطراب عظيم بين الناس ، إلى أن استند الافتـــاء اليه بعد مدة وزال الخلاف والباس ، وذلك في السنة الخامسة بعد الثلاثمائة والألف ، فلا زال العلم له أعلا حلية وهو للعلم أحسن حصن وأمتن كهف .

وانه قد حاز على ما كان لجده الشهاب من الخطبة في جامع بني أمية ذات الجلالة والقدر ، واقراء صحيح البخاري بعد صلاة الجمعة تحت قبة النسر . فهذا الدرس وهذه الخطبة كان أولها في هذا البيت لجده حضرة الشهاب ، ولم تزل فيهم إلى أن آلت إلى هذا المترجم المهاب ، قـــال الشهاب المنوه به عليه رضوان ربه في كتابه المسمى بالقول السديد في اتصال الأسانيد : إعلم أنني أنا العبد الحقير العاجز الكسير ، فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد الطرابلسي الأصل المنيني المولد الدمشقي المنشأ العـــدوي الحنفي : ارتحل والدي من طرابلس الشام الى صالحية دمشق ، وبعد أن استعد لإقراء العلوم ، وصار حجة في معرفة المنطوق والمفهوم ، رحل إلى قرية منين قرية من قرى دمشق ، واستمر بها الى أن توفي في سنة ثمان ومائة والف ، ودفن بهـــا وقبره معروف ظاهر مشهور . واشتهر أنه كان من ذرية العارف بالله عدي بن مسافر ، من ذرية ذي النورين عثمان بن عفان ، هكذا اشتهر في هذه البلاد ، وفي وطنه الأصلي بين أقربائه في مـــدينة طرابلس الشام انتهى ملخصا .

ونقل العالم المؤرخ خليل افندي المرادي بأن الشهاب المذكور بعد وفاة شيخه أبي المواهب درس بحجرته داخل مدرسة السميساطية [1] الى

(١) قوله السميساطية بمهملات مصغرة نسبة لأبي القاسم السميساطي علي بن محمد بن يحيى الحبشي من أكابر الرؤساء بدمشق المتوفى سنة اثنتين وأربعمائة ، وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطيه . وأما العمرية فهي المدرسة التي في سفح قاسيون على نهر يزيد ، بناها الشيخ أبو عمر الكبير والد قاضي القضـــاة شمس الدين الحنبلي سنة سبع وستمائة اهـ (المؤلف)

أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرس بها ، وأقام على الافادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي مدة عمره ، فدرس في الجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين في بعض العلوم ، الى أن قال : وأعطي رتبة السليمانية المتعارفة بين الموالي ، وصارت عليه تولية السميساطية والعمرية ، وأحدث له في الجامع الأموي عشرون عثمانياً وربط عليه خطابة في الجامع المذكور ، وصار بينه وبين الخطيب محمد سعيد بن أحمد المحاسني المجادلة في ذلك والشقاق وشاعت في وقتها ، الى أن استقر أمرها على الشهاب المرقوم انتهى بتصرف .

أقول : ان تقييد العادلية بالكبرى هو احتراز عن الصغرى فانها في الصالحية في سفح قاسيون غربي دار الحديث الناصرية ، وأما هذه فانها تعرف بالعادلية الجوانية الكبرى [1] تجاه المدرسة الظاهرية ، قال الأسدي في تاريخه : في سنة خمس عشرة وستمائة : الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن محمد بن شادي بن مروان بن يعقوب الرويني ، ثم التكريتي ثم الدمشقي السلطان الملك العادل : ولد ببعلبك سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقيل أول سنة أربعين ، ثم نشأ في خدمة نور الدين الشهيد مع أبيه وإخوته وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته ، وقاتل وفتح فتوحات كثيرة ، وتوفي عن خمس وسبعين سنة . وكانت وفاته سنة ستمائة وخمس عشرة خارج دمشق ، فحمل الى قلعة دمشق وبها أظهروا موته ودفنوه بها ، ثم نقل الى تربته بمدرسته العادلية المرقومة التي وجه تدريسها على الشهاب أحمد المنيني

---

(١) هي مقرّ المجمع العلمي العربي الذي أنشىء بدمشق (عام ١٩١٩ م) أيام الحكومة العربية الأولى ، ولا زال مجتمعاً لرئيسه وأعضائه ، ومصدراً لمجلته ، وقد صدر الجزء الأول من المجلد الثامن والثلاثين (في كانون الثاني سنة ١٩٦٣ م وشعبان سنة ١٣٨٢ هـ) .

المومى اليه ، وانتقل اليها ولم تزل تحت توليته ومحل إقامته وتدريسه ، الى أن توفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن في تربة مرج الدحداح وقبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به ، وخلفه في التولية على المدرسة المرقومة والتدريس بهـا أولاده السادات عبد الرحمن افندي وعلي افندي واسماعيل افندي ، ولم يزل ذلك ينتقل في أولاده الى أن آل ذلك الى المترجم المومى اليه أطال الله بقاه ، فلقد أحيا مآثر من سلف ، وكان لهم خير خلف ، ولقد كنت مدحته بهذه الأبيات وإن كانت بمقامه غير وافية ، فأحببت ذكرهـا في هذه الترجمة السامية وهي :

يا عذولي اليك عني فـدائي ... بهوى الغيد قد غدا متنائي
خل عذلي واعذر فتى ذا عناء ... بفتـاة تسبي النهى عذراء
قد سئمت الغرام بعد هيامي ... ونبذت الهوى لجلب هنائي
إن أهل الهوى لكل هوان ... وامتحان ونكبة وبـكاء
وحنين وزفرة وصـدود ... وعذاب لاذقتَه وشقـاء
ليت شعري وهل ترى كلّ هذا ... ذاتُ حسن شيئاً من الأشياء
ظن قومي بأن داء غرامي ... مستديم إلى حلول عزائي
مذ رأوا علتي وقد لاح للمو ... ت عليهـا أدلة الحكماء
فغدا يخلص الغرام الى أن ... بت منه مجملاً بشفـائي
إن هذا لمذهب فيه قلبي ... قد تهـنى وذاك فيه بلائي
طالمـا نصلة القدود فرتنى ... وسيوف اللحظ اعترت أحشائي
قل لساجي للعيون يعنى معنى ... بورود الخدود ذات الصفاء
ولذات الدلال تختار صبـا ... ما صبا للتأنيب والنصحـاء
قد كفاني ما ذقت من حروجدى ... وشفـاني الإله من لأوائي
يا شبيه القناة قدّاً ولينـا ... كم أطلت الجفا تروم شقائي

إنني كنت للجمال رقيقـاً ... لست أرجو ما دمت منه شفائي
ثم أصبحت رق حب إمام ... ذي كمال ورفعة وبهـاء
من حباه الإله كل حبـاء ... منه قلب الحسود في برحـاء
وتعالت به دمشق وتاهت ... ثم قالت ذا سيـد الفضلاء
هو حبر الأنام مفـتي دمشق ... ثاقب الفهم نافـذ الآراء
مذ دعته الأيام للدين تاجـا ... حسد الأرضَ فيه أوجُ السماء
رقبة قد لاذت به وتحلت ... بالمنيني محمـد العلمـاء
لو أعـار الظلام أخلاقه الغـر ... لأغنت به عن الأضواء
ذي يراع يبدي إذا أمطر الطر ... سُ فنوناً جلت عن الإحصاء
بمعان تحـكي جمال لآل ... كنجوم في الليلة الظلمـاء
لو نظمت النجوم فيه عقوداً ... ما قضيت من الحقوق منائي
عاتبي دع لوم المحب وسرْبي ... لهمام ذي رقبة عليـاء
فعليه اني قصرت ثنـائي ... واليه وجهت كل نـدائي
ليس يحلو الثناء إلا على من ... نال فضلاً مستوجباً للثنـاء
ان لي في مدحيه حسن وفاء ... منقذ لي من شـدتي وبلائي
واقتراب قد نلت منه ابتعاداً ... عن همومي وكربتي وعنائي
دام ما دام يشرق البدر ليلاً ... عالي القدر قـاهر الأعداء
بنبي قد فـاق كل نبي ... ورسول قد فـاز بالإسراء
فعليه السلام مـا هجن ليل ... وأنار الصبـاحُ أفقَ السماء

توفي رحمه الله في ظهر يوم الأربعاء غرة شهر شعبان المبارك عام الف وثلاثمائة وستة عشر ودفن في تربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى (١) .

---

(١) وكان أمناء الفتوى عنده كلّ من الشيخ محمد البيطار والشيـخ أبي الخير عابدين والشيخ أبي الخير الأسطواني والشيخ عبد المحسن الأسطواني كما في « المنتخبات » و « أعيان دمشق » ونحن الآن في آخر سنة ١٣٨٢ والشيخ عبد المحسن بحمد الله لا يزال حيا ، وهو فوق المائة بيضع سنين .

السيد محمد افندي بن السيد عمر افندي شيخ السجادة الرفاعية بحماة المحمية ابن السيد حسن بن السيد محمد الحويري الرفاعي . وينتهي نسبه إلى (إمام الأولياء وتاج العرفاء مولانا) السيد احمد الكبير الحسيني الرفاعي رضي الله عنه . من حفيده القطب الكبير السيد علي أبي الحسن الحويري الرفاعي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

قال صاحب العقود الجوهرية ، في مدائح الحضرة الرفاعية : ولد المترجم المومى اليه سنة أربع وسبعين ومائتين والف في بلدة حماة ، وتوفي والده وهو صغير ، وكفله أخوه لأبيه الرجل الكامل السيد الشيخ أحمد افندي ، ونشأ على حال من الكمال والأدب ، وتلقى علوم العربية عن علماء حماة الشام ، وحضر الى دار السعادة اسلامبول وأكرم في رتبة الموالي المعروفة برتبة أزمير ، وأجيز في الخلافة في الطريقة العلية الرفاعية من صدور الصدور والفائض النور ، حضرة السيد محمد أبي الهدى افندي نقيب أشراف حلب المقيم بدار السعادة ، وتربى بتربيته وسلك على يديه واستفاض من معارفه [1] وله فيه المدائح الجميلة والقصائد الجزيلة وهو من بيت في الديار الحموية والبلاد الشامية ، غني عن التعريف لاشتهاره كالشمس في رابعة نهاره ، وهو الآن مقيم في بلدته حماه ، مواظب على قراءة الأوراد والأذكار أطراف الليل وآناء النهار ، مشتغل باعلاء كلمة الارشاد الرفاعية في زاويتهم الزاوية الحريرية . لا زال موفقاً لخدمة الشريعة الغراء مدى الآناء . ومن نظمه مشطراً أبيات سيدي أبي الهدى افندي :

---

(١) وصفه السيد محمد أبو الهدى افندي في كتابه تنوير الأبصار ، فقال : هو أديب أريب لبيب ، رشيق الشعر ، حسن المحاضرة ، شهم متين الطور ، سخيّ الطبع ، عارف بأصول الطريقة الرفاعية الخ (ص ١١٨) .

شيخ الورى غوث الخليفة [١] أحمد ... سامي الذرا الفرد الأجل الأوحد
فجر العراق وصبحه البادي ومن ... كالشمس مظهر فضله لا يجحد
ذاك الرفـاعي الحسيني الذي ... من ذكره النار الوقودة تخمد
والطائل الباع الذي في حجه ... مدت له من حجرة الهادي اليد
وتنور الحرم الشريف براحة ... من أجلها خلق الوجود الموجد
تلك اليد العليـا التي لقبوله ... برزت له بعد المكانة تشهد
الله أكبر ذلك المجـد الذي ... من دونه حط العلى والسؤدد
شرف عظيم ليس يدرك حده ... أولاه أحمدَنا الحبيبَ محمدُ

رفع الله مقامه ورفع في مدارج التوفيق أعلامه آمين .

محمد سعد بن محمد سعد الشهير بالمصري صاحب تحفة أهل الفكاهة

إمام علي القدر والمقام ، همام قد انقاد له هام النثر والنظام ، لآلىء أفنان آدابه فرائد ، وحدائق فنونه مفتحة الأزهار لكل قاصد وارد ، ألفاظه بزلال الجمال ممزوجة ، ومعانيه الباهرة في قراطيس الأفئدة مدروجة . فمن لطائف هذا البليغ الماهر ، المزري دره الثمين بالجوهر البـاهر ، ما كتبه على طرة كتابه المسمى بتحفة أهل الفكاهة [٢] ، في المنادمة والنزاهة :

إذا ما شئت أن تحيا سعيداً ... وتظفر باللطـافة والنزاهه
فطالع سفرنا السامي المسمى ... بتحفة من هموا أهل الفكاهه

وكان فراغه حفظه الله من تأليف هذا الكتـاب في شهر رجب الحرام سنة الف ومائتين وخمس وتسعين . ومن قوله حفظه الله :

---

(١) قدمنا في الجزءين الأول والثاني مراراً أن غوث الخليفة على الحقيقة هو الله وحده سبحانه وتعالى .

(٢) لم أر لمؤلفه ترجمة فاسجلها ، وقد قصر في سجم المطبوعات على ذكر هذا الكتاب .

نادمتني ضحى وكان عليها حلة تشبه السماء صفاء
فتوهمت ان مجلس أنسي زاد فيه لنا السماء ضياء

وقال أيضاً :

منجّم الحسن لما أن رأى قمري واستكسف القدّ منه قاس بالملك
وقال دائرة الخصر النحيل به موهومة ولذا قامت على الفلك

وقال أيضاً :

ألا إن أنسي وابتهاج أحبتي هما مطلبي الأعلا وغاية بغيتي
وظني لأنسي حيث بان منغص فلا كان من أخشاه عند مسرتي

وكتب الى بعض الأحباب ، وكان ذلك جواباً لهم على مراسلتهم :

كتبت أشكوك بينا مستصعباً من ملالك
وليتني كنت رقماً حتى أمر ببالك

أما بعد فقد ورد كتابك الكريم المشحون باللطائف ، ويا حبذا ذاك الرقيم ، فقمت له إجلالاً على قدم الفرح ، وزال إذ ذاك ما كان عندي من الترح ، وها انا أرسلت جوابه في غاية الإجادة لأشكر مآثر السيادة ، والتمس رسالة هي نصف المشاهدة وزيادة ، أراني الله ضياء محياك الباهر وأنشقني عرفك العاطر ، بمنه وكرمه آمين . ومن قوله في اسم اسمعيل تطريزا :

الخد فيه الورد والنسرين والثغر منه اللؤلؤ المكنون
سمحت بك الدنيا وضنّ بك الوفا فانا الحزين الساهر المفتون
ما بالني أخلصت فيك مودتي وتقول لي لا خنتني وتخون
إن كنت قد أخطأت سبل بني الهوى في أي مؤتمر عليك تبين
عنفتني فازددت فيك تولها وأذعت أسراري وكنت أصون
يحلو فمي اني ذكرتك مرة ويشوقني لحديثك التلحين
لم يحكني قيس غراماً والذي أنا مرتجيه على هواك يقين
أنت الذي يا ظبي قد علمتني بين الأنام الشعر كيف يكون

من لي بان ترضي الرقاد لناظري وإلام أنت به علي ضنين
يا حسنه الراقي الكمال محله في الخلق ولدان وحور عين
نادي وقل هذا الذي قد صانني مـــاكل اسمعيل عز أمين

وله في اسم أحمد لطيف :

أيهـــا الظبي المفدى منعش القلب الحزين
حبذا فيك التصـــابي يا ابن أنس العـــاشقين
ما لـكي قد كان مني سفه فيك يقـــين
داره منك بعفو واصفح الصفح المبين
لا تكن مر التجـــافي متن أشواقي متـــين
طالمـــا أنفقت شعراً فيك حيناً بعد حين
يا ترى أحظى بوصل منك أو أبقى رهين
فتـــدارك نار شوقي يا لطيف العالمين

ومن لطائفه قوله في عوّاد وعوده :

وعود في يدي رشأ كسته وضاءة وجهه نوراً بهيـــا
إذا ما خلته يحنو عليه تقول البدر يختطف الثريا

وقال الصفي الحلي في العود :

غنى على العود شادٍ سهم ناظره أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا إلي وجسّت كفه وتراً فراحت الروح بين السهم والوتر

وقال أيضاً :

فتن الأنام بعوده وبشجوه شاد تجمّعت المحـــاسن فيه
حتى كأن لســـانه بيمينه طربـــاً وان يمينه في فيه

وقال أيضاً :

وعود به عاد السرور لأنه حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم

ليطرب في تغريده فكأنه يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقال برهان الدين القيراطي :

أقول إذ جس عوداً مطرب حسن يريك يوسف في أنغام داوود
من ضوء وجهك تبقى الأرض مشرقة ومن بنانك يجري الماء في العود

وقال شرف الدين القيرواني :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي ذكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنت عليه الورق والعود أخضر وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال البرهان القيراطي :

سمع غنى فأغني بصفات الحسن ذاتي
قلت إذ حرك عوداً عارف بالنغمات
أنت مفتاح سروري يا سعيد الحركات

وقلت ونحن على مائدة السماع ، متناولين من ألوانه الشهية ما يغذي الأرواح والأسماع ، وكانت واقعة الحال ، مناسبة لهذا المقال :

عجباً لعواد على العود انحنى وغدا يثنيه تواجداً وهياما
وتكلما حتى فؤادي كلما وتشاكلا لذوي السماع كلاما
وتراقصا رقص المشوق لألفه والحب أثر فيهما الأسقاما
وتعانقا وتشاكيا أمر الهوى حتى بكينا رحمة وغراما

وقلت أيضاً :

وعواد بجب العود أضحى معنى ليس يصغي لليم
بديع مفرد ظبي رشيق سما لطفاً على مَرّ النسيم
فلما جسه أبدى حنيناً وقال ارحم ضنا جسم سقيم
تعطف ضاربي كرماً وجوداً فقلبي بات ملقى في الحميم
لعمري قد أذاب القلب وجدا وأبكانا وحقك يا نديمي
وضاربه انحنى وحنى عليه حنو الثاكلات على اليتيم

محمد بن محمد يوسف بن عبد الكريم الأنصاري

أديب ماجد ، ولبيب قد أقام على أدبه الف شاهد ، وهو من رجال اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، فقال في ترجمة هذا الكامل والجهبذ الفاضل : الشبل بن الليث والقطر بن الغيث ، الصادقة نجابته والفائقة لبابته ، الذي أقر عين أبيه ببنائه في المكارم على مبانيه ، وارتدائه برداء معانيه ، فلله دره من نجل أفرح والده وأبكت حاسده . وأخبرني بعض بني عمه أن له كتاباً في محاسن الحبوش على منوال كتاب الطراز المنقوش ، لم أقف عليه لأنقل منه بعض نظمه . ولكن رأيت له هذه الأبيات الدالة على وفور حظه في الأدب وسهمه ، وهي قوله :

سبت عقلي مهفهفة بنجد ... فتاة من بني شرف ومجد
تَمَايَلُ في مزعفرة عليها ... يفوح عبيرها مسك بند
فقلت أيوسف في الحسن أنتي ... فقالت يوسف في الحسن ندي
فقلت لها رشا أنتي فقالت ... أراك تعرض الغزلان عندي
حكيت من الظبا عيناً وجيداً ... ولكن ما لهم قدّ كقدّي
فقلت لها أخد مثل ورد ... فقالت لا يحاكي الورد خدي
فكيف تقول خدي مثل ورد ... يباع مع الوصايف بيع زهد
وحقك ليس يشبهني فاني ... جميع الحور والولدان جندي
وأهل الحسن كلهم عبيدي ... ويشهد لي بذا ثغري وخدي
فبادر بالتحية قلت أهلاً ... ببدر زارني من غير وعد
فبت ملذذاً في طيب عيش ... ونجمي طالع في برج سَعدي

ان هذه القصيدة قد أذكرتني بقصيدة كنت أنشأتها لواقعة لطيفة فأحببت ذكرها هنا لأدنى مناسبة وهي :

مَرّبي محبوب قلبي ... وانثنى وهو يهب

قلت قف يا نور عيني انني مضنى محب
قال لي أية شيء ترتجي ممن تحب
قلت صل صبا معنى قال وصل الصب صعب
قلت عدني قال دعني وعد من تهواه عيب
قلت في أحشاي نار قال لي دعها تشب
قلت ما تصبو لحالي قال لي هيهات أصبو
قلت أحشاك حديد قال ذا سهل ورطب
قلت هل تهوى هواني قال أهوى وأحب
قلت قلبي ذابَ وجدا قال هل عندك قلب
قلت خف يوم حساب قال ذا والله قشب
قلت ما لي فيك طب قال ما للحب طب
قلت قتل الصب صعب قال بل سهل وعذب
قلت ما هذا التجافي ؟ قال لي تيه وعجب
قلت هل ذنب لهجري قال لي كلك ذنب
قلت هل تدري بعيشي قال أحزان وندب
ثم ولى وزفيرُ الـ ـوَجْدِ في الأحشا يهب
من لولهان مهان عمره هم وكرب
خانني بدري ودهري يا إلهي أنت حسب

ثم ان هذا المترجم له أبيات كلها درر ، وقصائد كلها غرر . توفي في أوائل القرن الثالث عشر ، ولم أقف لتعيين وفاته على أثر .

محمد أمين الزلبي المدني الخطيب

ناظم جواهر الكلام ، وناثر أزهار البيان بأنامل الأقلام ، تقدم في مضمار البلاغة وما تأخر ، وذلل صعاب البراعة بأدبه وما تعذر ، فهو

العالم بشعار الأشعار والمقتنص لأبكار الأفكار ، فمن بديعه المستجاد وصنيعه الذي أبدع فيه وأجاد ، قوله :

أنا في الحب معنى والذي أهوى معنى
ولسان الدمع أبدى من غرامي ما استكن
وفؤادي قد وهى وجداً وعظمي زاد وهنا
واشتياقي قد براني وحشى الأحشاء حزنا
وزفيري وشهيقي أحرق الجسم وأفنى
وجفا النوم جفوني فغدت للسهد سكنى
يا لودي من لقلبي من مليح يتجنى
من مجيري من مليك أسر القلب وعنى
آمر في الحب ناه فرض الحب وسنا
ونضى سيف جفاه وبما أرجوه ضنا
ليت شعري ما عليه لو شفا بالوصل مضنى
وعفا عن شؤم ذنبي كرماً منه ومنا
وتلافى بالتلافي مبتلى فان معنى
ورضي عني فإني صرت كالعبد وأدنى
أيظن الهجر يسلى ويظن القلب يثنى
لا ومن قدر في الحب بأن يبقى وأفنى
ما تسليت ولو أمست لي الجفوة سجنا
لا ولا أهوى سواه إن دنا أو صدعنا
كيف أسلوه وقلبي نحوه حنّ وأنّا
واصطباري فر من بين يدي والعقل جنا
يا حبيبي هات قل لي أي ذنب كان منا
الذي أغراك حتى ملت عما قد عهدنا

ما الذي أوجب هذا هـــات بالله أفدنا
ان يكن ذاك دلالاً ما أحيلاه وأهنـــا
أو لذنب كان انا عنه تبنا ورجعنـــا
أو وشى واش مريب أو حسود قد تعنى
فلقد أبلغته بالهجـــــر فينـــا ما تمنى
حبـــذا ان كان بر ضيك ولو انا تلفنـــا

ومن الاقتباسات الشعرية الدالة على رفعته العلية قوله :

يا معشر العشاق أوصيكم حقاً وإني لمن النـــاصحين
والنجح في نصحي لكم فاسمعوا وصية العاني حليف الأنين

ومن قوله :

سواي محب للعواثيق ناكث وإني على عهد الصبابة ماكث
وإن تنس عهد الحب اني لحافظ لود قديم لم يغيره حـــادث
وأقسم أني لا أميل عن الهوى وما أنا في هذي الألية حانث
فكيف سلوي واشتياقي دائم اذا رث منه باعث جد باعث
وان عقد العذال في كتب لومهم فصولا فلي في حلهن مباحث
وإن سلموا حال الجدال تركتهم وإلا فلم أبرح بعلم أباحث
وشتان ما بيني وبين مؤنبي لأني مجد في الهوى وهو عابث
وإن كان صبري عن فؤادي راحلا فجيش غرامي في سويداه لابث
فيا يوسفي الحسن يا من محبه غدا وهو من يعقوب للحزن وارث
ويا ناهبا عقلي وسالب صحتي بطرف مريض الجفن للسحر نافث
رويدك لا تصدع بصدك مهجتي فقد أزعجتني من جفاك الحوادث
وصلني ولا تصغي لقول عواذلي فما هم وما قالوه إلا خبائث
وذرهم يخوضوا في الملام فإنما عداوتهم للعـــاشقين توارث

ومن قوله :

ما أبصر الطرف بصر وشام ... في الظرف والبهجة والاحتشام
مثل رشيق صاد أحشاي إذ ... صادفته يعطف غصن القوام
ما بين سلع ورياض بها ... قد رقص الغصن وغنى الحمام
وصفقت أوراقه فرحة ... إذ نثر الدر عليها الغمام
فصرت مبهوتاً لما عاينت ... من حسنه عيناي والقلب هام
ولم أطق تأخير رجل إلى ... خلف ولا تقديم أخرى أمام
فمذ رأى من حالتي ما رأى ... أيقن اني دنف مستهام
وجاء نحوي مقبلاً مسرعاً ... مبتسم الثغر وأدّى السلام
فقلت يا أهلاً ويا مرحباً ... بمخجل الشمس وبدر التمام
وكاد أن يعطف عطفاً إلى ... روض لشمل الأنس فيه انتظام
لولا صديق ظنه إذ بدا ... له رقيباً فتوقى الملام
وراح عني خجلاً مفزعاً ... وخلف الأحشاء فيها ضرام

* * *

لا توقعوا أنفسكم في الهوى ... فهو هوان وعذاب مهين
فامتثلوا الأمر وعنه انتهوا ... إني لكم منه نذير مبين

وقال :

تبدى لنا ملفتاً جيده ... ومن عادة الظبي أن يلتفت
ومرّ وأسرع في مشيه ... فخلناه من شرك منفلت
غزال غزاني وأبدى السرو ... ر لذلك حتى عذولي شمت
وصال بأسمر من قدّه ... وأبيض من جفنه منصلت
فلا بدع إن صرت من لحظه ... جريحاً وعقلي به قد بهت
وأمسيت لم أدر أين الطر ... يق ولا الفرق ما بين سبع وست
وأسرعت ان سار في خطة ... اليه وإن يلتفت التفت
فكل يميل الى حسنه ... إذا ما بدا وإذا ما نعت
فيا ليته جاد لي باللقا ... على رغم أنف الزمان المشت
وإن سمح الدهر يوما به ... فلم التفت طول دهري لست

وقوله :

مذ غبت يا بدر عن هذي المطالع ما ... أبقيت إلا غراماً في الضلوع نوى
فالجسم عندي وعيني في الطريق وها ... قلبي لديك يعاني حرقة وجوى
والشوق ولّى عليّ الحزن إذ عزل الـ ... ـصبر الجميل ونومي للفرار نوى
والدمع خطط لي ثوب الضنى بيد ... حمراء لما رأى جسمي سليب قوى
فكم يقاسي العنا قلبي وقلبك يا ... روحي مهنا لأنواع السرور حوى

وان هذا المترجم من أعيان حديقة الأفراح لإزالة الأتراح . وقد ترجمه مؤلفها فقال : صاحبنا الأديب ، محمد أمين الزلبي المدني الخطيب ، واحد أدباء العصر ، والجوهر الفرد الذي ما ظفر بمثله جوهري في الدهر ، اجتمعت به عام الف ومـائتين واثنين وعشرين في بندر جدّة ، فرأيت من أخلاقه ما أوجب علي حمده ، شمائله تدل على اللطافة ورقته أرق من السلافة ، ما الدر النظيم بأفخر من عقد نظامه الثمين ، وما أرج النسيم بأضوع من روائح منثوره الذي هو في الحقيقة سحر مبين ، فمن لطائفه قوله :

لاح الصباح براية بيضـاء ... وسطا ففرق عسكر الظلماء
والروضة الغناء قام هزارها ... يشدو فأشجانا بطيب غناء
والغصن لاح لنا بتاج أزاهر ... متكلل بجواهر الانـداء
فانهض وبادر للخلاعة واغتنم ... صفو الزمان ولا تكن متنائي
واقرن صبوحك بالغبوق ولا تدع ... فرص السرور بغدوة ومساء
واعقد ببنت الحان واجعل مهرها ... عقلي وأشهد سائر الندمـاء
واستجلها بكراً تقلد جيدهـا ... بعقود در بل نجوم سماء
واشهد محاسنها إذا ما أهديت ... من كأسها في حلة الأزاء
وافضض ختام كؤوسها واكشف لثا ... م عروسها وانشق لطيف شذاء
واعدل عن العيدان وارشفها على ... رقص الغصون ونغمة الورقاء
وإذا سألتك ما اسمها متلذذاً ... قل لي فديتك في جواب ندائي

هي راحة الأرواح والروح التي ... قامت بها أجساد كل هناء
لا بل هي الراح التي من شأنها ... جَلْبُ السرور ودفع كل عناء
راح تشابه لونها وإناؤها ... وتشاكلا في رقة وصفاء
راح اذا ظهرت بيوم مشرق ... أخفت أشعتها ضياء ذكاء
راح اذا ما أبرزت من خدرها ... في ظلمة لم تفتقر لضياء
راح يفوق المسك طيب شذائها ... يغنيك عن ند ونشر كباء (١)
فاشرب هنيئاً واسقنيها قهوة ... حمراء وسط زجاجة بيضاء
من كف ساق في لماه ولحظه ... وحديثه نوع من الصهباء
وبخده ورد حماه بأسهم ... عن قطفه باللحظ والإيماء
فاذا رنا هش العيون أو انثنى ... فضح الغصون بقامة هيفاء
واذا بدا والبدر حال تمامه ... لم يدر أيهما رآه الرائي
فعليك يا هذا بها واليك عن ... قول العواذل يا أخا السراء
واركض بميدان الخلاعة والهوى ... طلق العنان برغم كل مراثي
ودع المساجد عنك والزم عادة الا ... دبا وخل ثقالة الفقهاء
واصرف زمانك كله في شربها (٢) ... صرفاً وحاذرْ مزجها بالماء
وامزج زجاجتها اذا ما عفتها ... بلماه فهو دواء هذا الداء
أو من لمى عذراء ذات مقبل ... عذب شهي فيه برء ضنائي
تسبي وتستلب العقول اذا رنت ... للعاشقين بعينها الكحلاء
واعص النصيح ولا تخف احداً سوى ... مولاك في السراء والضراء
واخضع وذلّ له ولذ بجنابه ... ينجيك من سوء وشوم بلاء
واعدّ توبة مخلص من قبل أن ... يزف (٣) الرحيل وأنت في الاهواء

---

(١) الكباء : القبرة .
(٢) هذا كله لا يقوله عاقل ، ولكن هذه الصبوة ، قد ختمها بالتوبة ، كما ترى في ختام هذه الأبيات ، من الاستعداد لما هو آت ، عفا الله عنه .
(٣) يَزِف : يسرع .

فلعل أن يمحى بصادق فجرها ديجور ليلة جرمك الليـــلاء

ان هذا المترجم قد توفي بعد الألف والمائتين والاثنين والعشرين ولم أقف على تعيين وفاته ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

السيد محمد يوسف البلجرامي الحسيني هو من رجال الحديقة وقد ترجمه بها فقال

ومن قوله أيضاً :

اعطف ورق لحاليه يا ذا الشفاه الحـــاليه

لا تبل قلبي بالتجني فهو نار حاميـــه

خذ يا حبيبي ما ملكت وان أردت فؤاديه

واحـــيرتي واحرقـــتي ان زدت في هجرانيه

ارحم فديتك ذلـــتي وكآبـــتي وبـــكائيه

جرعتني غصص الجفا وتركت روحي باليـــه

هـــا حـــالتي يامنيتي تنبيك عن أشجانيه

يـا من حفظت وداده وأضـــاعني ووداديـه

حرمت طيب النوم يا تيـــاه عن أجفانيه

يكفيك اني مـــدنف حتى العذول رثى ليه

أواه ممـــا نابـــني آه وآه ثانيـــه

مـــا ضر لو أطلقتني من لوعتي وعنائيـــه

سوفت بي ومطلتني وجحدت دين وصاليه

عرج عليّ ولا تعذبني وشرف داريـــه

والله روحي عن غرا مك قط ما هي ساليه

داوي بوصلك مهجتي لا ذقت مثل غراميه

قال حسان هندوستان المعروف بازاد ، في كتابه سبحة المرجان : هو قسطاس المعقولات ، ونبراس المنقولات ؛ بل هو ملك كريم ، وعلى الخزائن حفيظ عليم . علمه الله من تأويل الأحاديث ، وأدار عليه كؤوس العناية بالتثنية والتثليث[١] فمن لطائفه قوله فيمن ورد روضه .

قد شرف سيدي رفيع المقدار روضي ليرى به جمال الأزهار
رحبت به وقلت أهلا سهلا حياك الله أنت نور الأنوار

ويعجبني قوله :

سرت الي وكان البدر ملتمعاً وكابدت في سراها أي معسور
فقلت أهلا بمن جلت عنايتها بهـا تيسر لي نور على نور

انتهى . توفي في القرن الثالث عشر ولم أقف على تاريخ وفاته[٢] رحمه الله .

الشيخ محمد علي الجيلاني المعروف بالحزين نزيل نبارس

هو من رجال حديقة الأفراح ، قد ترجمه مؤلفها بقوله :

عالم توجه الله بتاج الكمالات وألبسه حلة الشرف والكرامات ، عارف أوضحت شمس معارفه البازغة منهج الفلاح ، عابد صرف شريف عمره في طاعة ربه المنّاح . أديب ، ديوان نظمه باللسان الفارسي نزهـة الأبصار ،

---

(١) في الأعلام : محمد يوسف بن محمد أشرف الحسيني الواسطي البلكرامي : فاضل من أهل بلكرام (في الهند) ، له كتاب « الفرع النابت من الأصل الثابت » في التوحيد الشهودي ، قال صدّيق حسن خان : وقفت عليه فوجدته في بابه ، خطيباً في محرابه ، وله شعر بالعربية والفارسية اه قوله : التوحيد الشهودي . قال الشبلي من أئمة التصوف : ومنهم مَن هو مكاشف بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه » من الرسالة القشيرية في علم التصوف .

(٢) في الأعلام : (توفي سنة ١١٧٢ هـ) .

بليغ ،لطائفه باللسان العربي درر وأنوار . فمن جيد شعره قوله من لاميته المشهورة التي مدح بها الامام المرتضى كرم الله وجهه :

وليس عنك سواد العين منصرفاً ... مهما تشاهد بالتدعيج والكحل
اسمع كلامي ودع لامية سلفت ... الشمس طالعة تغنيك عن زحل
فمن أنيني حمام الأيك في طرب ... قد اقتدى بزفيري واقتفى رتلي
مني الأنين ومنكم ما يليق بكم ... بذلت جهدي لكم لا بد من بدل [1]
فوالذي حجت الزوار كعبته ... وكم هنالك من داع ومبتهل
جرى بجاري دمعي حب حضرته ... وأشرق الشوق في صدري بلا طفل
ليس اصطباري ببعد الدار عن سكن ... بل من نحولي يا غوثي ومن فشلي
وكم دعوتك يا كهفي ومعتمدي ... مستنصراً فأتني بالنصر عن عجل

توفي في القرن الثالث عشر ، ولم أعلم تاريخ موته رحمه الله .

قاضي القضاة الأمجد محمد نجم الدين خان

هو من أفراد أعيان الحديقة ، وإنسان حدقة أهل المجاز والحقيقة ، قد ترجمه صاحب الكتاب المذكور وإن كان فضله بين الأنام مشهور ، فقال : نجم الهداية الثاقب مظهر المكارم والمناقب ، غطمطم [2] العلوم العقلية والنقلية ، وسفينة النجاة لمن اهتدى بأنجم فضائله الجلية . تثاره شذور العسجد ، ونثاره من وقف عليه لم يلهج بغير الصلاة والسلام على محمد . فمن لطائفه قوله :

---

(١) قال صاحب الحديقة أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني ـ بعد هذا البيت : سبحان المنعم ، هذا البيت غاية في اللطف ، وما أحسن قوله منها : فوالذي الخ وليته ترجم لهؤلاء الأدباء تراجم كاملة ، أو ذكر تاريخ وفياتهم على الأقل .

(٢) الغطمطم : البحر العظيم ، والرجل الواسع الأخلاق .

لسلمى جمال كشمس الضحى لها جبهة قل هلال بدا
لها قامة مثل سروة تميل يداها كأغصانه بالصبا
وكانت لها حلة مع صفا عن القلب ما زال تجلو الصدا
لقد فارقتني بلا باعث وداع الى نقض ذاك الهوى
وما لاحظت خدمتي كالعبيد ولم توف أصلاً عهود الحمى
ولي دونها هيأة الاضطراب كحوت عن الماء جاز الثرى
جرى من عيوني سيول الدما إلى الله أشكو جرى ما جرى
فيا ثاقب اصبر ولا تجزعن لأن النسا قلّ فيها الوفا

انتهى . مات المترجم في أوائل القرن الثالث عشر .

المولوي محمد باقر النوايتي المدراسي

قد ترجمه صاحب الحديقة فقال : نابغة الدكن وجريرها ، وريحانة الظرائف وزهيرها ، بقر الفنون بأنفاسه الطويلة في النثر والنظم ، وذبح الطروس بنفائس المدائح وزخارف الذم ، فأهدى إلى السواد الأعظم المدح المليح ، وأزجى إلى الفرقة الامامية الذم القبيح . فمن لطائف نثره ما كتبه إلى السيد العلامة الأديب صفي الاسلام ، مفتي الشافعية بالمدينة المنورة أحمد بن علوي باحسن جمل الليل :

سلام به نور المحبة لامع ونشر تباشير الهوى منه ساطع

على من جميل خلقه الذكي هو المسك ما كررته يتضوع ، وحسن صيته العلي كبرق بدا من جانب الغور يلمع ، المتروي بمنهل المجد الروي والمتحلي بملبس الشرف الجلي ، الرافل في مطارف النسب الفاخر والحافل بطرائف الحسب الزاهر . المتسم ذروة العز الشامخ المتسلم لصفوة الفخر الباذخ ، المتميز بمزايا الشيم الرضية والمتحيز بزوايا الهمم السنية ، نخبة الفضلاء الأمجاد

ونقاوة الأدباء الأجواد ، المنسوب إلى اليمن الميمون كالسهيل ، مولى السيد أحمد باحسن جمل الليل ، أنار الله مهجته وأدام بهجته . وبعد فلا يخفى على ضميركم الذي هو ملواح كل فلاح ومصباح كل صلاح ، ان التعارف المتحقق في معهد الأرواح ، يورث التحالف في مشهد الأشباح ، ويثبت تارة مضمون الغرام الأيمن بالخط الشعاعي المتصل بالوجه الحسن ، ويجدد أخرى تلك النسبة المتناهية الكتمان ، بابلاغ المحاسن إلى مسامع الخلان . وإن اشتهر انتشاء الحب من العين سراً وعيانا ، فالاذن تعشق قبل العين أحيانا . إلى غير ذلك والسلام انتهى . توفي المترجم المذكور في القرن الثالث عشر ولم أقف على تعيين وفاته .

السيد العلامة محمد بن اسحاق

هو من زهرات أفنان حديقة الأفراح ، ترجمه صاحبها مع السادة الملاح ، فقال : باب مدينة العلم ومعدن الكرم والحلم ، نثره أبهى من الدر المنثور ، ونظمه أفخر من قلائد النحور . فمن لطائفه قوله :

أيا بارق الجرعا هل الجزع ممطور ... وهل بالغواني ذلك السفح معمور
وهل ذلك الروض النضير نضارة ... بعين الرضا من ساكن السفح منظور
وهل كسيت فيه الغصون قطيفة ... مطرزة خضرا وأزرارها نور
ازاهير تغدو بعد حين كأنها ... دراهم في حافاتها ودنانير
فلله ذاك الروض كم عبرت به ... نسيم الصبا في طيها المسك منشور
يكبر من يأتيه حتى طيوره ... لها فيه تهليل كثير وتكبير
إذا رقصت أغصانه فحجامه ... مزامير في أرجائه وطنابير
سقاها الحيا طول المدى فهي جنة ... لأن الحسان اللاعبات بها حور
كواعب لا تفتر عن حرب عاشق ... بتدبير رأي فيه للصب تدمير
يجهزن جيش الانكسار لحربه ... وما هو إلا لحظ عين وتفتير

وغيداء أما اللحظ منهـا ففاتك ... وأما اريج الثغر منها فـكافور
إذا ابتسمت أو كلمت مغرماً يرى ... من الدر منظوم بفيهـا ومنثور
يحافظ مضناها على حبه لهـا ... وياليت مضناها على ذاك مشكور
لها في الجفا جزم على رغم انفه ... وفي وصلها تقديم رجل وتأخير
بطول تجنيها وتفتير لحظهـا ... فؤادي مسجور هناك ومسحور
شكوت لها هجري وقلت لها متى ... بطيب التداني منك يسعد مهجور
فيا هذه عطفاً على ذي صبابة ... له في الهوى شأن لحسنك مشهور
أسرت منامي بعد اطلاق مدمعي ... وكم في الهوى يشكو طليق ومأسور
وأرسلت قلبي المستهام مع الصبا ... إليك فعاد القهقرى وهو مقهور
هبي انه ضيف ألمّ بداركم ... وللضيف إكرام عليك وتوقير
على كل حال أنت عندي حبيبة ... وعذرك مقبول وذنبك مغفور

انتهى كلام الحديقة . ثم ان المترجم المذكور رحمه الله تعالى قد كانت وفاته في أوائل القرن الثالث عشر لكنني لم أقف على تعيين تاريخها .

محمد الجوموزي

قال في حديقة الأفراح لإزالة الأتراح : بليغ ماهر يزدري دره الثمين بالجوهر الباهر ، فمن لطائفه قوله مكاتب حسين بن علي الوادي وهو إذ ذاك بصنعاء :

الغيم أرخى أدمعـاً لا تفيق ... وألبس الأغصان ثوبـاً أنيق
وَدبّج الأرض فمن أخضر ... أو أصفر أو أحمر كالعقيق
وكلما مرت بنـا نفحة ... أهدت من الأزهار مسكاً سحيق
روت حديثاً عاد دمعي له ... مسلسلاً بالود لمـا يستفيق

ان الربا قد كللت بالندى وانتظم المنثور بين الشقيق
يا أيها الوادي الذي نشره قد ملأ الأرجاء نشراً فتيق
بعدك عني والوفـا شيمتي مالي إلى السلوان عنه طريق

انتهى . مات المترجم بعد الألف والمأتين ولم اقف على تاريخ موته .

السيد محمد بن صلاح الهادي

قال احمد بن محمد الانصاري اليمني الشرواني في حديقته المشمولة بأنواع الأماني : علم الهدى ، والإمـام الذي ما ضل من تبعه واقتدى ، فمن لطائف قوله :

لست أنسى رقة العيش الذي زاد في الرقة حتى انقطعا
في ربا الشجعة كنـا جيرة واخلائي وأخداني معا
جنة عندي رباهـا زخرفت سيما والكرم فيهـا أينعا
وسقى الله ليبلات الحمى وكلاه وحماه ورعا
وصديقاً زارني من بعد ما بجلابيب الظلام ادّرعا
قطع البيداء نحوي مسرعا والفيافي والموامي قطعا
زار كالطيف اختلاساً ومضى ثم ما سلم حتى ودعا
اودع القلب أسى إذ ودعا فجميل الصبر مني امتنعا
وسعى الحادي به مستخفرا بعد ان فارقتكم لأسمعا
أو ظننتم أن جفني هاجع فلعمري بعدكم مـا هجعا
عيل صبري إذ رحلتم جزعـا وفؤادي ذاب فيكم ولعـا
كان ينهاني الحيا أن اشتكي ففرامي لحيائي منعـا

انتهى . مات في القرن الثالث عشر في أوله رحمه الله تعالى .

القاضي محمد بن احمد مشحم

ممن تزينت الحديقة بطلعته وتحلت بصفته وحسن ترجمته ، قال منشيها وبطراز البراعة موشيها : عدل عن الجور وفيما حكم عدل ، واتقن فن البلاغة بصائب رأيه الأكمل ، فمن لطائفه قوله مجاوباً الفاضل الأديب محمد ابن خليل السمرجي الجداوي :

ازهر الربا اهديت أم لؤلؤ العقد ... أم الزهر جاءت في بديع من السرد
ام الروض لا ، فالروض ماء وتربة ... وعشب وذا شيء يجل عن الحد
ام النسمات العاطرات تأرجت ... بأعبق من مسك فتيق ومن ند
ام الخمر في كأس الطروس أدرتها ... أم الشهد ام أحلى من الخمر والشهد
ام الريق من فتانة الثغر والرنا ... بعيدة مهوى القرط مياسة القد
ام الطرس وافى أم بدا قمر الدجى ... ام الشمس قد لاحت على شرف السعد
ام الغادة الهيفاء في الحلي أقبلت ... تميس بأزهى من مرنحة الملد
وجاءت بخل لا يخل بوده ... ولا يرتضي إلا الثبوت على العهد
بثغر كما يزهو الأقاح ملاحة ... وخد كما التف الشقيق على الورد
وجيد كما تزهو ظبا السفح لفتة ... وطرف كما تبدو الظباء من الغمد
ام السحر لا استغفر الله انه ... حرام وذا حل فياطيب ما أهدي
وما هي إلا بنت فكر فريدة ... تبختر من وشي البلاغة في برد
نفائس افكار أتت لم أجد لها ... جزاء سوى الشكر المكلل بالحمد
ودر قريض رمت ادراك شأوه ... فقصر عنه في تطلبه كدي
حلى صاغها من حاز كل فضيلة ... بها قد حلا جيد المكارم والمجد
اخو الأدب الغض الذي جمعت به ... المحاسن حتى صار يعرف بالفرد
أديب أريب ألمعيّ مهذب ... ذكي ، سجاياه تجل عن الحد
له خلق أزهى من الروض باسما ... وذهن دقيق الفكر أمضى من الحد

أعيذ سجاياه التي طاب ذكرها بآي المثاني السبع من سورة الحمد
لأنفاسه في الطرس أي تضوع تصعد منه دائماً عبق الندّ
فلله ما أهديت يابدر من يد وكم لك أيضاً قبلها من يد عندي
أياد توالت منك عجلى كأنها شرار أطارته الأكف على الزند
وإني في عجزي عن الشكر سائل مسامحتي فيما أعيد وما أبدي
بمالك في سمعي وطرفي وخاطري من الصيت والمرأى المعظم والود
فودك في قلبي ألذ من المنى وذكرك أحلى في لساني من الشهد
فدم زينة الآداب بدر كمالها ودرة تاج العصر واسطة العقد

انتهى . توفي رحمه الله تعالى في القرن الثالث عشر [1] .

عز الاسلام محمد بن محسن الفوشي كاتب بندر المخا

هو ممن احتوت الحديقة عليه ووجّهت وجهة الترجمة إليه ، فقال مصنفها وجامعها ومؤلفها : مصدر الغرائب ومظهر العجائب ، منهل أدبه صافي ومختصر المطول من بدائعه مغني اللبيب وكافي ، فمن لطائفه قوله :

لقد نثرت أيدي السحائب لؤلؤا فنظمها كف الرياض بلا شك
وقلد أجياد الغصون عقوده فشاكلها نظم الأديب بلا شك
كذلك ألفاظ الحبيب وقد دنا بمستلطف الاعذار بعد الجفا يحكي

انتهى . توفي المترجم رحمه الله في أثناء القرن الثالث عشر .

---

(١) قال في الأعلام : ناقلاً عن « تحفة الإخوان » و « البدر الطالع » : فقيه يماني ، له نظم جيد ، من أهل صعدة ، اشتهر في صنعاء ، وولي الخطابة والقضاء في بعض المدن أيام المنصور الحسين بن المتوكل وابنه المهدي العباس . وتوفي بصنعاء . صنف رسائل جمعت في مجلد ، منها « منتهى التهاني في إسناد كتب من أنزلت عليه المثاني » قال الشوكاني : ولعلّ مجموعة أشعاره عند ولده » (توفي سنة ١١٨١ هـ) اهـ .

الشيخ محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني
الشافعي النقشبندي الخالدي (١)

عالم غير أنه بعلمه عامل ، ومرشد الا أنه بارشاده كامل ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، وبينه وبين الحياة من موت الجهل أقوى سبب . له فضل قد اعتلا على هام المناقب ، وأدب نبوي تتوقد به نجوم الليل الثواقب ، وشمائل قد كاثرت رمل النقا ، وفضائل قد أربت على الجواهر في الرونق والنقا . مـــع ماله من كرم يخجل الأجواد ، وسخاء هو في الأعناق كالأطواق في الاجياد . لم ترو صحاح التواريخ كأحاديثه الحسان ، ولم تحرر كآثاره في صحائف الحسن والاحسان . وجاه قد استوى على سماء القبول ، وقدر قد احتوى على ما يفوق المأمول . وهو من رجال الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ، لحفيده الأديب الكامل والأريب الفاضل ، عبد المجيد افندي فقـال في ترجمة هذا السيد الأستاذ والسند العمدة الملاذ : فاتحة الأتقياء المهتدين ، وخاتمة الخلفاء المرشدين ، وقبلة أولياء العلماء ، ورحلة علماء الأولياء ، روض المعارف الوارف ، يأوي الى ظل فضله وفضل ظله كل عارف ، جامع فرق الارشاد ، وفارق جمع الامداد . منهل أنواء الأنوار الشمشعانية ، ومظهر اسراء الأسرار الربانية . الى رقيق أخلاق يعرفها كل من له في الطريق خلاق ، وأنفاس تشف عن علو كشف وأذواق ، ربى بها من السالكين نفوساً شموسا ، فأشرقوا في فلك الهداية أقماراً وشموسا . وكرم وكرامات تثبت ماله من جلالة الهمم والمقامات ، فهو الكوكب الذي قابل بقابليته المحمدية ضياء شمس الذات الخالدية ، فانطبعت في لوح مرآته الصقيلة كافة صفاته الجلية الجليلة ، فأشرق في سماء

---

(١) له رحمه الله ترجمة وافية ، في كتاب « الحدائق الوردية » تأليف حفيده الشيخ عبد المجيد الخاني (ص ٢٦١ الى ص ٢٧٢) .

الولاية بدرا وفي دولة الهداية صدرا ، وأصبح منه فصلاً في وصل ، والنسخة الثانية المقابلة على الأصل ، وورثه رشداً فرضاً وردا .

ولد قدس الله سره وأناله بقربه تمام المسرة ، سنة ثلاث عشرة ومائتين والف في خان شيخون ، محل مشهور في طريق حلب على مرحلة من حماه ، منه سيدنا العارف الكبير الشيخ قاسم الخاني صاحب كتاب سير السلوك الى ملك الملوك ، وشرح عنقاء مغرب لخاتمة الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين ، قدس الله سره ورزقنا نظره وبره ، آمين . وكان أبوه عبد الله معززاً في قومه موقرا في أهله ، دمث الأخلاق حسن الأوصاف . توفي هذا العزيز ، والجد الأمجد في سن التمييز ، واشتغل بقراءة القرآن والكتابة وهو في حجر والدته الصالحة التوابة الأوابة ، الصوامة القوامة ، الذاكرة الشاكرة . ثم ارتحل قدس الله سره مع والدته الى حماة المحمية ، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب المرضية . فتفقه في مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه على العالم الفاضل الشيخ خالد السيد ، والعالم الفاضل الشيخ عبد الرحيم البستاني ، وقرأ النحو وطرفاً من الآلات على العالم الفاضل الأديب الشيخ حمود زهير ، ولازم العبد الصالح الشيخ فارس — الذي كان في حلبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول فارس — مدة ست سنين ، ثم أخذ الطريقة العلية القادرية من السيد الشيخ محمد الكيلاني الأزهري قدس سره ، واشتغل بها وبتعليم الناس الأحكام الشرعية ، وصرف قصارى الهمة لاحياء السنة السنية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه ، فكم أزال من بدعة ومحا من ضلاله ، حتى كان يحضر الناس قهراً الى المسجد ويعلمهم فرائض الدين ، والتوبة من المعاصي وتجديد الاسلام والعقود ، فحصل على يده نفع عظيم ، واشتهر في أرجاء حماة اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وصار يعبر عنه بمهدي الزمان . وكان جلوسه في جامع الجامع للعلوم والعرفان ، الولي

الكامل بلا دفاع الشيخ علوان الحموي قدس الله سره ، واقامته كانت في زاويته ، وحصل له بذلك مدد عظيم من روحـــانيته ، ولم يزل كذلك إلى أن شرف الديار الشـــامية قطب دائرة الارشاد وبحر الهداية والامداد ، ذو الجناحين وعلامة الثقلين ، أبو البهاء ضياء الدين ، حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدس الله سره العزيز ، فتشرف بأخذ الطريقة العلية النقشبندية عنه ، كما ذكر ذلك في البهجة السنية ، ودخل الرياضة حالاً في جامع العدّاس ، فأدركته جذبة من جذبات الحق التي توازي عمل الثقلين ، فحصـــل له بعد ثلاثة أيام النسبة المعبر عنها بالوصول والفناء ، [1] وهو دوام مقام الإحسان ، ولم يزل في ذكر وفكر يترقى إلى أعلا المقامات ، حتى أتم الأربعينية ، فاستأذن بالذهاب إلى أهله في حماة فأذن له ، ثم لم يبرح أن عاد فأدخله الرياضة ثانياً ، فلما تمّت عاد إلى أهله أيضاً ثم رجع فدخل الرياضة ثالثاً ونفسه متشوقة إلى ختم المقامات والترقي في مقام الأولياء ، فبعد أن أكمل الرياضة انقلب إلى أهله فمكث غير بعيد ، إذا بأمر من حضرة مولانا قدس الله سره بحضوره وعائلته إلى دمشق الشام ، فلم يتأخر عن الإجابة لحظة ، وذلك سنة احدى وأربعين ، فأقبل عليه قدس الله سره ، لمـا رأى من علو همته وصفاء فطنته وفطرته ، ووفور علمه وتوقد ذكاء ذكائه وفهمه ، وكان قد ابتدأ يقرأ النهاية شرح المنهاج في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، لعلامة الدنيا شمس الدين الشيخ محمد الرملي الأزهري نور الله مرقده ، صباحاً في مدرسة داره ، ويعيد له الدرس سليل العلماء عمر أفندي الغربي رحمه الله ، فلما حضر الجد الأمجد جعله محله وسر به سروراً عظيما ، وبشره بأنه سيصير شيخ الشام ، وقد حقق الله بشارته كما سبق الألماع بذلك . في ترجمة حضرة مولانا قدس الله سره العزيز .

---

(١) أشار القوم بالفناء الى سقوط الأوصاف الذميمة ، وأشاروا بالبقاء الى قيـــام الأوصاف المحمودة ، كما تراه في رسالة القشيري ، (ص ٤٦) .

ولما توفي خليفة جامع المرادية المشهور بالسُّوَيقة ، العالم الفاضل والمرشد الكامل ، ملا خالد الكردي قدس الله سره ، عينه لمكانته عنده مكانه وخلفه خلافة مطلقه ، وأذن له بالارشاد وتلاوة الذكر الخوجكاني والتوجه الاخوان في الجامع المذكور ، وكتب له صك الخلافة وختمه بخاتمه الشريف انتهى .

ولم يزل في ذلك المكان المذكور يرشد الناس إلى فضائل الأمور ، مع تقوى وعبادة وقناعة وزهادة ، وذكر وقيام وصلاة وصيام ، إلى أن توفي رحمه الله وأعلا في مدارج السعادة مرتقاه ، وذلك سحر يوم الاثنين تاسع عشر صفر الخير سنة تسع وسبعين ومائتين وألف ، ودفن أعلا الله مقامه وبلغه في دار الجزاء مرامه ، بتربة كعبة الاسعاد وختم الارشاد سيدي الشيخ خالد الحضرة في صالحية دمشق . وقد رثاه حفيده عبد المجيد افندي بهذه المرثية الجليلة وإن كانت في حقه حقيرة وقليلة :

متى يسعف الصبر الجميل ويسعد ... وحزن على حزن يقيم ويقعد
أثار بقلبي ما أثار من الجوى ... فنيرانه بين الجوانح توقد
ورزء يذوب الصخر من صدماته ... ويرجف قافٌ منه والبحر يجمد
فكم أورث الألباب بحران دهشة ... الى أن غدت في صدقه تتردد
وشق قلوباً لاجيوبا مشقة ... ومزق أكباداً له تتكبد
وأرسل من أهواله سحب عبرة ... بلا فترة بل حين تصدر تورد
على فقد جد طالما جد في العلا ... وأصبح للدين الحنيف يجدد
على العلم والارشاد والزهد والتقى ... على الجود والامداد والخير يفقد
على الأمر بالمعروف والنهي زاجرا ... عن المنكر المطلوب فيه التقيد
على بحر عرفان موارده صفت ... لكل مريد فيه لله مورد
على شمس أسرار تضيء هداية ... وتحيي الطريق المجتبى وتؤيد

على صائم الأيام وهي هواجر ... يجاهد في الله وفقه يجهد
على قائم الليلات وهي دياجر ... يقسمها ذكراً وفكراً ويسجد
على مرشد يهدي الى الحق نوره ... فمن جاءه يسعى فبالله يسعد
على وارث القطب المعظم خالد ... بصدق له الذكر الجميل يخلد
فمن لدروس العلم يحيي دروسها ... بتحرير تقرير يحل ويعقد
ومن لعلوم القوم يظهر سرها ... بذوق له العلم اللدني مسند
ومن للطريق الخالدية بعده ... يشيد من أركانها ما يشيد
فيا طالما أحيا مآثر قطبه ... وآثاره الكبرى بذلك تشهد
وعزز من قاموا بحق مقامه ... فكانت بهم تحمى الطريق وتحمد
كواكب إرشاد أضاءت على الورى ... اذا غاب منهم مرشد لاح مرشد
هم الشيخ اسمعيل قدس سره ... وحضرة عبد الله والجد الامجد
محمد الخاني والمظهر الذي ... له في مقامات الولاية مشهد
له العلم في هلك الطريق وملكه ... وما يصلح الأحوال فيه ويفسد
تفرد عن أقرانه بمناقب ... كبار وهم الأولياء التفرد
فقد كان في علم الحقيقة مفرداً ... كما هو في علم الشريعة مفرد
فطوبى له من عارف جد عارف ... الى الله يهدي السالكين ويرشد
له مسجد بالذكر والفكر عامر ... وقوم كرام ركع فيه سجد
له الجود والايثار والزهد والتقى ... له الورع الأولى به والتجرد
صبور على التقوى غفور لمن أسا ... شكور اذا أقوى[1] وقور بمجد
تقلد في الارشاد أكبر منصب ... بهمته الكبرى التي لا تقلد
كراماته في كل ملك شهيرة ... وخيراته في كل وقت تجدد
بديع بيان في حديث تصوف ... بتفسير فقه نحوه الحق يقصد
وبهجته أسنى كتاب مؤدب ... فآياته تتلى لنا وتجوّد
ولا عيب فيه غير ان وجوده ... عزيز فمن أمثاله ليس يوجد

---

(١) أقوى إقواءً : نزل في قواء أي قفر ، وأقوى الرجل : افتقر .

أعد له الله مقـــام شهوده ... جزاء شهادات له تتعدد
وأحيا الليالي ساهد الطرف ساجدا ... فأضحى له دار النعيم تمهد
بنفسي أفدي فرقداً حل مرقدا ... وأعظم به من مرقد فيه فرقد
عجبت لقوم وسدوه بلحده ... وما فتئت منهم قلوب وأكبد
وأعجب منه أن بحراً يقله ... سرير ويحويه من الأرض مرقد
علوم وعرفان وزهد ورحمة ... وجود وإرشاد وتقوى وسؤدد
فيا ليتني ما ذقت صاب مصابه ... ولا كان لي في عالم الكون مولد
عليه من الله تحية رحمة ... وهتان رضوان وعفو مسرمد
ومني له حسن الثنـــاء لأنه ... هو السيد المنشي الفخار المشيد
فلا أثمرت في روض طرسي يراعة ... براعة لفظ كاللآلي ينضد
إذا كنت لا أبكي دما لفراقه ... واندبه ما زلت أنشي وانشد
واشكره مـــا دمت حياً لعلني ... أكافي أياديه الكبار واحمد
وأنى لذهني أن يكافىء فضله ... وان عليه كل آن له يد
عهدت اليه أن يجيد رثاءه ... وعهدي به عند المهمات ينجد
فحال الجريض اليوم دون قريضه ... لعمرك ان الحزن للذهن يخمد
فصادمت أحزاني وقلت مؤرخا ... توفي حصن الأتقياء محمد
وإلا فما دام المصاب مصاحبي ... متى يسعف الصبر الجميل ويسعد

الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الخاني الشافعي النقشبندي الخالدي

شمس معارف العوارف ، المشرقة في أفق سماء العواطف ، والكوكب الذي به يستنار ويهتدى ، والمرشد الذي به الوصول إلى المأمول يقتدى ، من أطلع الآمال في أفلاك المنى ، وأظهر الافضال في عالم الدنا ، واستوى على اوج الرفعة متوجاً بالفضائل ، واحتوى لله دره على اعلا الأوصاف

والشمائل ، ومعاليه فوق السماك ذراها ، وكمال علمه لا يبارى ولا يضاهى ، ولأتباعه باتباعه الحظ الأوفر ، واليد البيضاء التي دونها المطاول قصّر ، ولقد ادرج ترجمته ولده الفاضل ، وشبله الماجد الكامل ، عبد المجيد افندي في كتابه الحدائق الوردية ، في حقائق اجلاء النقشبندية ، بقوله ، الإنسان الكامل بالكمالات الإلهية ، في مواقف فتوحات الأسرار القدسية ، مفتاح غيب عروش الكلم ، المكنونة في نقوش فصوص الحكم ، بيت قصيد نظم السلوك ، إلى ملك الملوك ، قوت قلوب الطالبين ، وقوة سامع الراغبين ، الكبريت الأحمر الموزون بالموازين الذرية لفضله المتكفل بكشف السر الغامض ، في قرب النوافل ومكتوبات الفرائض ، المضنون به على غير أهله ، قاموس لغة الخواص ، فيه من منن اليواقيت والجواهر بلغة الغواص ، من آل إليه عهود إحياء العلوم ، بتنزلات الوجود لتدبيرات مواقع النجوم ، وانتهت بمعرفة منطق الطير وترجمان أشواق الحضرة الاشارة إليه ، وامتاز بتمييز اصطلاحات واردات طريق الخلوة في الجلوة عما لا يعول عليه ، كشاف أسرار التنزيل الجامع ، المؤيد من فتح الباري بالآيات البينات المطالع ، القائمقام الرابع ، سيدي الوالد الماجد ، لا زال مقامه مظهر جمع الفوائد ، ومشكاة مصابيح سنن المقاصد ، ومغناه مغني اللبيب القاصد ، بإرشاده إلى الطريق المحمدية ، ومنهج روضة السيرة الخالدية المحامد[1] .

ولد أدامه الله تعالى في دمشق الشام خلال شهر رجب ، عام سبعة واربعين ومائتين والف ، وقرأ أوائل القرآن المجيد صحبة نجل حضرة مولانا الشيخ نجم الدين على والده ، وتمه عند العبد الصالح المرشد الفالح ، الشيخ علي الجزوري أحد خلفاء والده قدس الله سره ، وكان سنه وقتئذ خمس سنين ، وأجاز له بركة عصره وعالم مصره ، المحدث الحجة الثبت الشيخ عبد الرحمن الكزبري نور الله ضريحه ، جميع ما تجوز له وعنه روايته بعد ما اسمعه طرفاً من دلائل الخيرات ، وهو في تلك السن ودعا له بالفتوح والبركة ، وحضر دروس

---

(١) هذه تذكرات جامعة لأسماء أكثر من ثلاثين كتاباً ، غالبها في التصوف ، ومنها ما هو في الحديث والعربية

والده كلها من نحو وفقه وحديث وتفسير وكلام وتصوف وحساب وفرائض ، وتخرج على يد شيخ الكل في الكل المرحوم شيخنا الشيخ محمد الضندنائي ، فقرأ عليه حاشية الخضري على ابن عقيل وحاشية الصبان على الاشموني في النحو ، والتحفة في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه بحواشي ابن قاسم العبادي ، وجمع الجوامع بحواشي البناني ، والآيات البينات لابن قاسم المشار إليه ، مع مراجعة الأطول في الأصول ، وأشكال التأسيس في الهندسة ، وتشريح الأفلاك للبهاء العاملي في الهيئة ، والشنشوري في الفرائض ، وشرح المختصر بحواشيه ، وطرفاً من المنهج بحواشي البجيرمي ، وشرح الملوي على السلم بحواشي الصبان ، وبعض ابن قاسم الغزي بحواشي الباجوري في الفقه ، وشرح الجوهرة بحواشي الأمير الكبير ، وشرح العقائد النسفية للسعد بحواشي الكمال بن أبي شريف ، وشرح المسايرة للمشار إليه في الكلام ، وشرح الملوي على السمرقندية بحواشي الخضري ، والأمير ، ورسالة الوضع بحاشية العصام ، وآداب البحث والكافي في العروض بحواشي الدمنهوري ، والرقائق في الدرج والدقائق ، ورسالة الربع المجيب ، وشرح اللمعة في الكواكب السبعة .

وحضر دروساً من البخاري تحت قبة النسر لدى المحدث المشهور الشيخ عبد الرحمن الكزبري وأجاز له يوم ختم الدرس بالإجازة العامة ، وقرأ عليه شرح العقائد النسفية وغيره ، وسمع حديث الأولية من العلامة المرشد الكامل أحد خلفاء حضرة مولانا خالد قدس الله سره ، الشيخ اسماعيل البرزنجي قدس الله سره ، وأجاز له بالإجازة العامة ، وسمعه أيضاً من الإمام الكامل والهمام الفاضل الشيخ محمد التميمي أحد العلماء الأزهريين ، وتلقى الطريقة العلية النقشبندية عن والده سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، ولما حضر إلى الشام حضرة العارف بالله الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني لازمه ملازمة كلية ، وحضر دروسه في الحقائق ، وكان له منه الالتفات التام ، أطال الله عمره مدى الليالي والأيام ، وأحسن اليه في البدء والختام ، انتهى ما نقلته من

ترجمة هذا الهمام من الحدائق الوردية باختصار . ومن أراد الزيادة فعليه بذلك الكتاب فانه نهاية الأوطار [١] .

المرحوم محمد سعيد بن حماد الحمادي المدني

هو من الكمل الأمجاد ، الذين أصبح لسان الفضل وهو لملاهم حماد ، فالحق انه في الأقدمين ، من النفر الأكرمين ، « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون » [٢] ، فقد أتى في الأدب بمحاورات ، كالأنجم الزاهرات ، ومحاسن ، ماؤها العذب غير آسن ، فما نطق به لسان يراعه ، وأبداه فم محبرته من محبر إبداعه ، قوله :

يا سعد عرج على سكان ذي سلم ... ينبوك عن جيرة حلوا حمى الحرم
فسل خبيراً بهم ينبيك عن ثقة ... ليس المعبر عن رؤيا بمتهم
فكم ترعرع في بحبوح روضتها ... غصن تروحه الأرواح بالنعم
تكسو معاطفه أنوارُ بهجتها ... مطارفاً حُكْنُتُها في صنع محتكم
كأنها الزهر في الزرقاء إذ برزت ... في هيكل بالبَها والزين منتظم

وقوله من أخرى :

فاح نشر الربا وقد عم طيبه ... وتغنى بغصنه عندليبه

---

(١) قال الأستاذ الشطي وقد أورد خلاصة ما جاء في « الحدائق » من ترجمة مؤلفها لأبيه : ومنذ (سنة ١٢٩٥) عقد في جامع السويقة ، وفي داره ، دروساً في الحديث من الصحيحين والسنن وغيرها ، علاوة على دروسه الأخرى . ولما توفي الأمير المشار اليه ، (الأمير عبد القادر) أقامه وصياً على أمجاله القاصرين ، فأحسن خدمتهم ، وحفظ أموالهم احتسابا . وكان كوالده يكتسب من الزراعة قال القطي : ولم يزل المترجم على حالته الحسنى إلى أن توفي في خامس جمادى الأولى (سنة ١٣١٦ هـ) ودفن في مقبرة مولانا خالد في سفح قاسيون رحمه الله تعالى .

(٢) سورة الواقعة (١٠ و ١١) .

مذ تراءت أنامل السحب تولي ... من نثار الحيا فحيا خصيبه
وتمشت أرواحه ساحبات ... من ذيول البلال ما تستطيبه
في بساط يريك أنوار بسط ... فوق متن الوهاد ماس قضيبه
وعليه من أبدع الله منها ... كل وصف فلا يرى ما يعيبه
تتهادى بقامة مثل بان ... وعليه بالجور يحنى كثيبه
ذات فرق يلوح كالصبح لما ... شق عنه الدجا فبان مشيبه
قد أماطت نقابها عن محيا ... أي لب يسبى به لا يذيبه
فاسقني صاح صرف راح التصافي ... كي يداوى من الحشا ما يريبه

وله من موشحة :

شعشعت أرجاء ذي سلم ... حين حيت من حمى الحرم
غادة تسبي حجى الأمم ... مثلها في الخلق لم يشم
من رآها يقسم ... بر فيها القسم
انها في الحسن قد برعت ... إذ لأسباب البها جمعت
أفرغت في الزين مذ طلعت ... بدر تم حف بالأنجم
ثغرها المبتسم ... لؤلؤ منتظم
ذات فرق صبحه انبلجا ... تحت فرع خلته السبجا [1]
في محيا يخطف المهجا ... ان بدا للشمس تتكتم
وصفه المستعظم ... ليس يحصيه فم
يا له لما انجلى فجلا ... عن فؤادي الهم والوجد
رونق للطرف منه جلا ... جل من أنشاه من عدم
رروضه المزدحم ... ناضر معتصم
بت تحييني رواسمه ... وتحييني بواسمه

(١) الخرز الأسود ، والسواد .

وترويني مباسمه وعيون الصفو لم قنم
والوفـا منسجم ما حكته الديم
حيهـا من ليلة سلفت عن وجوه قط ما انكسفت
سجهـا بالفيض لي وكفت من صنوف البسط والنعم
لم يعبها ندم لم يرعها سدم

وله من قصيدة يمدح بها السيد بن عمار المغربي رحمها الله تعالى :

تسعى إلي بمنظر متبلـج الشمس تدهش من سناه وتفقد
ذي ناظر ساج كحيل فاتر فعلُ الظُبى يعزى اليه ويسند
ناشدتها بالود هل أنت التي يا هذه الأرواح فيكي تنقد
أم أنت يابدر البسيطة من غدت أحرارنا وُهمُ لحسنك أعبُد
فرنت بصارم لحظها ذاك الذي أبدًا بغير قلوبنـا لا يغمد
ثم انثنت تختال في حلل الصبا تيهاً يذوب لها الأصم الجلمد
وتبسمت عن مبسم عذب الجنا يفتر عنه لؤلؤ متنضـد
تشدو بلفظ رق حتى خلته سحراً ينفثه الحيا ويعقد
تبدي من القول البديع بدائعاً جيد الزمان بعقدها متقلد
مفهوم ما تبديه يا هذا استفق ألمثل فضلي في البرية يجحد

وله مخمساً

قمر تلألأ في الدجى من حجبه يزهو على الغيد الحسان بعجبه
رفقاً بصب قد أقرّ بذنبه يا محرقاً بالنار قلب محبه
مهلاً فان مدامعي تطفيه
من أجل من أهوى تركت مصالحي اعرضت عن قول العذول الناصح
إن شئت تقتلني وأنت مسامحي احرق بها جسدي وكل جوارحي
واحذر على قلبي فانك فيه

توفي رحمه الله في أوائل القرن الثالث عشر ودفن بالمدينة .

الحكيم محمد مؤمن بن محمد بن قاسم الجزائري الشيرازي الماتريدي [١]

أديب لبيب ماهر ، سيف ذهنه صقيل باتر ، وحكيم حاذق ، ثاقب فهمه كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق ، حـــاز من الكمالات الحظ الأوفر ، وحير الأفكار بما انتخبه في نظمه ونثره من كل معنى نادر وأندر ، مجاميعه كنوز الفوائد ، ورسائله بين الرسائل فرائد . فمن شعره الدال على فكره الثاقب ، قوله مادحاً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وأعلا مقامه وقدره :

دع الأوطان يندبهـــا الغريب ... وخل الدمع يسكبه الكئيب
ولا تحزن لأطـــلال ورسم ... يهب بها شمـــال أو جنوب
ولا تطرب اذا ناحت حمـــام ... ولاحت ظبية وبدا كثيب
ولا تصبو برنات المثـــاني ... وألحـــان فقد حان المشيب
ولا تعشق عذارى غانيـــات ... يزين بنانهـــا كف خضيب
ولا تلهو بحب صبيح وجـــه ... شبيه قوامه غصن رطيب
ولا تشرب من الصهباء كأساً ... يكون مديرها ساق أديب
ولا تصحب حميا أو قريبا ... فكل اخ يعادي أو يعيب
ولا تأنس بخل أو صـــديق ... وذرهم انهم ضبـــع وذيب
ولا تفرح ولا تحزن بشيء ... فلا فرح يدوم ولا خطوب

---

(١) ترجمه في معجم المؤلفين فقال : الجزائري الأصل ، الشيرازي ، الشيعي ، صوفي أديب شاعر . ولد بشيراز ، ونشأ بها ، وتوفي بالهند ، من آثاره : مجـــانس الأخبار ومجالس الأخيار ، في سبع مجلدات ، مقامات العارفين في شرح منازل السائرين ، ديوان شعر ، خزانة الخيال المشحونة من طرق المعاني والألفاظ الموزونة بأمثال اللآل ، في ثلاث مجلدات ، وطيف الخيال في مفاخرة العلم والمال وشرحه له (ج ٦٩/١٢) وفاته سنة ١١١٨ هـ .

ولا تجزع اذا مـــا ناب هم فكم يتلو الأسى فرج قريب
وسكن لوعة القلب المعنى وأنشده إذا غلب الوجيب
عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
ولا تيأس فان الليل حبلى فعلّ ليومهـــا شأن عجيب
وحسبك في النوائب والبلايا مغيث مفزع مولى وهوب
جواد قبل أن يرجى يوامي غياث قبل أن يدعى يجيب
تكلمت الظبـــا معه وشمس وثعبان وحيتـــان وذيب
وردت بعد ما غربت وغابت له شمس السماء ولا عجيب
كريم يستحي من مؤمن قـــد رجاه أن يمـــاطل أو يخيب
أمـــير المؤمنين أبو تراب علي المرتضى البر الحسيب
عليه تحيتي ما جن ليل وجن من النوى دنف غريب

وله في رثاء الحسين سلام الله عليه قصيدة مخمسة وهي من غرر قصائده والمذكور هنا بعضها :

جاء شهر البكاءِ فلتبك عيني بجنيني على مصاب الحسيني
وإمـــام الأنام من غير مين وابن بنت الرسول قرة عيني

آه واحسرتا لرزء الحســـين

آه فلتبك من دم قد أراقوا وبدور قد اعتراهم محـــاق
وسقوا طعم علقم لا يذاق خير رهط على البرية فاقوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

خطفتهم بروق بيض المنايا وأصابتهم سهـــام البلايا
عن قسي القضا فدعني ألا يا لائمي في البكا لعظم الرزايا

آه واحسرتا لرزء الحسين

هم بـــدور وغربهم كربلاء هالهم كرب أرضها والبلاء

خسفوا إذ لهم سنا واعتلاء ما لهذي البدور منها انجلاء

آه واحسرتا لرزء الحسين

كم بها صادت البغاث نسورا كم بها صارت السروج قبورا

كم بها استوسد الكرام صخورا كم بها رضت الخيول صدورا

آه واحسرتا لرزء الحسين

وردته الخطوط منهم وقالوا مل الينا بسرعة ثم مالوا

عنه اذ حلّ في فتاهم فحالوا بينه والفرات ثم استطالوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

وعدوا النصر ثم خانوا عهودا اوثقوا عقدها وصادوا أسودا

بذلوا دونه النفوس سعودا حينما شاهدوا الجنان شهودا

آه واحسرتا لرزء الحسين

غاب فتيان أهله والكهول فغدا السبط يشتكي ويقول

وله مدمع عليهم هموم هل بقي من يعين يا قوم قولوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

لست أنسى الحسين فرداً وحيدا ورضيعاً له سعيداً مجيدا

قصدوا بالنصال منه وريدا وسقوه الردى فأضحى شهيدا

آه واحسرتا لرزء الحسين

ومن جملة قوله ونظامه وبديع شعره وكلامه :

معاشر اخواني سلام عليكم لقد دمعت عيناي شوقاً اليكم

ولاغرو إن جسمي ثوى أرض غربة فروحي وقلبي ثاويان لديكم

ومن مقاطيعه قوله

علا هلالي على تلال فضاء منه فضاء مهمه

فقيل نور فقلت نور وقيل نجم فقلت مه مه

توفي رحمه الله في القرن الثالث عشر .

ابو مفلح محمد بن عبد الله البيلولي

عالم قد استوى على ذروة الكمال ، وأديب قد اكتسى شعره ونثره حلة الجمال ، قد فاق في عصره الأفاضل ، واشتهر بالكمالات والفضائل ، فمن بديع كلامه ورفيع نظامه ، قوله :

عطر الأرجاء لمـــا نسما شمأل الصهباء عند الغلس
وأتت شمس الضحى تنسخ ما يقرأ الليل لنـــا من عبس

دور

طاف بالكاس من الغيد فتى وعلى نهج التجني ما فتي
فتن الألباب لمـــا التفتا وحسا الكأس بطرف الشفة
وأنا مـــا بين حتى ومتى صده تيه الهوى عن الفتي
وكؤوس الراح بين الندمـــا عبقت بالعرف أفق المجلس
خمرة صفراء في البلور مـــا أشبه الحان بروض النرجس

دور

بادر اللذة واجمع شملهـــا بمدام وغلام مطرب
ذي لحاظ ناعسات كم لهـا من فنون السحر ما يلعب بي
ترف الأرداف عانى حملهـا دنف الخصر وذا من عجب
كلما اترع كأساً قال مـــا أنت بالشارى حياة الأنفس
فابذل الجهد وكن مغتنما لنفيس الوقت طيب الأنفس

دور

فرص الأيام كن منتهزا مبتداهـــا قبل قطع الخبر
ورحاب الأنس عج منتجزا قبل أن تمضي كلمح البصر
واجن من زهر الهوى محترزا من جنايات هجوم الكبر

لا تخف لوماً ويمم حيث مـا لاحت اللذات كالمختلس
ما مضى أنس ووافى مثل ما كان فالدهر لنـا بالحرس

قال صاحب الحديقة : وهي طويلة لم أقف إلا على هذا القدر. توفي المترجم في الف ومائتين ونيف رحمه الله تعالى .

المرحوم السيد محمد بن سهل العلوي المدني رحمه الله تعالى

سهل الخلق والكلام سامي الرفعة والمقام ، علوي المجد والنسب من قوم رفعهم الفضل على كاهل الحسب ، فلا ريب أنه نال من العلوم أقصى مرامه ، وتوطد من الفخار أعلا مقامه ، وقد رأيت أن هذه الأبيات إليه منسوبة ، وعلى رفيع ذكائه محسوبة ، فدونكها فاجتل جمالها ، فان نسيم اللطف إلى صوب الحسن أمالها :

سلام من المضنى الذي ما سلا كم ولا قصده في الدهر إلا لقاكم
سلام عليكم في سلام مضاعف سلام محب قصده أن يراكم
سلام محب ماله من يعينه ولا مال عنكم قلبه لسواكم
بعثت سلامي نحوكم وتشوقي أسلي به نفسي وأرجو رضاكم
خيالكم في العين ما زال حاضرا وإن غبتم عني فقلبي فداكم
جفا جفن عيني فيكم لذة الكرى فلا العيش يهنا لي إذا لم أراكم
أروم اللقا والبعد يمنع دونكم فهيهات عيني عمرها أن تراكم
واني على العهد القديم لثابت وما لي في الدنيا حبيب سواكم

مات في القرن الثالث عشر ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله .

السيد العلامة محمد بن اسحق بن محمد اليمني

باب مدينة العلم ولباب الكرم والجود والحلم ، نثره أبهى من الدر المنثور ونظمه أفخر من قلائد النحور ، فمن جميل لطائفه وأحاسن طرائفه قوله :

أيابارق الجرعا هل الجزع ممطور ... وهل بالغواني ذلك السفح معمور
وهل ذلك الروض النضير نضارة ... بعين الرضا من ساكن السفح منظور
وهل كسيت فيه الغصون قطيفة ... مطرزة خضرا وأزرارها نور
أزاهير تغدو بعد حين كأنها ... دراهم في حافاتها ودنانير
فلله ذاك الروض كم عبرت به ... نسيم الصبا في طيها المسك منشور
يكبر من يأتيه حتى طيوره ... لها فيه تهليل كثير وتكبير
إذا رقصت أغصانه فحمامه ... مزامير في أرجائه وطنابير
سقاها الحيا طول المدى فهي جنة ... لأن الحسان اللاعبات بها حور
كواعب لا تفتر عن حرب عاشق ... بتدبير رأي فيه للصب تدمير
يجهزن جيش الإنكسار لحربه ... وما هو إلا لحظ عين وتفتير
وغيداء أما اللحظ منها ففاتك ... وأما اريج الثغر منها فكافور
إذا ابتسمت أو كلمت مغرماً يرى ... من الدر منظوم بفيها ومنثور
يحافظ مضناها على حبه لها ... ويا ليت مضناها على ذاك مشكور
لها في الجفا جزم على رغم أنفه ... وفي وصلها تقديم رجل وتأخير
بطول تجنيها وتفتير لحظها ... فؤادي مسجور هناك ومسحور
شكوت لها هجري وقلت لها متى ... يطيب التداني منك يسعد مهجور
فيا هذه عطفاً على ذي صبابة ... له في الهوى شأن لحسنك مشهور
أمرت منامي بعد اطلاق مدمعي ... وكم في الهوى يشكو طليق ومأسور
وأرسلت قلبي المستهام مع الصبا ... إليك فعاد القهقرى وهو مقهور
هبي أنه ضيف ألمّ بداركم ... وللضيف إكرام عليك وتوقير
على كل حال أنت عندي حبيبة ... وعذرك مقبول وذنبك مغفور

المرحوم محمد بن امين بن عبد الله جلبي المدني رحمه الله

هو من رجال اللآلىء الثمينة وذوي المعارف المكينة ، ولقد قيل في وصفه تنبيهاً على شذرة من كماله ولطفه ، أقسم بالقمر إذا اتسق وحل في

دارة الصفا آمنا من كدر السحب والشفق ، انه لهو البليغ الذي أتى بالكلم المعجز السمين ، والفصيح الذي لم يعرض لمعانيه ما يخل ولا يشين . فمن بديع كلامه وبديه نظامه ، قوله :

أحبّ العـــذول لتكراره حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لأن الرقيب يكون إذا كان حبي معي

ومن هذا المعنى قول الأديب أحمد بن القاسم الجداوي :

من أجل ذكرك لذّ لي التفنيد قل للوائم في الملامة زيدوا
أهوى اللوائم كالرقيب فرؤيتي وجه الرقيب لرؤيتي لك عيد
من ذا رأى صبا يحب عذوله ورقيبه ويرى هو المحمود

ومن كلامه

تزايد بي الأنين فليت شعري أأحبابي بما ألقـــاه تدري
فكم آه يصعدهـــا فؤادي ويشفعها بآه الموت صدري

ومنها :

فساعات التداني من حبيب ألذ لدي من نغمـــات زمر
ولا شيء يعـــادل ذاك أصلاً إذا ما كان وصلاً بعد هجر

وهي قصيدة طويلة ، سوى أن الكاتب قد حرفها فتركت بقيتها . مات رحمه الله أوائل القرن الثالث عشر .

الشيخ محمد الكزبري بن الشيخ عبد الرحمن الدمشقي الشافعي

قال السيد محمد عابدين :

مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر في جامع بني أمية في دمشق المحمية ، نفعنا الله تعالى بصالح دعواته وأعاد علينا من بركاته ، وأدام به النفع العميم انه جواد كريم . ولد في ثالث عشر شعبـــان سنة الف ومائة وأربعين ونشأ في حجر والده جامعاً لطـــارف مجده وتالده ،

مرتضعاً من ثديه لبان العلوم ، محلياً جيده من دره المنظوم ، مع عفة وصيانة وورع وديانة ، وتقوى وعفاف وحلم وإنصاف . وتفقه عليه وعلى خال والده الامام الشهير بالشافعي الصغير ، الشيخ علي بن أحمد الكزبري [1] وأخذ الحديث عنهما وعن العلامة الشهاب أحمد المنيني ، ثم لزم الامام العلامة الثاني علي افندي الداغستاني ، وقرأ عليه في أنواع العلوم من معقول ومنقول ، وفروع وأصول ، والعلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن جعفر الكردي وغيرهما حتى نبه ونبل وتجمل واكتمل ، وفاق أقرانه وشرف زمانه . ولم يزل مثابراً على تعلم العلم وتعليمه وتوضيحه وتفهيمه ، مكباً على الطاعات والعبادات مثابراً عليها في جميع الأوقات ، محباً للمساكين والفقراء والمنتمين إلى السادة الكبراء ، كثير الصدقات والمبرات ، متواضعاً للصغير والكبير ، لين الجانب للعظيم والحقير . ذا هيبة ووقار يعلو وجهه نور أهل الآثار ، كثير البكاء والخوف من مولاه ، أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لا يخشى لومة لائم في الله . محيياً لبقع المدارس والمساجد بالدروس والعبادات ، وأنواع الطاعات ، ذا إتقان وتحقيق وترقيق وتدقيق ، بذهن سيال ولسان فصيح المقال ، مقصوداً من جميع الجهات والأقطار ، مشهوراً بها كالشمس في رابعة النهار . قد انتفع به الجم الغفير والخلق الكثير ، من قاطنين وأغراب ، قد ارتكبوا لأجله غارب الاغتراب ، حتى انه لم يوجد الآن في دمشق من طالب ، إلا وهو من فيض بحره كارع وشارب .

وهو إمام دمشق الكبير وكوكبها الذي به تنير . حج مرتين الأولى سنة الف ومائة وثمان وتسعين ، والثانية عام الف ومائتين وعشرة . وكان والده قد أذن له بافادة الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشائين

---

(١) هو كزبر ، ونسبه المترجم (الكزبري) اليه ، وأصله من صفد ، كما « في تعطير المقام » لشيخنا القاسمي ، نقلاً عن الشيخ عبد القادر الكزبري من أقرباء المترجم .

في الأموي سنة الف ومائة وخمس وثمانين بعد وفاته ، فأقرأ في ذلك الوقت كتباً عديدة يأتي ذكرها ، آخرها صحيح مسلم ، قرأ منه نحو الثلثين ، ثم قطع لضعف عرض له في بصره ، ثم أتمه في داره .

وكانت عليه وظيفة التدريس في مدرسة سليمان باشا العظم ، فأقرأ فيها كتباً كثيرة ، منها صحيح مسلم وسنن أبي داود وتفسير البيضاوي والتحفة على المنهاج وغير ذلك .

وفي سنة عشر جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب وفوق منبرها بلبل فصاحته خطب . فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، ووشح جيد الفضلاء بأجيد توشيح ، وأنار مصابيح الجامعين ، وأبدى ما تشنف به الآذان وتقر به العين . وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام . وكان درساً عظيماً جامعاً لكل خاص وعام ، مضماراً لفرسان أذهان الأعلام . وقد أشرت الى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه ، والوقوف في أبوابه وأعتابه . حيث قلت :

من به قبة ذاك الجامـــع ... لم تزل في كل عام تسعد
حين يروي في الصحيح الجامع ... لحديث المصطفى أو يسند
ياله من خير درس جامع ... ولأهل العلم فيه مشهـــد
فكأن الوجه منه حينما ... ينثر الدر على الملتمس
قمر عن جانبيه العلمـــا ... كنجوم أشرقت في الغلس

وقد وصل الآن فيه إلى باب الشهادات ، وذلك مقدار ثلث الكتاب [1] توفي رضي الله تعالى عنه ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين ومائتين والف في داره الـكائنة في محلة الشاغور ، وصلى عليه ولده ضحوة النهار من ذلك اليوم في الجامع الأموي المعمور ، ودفن بتربة باب الصغير .

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة عن « العقود اللآلي ، في الأسانيد العوالي » للعلامة الشهير السيد محمد عابدين ، من مجموع مطبوع فيه عدّة رسائل له ، رحمه الله ورضي عنه .

السيد محمد امين بن عمر بن عبد العزيز بن احمد بن عبد الرحيم عابدين الدمشقي

هو الشيخ الإمام العالم العلامة ، والجهبذ الفهامة ، قطب الديار الدمشقية ، وعمدة البلاد الشامية والمصرية . المفسر المحدث الفقيه النحوي اللغوي البياني العروضي الذكي النبيه . الدمشقي الأصل والمولد ، الحسيب النسيب الشريف الذات والمحتد ، ابن السيد عمر الشهير بابن عابدين الحسيني إمام الحنفية في عصره ، والمرجع عند اختلاف الآراء في مصره . صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة ، منها حاشيته الشهيرة رد المحتار على الدر المختار ، التي اشتهرت في سائر الأقطار ، في خمس مجلدات كبار . ومنها ثبته المشهور الفائق . ومنها منحة الخالق على البحر الرائق ، وحواشيه على شرح الملتقى للعلائي ، وحواشيه على النهر الفائق ، وحواشي على القاضي البيضاوي التزم أن لا يذكر فيها شيئاً ذكره المفسرون . وحواشي على حاشية الحلبي على الدر تتبع فيها الحشي المذكور ، سماها رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار . والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية . وحاشية على المطوّل . والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم في الفرائض ، وتنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام . وشرح على رسالة البركوي سماها ذخر المتأهلين ، وشرح على منظومة رسم المفتي .

وله من الرسائل في تحرير المسائل نيف وثلاثون رسالة معلومة في ثبته فمن أرادها فليراجعها . وله قصيدة في مدح النبي ﷺ قد أرسلها ضمن مكتوب للحضرة الشريفة النبوية صحبة ركب الحاج الشريف سنة عشرين ومائتين والف ، لكي تقرأ أمام الحضرة الشريفة المحمدية ، وهي :

لبيك يا قمرية الأغصان فلقد صدعت القلب بالألحان

لبيك يا من بالبكا أشبهتني ... لكن بلا فقد من الخلان
نوحي فنوحي في بحار مدامعي ... تعلو سفينته لدى الطوفان
وترنمي واحبي فؤاد معذب ... بتذكر الأحباب في نيران
ان رمت كتمان الهوى متكلفاً ... هيجت مني بالبكا أشجاني
حتى حكت مني الدموع سوافحا ... غيثاً همى بدعاء ذي عرفان
يا صاحبيّ أليس يعذر بالبكا ... صب كئيب نازح الأوطان
يقضي الليالي بالهموم وبالأسى ... مكسور قلب زائد الأحزان
أي والذي هو عالم بضمائري ... ليحق لي أبكي مدى الأزمان
فلقد مضى عمري القصير ولم أفز ... بزيارتي أرض اللوى والبان
بالله هل تريان أسعَد لحظة ... وأخوض رمل أولئك القيعان
وأشم نفح الطيب من أرض الحبيـ ... ـب وترجع الأرواح للأبدان
وأخب في أرض الحجاز ويارعى ... مولاي عهد أولئك الكثبان
أرض من المسك العبير تكونت ... والنور جللها كما الهيمان
وازم مع حادي المطيّ قلائصا (١) ... إشراقها تغني عن الأرسان
سكرت بترنام الحداة فما درت ... كم مهمه قطعت من الوجدان
عنقاً فسيحاً سيرها من وجدها ... وتحنّ باكية بدمع قان
وتكاد تسبق الهوادي أرجل ... منها تسير بسيرة العجلان
لم تعرف الادلاج والتعريس (٢) مذ ... كانت تئن بأنة اللهفان
حتى طوت أرض الحجاز وشاهدت ... أنوار طيبة مورد الظمآن
وأتت إلى أرض السفوح تروما ... وتطيبت بالروح والريحان
يا نوق سبحان الذي أدناك من ... أرض الحبيب وجل من أقصاني
في كل عام تبلغين مقاصداً ... وتشاهدين منازل القرآن

---

(١) جمع قَلوص من الإبل : الطويلة القوائم ، والباقية على السير .
(٢) عرّس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة ، ثم يرتحلون .

والحظ يقعدني وسوء الفعل يرـ ـميني باشراك الزمان الجاني
أواه من جور الزمان وظلمه فلقد تجاوز غاية الطغيان
كيف السبيل إلى النجاة ونيلها من شر دهر غادر خوان
مالي من الأهوال حسن تخلص إلا بمدحي المصطفى العدنان
خير الخلائق سيد الرسل الكرا م وما له في فضله من ثاني
ياخيرمن ركب المطي وأكرم الـ ـكرما ببذل الجود والاحسان
يا منبع الأنوار يا شمس العلا يا منبع الاسلام والايمان
يا من رقى أوج السما وعلا على أعلا العلى بترفع جثماني
ودنا من الرحمن عز وجل قر ب مكانة من غير قرب مكان
والجذع حن تشوقاً لفراقه والضب جاء مسلماً بلسان
تالله مثلك ما رأت عين ولا أذن وعت في حادث الأزمان
قد كان جيد الدهر قبلك عاطلاً حيناً وقد حليته بجمان
قد جئت فرداً والأعادي جمة وأتيت بالتمييز والرجحان
لم تخش في التبليغ لومة لائم حاشاك من زيغ ومن نقصان
وترى إذا حمي الوطيس مشمرا عن ساق عزم فارس الفرسان
أطلت أركان الشريعة بعد ما هدمت فعادت أعدل الأركان
وبنيت بنياناً رصيناً محكما وهدمت أس عبادة الأوثان
وهديت أهل الأرض بعد ضلالة كانوا بها من نزغة الشيطان
وجليت سحب الفكر عن أفق الهدى ومحوت ليل الزور والبهتان
تالله ما الشمس المنيرة في الضحى والبدر ليلة سبعة وثمان
بأجل هديا أو سنا مما به قد جئت أو يدنوه بالبرهان
لا تدرك الألفاظ منك مدى ولو أبدى الثناء عليك كل لسان
هل تدرك المداح وصف من الذي أثنى عليه الله في القرآن
هذا الكريم بن الكريم بن الكر يم بن الكريم عطية المنان

هذا نبي الله خير عباده ... زين الخلائق نخبة الأعيان
هذا شفيع المذنبين ملاذهم ... يوم القيمة صفوة الرحمن
وبه تلوذ الأنبياء جميعهم ... حتى الكليم ومكرم الضيفان
كن لي مغيثاً يا شفيعاً بالورى ... يوم الزحام وخفة الميزان
إن لم تكن لي يوم لا مال ولا ... ولد ولا من والد يرعاني
فلباب مَن آتي وليس مشفعاً ... إلا جنابك يا مغيث العاني
فلأنت باب الله واسطة الرجا ... أنت الوسيلة والقريب الداني
أنت الملاذ لنا وأنت عياذنا ... أنت المشفع بالمسيء الجاني
أشكو اليك قساوة القلب الذي ... كالصخر في لج الردى أرساني
أرجوك تلحظني ختام الأنبيا ... ء بلحظة أغدو بها بأمان
وكذاك لي أبوان مع شيخ غدا ... لي ناصحاً بالجهد قد رباني
يرجون منك تسامحاً وشفاعة ... تنجيهم من لاعج النيران
وصلاة باريك المهيمن والسلا ... م كما الغيوث عليك كل أوان
مع آلك الغر الكرام وحزبهم ... من قد علوا شرفاً على كيوان
وعلى ضجيعيك الامامين الجليـ ... ـلين اللذين هما لنا شمسان
السيد الصديق ذي الفضل الذي ... ترك اللذائذ في رضى الديان
والأشجع الفاروق قهّار العدا ... ليث الحروب وقامع العدوان
وعلى ابن عفان الذي حاز العلى ... حاوي الفضائل جامع القرآن
وعلى علي ذاك عالي القدر من ... قد كان بحر العلم والعرفان
وعلى بقية صحبك الغر الكرا ... م وتابعيهم في مدى الأكوان
وأبي حنيفة ذي الفخار ومالك ... والشافعي وأحمد ذي الشان
والتابعين لهم وأقطاب الوجو ... د وصاحب الوقت القريب الداني
لا سيما ختم الولاية من به ... فاز الوجود معطر الأردان
واختم لناظمها إلهي بالرضى ... والعفو والاحسان والغفران

وقوله أيضاً يمدح النبي ﷺ

أشكو إلى الله ما ألقاه من نصب ... مستشفعاً بشفيع الخلق كلهم
محمد من محـــا المولى ببعثته ... ليل الضلال بصبح طارد الغسم (١)
فقام يدعو بأمر الله مبتدراً ... بالنصر متزراً في أرفع الهمم
حتى غدت ملة الإسلام ظاهرة ... ظهور نار بدت ليلاً على علم
مؤيداً بكتاب باهر عجزت ... عنه ذوو اللسن مثل الدر منتظم
ومعجزات توالت قبل مبعثه ... فكان يبصرها بالعين كل عمي
فالضب كلمه والجذع حن له ... والبدر شق له من باهر الحكم
والشمس قد وقفت من بعد ما غربت ... والسحب قد وكفت لما دعا بفم
والماء من كفه قد طاب منبعه ... فكان أعظم ماء سائـــغ شبم
بتفلة لعلي مذ شكا رمداً ... لم يشك من بعدها في العين من ألم
وقد كفى الالف من صاع الشعير وقد ... حلا وزاد بتفل ماء بئرهم
أروى ثلاثين الفاً في تبوك بما ... عليس يروي سوى شخص من الأدم
سراقة خلفه ساخت قوائمه ... وكم أباد من الأعداء كل كمي
وفي حنين رمى بالترب أعينهم ... ففر جحفلهم مع جملة الريم
كذا رمى ملأ راموا المحال فمن ... أصيب كان ببدر آخر العصم
ومذ حكى بعضهم بالهزؤ مشيته ... ما زال مرتعشاً للموت ذا ندم
ومذ أوى الغار والصديق صاحبه ... فالعنكبوت غدا بالنسج ذا هم
وبين قوم ذراع الشاة حدثه ... عن سمه بكلام غير منبهم
وعن مصارعهم في القتل أخبر في ... بدر فكان كما قد قال ذو العصم
وعاش فرداً أبو ذر ومات كذا ... طبقاً لاخباره الخالي عن التهم
نعى النجاشي وكسرى يوم موتها ... وقد كفى عدداً من كف تمرهم
وقد رأى أنس طبقاً لدعوته ... مالاً وعمراً وأولاداً من الخدم

---

(١) من غَسَم الليل وأغسم ، إذا أظلم ، والغَسَم : السواد والظلمة .

قتادة عينه من بعد ما سالت ... عادت بأحسن ما كانت من القدم
كذاك عين علي مذ شكت رمدا ... بالتفل في دهرها لم تشك من ألم
ورب كف له فيهـا الطعام غدا ... مسبحاً والحصا من أعظم الشيم
وكم له معجزات غيرها ظهرت ... تربو على النجم في عد وفي عظم
فاق النبيين في علم وفي عمل ... لذا غدا بينهم كالمفرد العلم
من مثله وإله الخلق خاطبه ... فوق الطباق وجبريل من الخدم
ولا يفي عشر ما قد حاز من شرف ... ذوو المديح وما قد نال من كرم
كالدهر في همم والطود في عظم ... والبحر في كرم والدر في كلم
منيع حصن لو البدر استجار به ... في ليلة التم بالنقصان لم يضم
لو كان في فضله شخص يشابهه ... لقلت مثل كذا للسائل الفهم
يكاد من يمنه يحلي الظلام به ... ولو من الدهر من ضر ومن نقم
فليس بعد الذي في النجم من عظم ... وبعد ما في الضحى مع نون والقلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وانـه خير خلق الله كلهم
فيا رسولاً به الرحمن أنقذنـا ... وقد حمانا بركن غير منهدم
ياخاتم الأنبياء الغر ياسندي ... يوم الزحام إذا ما الخلق في غمم
يا من إذا لاذ مأسور الذنوب به ... غداً ، غدا آمناً كالصيد في الحرم
وانني بت في كرب بنازلة ... غدت بكلكلها تسطو على سقمي
ألم بي بأسهـا الضاري فآلمني ... وجل صبري غدا من أوهن الرمم[1]

(١) جرى العلماء على مثل هذا التوسل والاستشفاع في شعرهم ونثرهم مع اعتقادهم أن النفع والضر ، بيد الله عز وجل « وان يمسسك الله بضر ، فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير ، فلا رادّ لفضله » وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) وقد وقعت ـ بعد وفاته (ﷺ) ولحوقه بالرفيق الأعلى ـ بين الصحابة الكرام معارك دامية كوقائع الجمل وصفين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي ارسال جيش أسامة ولم يستغيثوا به ﷺ في هذه الشدائد ولم يستفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب ردّ ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل وسنة النبي المرسل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للاسلام .

والدهر جار على ضعفي ولا جلد ... به يكون اتقاء الحادث العمم
قرعت بابك أرجو الله يرحمني ... فأنت غوث الندا حصن لمعتصم
وقد رجوتك في التفريج من كرب ... فأنت بَرّ رؤوف ظاهر الشيم
وأنت اقبل من ترجى شفاعته ... عند الإله وأرعى الناس للذمم
حاشا يخيب رجائي من جنابك يا ... من عمّ بعثك جوداً سائر الأمم
أعطيت جاهاً عريضاً لا مرام له ... وعم بعثك جوداً سائر الأمم
والكون من أجلك الرحمن أبرزه ... وجعل جودك فينا غير منفصم
اني محب وإن قصرت من طمعي ... وحسن ظني برب واسع الكرم
وقد غدوت من الزلات في خجل ... وقد قرعت عليها السن من ندم
بلغت جهدي بمدح فيك أنظمه ... أرجو شفاعتك العظمى بمزدحم
عساك تحنو على ضعفي إذا نشرت ... صحيفتي عند ربي بارىء النسم
حيث النبيون في رعب وفي وجل ... جثوا على ركب من بطش منتقم
وأنت تسجد حتى أن يقال فقم ... سل تعط واشفع تشفع نافذ الكلم
فتخرج الناس من حر الزحام ومن ... حر السعير وقد صاروا كما الحمم
إقبل هدية نجل العابدين فقد ... غدا بمدحك معدوداً من الخدم
صلى عليك إله الخلق ما كشفت ... بك الكروب وزاحت ظلمة الغمم
وآلك الغر والأصحاب أجمعهم ... من ارتجي بنداهم حسن مختتم

وله معمى في عبد الغني

يا بديع الجمـــال يا ذا التثني ... لحظك الجؤزري سبا العقل مني
انني فيك لم أزل ذا هيـــام ... وانا رقك الغ هجري وصلني

وله في سعيد

رب حسناء ما لها من شبيه ... حين ترنو بالعارض المصقول
أسعدت أرباب الهوى بوصال ... يوم عيد من بعد سلب العقول

وله في نار

سباني كحيل المقلتين بلحظه ... وما زال من حظي بوصلي ضنينا

فيا نفس صبراً من قساوة قلبه فبدري بلا يد عسى أن يلينا

وله في غلام

بـــأبي أحور اللواحظ ألمى ما روى لي من الوصال غليلا
مال بالقلب بعد لثغة راء قيمتني وصيرتـــني عليلا

وله في دخان قهوة

بعذار له وخـــال سباني وسقاني فوق الضنا كأس صده
عم دون العذار بالند خالا فهو بالخال حاز غاية قصده

ولـــه

ياذا القوام السمهري ومن قد زال من شغفي به رسمي
أمنن عليّ بضم خصرك إذ ضمـــي له يحيا به جسمي
جسمي كخصرك في النحول وذي جنسية هي علة الضـــم

ولـــه

مرت مواشط نسمة الأسحار كيما ترجل جمة الأشجـــار
والقطر جللهـــا بسندس برده وتزينت بلآلىء الأزهـــار
والنهر صفق والطيور ترنمت في غصنهـــا من نغمة الأوتار

ولـــه ملغزاً

فما اسم ثلاثي إذا عدّ لفظه قريب بعيد يختفي ثم يظهر
له رتبة علياء عزّ ارتقاؤهـــا وحسن بلا غين له العين تبصر
وفي محكم القرآن قد جاء ذكره بوصف به قد جاء يزهو ويزهر
ومن ضل عن رشد له كان هاديا ويسلو به ذو لوعة حين يسمر
ويسحب ذيلاً حين يسطو على العدا كرمح به نار الحشاشة تسعر
إذا ما تهجيت الحروف فصدره ومبدؤه عن عجزه متـــأخر
ويبدو لنا من قلبه جنة العدا بها نتقي المكروه منهم وننصر
ويبدو لنا أيضاً حديث عن الذي غدا لا يبالي بالذي منه يصدر

وإن كنت يوماً طارحاً ثلت أصله ففي غور نجد ما بقي منه ينظر
وإن قلب الباقي تراه حديث من به لعب الشيطان أو كان يسخر
ويبدو إذا صحفته فعل من غدا عطوفاً على صب له كان يهجر
ومن أصله إن كان قد بال صدره تراه أتى جما من الناس يكثر

ولـــه

ومن عادة الأيام رفعة جاهل وما حقت العلياء إلا لعارف
عفونا عن الأيام عن كل ما مضى بعصمة أفعال تسامت بعارف

وله غير ذلك من النظم والمراثي والتهاني والمديح والقواعد والضوابط رحمه الله تعالى آمين ولنكتف بهذا المقدار وإن كان قطرة من بحر أو شذرة من عقد نحر .

ولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين ومائة والف بدمشق ونشأ بهـا وقرأ القرآن ثم جوده على الإمام القدوة الشيخ سعيد الحموي شيخ القراء بها ، وقرأ عليه الميدانية والجزرية والشاطبية بعد ما حفظها قراة تدبر وإمعان وبحث وإتقان ، وحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب ، وتلقى منه القراءات بأوجهها وطرقها حتى جمع عليه . وقرأ عليه طرفاً من النحو والصرف وفقه الإمام الشافعي رحمه الله تعـــالى ، وحفظ متن الزبد وكان شافعي المذهب وقتئذ ، ثم لزم شيخه الشيخ شاكر العقاد رحمه الله تعالى وقرأ عليه في المعقولات ، وألزمه شيخه المذكور بالتحول لمذهب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان عليه الرحمة والرضوان ، فتفقه عليه ، وقرأ عليه الفرائض والحساب حتى مهر في فن الأصول والحديث والتفسير والتصوف والمعقول ، وقرأ عليه في الفقه الملتقى والكنز والبحر لابن نجيم وصـــدر الشريعة ، والدراية والهداية وبعض شروحها وغير ذلك ، ثم شرع في قراءة الدر المختار على شيخه المذكور مع جماعة ، من جملتهم علامة زمانه وفقيه عصره وأوانه الشيخ سعيد الحلبي ، وبقي ملازماً له الى أن اخترمته المنية رحمه

الله ، ولم تتم قراءة الدر فأتمه مع بعض من حضر معه من إخوانه على الشيخ سعيد الحلبي المذكور ، ضاعف الله تعالى لنا وله الأجور ، وقرأ على الشيخ سعيد غير ذلك من الفقه وغيره من الفنون . وحين أتم الدر عليه استجازه فأجازه . هذا وكان شيخه السيد شاكر يتفرس فيه الخير ويأخذه معه ويحضره دروس أشياخه ويستجيزهم له فيجيزونه ، وكان ذلك بإشارة حصلت له من الشيخ عبد النبي أحد علماء الهند وصلحائها المشاهير حين قدم إلى دمشق ، فذهب مع شيخه لزيارته ، ولما دخلا عليه جلس شيخه وبقي المترجم واقفاً بين يدي شيخه كما هو دأبه معه ، فطلب الشيخ عبد النبي من شيخ سيدي المترجم أن يأمره بالجلوس ، وقال له : إني لا أجلس إلا أن يجلس هذا الغلام ، وقال إني أشم منه رائحة أهل البيت ، وانه ستقبل يده ويظهر فضله بين الناس وينتفع بفضله . فأمره شيخه حينئذ بالجلوس ، فجلس ، ومن وقتئذ زاد اعتناء شيخه به . وأحضره مرة درس شيخه العلامة شيخ الحديث الشيخ محمد الكزبري واستجازه له فأجازه ، وكتب له الاجازة ، وكذلك حضر دروس الشيخ أحمد العطار مع شيخه فاستجازه له فأجازه عام ستة عشر والف ومائتين .

وفضائله لاتنكر وشمائله لاتحصى ولا تحصر ، وعباداته وورعه وإقباله على الله ، يقضي له بالسعادة والفوز عند مولاه . توفي رضي الله تعالى عنه سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ، عن أربع وخمسين سنة ، وأقيمت عليه صلاة الموت في جامع سنان باشا ، وتقدم للصلاة عليه إماماً العلامة الهمام والعمدة النخبة الامام ، علامة العصر وفرد القطر ، الشيخ حامد العطار رحمه الله تعالى . ودفن بمقبرة باب الصغير بالتربة الفوقية إلى جانب قبر الامام أبي حنيفة الصغير ، العمدة العلائي صاحب الدر المختار ، وقبره مشهور هناك ، عليه جلالة يقصد لطلب الحوائج [1] ويزار . رحمه الله تعالى .

---

(١) الحوائج إن كانت دنيوية تطلب من أهلها ، وإن كانت أخروية فليتذكر السائل والداعي قوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني ، فاني قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان » .

الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله المغربي الأصل المدني المالكي

الفاضل الذي خفقت رايات علمه ، واستخرج دقائق مشكلات المسائل بثاقب فهمه ، وانتفع بفضله الخاص والعام ، وكان له في جميع العلوم مشاركة والمام . فهو المحدث الفقيه ، العالم العلامة النبيه ، أوحدي العصر ألمعي الدهر ، عمدة الأمثال ونخبة ذوي الكمال ، من استوى على عرش الافضال ودار عليه مدار ذوي اللطف والجمال .

ولد عام تسعة عشر ومائة والف . وصار علم المدينة ومنارها وشمس تلك الأقطار ونهارها . وقد أخذ عنه بركة الشام وعمدة الأنام ، ولوذعي السادة النقاد السيد شاكر العقاد ، في مكة المشرفة ، فأجازه بجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه الأمجاد . وكانت وفاته رحمه الله تعالى نهار الجمعة حادي عشر جمادى الأولى سنة الف ومائتين وسنة واحدة ، ودفن في تربة المدينة المنورة المعروفة بالبقيع . وكان رضي الله عنه قد أقعد قبل موته بسنتين وأربعة أشهر واستمر الى أن مات .

محمد علي باشا الأرنأوطي خديوي مصر القاهرة

كان أصله من الأرنأوط ، وقدم عسكريا مع عساكر الترك القادمين لأخذ مصر من الفرانسيس لما استولى الفرانسيس عليها وكان الفرانساويون قاصدين التوصل من هناك إلى افتكاك الهند من الانكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة ، بل وكانت سائر أوربا إذ ذاك ضد الفرنساويين حسبما تقدم ذلك في محله . فحينئذ عاضدت انكلترا الدولة العثمانية على حرب فرانسا وإخراجها من مصر ، وكان المترجم كامل الأوصاف للرياسة فتقدم اليها بنفسه على بني جنسه ، وانقاد له الجميع . وقررت ولايته الدولة على دفع خراج معلوم سنويا وذلك سنة ١٢١٩ ، فوجد مصر في نهاية درجة

الفقر والبربرية والجهل ، بل حتى ان الأمراض الوبائية من الطـاعون قد تمكنت فيها وصارت عادية تفني من الناس سنويا خلقاً كثيراً ، حتى قل العمران ولم يبق من مآثر تقدم المصريين سوى الاسم في التواريخ . نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الأزهر من العلماء ، وذلك كله لما مر عليها من تقلبات الدهر والظلم والجور والاستبداد والحروب في الأيام الخالية .

فشمر عن ساعد الجد ووافقه البخت وفتح لمصر عصراً جديدا ، فنظم فيها جيشاً نظامياً من أهلها ، ورتب الأداء على الأهالي على قانون غير مجحف ، وألزمهم بتعمير الأرض وفتح الترع وإنشاء المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية ، وأحضر المعلمين من أروبا (١) وأحيا المارستانات وألزم الأهالي بالنظافة ، وتوسيع الطرقات والبناءات ، وأرسل التلامذة إلى أروبا لتعلم الفنون ، وأحيا نمو العلوم الشرعية ، وسهل أبواب التجارة ، وأنشأ معـامل السلاح والسفن ، وترجمت الكتب النـافعة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية ، فنشأ في مصر جيل جديد وعصر جديد ، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة ، فافتتح النوبة وسنار واستولى على الشام والحجاز ، وأفتكته من الوهابي ، بل امتد بالاستيلاء إلى قرب الآستانة في الأناطولي ، وخشيت شوكته من عصيانه على الدولة العثمانية ، فتعصب الانكليز إلى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من إنشاء دولة إسلامية شابة ذات قوة مثل تلك ومركزها مصر ،

---

(١) وكان يحتم على من يدخل في خدمته من الإفرنج أن يتزيوا بالزي العربي (المصري) ويتكلموا اللغة العربية ، ويؤلفوا بها أو ينقلوا كتبهم اليها . واعتزل الأمور لابنه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً ، الى أن توفي بها ، ودفن بالقاهرة . ومما كتب في سيرته « البهجة التوفيقية ـ ط » لمحمد فريد ، و « محمد علي ـ ط » لإلياس الأيوبي و « محمد علي وعصره ـ ط » لعبد الرحمن زكي ، و « محمد علي الكبير ـ ط » لشفيق غربال . اه من الأعلام الأستاذ الزركلي .

فتخشى أن تمتد من هناك إلى الهند الذي هو روح الانـــكليز ، لا سيما إذا عاضدته إحدى الدول الأوروباوية مثل فرنسا ، فلذلك حاربته مع الدولة العثمانية التي هي إذ ذاك على ضعف شديد من حرب الروسيا والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك ، فقهروا محمد علي ، ولكن لإتمام مقصد انكلاتيرة لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا ، فكان الأوفق لها إبقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كل من الجهتين ، وبقي محمد علي والياً على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكبر إلى أكبر ، ويؤدي خراجاً سنويا للدولة ، ويعينها عند وقوع حرب معها بالعساكر الذين يبلـــغ عددهم الأربعين ألفاً ، وكذلك يعينها بالسفن ، وان الرتب العالية في مصر يعين هو أصحابها ، وتولّيهم الدولة ، والسكة والخطبة تكون باسم السلطان العثماني أيضـــاً ، وأخرج الحجاز عنه إلى الدولة ، وكذلك الشام ، وبقي على ذلك إلى أن ضعف بالسن ، فتنـــازل عن الولاية لإبنه الأكبر وهو رئيس جيوشه وحروبه ابراهيم باشـــا سنة ١٢٦٥ ، وكان على قدم أبيه ، وتوفي المذكور في تلك السنة .

الشيخ محمد سعيد بن حمزة بن طالب بن عبد الله بن الشيخ الإمام الفاضل المهام فريد السادة الأعلام شمس الدين محمد الشهير بابن المنقار الحنفي الدمشقي الميداني

عالم ذو صلاح وبركة وفلاح ، من أصول علماء وأسلاف فضلاء ، قد اشتغل من أول عمره في العلم والطاعة حسب القدرة والاستطاعة ولوائح البركة تظهر عليه وتشير كمال الإشارة إليه ، وله تأليفات كثيرة ، وتقريرات هي بمعرفة بركته جديرة . ولد في ثمانية عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاثين ومائتين والف ، ومات تاسع وعشرين شوال سنة الف وثلاثمائة وأربعة ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله .

محمد سليم باشا الصدر الاعظم والي دمشق الشام عوضاً عن رؤوف باشا

وهو الصدر الذي اشترك في اهلاك الانكشارية في الآستانة وتنظيم العسكر الجديد ، دخل الشام في سنة الف ومائتين وست وأربعين ، واخاف الناس وفعل موجبات الارهاب ، وذلك بسبب حادثة وقعت هذه السنة قبل مجيئه مع سلفه رؤوف باشا الصدر ، وهي أن السلطان أمر بأن يضع الصليان على حوانيت البلد . فنزل جماعة من مشايخ الطريق ومعهم راية وأولاد وغيرهم لأجل أن يشفعوا عند الباشا في ذلك ، فلما وصلوا الى باب السرايا خرج جماعة من التفنكجية من أهل الموصل وكركوت الذين أظهروا أنواع الفساد والفسق في هذه البلاد ، فضربوا الناس فمات منهم جملة جماعة ، فقام عليهم أهل البلد وصاروا كلما رأوا منهم واحداً قتلوه ، وأمر رؤوف باشا بخروجهم من البلد لعلمه بفسادهم ، وعظم أمر الصليان على أهل البلد وكان الوزير رجلاً له من اسمه مظهر من الرأفة والحلم ، فكتب للدولة يستعطفها في رفع الصليان عن أهل الشام ، فعزله السلطان بسبب ذلك ، وأمر سليم باشا بوضع الصليان [1] فلما دخل إلى البلد مكث نحو شهر وهو يحصّن

---

(١) جاء في خطط الشام للأستاذ كرد علي رحمه الله ما يأتي : لما جاء (سليم باشا) عاصمة الشام ، أراد أن يضع على كل سكرة أي عفار في دمشق « مصريتين » كما هو الحال في الآستانة فسارت باشارة الأعيان وكانوا عند المصائب الشديدة تتحد على الأغلب كلمتهم ، اتقاء شرعظيم يقعون فيه أو تقع البلاد .. فضرب الوالي العامة من أبراج القلعة بالقنابل ،حتى إذا ضاق عليه الخناق جاء في بعض رجاله الى دار قرب باب البريد ، فتأثره العامة ، وهدموا على رأسه سقف المخدع وأحرقوه (إلى أن قال :) وقصارى القول : إن سليم باشا مبيد جيش الانكشارية الذي عجنت طينته بالدماء ، فقط أعيان دمشق مخافة أن يبطش بهم كما بطش في حماة ، خافوه ووجدوا فرصة للنيل منه ، لما جاء يطبق قانون الاحتساب ، فأثاروا الرأي العام عليه ، فضلوا ، وربما كانوا يريدون الاكتفاء بتهديده ليحملوه على الهرب ، ولكن الأمر خرج —

القلعة ويجمع العساكر ، ثم جمع أعيان البلد وذكر لهم أمر الصليان ، فأطاعوه بعد تمهيد العوام وتخويفهم من مخالفة أمر السلطان لكونه محتاجاً إلى جمع المال بسبب ما حصل له في العام الماضي من قتاله مع المسكوب ، ووصولهم إلى قرب اسلانبول ، وأخذهم كثيراً من بلاد الإسلام ، وصلحه معهم على أن يدفع لهم أموالاً بليغة ، مما يطول شرحه فأطاع غالب أهل البلد ، فخرج جماعة من أتباع الباشا مع كتبة في نهار الجمعة التاسع من ربيع الثاني سنة الف ومائتين وسبع وأربعين ، وصاروا يكتبون عدة الحوانيت حتى وصلوا إلى محلة العمارة والعقيبة بعد العصر ، فقام جماعة من الاسفـــاه فأغلقوا الحوانيت وقالوا هذه جزية ونحن لا نقبلها ؛ وقفلوا حوانيتهم ، وكان ذلك سبب الفتنة . فلما سمع الباشا بذلك وكان رجلاً أحمق سفاكا للدماء ليس له تبصرة في الأمور ، أمر في الحال بجمـــع العساكر وغلق أبواب القلعة ، وصار يضرب المدافع على البلد ، وغالب أعيان أهل البلد عنده ، فطلبوا منه التؤدة في الأمر وانهم يظفرونه بمن خالف أمره ، فلم يقبل منهم حتى خرج العسكر يوم السبت من الســرايا ، وتغلبوا على بيوت القنوات الجوانية وجامع العدّاس ونهبوها ، وصاروا يطلقون الرصاص على الناس من البيوت . وفي ليلة الأحد صار يضرب المدافع والقنابر على البلد ، فاجتمع أهل البلد وأشقياؤهم وحاصروه في السرايا إلى بعد العصر ، فاستعان أهل البلد بحرق المواضع التي تغلب عليها العسكر ، وتوصلوا إلى السرايا ، فلما تيقن انه مأخوذ لا محالة ، خرج بعد المغرب ليلة الاثنين من السرايا مع العسكر ، وأحرق سوق الجديد وسوق الأروام ، حتى وصل الحريق إلى قريب من ضريح سيدي خليل ، ودخل هو مـــع بعض العسكر إلى

ـــ من أيديهم الى ايدي العامة ، فقتلوه غير حاسبين للعاقبة حسابا ، فكان قتله على غير رضى العقلاء من الأعيان ، بيد أن قتله كان مخيفاً لمن يأتي بعده من الولاة اهم (ج ٣ ص ٤٠ ـ ٤٣) ويراجع بعد هذا : (الحكم على موقف البلاد في نصف قرن) (ص ٤٣ و ٤٤ ج ٣) .

القلعة ، وبعض العسكر دخل الى خان الدالاتية ، وجامع المعلّق الذي قبالة الخان تحت القلعة ، فحاصرهم أهل البلد ، وذلك بعد أن نهب أهل البلد ما في السرايا والكلار [١] والدوالك ، وأحرقوهم ، واحترق معهم بعض البيوت المجاورة للسرايا ، ولم يزالوا محاصرين لهم في الموضعين حتى فني الزاد من عند من كان في الجامع ، فطلبوا الأمان ، فأخرجوهم بأسوء حال من شدة الجوع والنتن من الأموات عندهم ، وقتلوا بعضاً منهم . ثم تفرغ أهل البلد الى حصار الباشا في القلعة بضرب المدافع والقنابر ، كما فعل معهم أولاً وحاصروه حصاراً شديدا ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ونصبوا المدافع قبالة حمام الملكة في الدرويشية ، وعند باب الحديد المقابل لباب السرايا وتحت القلعة ، وهدموا جانباً عظيما من البرج المقابل لباب السرايا بالمدافع واللغم ، إلى أن فني الزاد من القلعة وأكلوا خيلهم ، فطلب الباشا الأمان وانه ينزل ويجلس الى أن يأتي الأمر من السلطان كيف يفعل ، فخرج من القلعة في تاسع عشر جمادى الأولى ومعه نحو الف رجل من عسكره ، اجتمعوا بأهل البلد مدة أيام قليلة ، ثم سافروا ونزل الباشا مع بعض خواصه في دار بني الكيلاني التي في العصرونية ، وجعلوا عليه حجبة من أهل البلد . ثم ليلة الجمعة في ثالث وعشرين من جمادى الأولى في نصف الليل ، دخل عليه تلك الحجبة فقتلوه وقتلوا خمسة ممن معه كالكيخية والخازندار [٢] وخاله ، ونهبوا ما معهم وجردوا بقية جماعته من ثيابهم وأطلقوهم بلا قتل ، وألقوا الباشا في سوق العصرونية على خشبة ، وحمل بعض السفهاء رأسه وداز به في البلد ، نسأله سبحانه السلامة . وأما قاضي قران فنجا بمن معه ، وكان قد لجأ هو وجماعة تحت قيادته إلى الجامع المعلق ، وكان من القواد الأشداء ، ودافعوا عن أنفسهم ،

---

(١) مستودع الأطعمة .

(٢) أمين الصندوق ، وقد جاء في صبح الأعشى ما ملخصه : (الخزندار) مركب من لفظين أحدهما عربي وهو خزانة ، وهي ما يخزن فيه المال ، والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك الخزانة ، والمراد المتولي لأمرها اهـ (م ٥ ص ٤٦٢) .

حال كون سليم باشا كان يطلق المدافع على المدينة من القلعة ، ووقع الخوف في قلوب النصارى أثناء تلك الحوادث ، فأمنهم علي آغا خزنة كاتبي وصانهم مع الاسرائيليين من تعديات الجهال . ولما قتل سليم باشا أقام الدمشقيون حكومة موقتة ، وأخذوا يتوقعون بطش الدولة بهم ، على انها اشتغلت عنهم بمحاربة ابراهيم باشا ابن الخديوي محمد علي باشا ، وعدلت عن تأديبهم ، وولت على دمشق علو باشا ، فاطمأن القوم وقصة ابراهيم باشا تقدمت في ترجمته في حرف الألف مع الباء .

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الجليل بن الشيخ مصطفى ابن الشيخ اسماعيل بن الشيخ القدوة الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي

الامام العالم العامل ، والجهبذ الفاضل الكامل ، خاتمة المتعبدين ، وكهف السلف الصالحين ، حصل أنواع العلوم ، وأتقن سبيل الأخذ من المنطوق والمفهوم .

ولد في دمشق الشام ، ولم يزل مثابراً على الإفادة والاستفادة إلى أن توفي نهار الخميس في ٢٠ شعبان سنة ١٢٥٢ ودفن بقاسيون في مدفن بني النابلسي .

الشيخ محمد افندي بن الشيخ عبد الله افندي الرومي الحنفي الدمشقي

الامام العمدة العارف الذي هو من بحر المعارف غارف ، صاحب الآثار الحسنة والشهرة العالية المستحسنة . كان إمام أهل التحقيق وكعبة طواف ذوي التدقيق ، زاهداً في الدرهم والدينار كثير الخوف حسن الأطوار ، دائم البكاء والابتهال لا يلتفت لجاه ولا لمال . تهدى اليه الهدايا الفاخرة فلا يقبلها ويقول من أكرمني فليدلني على ما ينفعني في الآخرة . وكانت تشهد له المشايخ بالمقام الكبير ، ويقولون على رؤوس الأشهاد هذا الفاضل في زمننا ليس له نظير . توفي رحمه الله في عشرين رمضان سنة

اثنتين وخمسين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير بقرب مقام سيدنا عبد الله بن زين العابدين من جهة الغرب . وبقرب قبره أم سلمة وأم حبيبة زوجتا رسول الله ﷺ ورضي الله عنهما وعنا بهم أجمعين .

الشيخ محمد افندي بن الشريف اسماعيل افندي العجلاني الدمشقي الميداني

مفخر الشرفاء الكرام ونخبة ذوي النسب العظام ، يتصل نسبه الشريف بسيدنا رسول الله ﷺ . كان ذا أخلاق كريمة ومروءة عالية فخيمة ، وشمائل جميلة ، وله التفات إلى اكتساب مـــا يحصل به أنواع الفضيلة . ولا ينكر ذلك عليه لأنه من نسل من ينسب كل كمال اليه . توفي يوم الأربعاء عند الضحوة الكبرى ثالث عشر شوال سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف ، ودفن بمدفنهم المعروف بمدفن بني العجلاني . وهو في سوق الغنم تجاه مقبرة باب الصغير .

الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ محمد المغربي الازهري المالكي

عالم وقته وأوانه وجهبذ عصره وزمانه ، المحدث العمدة في العلوم والفاضل الذي تحل لديه مشكلات المنطوق والمفهوم ، محط رحال السادة وكعبة طواف القادة ، وحرم اعتكاف ذوي المعارف ومحراب توجه أهل المُلَح واللطائف . من سار في الآفاق ذكره وشاع في الناس علاه وقدره ، الناهج في الكمال منهج الأوائل واللاهج بالأدب والتقوى وأنواع الفضائل .

حضر من الغرب سنة الف ومائة وإحدى وستين تقريباً ، ونزل في الجامع الأزهر والمقام الأبهى والأبهر ، فتعلق بأذيال العلم تعلق الوالدة بالولد إلى أن امتزج به امتزاج الروح بالجسد ، وأخذ عن الشيوخ الأكابر والجهابذة الذين حازوا المعالي كابراً عن كابر ، ولم يزل معتكفاً على الطلب والاستفادة ، إلى أن شهدوا له بأنه صار مستحقاً للتأليف والاقراء والإفادة ، فخرج من

الأزهر بعد الاستئذان وطـــاف في الأمصار إلى أن وصل إلى حلب ذات القدر والاعتبار ، فوجد الناس في قيل وقال وجدال كاد أن يوقع أصحابه في حيز الوبال ، فقال ما هذا الأمر الذي دَهىَ ودهم فقالوا اختلفنا في حديث ذكره صاحب المختار وليس له غيرك من حكم ، فان صاحب المختار قد ذكر في مادة عكك بأن النبي ﷺ قال طوبى لمن رأى عَكّا ، وبعض الناس قد سلمه اعتماداً على ناقله وبعض الناس قد ردّه ولم يعتمد على مثبته وقائله . وقال بأنه ليس من كلام الذات المحمدية ، ولا عليه طلاوة الأحاديث النبوية ، فاحكم بيننا بالانصاف فورودك علينا من كمال الاسعاف ، فقال لهم دعوني الآن وسأكتب رسالة في هذا المرام ، تزيل عنكم بعون الله الشكوك في هذا الحديث وأمثاله والأوهام . وقد ألف لهم رسالة قاطعة بأن هذا الحديث ليس من كلام النبوة ، بل هو كذب مختلق مصنوع ، وقد ذكرت هذه الرسالة بتمامها آنفاً لداعية دعتني إلى ذلك ، وهي أن كثيراً من الجهال وبعض من يدعي الطلب ، قد تداولوا هذا الحديث وهو طوبى لمن رأى عكة ، وذلك سنة ثلاث وثلاثمائة والف ، وحكموا بصحته اعتماداً على ناقله وهو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي في كتابه مختار الصحاح ، ومرادهم بذلك التوصل إلى أمر كان ينكره كثير من الناس عليهم ، مع أن ذكر المرقوم لذلك لا يدل على انه حديث لأنه نقَل من هو أعلم منه وأفضل ، أحاديث كثيرة حكم عليها أهل الاسناد بأنها موضوعة ، لغايات قصدوها فأرادوا ترويجها فوضعوا لهـا أحاديث مكذوبة .

قال ابن الجوزي ما أحسن قول القائل إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع ومعنى مناقضة الأصول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة . ثم ان الواضعين للحديث أقسام بحسب الأمر الحامل لهم على الوضع ، أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد وضعوه حسبة أي احتساباً للأجر عند الله في زعمهم الفاسد ، فقبلت موضوعاتهم ثقة بهم وركوناً اليهم ، لما نُسبوا إليه من الزهد والصلاح ، ولهذا قال يحيى القطان ما رأيت الكذب في أحد

أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير أي لعدم علمهم بتفرقة ما يجوز لهم وما يمتنع عليهم ، أو لأن عندهم حسن ظن وسلامة صدر فيحملون ما سمعوه على الصدق ، ولا يهتدون لتمييز الخطأ من الصواب ، ولكن الواضعون منهم وان خفي حالهم على كثير من الناس فإنه لم يخف على جهابذة الحديث ونقاده ، وقد قيل لابن المبارك هذه الأحاديث المصنوعة فقال تعيش لها الجهابذة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1] ومما وضع حسبة ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند اصحاب عكرمة هذا ، فقال إني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة ، وكان يقال لأبي عصمة هذا نوح الجامع ، قال ابن حبان جمع كل شيء إلا الصدق . وروى ابن حبان في الضعفا عن ابن مهدي قال قلت لميسرة بن عبد ربه من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا ، قال وضعتها لأرغب الناس فيها ، وكان غلام خليل يتزهد ويهجر شهوات الدنيا ، وغلقت أسواق بغداد لموته ، ومع ذلك كان يضع الحديث ، وقيل له عند موته حسّن ظنك ، قال كيف لا وقد وضعت في فضل عليّ سبعين حديثاً ، وكان ابو داوود النخعي أطول الناس قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار ، وكان يضع ، قال ابن حبان وكان ابو بشر احمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة واذبّهم عنها ، واقمعهم لمن خالفها ، وكان مع هذا يضع الحديث ، وقال بن عدي كان وهب بن حفص من الصالحين مكث عشرين سنة لا يكلم أحداً وكان يكذب كذباً فاحشا ، وجوزت الكرّامية (وهم قوم من المبتدعة نسبوا إلى محمد بن كرّام السجستاني) الوضع في الترغيب والترهيب ، دون ما يتعلق به حكم من الثواب والعقاب ،

---

(١) سورة الحجر (الآية ٩) .

ترغيباً للناس في الطاعة وترهيباً لهم عن المعصية ، واستدلوا بما روي في بعض طرق الحديث من كذب علي متعمداً ليضل به الناس ، وحمل بعضهم حديث من كذب علي أي قال انه شاعر أو مجنون ، وقال بعضهم إنما نكذب له لاعليه ، وقال محمد بن سعيد المصلوب الكذاب الوضاع : لا بأس اذا كان كلاما حسناً أن يضع له اسناداً !

وجميع ذلك خلاف اجماع المسلمين الذين يعتد بهم ، بل بالغ الشيخ ابو محمد الجويني فجزم بتكفير واضع الحديث ، ووضعت الزنادقة جملاً من الأحاديث يفسدون بها الدين ، فبيّن جهابذة الحديث أمرها ولله الحمد ، روى العقيلي بسنده إلى حماد بن زيد قال وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر الف حديث منهم محمد بن سعيد المصلوب في الزندقة ، فروى عن حميد عن أنس مرفوعاً أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله ، وضع هذا الاستثنا لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة والدعوة إلى التنبي . ومن الواضعين من يضع الحديث انتصاراً لمذهبه كالخطابية والرافضة وغيرهم ، وروى ابن حبان في الضعفاء بسنده إلى عبد الله بن يزيد المقري أن رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته ، فجعل يقول انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فانا كنا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً . وقسم من الواضعين وضعوا أحاديثهم تقرباً لبعض الخلفاء والأمراء موافقة لفعلهم وآرائهم ، أو ترغيباً لهم في بلاد يعدونها لا قدر لها ، فيضعون لهم أحاديث دالة على فضلها ورفعة قدرها ، ترغيباً لهم بها ، كالأحاديث الموضوعة في عكا على اختلاف أنواعها ، وقسم كانوا يتكسبون بذلك ويترزقون منه في قصصهم كأبي سعيد المدايني .

(فائدة) قال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام . ومن الموضوع الحديث المروي عن أبي بن كعب مرفوعاً في فضل القرآن سورة

سورة من أوله إلى آخره ، وقد أخطأ من ذكره من المفسرين في تفسيره كالثعلبي والواحدي والزمخشري والبيضاوي ، قال العراقي لكن من ابرز اسناده منهم كالأولين فهو أبسط لعذره إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده ، وان كان لا يجوز له السكوت عليه .

(تنبيه) ورد في فضائل السور مفرقة أحاديث بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف وليس بموضوع ، وإنما ذكرت هذا التنبيه لئلا يتوهم أنه لم يصح في فضائل السور شيء . واعلم ان السور التي صحت الأحاديث في فضلها الفاتحة ، والزهراوين ، والأنعام والسبع الطوال مجملاً ، والكهف ويس والدخان والملك والزلزلة والنصر والكافرون والاخلاص والمعوذتان وما عداها لم يصح فيه شيء .

ومن الموضوعات أيضاً أحاديث الأرز والعدس والباذنجان والهريسة ، وفضائل من اسمه محمد وأحمد ، وفضل عين سلوان ، وعسقلان ، ووصايا علي ، وضعها حماد بن عمر ، والنصيبي ووصيته في الجماع ، وضعها اسحق ابن نجيح الملطي .

(والحاصل) أن الموضوع تحرم روايته مع العلم بوضعه ، واثباته في كتاب مع عدم التنبيه عليه بأنه موضوع في أي معنى كان ، سواء كان في حكم من الأحكام ، أو في قصة أو في ترغيب أو في ترهيب ، وسواء كان معناه صحيحاً أو باطلاً ، لحديث مسلم : من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين .

ويعرف الوضع للحديث باقرار واضعه أنه وضعه ، كحديث فضائل القرآن فان ميسرة قد اعترف بوضعه ، وقال البخاري في التاريخ الأوسط حدثني يحيى اليشكري عن علي بن حدير قال سمعت عمر بن صبح يقول أنا وضعت خطبة النبي ﷺ ، وقد استشكل ابن دقيق العيد الحكم بالوضع باقرار من ادعى وضعه ، لأن فيه عملاً بقوله بعد اعترافه على نفسه بالوضع ، قال بعضهم : وهذا ليس باستشكال منه إنما هو توضيح وبيان ، وهو ان الحكم بالوضع بالاقرار ليس بأمر قطعي موافق لما في نفس

الأمر ، لجواز كذبه في الاقرار . ويعرف الوضع أيضاً بغير ذلك مما هو مذكور في كتب مصطلح الحديث ، كركاكة اللفظ أو المعنى ، قال الربيع ابن خيثم : ان للحديث ضوء كضوء النهار تعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره ، وقال ابن الجوزي : الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب ، قال الترمنياني :

والكذب المختلق الموضوع على النبي فذلك الموضوع

أي المكذوب على النبي ﷺ فهو مختلق ومبتكر من عنده واضعه فهو موضوع ومحطوط المنزلة فلا معول عليه بالمرة لأنه من جملة الأكاذيب ، ولا تجوز روايته إلا لتعريف حاله ، لا بنحو قال النبي ﷺ ، بل بنحو : هذا الكلام موضوع وليس بحديث ، والكذب عليه ﷺ من الكبائر ولو في ترغيب أو ترهيب ، ويعرف الوضع باقرار أو بركاكة .

وإنما أطلت الكلام في هذا المقام ، لئلا يظن الانسان ان نقل من هو معروف بالعلم والفضل لكلام مسند إلى النبي ﷺ يدل على انه حديث ولا يحتاج الى نظر ولا الى استدلال ، فهذا قصور لا ينبغي التعويل عليه ، لأن كثيراً من أفاضل العلماء قد نقلوا أحاديث في الترغيب والترهيب وفضائل القرآن سورة سورة ، وقد تناقله أصحاب التفاسير وأهل الرقائق في كتبهم ، ومع ذلك قد نبه المحدثون النقاد عليها بأنها موضوعة مكذوبة على النبي ﷺ ، فما كل ما صدر بقال ﷺ يقتضي أن يكون حديثا ، إلا أن يجده الانسان في كتب الحديث المسندة ، وإن كان الناقل له عمدة كالواحدي والواقدي والزمخشري والبيضاوي وغيرهم ، وصاحب مختار الصحاح في نقل الحديث المتقدم ، ونحن لا نقول بأنهم هم الذين وضعوا الأحاديث التي ذكروها في كتبهم مما نبه العلماء عليها بأنها موضوعة ، بل نقلوها اعتماداً على قائليها من غير أن ينظروا بها ، فقد تبين لك مما تقدم أن هذا الحديث الذي ذكره صاحب المختار موضوع ليس بحديث ، وذلك لا يطعن في مقام ناقله كما عرفت ولا في علمه ، وها هي الرسالة المترجم المذكور بحروفها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حمى حمى السنة المحمدية بأيمة جهابذة نقاد ، ونشر أعلامها وأسس بنيانها بأطواد الأفراد ، وخص هذه الأيمة المصطفوية بشرف سلاسل الاسناد ، ونضر وجوههم في الدارين فرقوا مراقي الاسعاد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الآمر بحفظ سنته ، وصونها عن المحرف الوضاع وكل ذي إلحاد ، وعلى آله وصحبه ما سلسل محدث وارسل وعنعن وأفاد ، وعلى التابعين لهم من كل حافظ متقن ضابط خبير بالمدارك نقاد .

أما بعد فيقول فقير مولاه الغني ، محمد بن محمد المغربي الأزهري منح فتح الجواد : لما وردنا موارد حلب العذبة الأوراد سنة ١١٧٣ ، لازاحة ما على القلب من الانكاد ، وحللنا في منزل رحب في مقعد صدق يزري بإرم ذات العماد ، عند جناب رفيع سيد طويل النجاد ، باذخ شامخ الأوتاد ، فرآه يسابق بشاشته كل وارد من الوراد ، طيب الشمائل ، عذب المناهل نخبة الأفراد ، بيض الله غرة أحواله وأثمر أغصان آماله ، وألبسه حلل الارشاد والسداد ، ورد علينا سؤال حديث مضمونه التنويه بفضل عكا الشهيرة عن التعريف بين الحاضر والباد ، فكتبت عليه بأنه موضوع وكل ما ورد فيها وفي عينها فهو مفترى عند أعلام الاسناد ، ولما رأيت الجوهري وتابعه صاحب المختار أوردا طوبى لمن رأى عكا ، هززت عطفي لتحقيق الحق وارشاد الأمجاد ، وسميت الرقيم : تحذير أعلام البشر من أحاديث عكا وعينها المسماة بعين البقر ، وينحصر المسطور في مقدمة وخاتمة ، فيها تمام المقصد ، وقد لبست حلة الانصاف التي هي سنة علماء السنة والله الهادي وعليه اعتمادي وبه الحول والقوة ومنه المنة .

(**المقدمة**) لا يخفى على الممارس ان أئمة الذين ذكروا ضوابط يعرف بها وضع الحديث كسماجة ألفاظه أو برودة معانيه ، أو

مخالفة للمحسوس أو لظواهر النصوص ، أو لبلوغه في الحد مبلغاً يخرجه عن حده ، فان لكل شيء حدا ، صرحوا بأن أحاديث البلدان لم يثبت منها إلا نزر يسير ، وحذروا من أحاديثها غاية التحذير ، وصرحوا بأنه لا يجوز أخذ حديث من أي كتاب كان ، بل اشترطوا شروطاً يعرفها النبيل الخبير ، وفي هذا المقام مهامه فسيحة يتيه فيها القطا ويحتاج معانيها إلى عون الملك الخبير .

(المقصد) في ذكر الحديث الذي ورد عليّ في فضل عكا وليس هو عندي وقت هذه الكتابة ، وإنما مضمونه أنها بلد على جبلين فمن دخلها رغبة فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه ، وبها عين من شرب منها أو اغتسل فيها فهو طاهر إلى يوم القيامة ، أقول : أمّا أولاً فبرودة هذه المعاني لا تخفى على المارس المعاني ، وأما ثانياً فقد اشتمل هذا الحديث على أمور فاسدة ، كونها على جبلين كذب ومين ، فاني دخلتها وهي شهيرة عند الناس بينها وبين الجبال بون بعيد ، وكون الداخل إليها رغبة فيها ينال تلك المغفرة التامة لا يصح ، لأنه لم يثبت فيا هو أفضل منها بالنصوص القواطع ، فكيف يثبت فيا لا فضل له أصلا ، ومما يؤيد ذلك قول المنلا علي القاريء في آخر كتابه في الموضوعات لما أورد حديثاً مضمونه أن الصلاة في بيت المقدس بخمسين ألفاً أن هذا الفضل محال ، وان روي في سنن ابن ماجه ، فان الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ لم يثبت فيها هذا الفضل ، فكيف يثبت في بيت المقدس ، قال وإنما الذي ثبت في بيت المقدس أن الصلاة بخمسماية ، فإذا تأملت ما قرره المنلا علي رحمه الله تعالى ، علمت أن مدعي هذه المغفرة يحتاج الى مغفرة لقرينة مكفرة ، وأما دعوى أنه أمر جائز في العقول ، وقد لا يثبت للأفضل شيء ويثبت للمفضول ، فجوابه أن السنة وفضائلها لا تثبت بتجويز العقول ، وشهد لما قلناه ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتحه ، أن كل احتمال لا يقبل في

مدارك الحديث ، ومما يدلك على رد قوله غفر الله له ما تقدم الخ أن الحافظ ابن حجر العسقلاني الف رسالة في الفضائل المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة ، ولم يعرج فيها على حديث عكا ، وأما نقل الناجي له في رسالته إنْ صَحَّ نسبتها له ، فالناجي ليس من أئمة هذا الشان ، الذين لهم القدح المعلا كما لا يخفى على من عرف أهل هذا اللسان ، وكون عينها من شرب منها أو اغتسل كان طاهراً إلى يوم القيامة ، هذا أدهى وأمر ، فما معنى طهور الشارب والمغتسل إلى يوم القيامة ، فان كان من الجنابة ولو أجنب بعد ، فهذا مذهب أهل المعمودية ، وهو منابذ لصريح الشريعة المحمدية ، وان كان طاهراً من الذنوب ، فهو شيء لم يثبت للشارب المغتسل من زمزم المرغوب ، وان كان غير ذلك فلا ندريه .

والحاصل أنه لا معنى له فقبح الله واضعه ، فانه ما أراد إلا تنقيص رسول الله ﷺ ، وهو اما جاهل مفسد ، أو زنديق ملحد . وأما حديث الجوهري وصاحب المختار : طوبى لمن رأى عكا فهو من وادي الأول فان المساجد الثلاثة التي شرفها الله تعالى بالنص والاجماع لم يرد فيها طوبى لمن رآها ، ولا يغتر بذكره في الكتابين المذكورين ، فان أصحابها ليس لها قدم في السنة ، ولا يجوز أخذ حديث من كتاب إلا بعد مراجعة أصوله المعتمدة ، والقاعدة السابقة في البلدان تردّه ، والبينة على المدعي ، فان قواعد الأئمة لا تعارض إلا بنقل ثابت عن أثبات الأمة ، وهـذا الإمام الرافعي إمام السنة والتفسير والفقه المجمع على جلالته ، أورد احاديث في كتاب : التدوين ، في مناقب قزوين ومرو وبخارى ونصيبين ، فأقامت عليه علماء ، الأمة القيامة ، ورموه بقوس واحدة مع أنه إمام علامة . والاغترار بكل ما سطر ليس على الفضل علامة ، وطوبى هذه ليست طوبى الجنات بل هي طوبى تحتها عقارب وحيات ، وكم من حديث فيه طوبى لا يساوي عند الأعلام طوبة ، وامـا عينها عين البقر ، ففضلها مفترى منكر ، غير معتبر .

وأما الحديث الطويل الذي آخره : واختار من العيون أربعا ، فذكر فيها عين عكا ، فقد قال السيوطي وابن عراق وصاحب مثير الغرام منكر بالمرة . وهذا صاحب مثير الغرام وصاحب الأنيس الجليل ، قد ذكرا فضائل مدن الشام على ما فيها ، ولم يذكرا لعكا فضيلة مع انهما بهذا الصدد ، فلو ثبت لها أدنى فضيلة لطرزا بها كتابيهما ، فانهما لم يصنعا كتابيهما إلا لنشر المحاسن الشامية ، وأي محاسن أعظم من غفران الذنوب وطهارة الأبد ؟ لاجزى الله الواضعين خيراً في الدنيا والآخرة ، الذين ينسبون لرسول الله ﷺ ما لا يليق بمنصب الفضلاء ، فضلاً عن مقام سيد الأنبياء .

(الخاتمة) لا يهولنك ويعظم عليك قولنا سابقاً لا يغتر بذكر الجوهري وصاحب المختار فتقول هذه جرأة على الجهابذة الأخيار ، فاعلم انه ليس كل قيل يقال ، ولا كل ميدان تجول فيه الرجال ، فكم من همام جهبذ في علم لا قدر له في علم الآخر ، وهذا القاضي البيضاوي سيد المحققين قد أودع تفسيره أحاديث السور ، وغالبها موضوع باجماع المحدثين أهل النظر ، وهذا الجلال المحلي على جلالة محله ، نقل حديث أنا أفصح من نطق بالضاد وكذا شيخ الإسلام تلميذه ، وهو موضوع عند النقاد ، ولو تتبعنا أمثال هذه لأسهبنا وأبعدنا كل الابعاد . ولقد كنت نظمت أبياتاً قبل هذه الرسالة ، فأحببت ذكرها لتتميم المقالة وهي :

أقول لأرباب الحديث تبصروا ... حديثي فقولي عندكم غير مفترى
أحاديث عكا لايشك بأنهـا ... أباطيل لاتعزى الى سيد الورى
كقزوينهم واسكندرية مثلها ... ومرو ، ولو كان الحديث مسطرا
وما صاحب المختار يروى حديثه ... ولا الجوهري من بالصحاح تجوهرا
وأما الإمام الحبر مجد زمانه ... فذاك من الحفاظ ممن لها درى
وها الرافعي مع مجده ورسوخه ... بتدوينه المعروف يرويه من قرا
أفاد أحـاديثاً لقزوين مدحة ... فزيفها الأعلام ممن رقى الذرى

ومن شرطه أن لا اغترار بكل ما يسطر في كتب إلى أن ينقرا
فهذا سبيل الراسخين سلكته مخافة يوم العرض من وصمة الفرى
وأهدي صلاة مع سلام لأحمد وآل وصحب ما رياض تعطرا

(تذييل) : لا يغتر بأحاديث الخُطب ولا كتب التواريخ ولا القصص ولا الرقائق ولا كتب اللغة حتى تراجع أصولها ، وتحقق فصولها ، وهذا المقام واسع المدى فياض الندى ، وفي هذا القدر كفاية والله ولي العنـــاية ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ماطابت بذكره الأفواه ، قال مؤلفها رحمه الله : تمت في ذي القعده سنة ١١٧٢ وقد تم نقلها من نسخة منقولة عن نسخة مؤلفها .

توفي المترجم المرقوم رحمه الله تعالى بعد المائتين بقليل ولم أقف على مكان موته ودفنه .

الشيخ محمد سعيد افندي بن الشيخ عبد الستار بن الشيخ ابراهيم الاتامي الحنفي مفتي مدينة حمص الشامية

عالم لايبارى وفاضل في ميدان الفضائل لايجـارى ، ولد سنة أربع عشرة بعد المائتين والألف ونشأ في حجر والده المرقوم ، فأخذ عنـه أكثر المتداول من الكتب والفنون ، الى أن صار كعبـة المسائل وبغية المقاصد والوسائل ، نافذ القول ، قوي القوة بالقوي المتين والحول . وكان رحمه الله مهاباً جسوراً فصيح اللسان ، وولي منصب الافتاء في حمص عن أهلية واستحقاق . وله شعر أرق من نسيم الصبا ونثر ألطف من خلـع العذار في زمن الصبا ، وتحقيقات أنيقة وأبحاث رقيقة ، وتقييدات علية وتدقيقات سنية . ولم يزل مثابرا على السلوك في منهج الفضائل مقصودا لحل مشكلات السادة الأفاضل ، إلى أن ألحقته المنية بمن مضى وأحلته في ساحة العفو والرضى . وذلك غرة محرم الحـرام سنة ست وسبعين بعد المائتين والألف من هجرة سيد الأنام .

الشيخ محمد الخشني الشافعي المصري الأشعري الازهري

العالم المشهور بالصلاح والفاضل المعروف بالتقوى والفلاح ، نزل في الجامع الأزهر والمكان الأرفع الأنور ، فحفظ القرآن الشريف وأتقنه غاية الإتقان ، ثم التفت إلى طلب العلم مع العمل والاذعان وقد لاحظته عين الرعاية والاسعاد والبسته ثوب العناية والاستعداد فتخرج على الشيخ عطية الأجهوري وغيره من أشياخ العصر ، كالحفني والعدوي من أفاضل شيوخ مصر . وكان مسكنه في خطة السيدة نفيسة ، ويأتي في كل يوم إلى الأزهر فيقرأ دروسه ، ثم يعود إلى داره متقللاً في معيشته ، متمسكا بتباعده عن الناس وعزلته . وهو آخر الطبقة العالية والمشيخة السامية ، ولما نزلت به دواعي المنية وأرادت أن تلحقه بالعصابة العلية ، تمرض شهوراً بمنزله الذي في المشهد النفيسي ذي الشأن ، وكان دائماً يسأل عن الشيخ البجيرمي سليمان ، يقول لا أموت حتى يموت هذا الهمام ، لأني رأيت النبي ﷺ في المنام ، وقال له أنت آخر اقرانك موتا ، فعلمت أن موتي قبله لايتأتى ، ولم يكن بقي من اقرأني سوى هذه الذات العلية فلذلك أسأل عنه أهو حي أم اخترمته المنية ؟ ثم مات البجيرمي بقرية مصطية ومات هو بعده بثلاثة أشهر عددية ، وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس وعشرين من ذي الحجة الحرام سنة إحدى وعشرين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام . ولم يحضروا بجنازته الى الأزهر ، بل صلي عليه في المشهد النفيسي ودفن في ذلك المقام الأنور .

الشيخ محمد بن يوسف بن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الازهري

العمدة الفاضل حاوي الكمالات والفضائل ، عين الأعيان ونخبة الاقران . ولد سنة ثلاث وستين ومائة والف وتربى في حجر جده وتخلق بأخلاقه ،

وحفظ القرآن والألفية ، وأكثر المتون المتداولة . وحضر دروس جده وأخي جده الشيخ يوسف الحفناوي ، وحضر أشياخ الوقت كالشيخ علي العدوي والشيخ أحمد الدردير والشيخ عطية الاجهوري والشيخ عيسى البراوي وغيرهم ، وتمهر وأنجب ، وأخذ طريق الخلوتية عن جده ولقنه الأسماء . ولما توفي جده ألقى الدروس في محله بالأزهر ، ونشأ من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس ، وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيئة ، ولازم الاشتغال بالعلم ، وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته ، وكان عظيم النفس مع تهذيب الاخلاق والتبسط مع الاخوان والممازحة ، مع تجنبه ما يخل بالمروءة ، وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ، ولم يزل على حالته إلى أن توفي يوم السبت رابع شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر في مشهد عظيم ، ودفن مع جده في تربة واحدة بمقبرة المجاورين ولم يخلف ذكورا .

الشيخ محمد الحصافي المصري الازهري الشافعي
الفقيه النحوي الفرضي

فقيه عصره نبيه مصره ، ونحوي زمانه وفرضي وقته وأوانه ، من ارتقت في معالي الفضائل ملكته وافتخرت به أقرانه وطبقته ، وعرف بالزهادة والعبادة واستوى على منصة السيادة ، حضر أشياخ الطبقة الأولى ، ودرس العلوم في الأزهر وبلغ به الطلبة مراداً ومأمولا ، وأجاد في الإفادة من معقول ومنقول ، وكان متباعداً عن الاختلاط منعكفاً في زوايا الخمول ، منعزلاً عن الدنيا كما أنها منعزلة عنه . قانعاً بما قسم الله له راضياً منه ، لا يدعى إلى وليمة ، ولا يفرح بمادحه ولا يلوم مُليمه ، ولا ينهمك على شيء من الأمور . ولم يزل على حالته حتى جاءه الأجل المسطور . توفي يوم الأثنين ثالث عشر شوال سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن عبد الفتاح المالكي الازهري
من أهالي كفرحشاد بالمنوفية

مدار العلوم والمعارف ومنار الآداب واللطائف ، العمدة المفضل والصفوة المكمل ، ذو التقوى والعبادة والرفعة والسيـــادة . قدم من بلده صغيرا فجاور بالأزهر المنير وحضر على أشياخ الوقت ولازم دروس الشيخ الأمير . وبه تخرج وتفقه ونال درجة علية ، وقرأ على غيره من السادة المالكية ، وأنجب في المنقولات وتمهر في المعقولات ، وصارت له ملكة واستحضار وشهرة كلية في الأماكن والأمصار . ثم رجع الى بلده فأقام بهـــا يفيد ويفتي في كل واقعة كلية أو جزئية ، ويرجع اليه في القضايا والدعاوى ولا يقبل جعالة ولا هدية . فاشتهر ذكره في الاقليم واعتقدوا فيه الزهد والعفاف ، وانه اذا أفتى أو قضى لا يحول عن الحق والانصاف ، لأنه لا يقبل شيئاً بحال ولا يروم سوى رضا الحق المتعال ، فهرعت الناس اليه وصـــاروا لا يعولون في قضاياهم إلا عليه ، ولا يعتمدون على سواه ولا يرومون إلا إياه ، ولم يزل على هـذه الحالة الرضية والمنقبة السامية العلية ، حتى كان المولد المعتاد بطندتا فذهب ابن الشيخ الأمير إلى هناك ، فأتى المترجم لزيارته والسلام عليه ، ونزل في الدار التي هو نازل فيها ، فانهدمت جهته التي هو بها وسقطت عليه ، فمات شهيداً مردومـــاً ومعه ثلاثة أنفار من أهالي قرية العكروت ، فسبحان الحي الدائم الذي لا يموت ، وذلك في أوائل شهر ذي الحجة الحرام ، سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف رحمهم ذو الجلال والإكرام .

الشيخ محمد بن عبد الرحمن اليوسي المغربي المالكي

الناسك العابد والصالح الزاهد ، والعالم العامل والفاضل الكامل . ورد إلى مصر وحج ورجع ، فهرعت الناس إلى زيارته والتبرك به ، وكان قليل الاختلاط بالناس كثير المذاكرة العلمية محفوظ المجلس مما لا يعني ، متمسكا بالسنة والعمل بها ، متواضعاً متذللاً لين الجانب حسن المعاشرة جميل المجاوبة . ولم يزل عالي الهمة وافر المروءة ملازماً للطاعة والتقوى ، والأعمال الجميلة العالية ، إلى أن تعلل وتمرض ولازمه المرض سنين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم وصلي عليه في الجامع الأزهر في مشهد عظيم ، ودفن بجانب الخطيب الشربيني بتربة المجاورين وهي القرافة الكبرى رحمه الله تعالى وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائتين والف من هجرة من له الفضل والشرف .

الشيخ محمد الأسناوي الشهير بجاد المولى الأزهري

العالم المجيد والكامل المفيد ، جاور بالأزهر وحضر دروس الشيوخ الأفاضل ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ، فحضر دروسه ومجالس أذكاره ، وتلقى عنه الطريقة الخلوتية ، وألبسه التاج وتقدم في خطابة الجمعة والأعياد في الجامع الأزهر ، بدلاً عن الشيخ عبد الرحمن البكري ، عند ما رفعوها عنه ، وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عند ما قصرت زيادة النيل سنة ثلاث وعشرين وتأخر في الزيادة عن أوانه ، ولما حضر محمد باشا خسرو والي مصر وصلى صلاة الجمعة في الأزهر في سنة سبع عشرة ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان في كل جمعة يلبسها للخطبة فقط وفي الاعياد ، وكان ملازماً على اقراء الدروس للطلبة ، واشتهر ذكره ونما أمره في أقل زمن ، وكان فصيحاً في التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة ، ولم يزل على حالة حميدة في حسن السلوك والطريقة ، إلى أن توفي في شهر ذي الحجة سنة تسع وعشرين ومائتين والف وقد ناهز الأربعين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي المالكي الأزهري

العلامة الأوحد والفهامة الأمجد ، محقق عصره ومدقق دهره ، الجامع لأشتات العلوم والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم ، بقية الفصحاء ونخبة الفضلاء ، والمتميز بالفضائل وجميل الشمائل .

ولد ببلدة دسوق من قرى مصر ، وحضر إلى مصر وحفظ القرآن وجوده على الشيخ محمد المنير ، ولازم حضور دروس الشيخ على الصعيدي والشيخ الدردير ، وتلقى الكثير من المعقولات عن الشيخ محمد الحفاجي ولازم الشيخ حسنا الجبرتي في مدة طويلة ، وتلقى عنه بواسطة الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن التوقيت أيضاً، وحضر عليه أيضاً في فقه الحنفية ، وفي المطول وغيره برواق الجبرت بالأزهر ، وتصدر للاقراء والتدريس وافادة الطلبة ، وكان فريداً في تسهيل المعاني وتبيين المباني ، يفك كل مشكل بواضح تقريره ، ويفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسه مجمع أذكياء الطلاب والمهرة من ذوي الافهام والألباب ، مع لين جانب وديانة وتواضع وحسن خلق وصيانة ، وجمال وتلطف وعدم تكلف ، جارياً على سجيته الأصلية وطريقته الفطرية ، لا يرتكب ما تكلفه غيره من التعاظم وفخامة الألفاظ في التكلم ، ولهذا كثر الآخذون عليه والمترددون إليه ، وله تأليفات واضحة العبارات ، سهلة المأخذ كاشفة لغوامض الاشكالات .

فمن تآليفه حاشية على مختصر السعد على التلخيص ، وحاشية على شرح الشيخ الدردير على سيدي خليل في فقه المالكية ، وحاشية على شرح الجلال المحلي على البردة ، وحاشية على الكبرى للامام السنوسي ، وحاشية على شرحه للصغرى ، وحاشية على شرح الرسالة الوضعية . هذا ما عني بجمعه وكتابته وبقي مسودات لم يتيسر له جمعها [١] ولم يزل على حالته

(١) هذه التآليف كلها جمعت وطبعت كما في معجم الأعلام (ج ٦/٢٤١) ومعجم المطبوعات (ص ٨٧٥) .

في الافادة والافتاء والإلقاء ، إلى أن مرض وتوفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر في مشهد حافل أنور ، ودفن في تربة المجاورين في المدفن الذي بداخل المحل الذي يسمى بالطاولية ، وقام بمؤنة تكفينه وتجهيزه ومصاريف جنازته ومدفنه السيد محمد المحروقي ، وكذلك مصاريف منزله في ثلاثة أيامه ، وأرسل من قيده لذلك من أتباعه بادارة المطبخ ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل والحطب والفحم ، وجميع ما يحتاجون اليه للمقرئين والمعزين وغير ذلك مما يحتاج اليه . وقد رثاه عمدة الأخيار الشيخ حسن العطار رحمه الله تعالى بقوله :

أحادث دهر قد ألم فأوجعا ... وحل بنادي جمعنا فتصدعا
لقد صال فينا البين أعظم صولة ... فلم يخل من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما ... مضى حادث يعقبه آخر مسرعا
وحلّ بنا ما لم نكن في حسابه ... من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا
خطوب زمان لو تمادى أقلها ... بشامخ رضوى أو ثبير تضعضعا
وأصبح شأن الناس ما بين عائد ... مريضاً وثان للحبيب مشيعا
لقد كان روض العيش بالأمن يانعاً ... فأضحى هشيما ظله متقشعـــا
أيحسن أن لا يبذل الشخص مهجة ... ويبكي دماً إن أفنت العين أدمعا
وقد سار بالأحباب في حين غفلة ... سرير المنايا عاجلاً متسرعـــا
وفي كل يوم روعة بعد روعة ... فلله ما قاسى الفؤاد وروّعا
عزاء بني الدنيا بفقد أئمة ... لكأس مرير الموت كل تجرعا
يميناً لقد جل المصاب بشيخنا الـــــدسوقي وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب لا مفارق عندما ... تنكرت الأسماع صوت الذي نعا
فللناس عذر في البكاء وللأسى ... عليه وأما في السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده ... لقد كان فيها جهبذيا[1] سميذعا[2]

---

(١) الجهبذ : الناقد .
(٢) الكريم الشريف .

فمن بعده يجلو دجنة شبهة ... ويكشف عن ستر الدقائق مقنعا
وإن ذو اجتهاد قد تعثر فهمه ... فياليت شعري من يقول له لعا[1]
يقرر في فن البيان بمنطق ... بديع معانيه يتوج مسمعا
وسار مسير الشمس غر علومه ... ففي كل أفق أشرقت فيه مطلعا
وأبقى بتأليفاته بيننا هدى ... بها يسلك الطلاب للحق مهيعا
وحل بتحريراته كل مشكل ... فلم يبق للاشكال في ذاك مطمعا
فأي كتاب لم يفك ختامه ... إذا ما سواه من تعاصيه ضيعا
ومن يبتغي تعداد حسن خصاله ... فليس ملوماً إن أطال وأشبعا
فللصدق عون للمقال فمن يقل ... أصاب مكان القول فيه موسعا
تواضع للطلاب فانتفعوا به ... على انه بالحلم زاد ترفعا
وكان حليما واسع الصدر ماجدا ... تقياً نقياً زاهداً متورعا
سعى في اكتساب الحمد طول حياته ... ولم نره في غير ذلك قد سعى
ولم تلهه الدنيا بزخرف صورة ... عن العلم كيما ان تغر وتخدعا
لقد صرف الأوقات في العلم والتقى ... فما ان لها يا صاح أمسى مضيعا
فقدناه لكن نفعه الدهر دائم ... وما مات من أبقى علوماً لمن وعى
فجوزي بالحسنى وتوج بالرضا ... وقوبل بالاكرام ممن له دعا

الشيخ محمد المهدي الحفني الأزهري

الأستاذ الفاضل الفريد والملاذ الكامل المجيد ، الإمام العلامة والهمام الفهامة ، والجهبذ الفقيه والسميدع النبيه ، علامة عصره وفريد مصره ، كان والده من الأقباط فأسلم قبل بلوغه على يد الشيخ الحفني ، فحلت عليه أنظاره وأشرقت عليه أنواره ، فحضنه الشيخ ورباه وزاد في وداده ، وأنزله بمنزله مع خاصته وأولاده ، ولما ترعرع اشتغل بطلب العلم وكان جيد الهمة حسن الفهم ، فلازم دروس الشيخ وأخيه الشيخ وغيرهما من السادة الأعلام ،

(١) يقال للعاثر « لعاً لك » دعاء له أي أنعشك الله وأقالك من عثرتك .

كالشيخ العدوي والشيخ عطية الاجهوري والشيخ الدردير والبيلي والجمل والخرشي والشيخ عبد الرحمن المقري والشرقاوي وأمثالهم من القادة الفخام ، واجتهد في التحصيل وجد في منهج التوصيل ، ولازم مجالس الذكر بعد وفاة الشيخ الحفني خليفة الدردير المكين ، وتصدر للتدريس سنة الف ومائة وتسعين ، ولما مات الشيخ محمد الهلباوي سنة اثنتين وتسعين جلس مكانه في الأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل وغيره من العلم الأنور ، ونما أمره واشتهر ذكره ، وبَعُد صيته في الآفاق وطار قدره وفاق ، ولم يزل أمره ينمو واسمه يسمو ، مع حسن السمت ووجاهة الطلعة ، وجمال الهيئة وبشاشة الوجه وطلاقة اللسان وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب في ترداد الخطاب ، ومسايرة الأصحاب ، وصاهر الشيخ محمد الحريري على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا وتداخل في الأكابر ونال منهم حظاً وافراً بحسن معاشرته ، وعذوبة ألفاظه وتنميق كلماته ، ومعاملة كل انسان بما يليق به .

ولما وقع الطاعون في مصر سنة خمس ومائتين وألف خصه اسماعيل بك كتخدا [1] حسن باشا الجزائرلي بما أحبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات ورزق وغيرهما ، فزادت ثروته ونمت شهرته ، ولما حضرت الفرنساوية إلى مصر واستولت عليها خافتهم الناس وهرب كثير من العلماء والاعيان ، فكان للمترجم عندهم قدر عظيم وجاه جسيم ، فلا تهان جماعته ولا ترد شفاعته ، ولا زالت تعلو شهرته في مصر حتى صار يلقب عند الأجانب وعند الأهالي بكاتم السر ، وجعلوه رئيس الديوان ، إذا حكم قابله الجميع بالرضى والأذعان ، وكان يخدمه كبراء الناس وعظماؤهم ، ويلتجىء إليه أعيانهم وعلماؤهم ، وكان يؤمن من أراد ويرده إلى الوطن والبلاد ، فلا يعارضه أحد ولا يصل إلى من احتمى به هم ولا نكد ، فحسن صنعه وعم نفعه .

ولما انتقل الحكم إلى العثمانيين ، بقي على حاله وقدره المكين ، ولما كان آخر المحرم سنة ثلاثين ومائتين والف توعك المترجم أياما ، ثم عوفي

---

(١) وكيل النفقة .

وذهب إلى الحمام وهنأه الناس بالعافية ، وذهب إلى جيرانه يتحدث عندهم كعادته ، فخرج ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر ودخل عند عثمان بن سلامة السناري ، فتحدث عندهم حصة من الليل ، ثم قام ذاهباً إلى داره ماشياً على أقدامه حتى وصل إلى داره ومضى نحو ساعة ، وقد جامع زوجته واضطجع فحركوه فإذا هو ميت فجهزوه وصلي عليه في الأزهر ودفن عند الشيخ الحفني بجانب قبره ، فسبحان الحي الذي لا يموت ، وكان عمره نحواً من خمس وسبعين سنة .

وحاصل أمر المرحوم المترجم انه كان من فحول العلماء يدرس الكتب الصعاب في المعقول والمنقول ، بالتحقيق والتدقيق ، وانتفع عليه الكثير من الطلبة إلى أن صاروا مدرسين مميزين على أقرانهم من أهل العصر ، ولو أنه استمر على طريقة أهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا وكثرة المداخلة مع الأكابر وذوي الحكومة ، لكان نادرة عصره ونقطة مدار مصره ، ولكن ذلك أداه الى قطع الاشتغال ، حتى انه إذا ابتدأ كتاباً كان في الغالب لا يتمه ، ولا ألف كتاباً ولا رسالة في فن من الفنون مع كمال أهليته لذلك [1] . ثبت الله قلوبنا على التقوى وحفظنا من كل تقصير في السر والنجوى ، وعصمنا والمسلمين مما يضر ويشين .

الشيخ محمد بن محمد [2] بن عبد القادر بن عبد العزيز المالكي الازهري الشهير بالامير الكبير

العالم العلامة الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة والتأليفات الفائقة ، شيـــخ شيوخ أهل العلم وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن في العلوم كلها ، نقليها وعقليها وأدبيها . اليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار

(١) قال في معجم المؤلفين ، من آثاره : « تحفة المستيقظ الآنس ، في نزهة المستنيم الناعس » (ج ١٢ ص ٥٧) .

(٢) في تاريخ الجبرتي وغيره بن أحمد بن عبد القادر الخ .

المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية . استنبط الفروع من الأصول ، واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائد وقلدها عوائد وقرائد .

وشهرته بالأمير إنما جاءته من جده الأدنى أحمد ، وسببه ان أحمد وأباه عبد القادر كان لهما أمرة بالصعيد ، وأخبر المترجم عن نفسه أن أصلهم من المغرب ، نزلوا بمصر عند سيدي عبد الوهاب أبي التخصيص كما أخبر عن ذلك وثائق لهم . ثم التزموا بحصته بناحية سنبو وارتحلوا اليها ، وقطنوا بها وبها ولد المترجم . وكان مولده في شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة والف باخبار والديه ، وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين وكان قد ختم القرآن فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة ، وحبب اليه طلب العلم ، فأول ما حفظ متن الآجرومية وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدي علي بن العربي السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد في التحصيل ، ولازم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدي شرح السعد على عقائد النسفي ، والأربعين النووية ، واستمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودي بن سودة بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج ، ولازم المرحوم حسنا الجبرتي سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفي وغير ذلك من الفنون كالهيئة والهندسة والفلكيات والأوفاق والحكمة ، بواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوي المالكي ، وكتب له إجازة مثبتة في برنامج شيوخه ، وحضر الشيخ يوسف الحفني في آداب البحث وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحفني أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمائل والنجم الغيطي في المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسلسل بالأولية ، وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف ، وشملته إجازة الشيخ الملوي ، وتلقى

عنه مسائل في أواخر أيام انقطاعه بالمنزل ، ومهر وأنجب وتصدر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه ، ونما أمرهُ واشتهر فضله ، خصوصاً بعد موت أشياخه ، وشاع ذكره في الآفاق وخصوصاً بلاد المغرب ، وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام ، ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه ، وتوجه في بعض المقتضيات إلى دار السلطنة ، وألقى هناك دروساً حضره فيها علماؤهم ، وشهدوا بفضله واستجازوه فأجازهم بما هو مجاز بهِ من أشياخه .

وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدي الطلبة وهي في غاية التحرير ، منها مصنف في فقه مذهبه سماه المجموع حاذى به مختصر خليل ، جمع فيه الراجح في المذهب وشرحه شرحاً نفيسا ، وقد صار كل منهما مقبولاً في أيام شيخه العدوي ، حتى كان إذا توقف شيخه في موضع يقول هاتوا مختصر الأمير ، وهي منقبة شريفة ، وشرح مختصر خليل ، وحاشية على المغنى لابن هشام ، وحاشية على الشيخ عبد الباقي على المختصر ، وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام ، وحاشية على الأزهرية ، وحاشية على الشنشوري على الرحبية في الفرائض ، وحواش على المعراج ، وحاشية على شرح الملوي على السمرقندية ، ومؤلف سماه النيرين فيما يتعلق بالقدرتين ، وإتحاف الإنس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ، ورفع التلبيس عما يسأل به ابن خميس ، وثمر الثمام في شرح آداب الفهم والافهام ، وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر [١] . ومن نظمه قوله متغزلاً :

أيها السيد المدلل ضاعت ... في الهوى ضيعتي وأنسيت نسكي
يالك الله لا تمل لسوائي ... وتحكم ولو بما فيه فتكي
وانظر الحق في علو غناه ... كل شيء يمحوه غير الشرك

(١) أكثر هذه المؤلفات مطبوع كما في معجم المطبوعات وغيره .

وله في التشبيه

يا حسن لون الشمس عند غروبها ... في روض أنس نزهة للأنفس
فكأنه وكأنه في ناظري ... ذهب يحول على بساط سندس

وله أيضاً

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها ... وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرآة ينظر وجهه ... ففي وجهها من وجهه الضوء دافق

وله أيضاً

يامالك القلب من بين الملاح وان ... توهم الغير ان القلب مشترك
إني أغار على حظي لديك فغَرْ ... أيضاً على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينتهوا عما تسوله ... نفوس سومهم طرق الردى سلكوا
توهموا أنهم حلوا وقد ملكوا ... ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
يا سيد الكل يا قطب الجمال ومن ... في دولة الحسن يروى انه الملك
ما كان قلبيَ يهوى الغير يا أملي ... فابعث رميميَ إذ أهل الهوى هلكوا
واسقط البيز وارفع حجب شأنك لي ... ليشتفى خاطر بالفكر يعترك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى ... على عيوب له بالعهد يمتسك

وله أيضاً

دع الدنيا فليس بها سرور ... يتم ولا من الأحزان تسلم
ونفرض انه قد تم فرضا ... فغم زواله أمر محتم
فكن فيها غريباً ثم عبي ... إلى دار البقا ما فيه تغنم
وان لا بد من لهو فلهو ... لشيء نافع والله أعلم

وله غير ذلك من النظم المليح والذوق الصحيح ، واللسان الفصيح . وكان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج ، ينزعج طبعه من غير انزعاج ، يكاد الوهم يؤلمه وسماع المنفر يوهنه ويسقمه . ولا زال تضعف قواه وتتراخى أعضاه وتزيد شكواه ، ويتراخى ويتعلل ويزداد أنينه ومرضه ويتحمل ،

وداعي المنون يدعوه ولا يدعه ويرفعه على كاهل الرحيل ولا يضعه . إلى أن توفي يوم الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام ، وكان له مشهد قد انتهى فيه الاجتماع والازدحام، ودفن في الصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفي بالقرب من عمارة السلطان قايتباي وكثر عليه الأسف ولم يكن مثله فيمن خلف [١] .

الشيخ محمد الشنواني الازهري الشافعي

حبر العلماء الأعلام وبحر الفضلاء الفخام ، شيخ الاسلام وعمدة الأنام ، الفقيه العلامة والنحرير الفهامة ، شيخ الجامع الأزهر والمكان الأبهى الأنور ، النحوي الأصولي الفقيه والمحدث المفسر النبيه ، حضر الأشياخ الأوائل والسادة الأفاضل ، كالشيخ فارس وكالصعيدي والدردير والقرماوي ، وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ، ولازم دروسه وبه تخرج ، واقرأ الدروس وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهاني ، مهذب النفس كثير التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس ، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل .

ولما توفي الشيخ عبد الله الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة ، فأحضروه قهراً عنه وولوه المشيخة . ولم يزل ملازماً لجامع الفاكهاني كعادته وأقبلت عليه الدنيا فلم يتهن بها ، واعترته الأمراض ولازمه داء الزحير أشهراً ، ثم عوفي ثم لازمته الحمى وانقطع بها في داره ، إلى أن توفي يوم الأربعاء رابع عشرين محرم الحرام سنة

(١) في تاريخ الجبرتي ـ بعد هذه الترجمة ما يأتي : وخلّف ولده العلامة النحرير ، الشيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصدور كوالده ، يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية ، بارك الله فيه اهـ من ج ١٢/١٦١ على هامش تاريخ الكامل لابن الأثير الجزري .

ألف ومأتين وثلاث وثلاثين ، وصلى عليه في الأزهر في مشهد عظيم ، ودفن في تربة المجاورين .

وله عدة تآليف منها حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة وتقلد مشيخة الأزهر بعده الشيخ محمد بن الشيخ أحمد العروسي من غير معارض ولا منازع [١] .

الشيخ محمد بن احمد بن محمد المعروف بالدواخلي الأزهري الشافعي

العمدة الكامل والعالم العامل . ولد بمصر وتربّى في حجر أبيه وحفظ القرآن واجتهد في طلب العلم ، وحضر الأشياخ من أهل وقته كالشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ عبد الله الشرقاوي . وبرع في المعقول والمنقول ، وأقرأ الدروس من سائر الفنون ، وتداخل في قضايا الدعاوى بين الناس ، واشتهر ذكره وعلا قدره ، وكان له لدنياه والمال والجاه ميل كثير ، ولا يقنع بالكثير فضلاً عن اليسير ، وتقلد النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ولبس التاج الكبير ، ومشى أمامه الخدم والمقدمون ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والتشكيات ، وعمر داره وأنشأ تجاهها جامعاً عظيما ، وداخله الغرور ، وظن أن الدهر يديم له المسرة والحبور .

فأول ما ابتدأه الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد ، وقد ناهز البلوغ ولم يكن له من الذكور غيره ، فاختل نظام معاشه ولازمه الكدر ودفنه في جامعه الذي بناه تجاه بيته ، وبنى عليه بناء ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة ، ثم انه التفت إلى مناصبه ، ورجع إلى سلوك مذاهبه ، وخالط الوزراء وتداخل مع الكبراء ، إلى أن صار من أعيان

---

(١) ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكري والسادات وباقي أصحاب المظاهر اه من الجبرتي في (من مات سنة ١٢٣٣) .

الرؤوس ورؤوس الأعيان ، يشار اليه ، ويعتمد في جليل الأمور عليه ، ويفصل القضايا والخصومة ، ولا يعارضه الباشا ولا غيره من ذوي الحكومة . وتطاول على رؤوس الكتبة الأقباط . وسلك في غروره جهة الافراط ، إلى أن ضاق صدر الوالي منه وأعرض بالكلية عنه ، وأمر بنفيه إلى دسوق ، وذلك سنة احدى وثلاثين فأقام بها أشهراً ، ثم توجه بشفاعة السيد المحروقي إلى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها منحرف المزاج مستعملاً للعلاج ، مع كونه يراجع السيد المحروقي في أن يشفع له عند الباشا في الاذن بالحج أو بالعود إلى مصر ، فلم يؤذن له ، ولم يزل في المحلة إلى أن توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه بمنه وكرمه (١) .

الشيخ محمد سعيد بن ابراهيم الحموي

العلامة الفاضل والجهبذ الكامل ، ولد في حماة سنة ألف ومائة وخمس وخمسين ، وبعد بلوغه اكب على طلب العلم الشريف ذي المقام السامي المنيف ، إلى أن حصل منه مطلوبه واقتطف من ثمراته مرغوبه ، وقد أخذ عن سادات أكابر وقادات على مثلهم تجتنى المفاخر ، منهم الشيخ حسن الحموي ابن كديمة والشيخ منصور الحلبي الخلوتي وأبو الطيب المغربي المدني والشيخ صالح الجينيني والشيخ عبد الرحمن العيدروسي والشيخ أحمد الملوي والشيخ محمد الحفني والشيخ أحمد الجوهري والشيخ عمر الزاهد الدمياطي والشيخ حسن الرشيدي والشيخ عبد الله الخواط الحموي والشيخ فرج الحموي والشيخ يوسف الفقيه والشيخ عمر الكردي وعلي افندي الداغستاني والشيخ محمد التافلاتي المغربي وغيرهم .

---

(١) ملخصة من تاريخ الجبرتي في وفيات (سنة ١٢٣٣) .

وأخذ عنه غب أن توطن دمشق الشام سيدي من لنا إليه شريف القرابة ، السيد محمد عابدين ، وأجازه بما تجوز له روايته عن مشايخه المرقومين وغيرهم .ولا زال على افادته واستفادته وتقواه وطاعته ، إلى أن توفي خامس عشر ذى الحجة الحرام ،سنة الف ومائتين وست وثلاثين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن محمد الجديني الشافعي خطيب قرية كفرسوسيا

فقيه زاهد وفقير صابر عابد ، ذو تقوى وصلاح وسكينة ونجاح ، نشأ في العلم والطلب ولم ينظر في تحصيل الدنيا إلى سبب ، قرأ على كثير من العلماء والسادة الفضلاء ، لكنه لازم شيخنا العلامة الفاضل والجهبذ الكامل ، الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي ، فانتفع به كثيراً إلى أن صار حقيقاً بالعلم وجديرا ، وحينما فصل الشيخ سعيد الخالدي من خطابة القرية المرقومة تولى خطابتها المترجم ، فترقى على سلفه وتقدم ، وكان كثير التردد إلي ويعتمد في بعض أموره المهمة علي ، وقرأ عندي رسائل الربع المقنطر والمجيّب إلى أن صار به كما رام وأحب ، وكان فقير الحال ظاهر اللطف والجمال ، جميل العشرة نظيف القشرة . ولم يزل على منهاجه القويم إلى أن خطبته المنية إلى جوار الكريم ، فتوفي ليلة الجمعة ثاني وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة واربع . وفي ليلة الجمعة صلى العشاء بالجماعة بغاية الاعتدال ، فتوعك في الليل قليلا ومات في الحال ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد الانطاكي الحنفي السمرّجي

العالم العامل ، الفقيه الورع المتدين ، الفاضل الكامل الزاهد العابد المتقن ، ولد سنة سبع وعشرين ومائة والف ، وقرأ على المحقق الشيخ حسن

الانطاكي ، وأبي عبد الله محمود بن محمد الانطاكي ولازمه كثيراً وسمع عليه الحديث وغيره وأخذ عنه وانتفع به ، وأجازه هو وغيره من أهل العصر ، بخطوطهم ، وفاق وتنبل وحصل الفضل الذي لا يجحد ، وبرع في الفقه والأصول والفروع ، ولازم العلماء واستفاد ، ثم درس واقرأ وأفاد ، وكتب مسائل الفتوى وراجعته الناس ، وأقبلت عليه العلماء والمُفْتُون ، وعليه قرأ جماعة من ذوي الطلب ، وكان كثير الفضل والديانة ، والزهادة والعبادة والتقوى وحسن السلوك ، وجمال اللطف والمعاشرة ، توفى سنه الف ومائتين وبضع سنين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان الحلبي الحنفي الشماع

فرد زمانه وعالم عصره وأوانه ، زبدة الأفاضل وخزانة الفضائل ، الفقيه الفرضي البياني ، والأصولي المنطقي المُعاني للمعاني ، والمحدث الخبير والناقد الشهير .

ولد بحلب سنة اربع ومائة والف ، وقرأ غالب الفنون على البرهان ابراهيم بن مصطفى الحلبي المَداري ، وأبي عبد الله جابر بن عودة الحوراني الشافعي ، وأبي المحاسن يوسف بن حسين الدمشقي الحسيني المفتي ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن بن همات الدمشقي الحنفي وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلوسي [1] ثم الحلبي وتفقه عليه ، وتخرج في المسائل الشرعية والعقلية ، وقرأ على غيرهم من الأجلاء ، وروى بالسند العالي عن المعمر المسند الكبير زين الدين بن عبد اللطيف الشعيفي الجلّوصي كاتب الفتوى الحنفي المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة والف ، وكتب مسائل الفتوى وراجعه المستفتون واعتمدوه واعتبره العلماء المفتون . ولم يزل محترم القدر مرفوع الرتبة مشهور الذكر ، عليّ المقام سني الاحترام ، حسن الإفادة وافر العبادة صادق الزهادة ، لا يشغله هواه عن الإقبال على مولاه ، إلى أن توفي سنة الف ومائتين وأربع رحمه الله تعالى ونفعنا به .

---

(١) كذا في الأصل .

الشيخ محمد بن حجازي بن محمد الحلبي الشافعي

العالم الفاضل المتقن والعامل الجهبذ المتفنن ، النظار الأصولي الفقيه ، والنحوي الصرفي الجدلي النبيه .

ولد سنة إحدى وأربعين ومائة والف ، واشتغل بالأخذ والقراءة ، فقرأ على أبي الثناء محمود بن شعبان البزستاني الحنفي ، وأبي عبد الله محمد بن كال الدين الكبيسي ، ولازم تاج الدين محمد بن طه العقاد وبه تخرج في أكثر العلوم ، وسمع منه أكثر صحيح البخاري وشيئاً من صحيح مسلم وغيرهما من كتب الحديث ، وأخذ عنه القراءات من طريق الشاطبية وانتفع به ، وأخذها أيضاً عن أبي عبد اللطيف محمد بن مصطفى البصري شيخ القراء بحلب ، وأبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المصري ، وقرأ على أبي السعادات طه بن مهنا الجبريني شيئاً من أصول الحديث وشيئاً من صحيح البخاري ، وحضره في دروسه الفقهية ، وقرأ المنطق وأخذه عن الشهاب أحمد بن ابراهيم الكردي الشافعي مدرس الأحمدية بحلب ، وقرأ المختصر في المعاني والبيان على أبي الحسن علي بن ابراهيم العطار والفية الأصول للسيوطي ، وشرح السراجية ، وقرأ على أبي محمد عبدالقادر الديري المنهاج بطرفيه ، وشرح المنهج للقاضي زكريا الأنصاري ، وقرأ الكثير على الأجلاء وسمع منهم وأتقن وفضل ومهر ونبل ، ودرس وأفاد ، وأقرأ جماعة كثيرين وأخذوا عنه وما منهم إلا من انتفع به واستفاد ، وكان من العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين ، وكان يحترف ويأكل من شغله ، ولا يقبل من أحد إلا ما دعت الضرورة اليه ، يغلب على حاله الزهد والعفاف والرضى برزق الكفاف . وكان قليل الاختلاط بغيره ، لا يألف إلا ما يفوز منه بخيره ، كثير العبادة والتقوى شديد الاقبال على عالم السر والنجوى ، دائم التفكر في الله لا يشغله عنه سواه .

مات بعد سنة خمس ومائتين والف [١] .

الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن فتيان بن محمد بن فتيان بن عثمان الحلبي الشافعي العقيلي

الخلوتي العالم الفقيه الفاضل والألمعي اللوذعي الكامل ، والعامل الهمام والجهبذ الامام .

ولد سنة سبع وأربعين ومائة والف وقرأ القرآن العظيم وحفظه على شيخ القراء الشمس محمد بن مصطفى البصيري الحلبي ، وعلى والده عبد اللطيف المقري ، والشهاب أحمد البصراوي وغيرهم . وتفقه على أبي محمد عبد الهادي المصري ، وعلى الشيخ أبي عبد الوهاب بن أحمد المصري وقرأ عليه التحرير والشربيني ، وقرأ المنهاج والمنهج وغيره من كتب المذهب على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري . ولما قدم حلب أبو عبد الله محمد بن محمد الطيب الفاسي المغربي وعقد مجلس الاقراء والتحديث ، سمع منه الصحيح للامام البخاري وأجاز له ، وسمع الشمائل على أبي محمد عبد الكريم ابن أحمد الشراباتي وأجاز له أيضاً ، وسمع أيضاً على أبي اليمن محمد بن طه العقاد وغيره . وقرأ في العربية على أبي العدل قاسم بن علي التونسي المالكي وعلى أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد المكتبي وأخذ عنه بعض الطرائق ، وقرأ في الفرائض على أبي الفضيل عثمان بن عبد الرحمن العقيلي

---

(١) أضاف الأستاذ الطباخ — بعد نقله هذه الترجمة — ما نصه ، اقول : وله من المؤلفات منظومة في علم الفرائض ، سماها « العقود البرهانية » شرحها الشيخ عبد الله الميقاتي المتوفى سنة ١٢٢٣ وشيخ مشايخنا العلامة أحمد الترمانيني المتوفى سنة ١٢٩٣ في أربع كراريس ، وشرحها شيخنا الفاضل الشيخ كامل الهبراوي شرحاً أفاد فيه وأجاد ، وقد قرظت هذا الشرح المفيد في جملة من قرظه اهـ (ج ٧) من تاريخ حلب .

الحلبي ، وأجاز له غالب شيوخه بالاجازة العامة ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن أبي الفتوح محمد كال الدين بن مصطفى البكري الصديقي ، والرفاعية عن قريبه الشهاب أحمد بن محلول الزنار والطريقة العقيلية عن أقاربه عن أسلافهم ، وتفوق وفضل وتفقه ونبل ، ودرس في جامع التوبة خارج باب النيرب ، وأقام الذكر والتوحيد في مقام ولي الله تعالى جاكير ، وكان بحلب من المشايخ المعروفين بالفضل والصلاح ، وكان من جملة من أخذ عن المترجم وانتفع به وبعلومه مفتي دمشق الشام محمد خليل أفندي المرادي ، وأجازه بما تجوز له روايته عن مشايخه ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف حين كان في حلب . وما زال المترجم على حالة صالحة واستقامة راجحة ، إلى أن دعاه داعي المنون إلى دار من أمره بين الكاف والنون ، وذلك سنة ألف ومائتين و [1] .

الشيخ محمد بن عبد الكريم بن احمد بن محمد علوان بن عبد الله الحلبي الشافعي الشهير كاسلافه بالشرباتي مفتي الشافعية بحلب

العالم المحدث الفقيه البركة الورع الصالح أحـــد الفقهاء المشهورين من المتأخرين .

مولده سنة احدى وثلاثين ومائة وألف ، واشتغل بالقراءة والتلقي والسماع والاستفادة فقرأ على والده وعلى أبي السعادات طه بن مهنا بن يوسف

---

(١) في تاريخ حلب للأستاذ الطباخ ـ بعد نقل هذه الترجمة وعزوها إلى حلية البشر ما يأتي ، اقول : وكانت وفاته سابع رجب (سنة ١٢١٠) كما هو مسطور على لوح قبره في تربة الشعلة ، وبجانب قبر الشيخ محمد المترجم ، قبر والده الشيخ محمد ، وكان فاضلاً صالحاً متقللا من الدنيا ملازماً العبادة وتلاوة الأوراد ا هـ .

الجبريني وغيرهم ، وسمع صحيح البخاري على أبي عبد الله محمد بن صالح ابن رجب المواهبي ، وأخذ عن محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالكي عند قدومه إلى حلب وسمع منه ، ومن أبي عبد الله محمد بن محمد التافلاتي المغربي ، وأجاز له الأستاذ أبو الارشاد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي الدمشقي ، وجمال الدين محمد بن أحمد عقيلة المكي وأبو البركات عبد الله بن الحسين السويدي البغدادي عند دخولهم حلب ، وسمع منهم حديث الرحمة وأجازوه مع أخيه مصطفى ، وسمع الكثير منهم ، وحصل الفضل الذي لا ينكر ودرس وأقرأ الفقه والحديث وغالب الفنون .

وكان يستقيم بجامع عبيس بساحة بزّة [1] وأفتى مدة سنين ، وصار رئيس الشافعية بحلب ، وتردد إليه الناس للاستفتاء ، وكان متواضعاً صالحاً وعالماً فاضلاً ، لين الجانب حسن المناقب ، جميل المعاشرة حسن المحاضرة . توفي رحمه الله تعالى يوم السبت خامس عشر شوال سنة ثلاث ومائتين وألف .

الشيخ محمد بن محمد الاريحاوي الحلبي الشافعي

العالم المحقق العامل الامام المدقق الكامل . مولده بأريحا سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، وقرأ بها بعض المقدمات ، وارتحل إلى مصر وأقام بها ولازم الشيوخ ، وقرأ على الكثير معظم الفنون ، واشتغل بالأخذ والتلقي والسماع والتحصيل ، وأخذ عن كثير ، منهم النجم الحفناوي ، والشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملتوي ، وأبو علي الحسن بن أحمد المدابغي ، وأبو مهدي عيسى البراوي وغيرهم ، ودأب واجتهد حتى اتقن وفضل ومهر ،

---

(١) في تاريخ حلب : لا زال هذا الجامع عامراً تقام فيه الجمعة ، وهو عامر بالمصلين الأوقات الخمس ، وقد اعتنى أهل تلك المحلة في ترميمه فجزاهم الله خيراً .

وأذن له شيوخه بالافتاء والتدريس ، وأجازوا له ، ثم عاد إلى حلب بفضل وافر ، وأقام بها ينشر الفضائل ويفيد الأفاضل ، وتصدر للافادة والاقراء ، ولازمه جماعة كثيرون وانتفعوا به ، ثم ضرب عن ذلك صفحاً ورام ما هو أعظم ربحاً ، واعتزل الناس واشتغل بالعبادة والسكون ، وانزوى في داره مع الورع والزهد التام ، واعتقده الناس وأقبلوا عليه ، وكانت فضائله مشهورة وأحواله مذكورة . ولم يزل على حالته الحسنة حتى مات في صفر سنة أربع ومائتين وألف ودفن بتربة الشيخ أبي نمير خارج باب قنسرين .

الشيخ محمد مكي بن موسى بن عبد الكريم الحلبي الحنفي

العالم الفقيه الأصولي المقري الضابط الصالح أبو الاتقان ، أحد القراء والحفاظ المشهورين ، والفضلاء البارعين بحلب .

مولده بها سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، وكان جده من دمشق وارتحل إلى حلب ، ومات بها قرأ القرآن العظيم وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وحفظه على الأجلاء من القراء ، كالشمس البصري ومحمد بن عمر الشاهين وعبد الغني المقري بمحلة الجديدة وعلي المصري وأتقن الحفظ وضبطه ، وحفظ الشاطبية وقرأ السبعة من طريقها على الشمس البصري شيخ القراء المذكور ، وشرع بالأخذ والاشتغال بالعلوم ، فقرأ الفقه والأصول والعقائد والمنطق والنحو والصرف والمعاني والبيان وغالب الفنون على جماعة ، وأسمع الحديث على جمع ، منهم أبو عبد القادر محمد بن صالح بن رجب المواهبي ، قرأ عليه الدرر وشرح النخبة في أصول الحديث والتوضيح لابن هشام وشرح الألفيـــة للأشموني والشفاء للقاضي عياض ، وعلى والده عماد الدين اسماعيل أكثر من نصف الهداية ، وشرح الجوهرة في التوحيد ، وسمع عليه

صحيح البخاري ، ومنهم قاسم بن محمد النجار قرأ عليه عدة كتب فقهية ، وأبو الحسن علي بن ابراهيم العطار قرأ عليه الدر المختار للحصكفي والقدوري ، وطالع عليه كتباً كثيرة كالبحر والذخيرة وشرح الكنز لابن سلطان والبدايع ، وقرأ عليه النصف الأول من الهداية أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلسي ، وأخذ الأصول عن محمد حاجي بن علي الكليسي مفتي الحنفية بحلب ، وقرأ على أبي محمد يوسف بن أحمد الجابري وعلى أبي الثناء محمود بن سفيان البزستاني وأبي محمد عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني والشيخ رضي الدين بن عثمان الشماع .

ودخل دمشق وسكن المدرسة المرادية في جوار الجامع الأموي ، ولازم زين الدين مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي الدمشقي ، وحفظ عليه نصف الكنز ، ثم لما عاد إلى حلب أتم حفظه على شيخه محمد المواهبي ، وأجاز له غالب شيوخه بالاجازة العامة ، وكتبوا له خطوطهم ، وتفوق وضبط القراءة بوجوهها وحفظها وتلا ورتل القرآن العظيم أحسن ترتيل ، وكان من القراء الموصوفين بالتقوى والديانة والفضل . واجتمع بالسيد خليل أفندي المرادي سنة خمس ومائتين وألف ، وأخذ كل عن الآخر وأجاز كل الآخر بالاجازة العامة ، ولم يزل على حالة صالحة وعبادة راجحة ، إلى أن توفي سنة ألف ومائتين ونيف [١] .

الشيخ محمد بن عمر بن شاهين الحلبي الحنفي الرفاعي الشاذلي

شهاب الدين أبو الفضل ، الصوفي الزاهد الورع ، العالم الفاضل المقرىء ، أحد الأجلاء من القراء والمشايخ النبلاء .

مولده سنة ست وثلاثين ومائة وألف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه

---

(١) في تاريخ حلب : المتوفى بعد سنة ١٢٠٥ .

على أخيه عبد القادر ، ثم جمع على أبيه وعلى الشمس البصيري بالروايات السبع وقرأ القراءات وأتقن وضبط ، وقرأ الحديث والفقه على أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري الأزهري نزيل حلب ، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وتخلف بعده . وقرأ على أبي السعادات طه بن محمد الجبريني وأبي محمد عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني وغيرهم ، وأخذ الطريقة الرفاعية عن خير الله بن أبي بكر بن الصياد الرفاعي ، والطريقة القادرية عن أبي علي عمر بن ياسين بن عبد الرزاق الكيلاني الحموي ، والطريقة الخلوتية عن أبي محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد البخشي . وأجازه الجميع وكتبوا له خطوطهم ، وخلفوه وأذنوا له بالارشاد ، ولازم الطريقة الشاذلية بعد شيخه عبد الوهاب المذكور ، وأقام الأذكار والتوحيد ، واختلى كعادتهم ، وأقرأ القرآن العظيم بالروايات ، وأخـــذ عنه القراآت وبقية الفنون أناس كثيرون وانتفعوا به ، وأخذ عنه الطريق جمع كثير . وبالجملة فقد كان من خيار الناس وعلمائهم وفضلائهم ، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف (١) .

السيد محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري

العالم الأستاذ والعمدة الملاذ ، ترجمه ولده الفاضل الشيخ محمد ، وقد نقلت من خطه بأنه يتصل نسب المترجم بسيدنا الحسن سبط رسول الله ﷺ ، وأنه ولد عام الف ومائتين وثمانية عشر في جبل هلالة من جزائر المغرب ، ونشأ بها وقرأ القرآن على والده ، وكان رحمه الله تعالى عالماً عاملا ، تقياً فاضلا ، فلمـا حفظ القرآن وأتقنه مجوداً أبدع اتقان ، توجّه إلى بلدة مازونة سنة الف ومائتين وخمس وأربعين واشتغل بالعلوم الشرعية ، وحفظ

(١) في تاريخ حلب : المتوفى سنة ١٢١٩ .

متن الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك وقرأ بعض شروحه ، وبعدها توجه إلى قسنطينة سنة الف ومائتين واثنتين واربعين ، وهي بلدة عظيمة بينها وبين مدينة الجزائر نحو خمس مراحل لطلب العلوم التي ترام ، والأخذ عن علمائها الأعلام ، وفي سنة الف ومائتين وست وأربعين رجع إلى الوطن ، واشتغل بنشر العلوم وفصل القضايا بين الناس ، كما كان ذلك دأب والده قدس الله سره .

وفي سنة اثنتين وخمسين توجه إلى أداء فريضة الحج الشريف ، وجاور في المدينة المنورة سنتين ، ثم قدم إلى مصر القاهرة للمجاورة في جامعها الأزهر ، فأخذ عن اكابر علمائها المحققين كشيخ الإسلام العلامة الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ محمد عليش المالكي والشيخ السقا والشيخ المبلط وغيرهم ، وأجازه كل منهم بما حواه ثبت الشيخ محمد الأمير أو صحت له روايته عن غيره إجازة عامة ، وفي عام ثمانية وستين قصد دمشق الشام وجعلها له دار مقام ، وعكف على التدريس في مدرسة دار الحديث ، في المنقول والمعقول ، وتصدر للافتاء ، وفصل القضايا بين المهاجرين من المغاربة بأمر سيدنا المرحوم الأمير السيد عبد القادر الحسني ، وكان من قبل قد أخذ الطريق الخلوتية ، وصاحب جملة من أهل الله تعالى منهم المرحوم سيدي علي بن عيسى البكري الخلوتي في بلاد الغرب ، ولما توجه إلى مكة المشرفة تلقن الطريقة السنوسية الادريسية على سيدي الشيخ محمد السنوسي ، وفي الديار الشامية لازم سيدي الشيخ محمد المبارك البكري الخلوتي ، حتى توفي قدس الله سره العزيز ، ثم اشتغل بالطريقة الشاذلية وصحب بعض أهلها كالأمير السيد عبد القادر الجزائري ، ولم يصده الاشتغال بالعلم الظاهر عن المجاهدة في علم الله تعالى ، وكان لي معه حضور واجتماع ، ومذاكرة وملاطفة وعشرة قوية ، ومحبة كثيرة وتودد غزير ، وكان عابداً صالحاً تقياً فالحا ، مكباً على العلم والعمل ، وكان مقيماً في مدرسة دار الحديث في العصرونية من

دمشق المحمية ، في الصف الشرقي من الطبقة السفلى ، وكان كثير العزلة عن الناس مقبلاً على المجاهدة والاقبال على ما يعنيه ، إلى أن خطبته المنية لدار نوال الأمنية ، في أواخر جمادى الثانية سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين في دمشق ودفن بها .

الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ حسن القبرستاني الشافعي

مولده في قبر الست سنة الف ومائتين وعشرين ، والنسبة إليها قبرستاني على غير قياس ، وأصل اسمها قبل دفن الست بها راوية ، وهي قرية من جهة الشرق إلى القبلة من الشام ، بينها وبين الشام نحو ثلاثة أميال ، وقد دفن في هذه القرية السيدة زينب أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب ، أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ تزوجها عمر رضي الله تعالى عنه وأصدقها أربعين ألفا ، ولدت له زيداً الملقب بذي الهلالين ، ولم يبق للامام عمر منها ولد ، ودفنت بهذه القرية وسميت القرية باسمها ، وقبرها في وسط القرية ، داخل جامع عظيم معمور بالعمارة اللطيفة ، وقبرها الشريف في وسط الجامع معمور بالعمارة اللطيفة ، وله شهرة عظيمة يقصد في كل وقت للزيارة ، وينذر لها في الحاجات [1] وما ذكره في محاسن الشام من أن قبرها الشريف في باب الصغير ، غير معروف عند أهل دمشق ، وكان المترجم المذكور خطيباً وإماماً في ذلك الجامع ، وكان عالماً أديباً لطيفاً صاحب همة عالية ، وكان قد قرأ على والدي التحفة لابن حجر الهيثمي من أولها إلى آخرها ، وقرأ عليه أيضاً عدة فنون كالنحو والتوحيد والمعاني والبيان والفرائض والحساب وغير ذلك ، وكان في كل يوم يحضر من القرية المرقومة إلى الشام

(١) المؤلف رحمه الله يصف الواقع ، ولكنه يعلم ما ورد في الأحاديث الصحيحة من الوعيد الشديد على اتخاذ القبور مساجد ، وأما النذر لشفاء مريض أو ردّ غائب ونحو ذلك ، فلا يكون إلاّ لله وحده ، والنذر للمخلوق لا يجوز ولا يؤكل منه شرعا ، ويقال : اللهم تقبل هذا النذر أو الصدقة ، وتفضل بجعل ثوابها لفلان

لأجل الدرس ولا يقطع في صيف ولا في شتاء ولا في خريف ولا في ربيع ، حتى انه ربما يكون في بعض أيامه منحرف المزاج ولا يترك الدرس ، وكان لطيف المعاشرة حسن العبارة كريماً في بيته بشوشاً كثير المذاكرة في المسائل العلمية خصوصاً في مسائل الفرائض والمناسخات ، فإنه كان صاحب ولع عظيم في ذلك . وكان حسن الاخلاق طيب الأعراق ، متواضعاً منقطعاً للطلب والعبادة والمطالعة والعمل ، وكان يعتمد عليه في الاستفتاء فكانت أهالي القرايا القريبة إليه من أهل المرجين والغوطة يحضرون إليه ويعتمدون عليه ، ويسألونه عن قضاياهم ، ويأخذون منه الفتوى لاقناع خصمهم ، فيقنع بها بعد تحققها ولا يردها . وكان لا يفتي في مسئلة سواء كانت مما يتعلق بالعبادات أو المعاملات إلا بعد المراجعة والوقوف على النص .

وبالجملة فانه كان قليل المثال خصوصاً في القرايا فان وجود مثله نادر ، وما زال على عبادته وتقواه واقباله على مولاه في سره ونجواه ، وتمسكه بالافادة والاستفادة وسلوكه في مناهج السادة القادة ، إلى أن دعاه إلى الآخرة والدار الفاخرة ، هادم اللذات ومفرق الجماعات . وذلك قريباً من سنة ألف ومائتين وثمانين ، ودفن هناك في القرية وقبره ظاهر معروف مشهور .

الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى بن الشيخ يوسف
ابن الشيخ علي الطنطاوي الازهري

انسان طَرَّف الفضل ومقلة مآقيه ، وفارع هضبة البيان وراقي مراقيه ، زرّت على الفضل أطواقه : وما اهتاجت الا للكمال أشواقه ، ترقى في معارج العلوم إلى أن استوى على عرش المنطوق والمفهوم ، فلا ريب أنه في النباهة آية ، لم تفته من مطالبه غاية ، فكل خاطر ينفد الا خاطره ، وكل سحاب ينفد الا سحاب يسح من فكره ماطره . تحلى بالصيانة والزهد ،

وبذل في الاقبال على الديانة الجهد ، ان أطلق لسانه في التقرير والبيان ، تذكرتَ قول حجة الاسلام : ليس في الامكان ، وان جلس في مجلس عمه السرور ، وخالَه الحاضرون أنه من اللطف والرقة مفطور . له من النباهة مكان مكين ، يطلع له من كل ناحية على جيش البلاغة كمين ، ومع وقاره الذي يعرف ، يبدو له من النكات ما يستملح ويستطرف .

ولد في طنطا سنة احدى وأربعين ومائتين وألف ، ومات أبوه وعمره أربع سنين ، وماتت أمه وعمره ست سنين ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، على الشيخ محمد الشبرويشي ، ثم دخل جامع السيد البدوي للطلب ، فقرأ على السيد محمد أبي النجا المشهور صاحب الحاشية والشيخ عبد الوهاب بركات والشيخ علي حمزة مدة ، وانتفع بهم وأجازوه بالاجازة العامة ، ثم سافر مع أخيه الأكبر إلى بلاد الروم وبلاد الترك ، ثم دخل حلب وقرأ على الشيخ أحمد الترمنيني وغيره ، وأجازوه ، ثم رحل إلى الشام سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين ، وقرأ على الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وأخذ طريقة النقشبية على المرشد الكامل الشيخ محمد الخاني الخالدي ، فانتفع به حتى صار إذا ذهب إلى مكان يجعله خليفة عنه ، ثم إنه في سنة ألف ومائتين وستين عاد إلى مصر ، ودخل الجامع الأزهر ، وانقطع للطلب بهمة وجد واجتهاد ، فقرأ على شيخ الأوان الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ ابراهيم السقا والشيخ عليش المغربي والشيخ مصطفى البلتاني والشيخ مصطفى المبلط والشيخ محمد الخضري ، وأكثر قراءته عليه في العلوم الغريبه كالميقات والفلك والجبر والمقابلة ، إلى أن صار إماماً في العلوم العقلية والنقلية ، مع شدة ذكائه وحفظه ، ثم رجع إلى الشام واستوطن دمشق في محلة الميدان سنة ألف ومائتين وخمس وستين ، وجلس في حجرة في جامع سيدنا صهيب الرومي ،

فأقبل عليه الطلبة ، ولم يزل يقرىء الطالبين إلى سنة ألف ومائتين واثنتين وسبعين ، توفي والدي فحضرت عنده في دروسه كلها ، ولم أزل أقرأ عليه إلى سنة ألف ومائتين وثمان وسبعين .

رحل المترجم المرقوم إلى داخل البلد بأمر حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري ، فاستأجر له داراً وعين له معاشاً ، وأرسل إليه جميع أولاده للقراءة عنده ، فكان يقرؤهم ويقرىء غيرهم في حجرته في مدرسة البدرقية ، وكان مع ذلك يشتغل بحساب جداول مما يتعلق بالجيوب وغيرها ، مما له تعلق بعلم الفلك والميقات والربع المقنطر والمجيب والاسطرلاب[1] ، وقد قرأت عليه جملة رسائل مما يتعلق بذلك .

وفي سنة ألف ومائتين وتسعين حصل خلل في بسيطة منارة جامع بني أمية المسماة بأذنة العروس ، فحسب المترجم سائر أعمالها وجعل لها جداول بعدة الأعمال ، ورسم غيرها وأزالها ، ووضع بسيطته في مكانها ، وكنت في معيته حين رسمها من ابتدائها إلى انتهائها . وله أيضاً رسالة حسبها في رسم الربع المقنطر ، لعرض دمشق لحـ وقد رسمت عدة أرباع على حسابها . والحاصل أنه في كل علم عمدة ولكل مشكلة عدة ، رقيق القلب رحيم ، سخي الكف كريم ، غير أن دهره قد عانده وعاكسه في آخر أمره وما ساعده ، وهذا من دأبه مع أهل الفضائل ، وذوي المآثر والشمائل ، إلا أن المترجم يقابل ذلك بالتسليم والرضى ، ويعلم أن ذلك مما جرى به القدر والقضاء . ومن نظمه في مديح راشد باشا والي ولاية سورية لأمر اقتضى ذلك :

أضحت دمشق ببهجة ومسرة ... تزهو على كل البلاد بنضرة
تهفو القلوب إلى محاسنها التي ... خصت بها من بين كل مدينة
وغدت تطاول كل قطر بالذي ... حازته من مخزون أعلى رتبة
فأقرت الأقطار طراً أنها ... من بينها خصت بكل فضيلة

(١) ينظر التعليق السابق على هذه الأرباع والآلات الفلكية ، (ج ٢ ص ٦٣٠ من الحلية) .

وبلاد سوريا اكتست من حسنها حللاً فعمت أهلهـا بمسرة
لا تعجبوا والي حماهـا راشد بل مرشد والرشد أعلى خلة
ومحمديّ الخلق وهو محمد ولذاته كل القلوب أحبت
أحيا بها العدل الذي ياطالما تاقت له كل النفوس وحنت
والأمن قد عم الأنام جميعهم فتقلدوا منه بأوفى منة
شهم تهاب الأسد سطوته فما أبقى لأهل الشر أدنى شوكة
وبحلمه وسع البرية كلهـا وله على الأعداء أعظم سطوة
متهلل بالبشر تلقـاه وقـد ملئت قلوب الخلق منه بهيبة
ورث المكارم كابراً عن كابر متحلياً منهـا بأعظم حلية
سحبان عند بيانه هو باقل والبحر عند نداه أصغر قطرة
لا عَيب فيه غير أن نزيله لا ينثني إلا بأعظم غبطة
لمـا خشيت الظلم لذت ببابه فظفرت من عدل بأعلى بغية
وحباني من اكرامه ببشاشة ولطافة من غير سابق عرفة
فأخذت في شكري لأنعمه فما أديت شكراً واجباً للنعمة
فعلمت أني لا أطيق سوى الدعا لجنابه كيما أفوز بسنة
فأقول يارب العباد أدم له عزاً وجنبه لكل كريهة
وافسح لنا في عمره يارب نـا وانله مـا يرجوه من أمنية
فإليك يا رب البيان قصيدة بصفاتكم جملت وان تك قلت
نرجو القبول تفضلاً وتكرمـا والعفو عن تقصيرهـا بالمرة
أبقاك ربي سالمـاً كل المدى ما غرد القمري فوق الأيكة
ومحمد الطنطاوي أنشأ قائـلا أضحت دمشق ببهجة ومسرة

وله قصائد كثيرة وتقيدات شهيرة ، لا يحسن استقصاؤها للخروج عن المطلوب من الاختصار ، وكذلك لو اردت أن أذكر عفته وتفصيل تعيين الحكومة له مقادير من المعاش ولم يقبلها ورعاً وزهداً ، لأدى المقام إلى

الخروج عن المرام . وفي سنة خمس وثلاثمائة والف رسم بسيطة في ميدان دمشق الشام في جامع الدقاق المعروف بكريم الدين إلا أن البسيطة التي في جامع بني أمية كان حسابها على الأفق الحقيقي ، وأما هذه الثانية فإنها على الأفق المرئي ، فلذلك كانت الثانية أحسن من الأولى ، لأنها لا تحتاج إلى الالتفات لدقائق الاختلاف ، وتم عملها ورسمها وحفرها ، وصنع لها مكان في المنارة لوضعها فيه في أول برج الجدي ، فعاجله المرض قبل ذلك ، وتوفي غرة جمادى الأولى عام الف وثلاثمائة وستة ، ودفن في تربة باب الصغير قرب مدفن سيدنا بلال من جهة الغرب ، ولم يتخلف عن جنازته إلا ما ندر من السوقة والأخيار والأعيان ، سقى الله ثراه صبيب الرحمة والغفران ، وبعد موته بقليل قد وضعت في مكانها ، والأوقات تستفاد منها بغاية الضبط ، جزاه الله خيراً وأعظم له منة وأجرا (١) .

محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الاريحاوي الشافعي الشهير كوالده بالعاري أبو عبد الرحمن شمس الدين

الشيخ العالم الفاضل المفتي الفقيه الشهير النسابة خاتمة اجلاء بلدته . مولده بها سنة ثمان ومائتين والف ، وقرأ على جده ووالده وانتفع بهما وأخذ عنهما الكثير وسمع عليهما ، ورحل إلى ادلب وسمع بها الحديث

---

(١) في منتخبات التواريخ لدمشق في ترجمته رحمه الله وبالجملة : إن صاحب الترجمة تفرد في علم الهيئة السماوية والفلك بعد ابن الشاطر (الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٧) الذي أخذ عنه علماء الغرب ودونت مؤلفاته ، والمترجم آثار كثيرة ، منها في حساب البسيط والربع ورسمه ، رسائل كثيرة لم تقف عليها ، وله كشف القناع ، وله تقريرات مهمة على جميع الكتب التي كان يقرؤها ، تشهد بعلو باعه وفضله ، (مات سنة ١٣٠٦) .

وغيره عن الشهاب احمد الكاملي المفتي ، واخذ الطريقة الرفاعية القصيرية عن العماد اسماعيل بن محمد القصيري وحصلت له بركته ، وأفتى بأريحا بعد والده وخطب ، وأم بجامعها قدر ستين سنة ، ودخل عام حجه دمشق الشام ، وكان له نظر دقيق وشعر رقيق . فمن شعره مخمساً قصيدة الإمام الشيخ عبد الرحيم البرعي :

على الاحباب قلبي ان أنّـا وصرت بهم حليف ضنى معنى
ولما أن بدا ليلي وجـنا سمعت سويجع الاثلات غنـا
على مطلولة العذبات رنا

وأجرى دمعه من فوق خد على إلف له يبكي لفقد
ولما بان منه عظيم وجد أجابته مغرّدةٌ بنجد
وثنت بالإجابة حيث ثنى

فزاد بيَ الهوا وجفوت قومي ولم أعرف متى أمسي ويومي
وكيف العاذلون يرون لومي وبرق الأبرقين أطار نومي
وأحرمني طروق الطيف وهنا

وجهز فاتني للحرب جيشاً وعقلي زاده التعنيف طيشا
ذكرت مغانيـاً جمعت قريشاً وذكرني الصبا النجدي عيشا
بذات البان ما أحلى واهنى

وأنعش ذلك التذكار حسي وطابت بالتهاني منه نفسي
ومذ راق الطلا وأدير كأسي ذكرت أحبتي وديار أنسي
وراجعت الزمان بهم فضنا

وأورثني عقيب البشر هما وأقلقني فزدت لذاك غما
وصرت كأنني اسقيت سما وكاد القلب أن يسلو فلما
تذكر أبرق الحنان حنا

وعاد له سرور بعد ضيق بهم بساكني وادي العقيق

انادي لاعدمتك من صديق ترفق بي فديتك يا رفيقي
فمـــا عين سويهرة كوسنا

اعلل منك نفسي بالأمـــاني لأحظى من حبيبي بالتداني
فساعدني على ما قد دهاني وقف بي بالطلول وبالمغاني
لأندب يا فتى طللا ومغنى

فقد يجدي البكا لشج محب ويبلغ راحة من غير كرب
فلا تلم الشجي بغير ذنب لعل النوح يطفي نار قلب
يقلبه الهوى ظهراً وبطنا

أقام بي السقام فلا تلمني ومن عذل فديتك خل عني
فان الحب فيهم صار فني اعيذك ما بليت به فإني
على أثر الفراق شجي معنى

ودمع العين فاض كفيض سحب وصرت مولعـــاً أبكي بندب
قتيل صبابة وأسير حب أشارك بالصبابة كل صب
إذا ما الليل جن عليه جنا

متى ألقى السرور مع التهاني وأحظى بالذي حقا سباني
وحين سكرت من صافي الدنان ولعت بحيرة الحي اليماني
ولوعاً زادني كمداً وحزنا

ومن عظم المصائب لست أدري وقد ضيعت في العصيان عمري
ودائي موصل أبداً بدهري ولو بسط الهوى العذري عذري
لما قاسيت سنة قيس لبنى

وروحي لم تزل تهوى لربع تفرق أهـــله من بعد جمع
وعادت عبرتي تجري بهمع أكاتبهم وقد بعدوا بدمع
فرادى في محاجره ومثنى

وعيني لا يفارقها سهادي بعشق أحبتي منعوا رقادي
أضر بي الغرام وكم أنادي فلا أدري أهم ملكوا فؤادي
بعقد البيع أم ملكوه رهنا

غدا شغفي بهم سراً وجهرا وفي حبّي لهم شرفت قدرا
فما لي غيرهم في الكون ذخرا ثملت بهم وما خامرت خمرا
معتقة وما دانيت دنا

لزمت حماهم فازددت فضلاً لأنهم زكوا فرعاً وأصلا
ومنذ لقيتهم ناديت أهلا ألا يا ساجع الأثلات مهلا
ففي الأيام ما أكفى وأهنا

تقرب يا فتى لتنال نفعا من المحبوب وانح إليه سرعا
ولا تندم على ما فات قطعا تأنَ ولا تضق بالأمر ذرعا
فكم بالنجح يظفر من تأنى

وكم رزق الإله لكل جانٍ واحرم بعض ذي عقل وشان
وليس لحكمه في الملك ثان فبالأرزاق يرزق كل عان
بلا سعي ويحرم من تعنى

ومن لم يشكر النعماء فظ غليظ الطبع لم ينفعه وعظ
لأن الشكر للانعام حفظ ولم يفت الفتى بالعجز حظ
ولا بالحزم يدرك من تمنى

فلا تعجل ولازم التأني تنل ما تشتهيه من التمني
وخذ مني النصيحة واحك عني وان تر ما ترى مني فإني
لهجت بمنصب الحسن المثنى

احاول مدح من جا بالمثاني ومن هو عمدتي فيما دهاني
مدى الأيام في طول الزمان لساني ينتقي زبد المعاني
ويودعهن شمس الكون ضمنا

ومالي مسعف عند المصير سوى الماحي المظلل في الهجير
به ألقى النجاة وكل خير ومدح محمد غرضي وغيري
إذا غنى حكى الرشأ الأغنا
فطه للنوائب أرتجيه [١] ومن ألم وشر أختشيه
لهجت بذكره فنشدت فيه رعى الله الحجاز وساكنيه
وأمطره العريض المرجحنا
وأكرم ساحة دامت صفاء بخير العالمين وازدهـــاء
وأسعد بقعة كثرت رخاء وأخصب روضة ملئت وفاء
ومرحمة واحسانا وحسنا
وأرضا تربها خير البطاح وقاصدها يبشر بالنجاح
نمت شرفا بسلطان الملاح وقبرا فيه من ملأ النواحي
هدى وندى وإيماناً ويمنا
أجل المتقين ومصطفاهم ملاذ العاجزين وملتجاهم
ختام الأنبياء وقد علاهم إمام المرسلين ومنتقاهم
وأكثر غيثهم طللا ومزنا
وأجلهم خصالاً ثم وصفا وأكملهم نهى وسنا ولطفـــا
غدا للواردين عليه كهفا وأسرعهم إلى الملهوف عطفا
وأسمعهم لداعي الخير أذنا

---

(١) يقول تعالى في سورة الجن : « فلا تدعوا مع الله أحدا » ويقول أيضاً في نفس السورة : « قل اني لا أملك لكم ضرّا ، ولا رشدا » فلماذا لا نخص الدعاء بمن له الأمر كله ؟ « آمنا به وعليه توكلنا » .

وأفضل واطىء حزناً وسهلا وافخر من نشأ طفلاً وكهلا
وأطهر من زكا نسباً ونسلا وخير مغارس الأكوان أصلا
وأطيب منشأ وأعز غصنا

رسول الواحد الملك المهيمن غياث الخائفين[1] بكل موطن
من الأهوال ينقذ كل مؤمن نمته دوحة قرشية من
مدائحها ثمار الخير تجنى

شفيع للأنام بلا محال وركن للخلائق في مآل
وكم في الحرب أردى من رجال أتى والجاهلية في ضلال
وكفر تعبد الحجر الأصنا

وكانوا غافلين وقد أضلوا وعن طرق السبيل الحق ضلوا
وما قد حرم الباري أحلوا فجاء بملة الإسلام يتلو
مثاني في الصلاة الخمس تثنى

فحازوا منه تقريباً ووصلا وإيماناً ومطلوباً وسؤلا
وعلمهم فروضاً ثم نفلا وبدلهم بجور الشرك عدلا
وبالخوف الذي وجدوه أمنا

فطاب لهم به إذ ذاك عيش وقد ألفته في البيدا وحوش
ومدته ملائكة جيوش لقد خسرت بفرقته قريش
وكان لهم لو اعتقدوه ركنا

أتاهم منذراً فأبوا وهموا باخراج له وطغوا فذموا
وللايمان أصلا لم يؤموا دعاهم واعظاً فعموا وصموا
فأعقب وعظهم ضرباً وطعنا

---

(١) غياث الخائفين والمستغيثين ، هو الله رب العالمين « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » الأنفال .

فحينئذ أهابوه جهارا ومنهم من نأى عنه نفارا
فولوا خوف سطوته فرارا وأمضى الحكم في القتلى بوارا
وفي الأسرى مفاداة ومنا

وأمسكهم جميعاً بالنواصي فلم يجدوا طريقاً للخلاص
وأوثق منهم دان وقاص وانزل باغضيه من الصياصي
ولم يترك لهم في الأرض قرنا

فلم يلقوا لهربهم سبيلا وكم أدمى من الأعدا قتيلا
وفوق الترب صيره جديلا غدا متقلداً سيفاً صقيلا
ومعتقلا أصم الكعب لدنا

فقاتلهم وحاربهم بجد ويرمى بالنبال كقدح زند
وأرعبهم وأذهلهم بجند وصابحهم وراوحهم بأسد
على جرد طحن الأرض طحنا

أذاقهم الهوان مع الوبال وأثخنهم جراحاً بالقتال
ونكس كل أعلام الضلال وكم رفعت له الهمم العوالي
مراتب في عراص المجد تبنى

فأحمد كان للأسرار معدن رفيقاً بالذي للحق يذعن
فأنعم في المضيق به وأحسن وكم للهاشمي محمد من
محامد عمت الأقصى وأدنى

ولولا المصطفى ما كان ركب ولا كون ولا بعد وقرب
ولا شمس ولا شرق وغرب ولو وزنت به عجم وعرب
جعلت فداه ما بلغوه وزنا

مغيث للعصاة لهم طبيب إذا ما الدمع منهمل سكيب

وذو قدر له جاه رحيب إذا ذكر الخليل فذا حبيب
عليه الله في التوراة أثنى
وكان لمن تولاه وَصُولا وحاز بليلة الاسرا وصُولا
وكرمه وآتاه قبولا وبشرنا المسيح به رسولا
وحقق فضله وسمى وكنى
فكرر فضله تحظى وتظفر بكل القصد والاحسان وانشر
ولازم دائماً المدح واشعر وإن ذكروا نجيّ الطور فاذكر
نجي العرش مفتقراً لتغنى
نبي قد سعى للحق سعياً حميداً مخلصاً أمراً ونهيا
أبان الشرع إثباتاً ونفياً وان الله كلم ذاك وحيا
وكلم ذا مشافهة واذنا
وقربه وأدناه اليه ونور حارت الأفكار فيه
فليس كصاحب الوجه الوجيه وموسى خر مغشياً عليه
واحمد لم يكن ليزيغ ذهنا
وما أحد حوى شرف المعاني سوى المنعوت ذكراً في البيان
ونال مسرة حين التداني ولو قابلت لفظة لن تراني
بما كذب الفؤاد فهمت معنى
كفانا المصطفى يوماً عبوسا بشير في الوجود بدا عروسا
وللرسل الكرام غدا رئيسا وإن يك خاطب الأموات عيسى
فان الجذع حن لذا وأنّا
وشق البدر للمختار شقا وسبحت الحصا بيديه صدقا
وجا بالمعجزات الغر حقا وسلمت الجماد عليه نطقا
فأنى يستوي الفتيان أنّى

أغثني في المعاد بنيل ورد من الحوض المعد لخير وفد
بك المسكين يبلغ كل قصد وصل بالأنس منك رجاء عبد
بعيد الدار يطلب منك اذنا

مدحتك راجياً أن لا تكلني إلى أحد فمدحك صار فني
أنلني ما أريد من التمني وعجل بافتقادك لي فإني
ضعفت جوارحاً وكبرت سنا

وقد أصبحت مغموراً بسكري فلا أصغي لموعظة وزجر
وعاندني الزمان وحط قدري حججت فلم أزرك فليت شعري
متى بزارك الجاني يهنى

عظيم الشان لم أر بي شفوقاً سواك ولم أجد خلا صدوقا
فأدرك عبدك الراجي وثوقاً يكاد يذوب إن ذكروك شوقا
اليك فهل بجاهك منك يدنى

غريق في الذنوب له نحيب يجنح الليل مدمعه صبيب
وللأشجان في الأحشا لهيب عسى عطف عسى فرج قريب
فقد وصل الأحبة وانقطعنا

يهيج حزنه لمعان ومض وقد هجر الكرى ولذيذ غمض
فأتحفنا برفع بعد خفض وشرفنا بوطىء تراب أرض
بزورتنا يحط الوزر عنا

وأذهب كل ضر أشتكيه وباعدني عن الفعل الكريه
وأوصلني مقاماً أرتجيه وقل عبدالرحيم ومن يليه
معي يوم الخلود يحل عدنا

سميـــك محمـد يرجوك تدني له والناس في ضيق وغبن
وبالعاري يلقب بالتـــكني ويوم الحشر إن سألوك عني
فقل عدّوه منا فهو منا

وأبلغني المنى وافرج لكربي وأصلحني أيا قصدي وحسبي
كذاك أبي وأهلي واشف قلبي وقم بجميـع اخواني وصحبي
وعم أباً من الأنساب وابنا

اليك من التجا قد حاز فتحا وفوزاً في المآل ونال ربحا
وظلاً في النعيم كذا وطلحا فما ضر امرؤ يرجوك نجحا
لمطلبـــه ويحسن فيك ظنا

حويت المجد في تنزيل وحي نفيت الإصر عنا كل نفي
جمعت الخـــير في أمر ونهي وكل الأنبياء بدور هـــدي
وأنت الشمس أشرقهم وأسنى

وأنت امامهم ذرب فصيح وسيدهم وذا خـــبر صحيح
وهم بعض الرياض وأنت دوح وهم شخص الكمال وأنت روح
وهم يسرى اليه وأنت يمنى

وأمتـــك التي حقاً تباهت على من قد تقدمها وتاهت
وفضلك فيه أقوالي تناهت عليك صلاة ربي ماتناغت
حمام الأيك أو غصن تثنى

توفي رحمه الله بعد الألف والمائتين[1] ودفن خارج أريحا عند والده .

---

(١) قال الاستاذ الطباخ في تاريخ حلب : لم أر ترجمة لأخيه في الكتاب المذكور ، ولا لأبيه على ان أباه من رجال القرن الثاني عشر ، وقـــد ترجمه العلامة المرادي في سلك الدرر ، (ثم قال) : وأما عبدالرحمن أخو المترجم فقد كان عالماً فاضلاً أيضا ، وتولى إفتـــاء الشافعية بحلب ، وكانت وفاته (سنة ١٢٤٥) .

وكان عالماً بأنساب الناس وأصولهم حافظاً للأخبار والوقائع ، قوي الحافظة حسن النادرة جميل الأخلاق كريم الاعراق خاتمة علماء وفضلاء أهل أربحا ونبلائها ، ولم يترك مثله في نواحيه رحمة الله عليه .

الشيخ محمد بن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرزاق بن ابراهيم بن احمد العمري العقيلي الحلبي الشافعي وتقدم بقية نسبه في ترجمة أخيه عبد الرحمن أبي البركات وأبيه عثمان أبي الفضل في حرف العين

وهو العالم الفقيه الفاضل الدين الصالح الورع الزاهد ، المتفنن العابد ، مولده سنة ثلاث وستين ومائة والف ، ونشأ بكنف والده وقرأ القرآن العظيم وحفظه وتلاه ، وجوده وحفظ الشاطبية ، وأخذ القراءات المرواة السبع بالاتقان من طريق الشاطبية ، واشتغل بتحصيل العلوم ، واخذ وانتفع بوالده وتخرج عليه وأكثر من الاستفادة لديه وسلكه وأجازه بالإجازة العامة ، ونشأ كما شاء وأجاز له جماعة من المحدثين غب القراءة والسماع ، منهم عطا الله بن احمد المصري نزيل مكة ، وابو محمد عبد الكريم بن احمد الشرابلي الحلبي ، والشهاب احمد بن عبيد الله العطار الدمشقي ، وابو جعفر منصور بن مصطفى السرميني الحلبي ، وآخرون ، ولما مات والده في المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف قام خليفة بعده ، كما خلفه ولزمه تلامذة والده وأحبابه ، وأقام الأذكار والتوحيد واشتغل بالقاء الدروس ، واجتمع بالسيد خليل المرادي سنة خمس ومائتين وألف وأخذ كل منهما عن الآخر واستجاز كل الآخر ، وكان على طريق مستقيم ومنهج قويم . ولم يزل على قدم التقوى والعبادة والافادة والاستفادة وإقامة الأذكار وارشاد الناس في (الليل والنهار) إلى أن اختار الآخرة والرحلة إلى الدار الفاخرة ، وذلك في سنة ألف ومائتين و . [1]

(١) كانت وفاته رحمه الله (سنة ١٢٤٥) كما في تاريخ حلب .

الشيخ محمد الملقب بالجديد البغدادي الخالدي الحنفي النقشبندي

الولي المرشد الكامل والعالم الفقيه الصوفي ذو الشمائل ، العارف بالله المقبل عليه في سره ونجواه ، صاحب العلوم الربانية والأنفاس الأنسية القدسية ، كان عند مولانا خالد من أعظم الخلفاء وأكبر الفقهاء ، المشهور في الفقه بأبي يوسف الثاني ، صاحب التحقيقات والتدقيقات في مشكلات المعاني ، وكان يرشد ويدرس الفقه والحديث والتفسير وكتب التصوف في الزاوية الخالدية في بغداد ، وبيته ملتصق بها ، ولا يخرج إلى بيته من الزاوية إلا بعد صلاة العشاء ، وتأتيه الفقهاء أفواجاً أفواجاً للقراءة عليه ، والاسترشاد به .

سلك أولاً وتربى على يد عبيد الله الحيدري ، ثم بعد كماله خلفه حضرة مولانا خالد خلافة مطلقة ، وجعله قائماً مقامه في الزاوية البغدادية ، وأمر جميع الخلفاء كالسيد عبد الغفور وموسى الجبوري وغيرهما من خلفاء العراق بأن يكونوا في طاعته ولا يعدلوا عن أمره ، وكانوا يعدونه بمنزلة شيخ الطريقة بأجمعها مولانا خالد شيخ الحضرة ، وكان يمنع المريدين بأن يدخل بعضهم في حجرة بعض ، ويأمر كلاً منهم بالاشتغال بالذكر وحده ، ولا زال يراقبهم ويأمرهم بطلب العلوم الشرعية ، وجعل لهم وقتاً مخصوصاً لمذاكرة الفقه والتصوف والعقائد ، وسائر الأوقات بعد اداء الفرائض للاشتغال بالذكر .

وكان يأمر الخلفاء ويقول لا تخلفوا إلا العلماء ، كما كان دأب شيخنا حضرة مولانا خالد قدس سره لا يخلف إلا العلماء الأعلام ، ودام على حاله مترقياً في أحواله إلى أن سار إلى رمسه ، وصار في حديقة قدسه ، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين وست وأربعين من الهجرة .

الشيخ محمد حافظ الأرفله الخالدي النقشبندى

العالم العامل والكامل الفاضل ، قطب دائرة الارشاد ومنهج الفضل وملهج السداد ، من حسنت في العالمين سريرته وسمت أوصافه وسيرته ، نشأ على

العلم والعمل ولازم الطلب حتى اكتمل ، ثم لازم خدمة قطب الزمان ونادره الأوان ، مولانا خالد شيخ الحضرة النقشبندية في السليمانية وبغداد والشام ، وأحسن الخدمة على وجه التمام ، وسلك على يديه ورباه مع الالتفات إليه ، ثم خلفه خلافة مطلقة ، وأذن له بالارشاد ، وخصه بأنه إن مر أحد غيره من الخلفاء في ارفه فلا يسوغ له أن يرشدوا أحداً في مكانه . وكان فصيحاً بليغاً شاعراً مفلقاً ، مع علمه الغزير ، وغالب أحواله الجلال . وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وله الهمة العلية والأنفاس الأنسية ، ومقام التمكين [١] والميل إلى عين اليقين [٢] ، وهو لدى حضرة شيخه من المقربين ، وله كثير من الخلفاء والمريدين ، وقد حكى الشيخ محمد حافظ قدس سره أن حضرة مولانا خالد قدس سره قال للمترجم مرة : أي مقدار من الدراهم يكفيك كل يوم ؟ فقال المترجم يكفيني كل يوم خمسون قرشاً ، فقال له حضرة مولانا قدس سره ارفع البساط الذي تجلس عليه كل يوم ترى خمسين قرشاً خذها واصرفها في قضاء حوائجك ، فبكى محمد حافظ وقال ياسيدي : ما تبعتك للدنيا وإنما تبعتك للآخرة ، فازداد قبولاً لدى حضرة مولانا قدس سره ، ولهذا المترجم أصول عجيبة ومآثر غريبة . توفي قدس سره سنة ألف ومائتين وقريب من الأربعين .

الشيخ محمد الإمام البغدادي النقشبندي الخالدي

العالم الورع العابد الهمام الناسك الزاهد ، صاحب النفحات العلية والفيوضات الربانية ، كان من الورع والتقوى والزهد والعبادة على جانب عظيم ، ولازم

---

(١) عند القوم : صاحب التمكين وصل ثم اتصل .

(٢) وعندهم أن علم اليقين ، ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بذات البيان ، كما في الرسالة القشيرية في علم التصوف (ص ٥٥)

خدمة مولانا خالد شيخ الحضرة وأخذ عنه ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالارشاد ، وقدمه على غيره للإمامة ، (وكان من الأولياء الكاملين وذوي الرفعة والتمكين) ، وهو لدى شيخه المرقوم من الواصلين والمقربين . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثلاثين تقريباً رحمه الله تعالى ، ودفن في بغداد في جوار سيد الطائفتين سيدنا الجنيد البغدادي قدس سره .

الشيخ محمد الفزلي الشهرزوري النقشبندي الخالدي

العالم المحقق والفاضل المدقق ، جامع المنقول والمعقول محرر الفروع والأصول ، نشأ مكباً على الطاعة وطلب العلم إلى أن صار من ذوي البراعة ، وأخذ الطريقة النقشبندية على إمام العارفين الشيخ خالد شيخ الحضرة العلية ، واجتهد في أداء حق الخدمة وسلك على يده وأحسن عمله وعلمه ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالارشاد فشرع في تسليك الطريق وبذل وسعه وأفاد ، وأقر بولايته الخاص والعام واشتهر فضله في الأنام . توفي سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين .

الشيخ محمد ناصح الخالدي النقشبندي

العالم العامل والجهبذ الكامل ، والمرشد الامام والناصح الهمام . أخذ الطريقة النقشبندية على الامام العارف بالله حضرة مولانا الشيخ خالد الحضرة وانتفع به واستفاد وأفاد ، وأرشد العباد ، وكان ذا دين وتقوى وعبادة وصيانة وديانة ، ودام على ذلك إلى أن توفي في الشام سنة الف ومائتين وخمس وأربعين تقريبا .

الشيخ محمد المجذوب العمادي المشهور بسيد الخالدي النقشبندي

إمام فاضل عالم عامل ، ناسك عابد تقي زاهد ، رفيع المقام جميل الكلام ، ذو سيرة حسنة وأخلاق مستحسنة ، اشتغل في العلم من زمن الصبا وما مال إلى غير الكمال ولا صبا ، بل كان ولوعاً بالفضائل مقصوراً على خدمة الأفاضل إلى أن أخذ الطريق على حضرة مولانا خالد ثم خلفه خلافة عامة فأرشد وأفاد وسلك وأجاد ، مع تواضع وخشوع وتذلل كأنه عليه مطبوع . توفي رحمه الله سنة الف ومائتين واثنتين وأربعين تقريبا . وكان أكثر أخذه عن خاتمة العلماء المحققين الشيخ يحي المزوري العمادي الخالدي ، وكان غالب أحواله السكر والجلال وقلة الصحو ، ولذلك حينما قوي عليه الحال قل إرشاده وافادته العلوم الشرعية . وكان يوماً يدرس على رأس جبل وفي أثناء التدريس انجذب وصعق ، ثم وقع من أعلى الجبل متدحرجاً إلى أسفله ، وبعد نحو ساعة أفاق وقام ، ولم يتألم . وله كرامات كلية وخوارق كثيرة سنية . نفعنا الله ببركاته وعلومه الربانية بجاه محمد وآله .

الشيخ محمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد الصوي المغربي المالكي الشاذلي القسنطيني

الإمام الفاضل والعالم العامل ، والتقي العابد والنقي الزاهد ، كان إمام عصره ونخبة أهل إقليمه ومصره . برع في سائر الفنون وفاق وطار ذكره في الآفاق . ولد سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، واشتغل في تحصيل العلوم ، الى أن صار مرجع أهل المنطوق والمفهوم ، وقرأ على سادة أجلاء وقادة فضلاء . منهم الشيخ أحمد العباسي قاضي قسنطينة والشيخ محمد طبال مفتيها .

ولما أخذت فرانسا اقليم الجزائر من أميرها الأمير السيد عبد القادر ونقله الفرنسيس الى امبواز بالتكريم ، نظرت الحكومة الفرنساوية في احضار من يكون للأمير المرقوم مؤنساً في محله فأرسلوا الى الجزائر بذلك ، فوقع الاختيـــار على المترجم المرقوم لعلمه وأدبه وعلو شأنه ، وحين وصوله وورودة على الأمير عالي المقام دخل عليه من السرور ما لا يرام ، وقال له في الحال على طريق البداهة والارتجال :

أهلاً وسهلاً بالحبيب القـــادم هذا النهار لديّ خير مواسمي

وهي قصيدة طويلة أثبتها ولده الأمير محمد باشا في كتابه الذي جمعه في مناقب والده الأمير المرقوم ، فجاوبه المترجم في الحال بقوله :

سلام عليكم طال شوقي اليكم وقلبي سواكم في البرية ما أحب
سلام يفوق المسك نشر عبيره يعمكم والآل يا سادة العرب
أتيتكم عبداً وقصدي زيارة لعلي أؤدي ما عليّ لقد وجب
فمنوا على العبد الذليل بدعوة ينال بها حسن الختام مع الأرب
وكان مرادي ان ألاقيكم على بساط عزيز الملك والحرب في نشب
وما كان في ظني أرى سيدي كما رأيت ألاَ لله ما تصنع النوب
فصبراً لحكم الله راج ثوابه فإن ثواب الله يأتي على التعب

وله قصائد كثيرة ومقاطيع شهيرة . توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين ومائتين والف ، ودفن في تربة أسلافه خارج قسنطينة .

الحاج محمد بن الحروبي الفلعي المغربي المالكي
أحد وزراء الامير عبد القادر

العالم العامل والصدر الجهبذ الكامل ، والتقي العابد والنقي المجاهد . كان كاتب الأمير السيد عبد القادر في بلاد الجزائر حينما كان الأمير بهـــا خليفة ، ثم جعله والياً في ايالة صطيف ، ووقع في أسر الفرنسيس ، ثم

أطلقوه وهاجر الى الشام ، وتوطن دمشق ، الى أن انتقل الى بروسا لزيارة الأمير السيد عبد القادر حينما أطلقته فرنسا من أسرها ، وهاجر الى بروسه المعروفة الآن ببرصه [١] ، ولم يزل هناك مع الأمير الى أن رحل الأمير من بروسه لكثرة الزلازل بها ، وجاء الى دمشق الشام فحضر المترجم معه الى دمشق ، واشتغل بالعلم والافادة والتقوى والعبادة ، وقد انتفع به كثير من الناس . وكان لطيفاً جميلاً حسن المعاشرة طلق اللسان ، عالي المروءة واسع الهمة ، حفاظاً كثير المحاضرة ، جسوراً لا يهاب من شيء . وكنت أذهب اليه مع والدي للزيارة فأرى له من الهيبة والجلالة حظاً وافرا . وكان يزور والدي كثيرا ، ولم يكن بينهما سوى المحاضرة والمذاكرة ، والتأسف والاتعاظ ، وذكر سير السلف وما كانوا عليه من العبادة . توفي رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائتين والف ودفن في تربة الدحداح .

الملا السيد الشيخ محمد صالح الكردي الشافعي الأشعري

العالم الذي هو نهاية السول ، في علمي المعقول والمنقول ، والفاضل الذي لا يدرك غور أبابه [٢] والفاضل الذي تقتطف البلاغة من إيجازه وإطنابه ، والمعلم الذي سلسال تحريره ازال عطاش الأفهام ، وأوابد أمثال تقريره هي الأوراد ضاحكة في الاكمام . كم مشكل أميط بفكره جلبابه ، وأفق ابحاث سقط منه على معارضيه شهابه ، ودرس عاطل جملت بفرائده رقابه ، ومعضل دعي له إذ كان ليث غابه ، وبدر سمائه وقطر سحابه ، بذل شبابه وسخابه في العلم ونظمَ سخابه [٣] وقرأ عليه الجهبذ الكامل والعالم العامل

(١) بروسا (Brousse) مدينة في تركية آسيا ، كانت عاصمة لبني عثمان قبل القسطنطينية .
(٢) الأباب : الماء
(٣) السّخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ، ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر .

من رفع الله في الانام قدره مولانا الشيخ خالد شيخ الحضرة ، فاستفاد وأفاد ومما قدره وساد ، ولم يزل في عبادة وتقوى وزهادة ، إلى أن زهد في الدنيا واختار عليها الأخرى ، وذلك في الف ومائتين ونيف وعشرين .

الشيخ محمد بن قسيم السنندجي الشافعي الاشعري
ترجمه الشيخ أسعد عثمان سند فقال :

العالم الذي علت في العلوم قدمه ، وزان بقلب تدقيقه من الدرس معصمه ، نادرة الزمان وحسنته وبهجة صباحه وغرته ، جقمينية وقوشجية عطر فنائه وناديه ، مبدي خفيات إشاراته بتحقيقاته وتدقيقاته ، إذا قرر اذاق أريا [١] وإذا اشكل أمر توقد رأيا ، الفلكي الذي حقق علوم الفلك وازال عن وجود معانيها كل حلك :

سعى إلى العلم بالأفلاك مرتقيا ... لو لم يكن قمراً لم يسع في فلك
ياقطب علم رأينا من معارفه ... شمساً إذا طلعت لم تبق من حلك
سموت بالله نظّاراً بطرف هدى ... قلباً من العلم كالاكليل للملك
نالت سنندُج اذ تسمو بها شرفا ... يقول للشمس هذا الفخر ليس لك

الحقيق بالتصدير والحري على كل سيد ومري ، الجاد في تحقيق المباحث العلمية ، الشاد نطاق الفكر في خدمة الآثار المحمدية . لا غرو ان عُدّ ذكاء أفلاك المآثر السنية ، جمع مع العلم الزاخر عفة وبياض عرض وصفاء سرائر ، ونشر من الافادة ما كل لسان به دائر وروض كل جنان به ناضر :

أشار إلى البحوث فقلن أهلا ... بواحد عصره أدباً وفضلا
ومحيي سنة الهادي المقفى ... بتقرير أرانا الحزن سهلا

---

(١) عسلاً .

وأبدى الحق مفتر المحيا كروض جاده ودق وطلا
بوجه سنندج أمسى منيرا كبدر لاح في أفق وهلا
وسل على يد الإبداع سيفا فعادت بعد ذاك السل شلا

فهو الإمام الذي له الإفادة اضحت في نحر الاصابة القلادة ، والسيد المبرز فضلاً على أولئك السادة ، والسامي مجداً قارنه إقبال وسعادة ، والمدعو في تلك الاقطار السابق في مضمار الاعتبار ، تعاني العلوم الرسمية بالقلب والقالب ، وطار إلى النكت بجناح الفكر وغالب ، ونظم في لبات الأيام عقوداً راق لها الانتظام ، وحسن وجوه الاثار المحمدية ، وحرر الأبحاث الفقهية تحريراً شكرته فيه الافهام ، وطار إلى دقائق الأصلين ، وصار من تحقيقها المعطس والعين . وسقى من التقرير المصفى ما أرانا منه المحصول والمستصفى ، وافاد من الاسناد ، ما أرانا ابن الصلاح وفتح الجواد :

ولقد طلبت من الزمان قرينه فضلاً فما استطاع الزمان قرينا
علم رأيت الفضل فوق صباحه أبداً يلوح لدى العيون مبينا
ووجدت كل الناس في تشبيهه فرقاً كما استقرأتهم وتبينا
قوم رأوه البحر في تقريره لو لم يكن بالجزر يوصف حينا
وسواهم خال الرياض علومه ولطالما من زهرهن عرينا

توفي رحمه الله عام الف ومائتين واثنى عشر من هجرة سيد البشر

السيد محمد بن السيد اسماعيل بن السيد محمد بن السيد درويش الحسيني الحنفي الموصلي ولادة ومنشأ ومدفنا

إمام حسنت به الأيام وهام استوى من الفضل على السنام ، شيخ المعارف وإمامها ومن في يديه زمامها ، كعبة الأفاضل وقطب دائرة الفضائل ، فارس العلم وحامل لوائه ، وكوكب إشراقه وشمس سمائه ، شرح الله

لمكارم الأخلاق صدره ، وطاول به زمانه وعمره ، وهو في كل علم وافر النصيب ، وفي كل عمل عال روضه خصيب .

ولد في سنة الف ومائتين وسنة واحدة ، ومنذ ميز وشب اكب على الاستفادة والطلب ، ولازم اكابر العلماء حتى ارتقى الى رتبة الفضلاء ، وكان له في الأدب اليد العالية والمعرفة السامية ، فمن نظامه قوله :

ما بين غرته والجيد والعنق ... نور يفوق على المصباح والشفق
بدر إذا ما تجلى وانجلى كسفت ... شمس النهار وخرت انجم الأفق
في ثغره وعذاريه ووجنته ... شهد وآس وورد بالحياء سقي
وفي الجبين هلال السعد منسطع ... والشعر كالمسك أو نوع من الغسق
والطرف من نرجس والريق من ضرب ... والخال كالعنبر الملقى على الورق
إذا تأملته ناديت معتجباً ... سبحان من خلق الإنسان من علق
يالائمي في الهوى اقصر ففي كبدي ... نار إذا لمتني تزداد بالحرق
فالماء لم تطف ما في القلب من وهج ... لعل تطفى بدمع سال من حدق

وله تخميساً

أقبل الشيب والشباب تولى ... والحشا ذاب في الهوى وتسلى
ان لي مانعاً لديك وإلا ... كل يوم أريده أن أتملى
بك والدهر بيننا يتعذر

ببياض خد نقي سباني ... وبخال وحمرة ومعاني
كيف أسلو وقد سلوت جفاني ... والليالي تقول لي بلساني
لا تلمني فالاجتماع مقدر

وله مخمسا

جسدي غدا في الحب منعدم القوى ... وصدى الفؤاد زوى لدي وما ارتوى
فأرى ألذ العيش وصلاً في الهوى ... وأمر ما لاقيت من ألم النوى
قرب الحبيب وما إليه وصول

واحسرتي قلب المشوق تكلما ... ووشى العذول لدى الرشا وتكلما
حالي وحالك يا منى قلبي هما ... كالعيس في البيداء تشكين الظما
والماء فوق ظهورها محمول

وله في مدح الامام علي رضي الله عنه :

أرى صفو عيشي بالخطوب تكدرا ... وأيسر أمري بالزمان تعسرا
ولكن أنادي انْ فؤادي تحيرا ... أياسيدي أنجد عبيدك في الورى
بهمتك العظمى جعلت فداكا

يقينك لا يزداد ان كشف الغطا ... ورأيك حاشا منه أن يصدر الخطا
أنادي إذا جار الزمان وان سطا ... أياحيدر الكرار يا وافر العطا
فقير أتى يبغي جزيل عطاكا

سموت علوما في الملا ومناقبا ... وشيدت للدين القويم مراتبا
وأصبحت صهراً للنبي وصاحبا ... فجد وأجرني[1] كي أقول مخاطبا
لقلبي لك البشرى بلغت مناكا

وله أيضاً

سرى القدود فخلتهن رماحا ... واستلوا من غمد العيون صفاحا
ورموني عن تلك الحواجب أسهما ... تصمي ولكن ما ألقى قداحا
آهاً على تلك الوجوه تحجبت ... عني وكانت كالصباح صباحا
فلذا تذوب تكاد حبة مهجتي ... شوقاً إذا البدر استعار ولاحا
يا قلب كيف وقد فقدت أحبة ... تركوك بعد بعادهم ملتاحا
هم عودوا كبدي اللهيب وعلموا ... عيني النحيب وعذلي الافضاحا
وتحجبوا عن ناظري ولم أجد ... أبداً لبـــاب لقاهم مفتاحا
زعم الوشاة بأني بحت بسرهم ... حاشاي الا ادمعـا ونياحا

---

(١) « قل إني لن يجيرني من الله أحد » سورة الجن ، (الآية ٢٢) .
« وهو يجير ولا يجار عليه » المؤمنون . (الآية ٨٨) فهو سبحانه مجير المستجيرين .

وتحدثوا بسهام طرفي بعدهم ... اني وقد أجري دماً وقراحا
و شاعوا اني قد سلوت ودادهم ... كذبوا وما قصدوا به اصلاحا
لم استطع ولو استطعت سلوتهم ... هلا يود ذوو الوثاق سراحا
أني وأيم الله لست بناقض ... قلك العهود ولو تخنت جراحا
ياخاطفين من المحب فؤاده ... ومجرعين من الصبابة راحا
عطفاً على ذي لوعة متحير ... هجر الديار وغادر النصاحا
يهوى الغصون لأنها كقدودكم ... وإذا ترنمت الحمامة ناحا
ذو غصة هجر القرار ولم يزل ... طول الزمان لأجلكم كداحا
وجد الممات حياته في حبكم ... ويرى الخسارة في الغرام رباحا

وله دوبيت

رأى الرّوض الخد يزهو فادعى ... وقال لعمري إنه لشقيقي
فصاح به بدر السما وهو قائل ... تأن لقد اخطأت فهو شقيقي

وله

يقولون عذالي اخال بخدّ من ... بذلت له من قلبك الحبة السودا
فقلت نعم قد حصن الخال خده ... كما حصن الكافور بالحبة السودا

وله

فتنت بمكحول فقلت لناصحي ... وفي السمع وقر عن نصوح وواعظ
فما اكتحل المحبوب من أجل سنة ... ولكن لقتلي سن سيف اللواحظ

وله أيضاً

لما تزاهى بخال فوق وجنته ... وحكمته معاني الحسن في الناس
افتى بسفك دمي المضنى محاسنه ... بنقطة من مداد فوق قرطاس

وله أيضاً

الجنبذ[1] الورد في فيك ادعى شبها ... فقلت زوّرت فيما تدعيه فمه

(١) الجُنبُذة : المرتفع من كل شيء .

فما ارعوى عن مقال في تزوره فشق من غيرة أيدي الزمان فمه

وله أيضاً

إذا التجأ اللهيف حذار خصم إلى باب الملوك يرى السكينة
فكيف أخاف معتدياً واني لملتجىء إلى باب المدينة

وله أيضاً

دع الدنيـــا وزهرتها لوغد وجانبها إذا كنت الرشيدا
اترجو الخير من دنيـا اهانت حسين السبط واختارت يزيدا

توفي سنة ألف ومائتين واحدى وخمسين ودفن بمقبرة الموصـــل رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن أبي بكر بن محمد المغربي الطرابلسي الشهير بالاثرم

الشيخ الفاضل والعمدة الامام الكامل ، ولد بقرية انكوان من أعمال طرابلس في حدود سنة خمس وأربعين ومائة والف وبها نشأ ، وكان مبدأ أمره أنه توجه إلى تونس برسم التجارة ، فاجتمع على رجل من الصالحين هناك ولازمه ، فلما قربت وفاته أوصى اليه بملبوس بدنه ، فلما توفي جمع الحاضرين وأراد بيعه ، فأشار إليه بعض أهـل الشان أن يضن به ولا يبيعه ، فتنافس فيه الشارون وتزايدوا فدفع الدراهم من عنـده في ثمنه وابقاه ، وكان المتوفى فيما قيل قطب وقته فلبسه الوجد في الحال ، وظهرت له أمور هناك واشتهر أمره ، وأتى إلى الاسكندرية فسكنها مدة ، ثم ورد مصر في أثناء سنة خمس وثمانين ومائة ، وحصلت له شهرة تامة ، ثم عاد إلى الاسكندرية فقطنها مدة ، ثم عاد إلى مصر ، وهو مع ذلك يتجر في الغنم وأثرى بسبب ذلك وتمول ، وكانت الأغنام تجلب من وادي برقة ، فتشارك عليها مشايخ عرب أولاد علي وغيرهم ، وربما ذبح بنفسه بالثغر

فيفرق اللحم على الناس ويأخذ منهم ثمن ذلك . وكان مشهوراً باطعام الطعام والتوسع فيه في كل وقت ، وربما وردت عليه جماعة مستكثرة فيقر بهم في الحـــال ، وتنقل له في ذلك أمور ، ولما ورد مصر كان على هذا الشان لا بد للداخل عليه من تقديم مأكول بين يديه . وهادته أكابر الأمراء والتجار بهدايا فاخرة سنية ، وكان يلبس أحسن الملابس وربما لبس الحرير المقصب ، يقطع منها ثياباً واسعة الاكام فيلبسها ، ويظهر في كل طور في ملبس آخر غير الذي لبسه أولاً ، وربما حضر بين يديه آلات الشرب وانكبّت عليه نساء البلد ، فتوجه إليه بمجموع ذلك نوع ملام ، إلا أنّ أهل الفضل كانوا يحترمونه ويقرون بفضله وينقلون عنه أخباراً حسنة . وكان فيه فصاحة زائدة وحفظ لكلام القوم وذوق للفهم ، ومناسبات للمجلس ، وله اشراف على الخواطر فيتكلم عليها فيصادف الواقع .

ثم عاد إلى الاسكندرية ومكث هناك إلى أن ورد حسن باشا ، فقدم معه وصحبته طائفة من عسكر المغاربة ، ولمـــا دخل مصر أقبلت عليه الأعيان وعلت كلمته وزادت وجاهته ، وأتته الهدايا ، وكانت شفاعته لا ترد عند الوزراء ، ولما كان آخر جمادى الأولى من هذه السنة توجه إلى كرداسته لإيقاع صلح بين العرب وبين جماعـة من القافلة المتوجهين إلى طرابلس ، فمكث عندهم في العزائم والاكرامات مدة من الأيام ثم رجع ، وكان وقت شديد الحر فخلع ثيابه فأخذه البرد والرعدة في الحال ، ومرض نحو ثمانية أيام ، حتى توفي نهار الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وسنة . وجهز وكفن وصلي عليه بمشهد حافل بالأزهر ، ودفن تحت جدار قبه الإمام الشافعي في مدافن الرزازين ، وحزنت عليه الناس كثيرا ، وقـــد رآه أصحابه بعد موته في منامات عدة تدل على حسن حـــاله في البرزخ رحمه الله .

الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد المعروف بالشافعي المغربي التونسي نزيل مصر

العالم الفاضل والجهبذ الكامل ، ولد بتونس سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف ، ونشأ في قراءة القرآن وطلب العلم ، وقدم إلى مصر سنة إحدى وسبعين وجاور بالأزهر برواق المغاربة ،وحضر علماء العصر في الفقه والمعقولات ، ولازم دروس الشيخ علي الصعيدي وأبي الحسن القلعي التونسي شيخ الرواق ، وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر وتخلق بأخلاقهم ، وطالع كتب التاريخ والأدب ، وصار له ملكة في استحضار المناسبات الغريبة والنكات ، وتزوج وتزيا بزي أولاد البلد وتحلى بذوقهم ، ونظم الشعر الحسَن ، فمن ذلك ما أنشدني لنفسه يمدح الرسول ﷺ .

هذا الحمى وعبيره المتعطر ... فعلام دمعك من جفونك يمطر
وأنخ مطاياك التي أوصلتهـا ... إدلاجها بهجيرهـا إذ تعسر
فلكم قطعت بها بساط مفاوز ... ونقطت أسطره التي تتعذر
ودفعتها في كل حزن شامخ ... سامي السرى عنه البزاة تقصر
حق أتت بك قبر أفضل مرسل ... فلها عليك فضائل لا تنكر
عين العناية مهبط الوحي الذي ... جاءت به الرسل الكرام تبشر

ومنها

ما نال معجزة نبي غيره ... إلا به فهو النبي الأكبر
أدناه بالمعراج خالقه إلى ... حيث الأمين يقول : زد وأقصر

حتى رأى المولى بعيني رأسه [١] أرأى السوى المولى بعين تبصر ؟

وله يمدح الشريف مساعد شريف مكة سنة سبع وسبعين بقوله :

لعلياك تأتي عيسها ورجالها خفافاً وتغدو مثقلات رحالها
ولولاك لم تعجم سطور سباسب بأقلام عيسٍ قد برتها جبالها
إذا توج الحادي بمدحك لفظه نرى الأرض تطوى للركاب رحالها
وان فكروا في حسن معناك والدجى اضاءت لهم أيمانها وشمالها
لعمري لقد احييت ما كان دارسا من المكرمات المستطاب نوالها
وقمت لدين الله خير معاضد فحاق لاعداك الغداة نكالها

وله مضمنا بيت المتنبي

وقالوا نأى من كنت مغرى بحبه وتزعمه خلا ونعم خليلي
ولو كان خلا ما نأى عنك ساعة ولم يرض في شرع الهوى ببديل
فقلت دعوني لا تهيجوا بلابلي بقال على ما نابني وبقيل
وان رمتموا رشدي فقولوا وأقبلوا فأي فتى يهدى بغير دليل
فقالوا اقترح صبراً عليه أو البكا فقلت البكا أشفى إذاً لغليلي

---

(١) من المعلوم أن حديث المعراج قد ورد في سورتي النجم والتكوير ، ففي الأولى ، قال تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى » أي ان النبي ﷺ رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين ، مرة وهو في غار حراء في بدء النبوة ، والثانية في ليلة المعراج ، وهذه في سورة التكوير « ولقد رآه بالأفق المبين » أي رأى جبريل بالأفق الأعلى ، وقال سبحانه في سورة النجم : « علمه شديد القوى » أي علم صاحبكم جبريل عليه السلام وهو شديد القوى العلمية والعملية ، فيعلم ويعمل . وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لم ير رسول الله ﷺ ربه ، وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى أراه ، وفي رواية : رأيت نورا ، قال ابن كثير : وقوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ليلة الإسراء اه .

وله

أيد الحق بجـــده ملجأ في كل شـــده
فكفى بالمرء اثمـا أن يضيع الحق عنده

وله

أطال اشتياقي قرقف الشفة اللعسا وأيقظ وجدي سحر مقلته النعسا
وأخمد صبري حين شب جماله لهيباً نفت عني حرارته الأنسا
فُتنّا به مذ صاغه الله فتنة وأصبح يحكي في سماحته الشمسا
ومذ سأل العذال عنه لهوتهم ببيت به لغز به استخونوا الحدسا
فآخره عشر لأوله كما بدا عدّ ثانية لثالثه خمســا

واللغز في اسم محمد وله غير ذلك . توفي رحمه الله في يوم الجمعة ثالث شعبان من السنة الثانية بعد المائتين والألف .

الشيخ محمد مصطفى بن جاد المصري

الشاب الصالح والناجح الفالح العفيف الموفق . ولد بمصر ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباي ، ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها ، فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدومي ، حتى مهر فيها وفاق أستاذه وأدرك دقائق الصنعة ، والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والاصباغ الملونة والرسم والجداول والاطباع وغير ذلك ، وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبـار مثـل الدقدومي وعثمان افندي بن عبد الله ، عتيق المرحوم الشيخ حسن الجبرتي والشيخ محمد الشناوي .

وكان لطيف الذات خفيف الروح محبوب الطباع مألوف الأوضاع ، ودوداً مشفقاً ، عفوفاً صالحاً ملازماً على الأذكار والأوراد ، مواظباً على استعمال اسم (لطيف) العدة الكبرى في كل ليلة على الدوام صيفاً وشتاء سفراً وحضراً ، حتى لاحت عليه أنوار الاسم الشريف وظهرت فيه أسراره وروحانيته ، وصار له ذوق صحيح وكشف صريح ومَرَاءٍ واضحة . وأخذ على شيخنا الشيخ محمود الكردي طريق السادة الخلوتية ، وتلقن عنه الذكر

والاسم الأول ، وواظب على ورد العصر أيام حياة الأستاذ ، ولم يزل مقبلاً على شأنه قانعاً بصناعته ، ويستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، إلى ان وافاه الحمام ، وتوفي سابع شهر ذي القعدة من سنة سنتين ومائتين والف . بعد أن تعلل أشهراً رحمه الله وعوضنا فيه خيرا .

الشيخ محمد الكيالي الحلبي الأصل والمولد الحنفي القادري الحسني

من أولاد (سيدنا الغوث الأعظم والقطب الأكرم) السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ، ولد المترجم رضي الله عنه بحلب سنة ألف ومائتين وأربعين تقريباً وبها نشأ ، ثم هاجر إلى دمشق واستقام بها ، وكان من الصالحين العابدين المعتقدين المواظبين على اذكار الطريقة . توفي أوائل ربيع الأنور سنة ألف ومائتين وأربع وتسعين ودفن في تربة سويقة صاروجا وقبره هناك معروف اهـ [١] .

الشيخ محمد بن اسماعيل بن احمد الربعي

فاضل المعي وكامل لوذعي ، ومرشد أستاذ وعارف ملاذ ، قيل فيه من بعض واصفيه :

المعي يرى بأول رأي آخر الأمر من وراء المغيب
لوذعي له فؤاد ذكي مـــا له في ذكائه من ضريب
لا يروي ولا يقلب كفا واكفّ الرجال في تقليب

ولد رضي الله عنه سنة ألف ومائة وثلاثين تقريباً ثم انكب على طلب

---

(١) هذه الترجمة تحتاج إلى تحرير لأن بني الكيالي ينتسبون إلى الشيخ احمد الرفاعي، وإذا قلنا أن السهو من الناسخ والصواب الشيخ محمد الكيلاني فالاشكال باق . لأن العائلة الكيلانية لا يوجد منها أحد ساكن في الشهباء في هذا التاريخ .
كتبه محمد راغب طباخ

العلوم إلى أن صار من أعيان العلماء والجهابذة النبلاء ، له إجازة من العلامة عبد الخالق المزجاجي وقرأ عليه من الحديث كثيراً ، منها سنن الترمذي من أوله إلى آخره ، ولازم السنة وأخذ في الحديث ، وله كتب ورسائل في علوم عديدة ، وبالجملة فهو حقيق بقول الشاعر :

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدهر ابتسام

مات رضي الله عنه سنة ألف ومائتين ونيف .

السيد محمد بن محمد الشامي الأصل الصنعاني الموطن والوفاة الحنفي

العالم الذي لا يبارى والفاضل الذي في ميدان الفضل لا يجارى ، أوحد النبلاء ومفرد العلماء ، لا زال يكلف نفسه طريق الصلاح ويقودهـــا إلى التقوى والنجاح ، إلى أن صار ذلك له عادة وصار يعده الناس أوحد السادة ، وتفنن في العلوم والمعارف وتكمل في الفنون والعوارف ، لسانه رطب بذكر الله لا يعول على غيره ولا يعتمد على سواه ، يكره الاجتماع مع الناس كراهة زائدة إلا ان كان لمذاكرة أو فائدة ، مات سنة ألف ومائتين وإحدى وخمسين .

الشيخ محمد بن علي بن حسين العمراني الصنعاني

عالم أديب وجهبذ أريب ، متمكن في المعقول ومتضلع في المنقول ، ولد سنة ألف ومائة وأربع وتسعين ، ثم اشتغل بالطلب إلى أن حصل منه على الأرب ، فغب تمكنه من مطلوبه ووقوعه على أتم مرغوبه ، سلك طريق الاجتهاد والعمل بالدليل ، وترك التقليد والعمل بقول الأئمة ذوي القدر الجليل ، وقد تخرج على يد الفاضل والجهبذ الكامل محمد بن علي بن

محمد بن عبد الله الشوكاني ، وكان يقدمه على من عداه لقوة ذهنه وسرعة فهمه ، وجودة ادراكه العالي وحسن لطفه الحالي ، وسمع منه أكثر مصنفاته وغالب مؤلفاته ، وكان أكثر اشتغاله في علم الحديث ورجاله إلى أن صار من أعظم أهل هذا الشان ، وله تأليف على سنن ابن ماجه جعله أولاً كالتخريج ثم تجاوز ذلك إلى شرحه ، قال في الديباج : توفي المترجم المرقوم سنة ثلاث وستين ومائتين وألف [١] رحمه الله تعالى ودفن بزبيد .

السيد محمد بن السيد حسين حوتي الصنعاني

أوحد العلماء والسادة الفضلاء ، ذو المجد الظاهر والقدر الباهر ، ولد سنة ألف ومائة وخمسين ، وأخذ العلم عن جماعة ، منهم العلامة السيد محمد بن اسماعيل الأمير والقاضي أحمد قاطن وغيرهما ، وصار أحد علماء صنعاء ذوي الإفادة ، ودرس في فنون ، وكان مائلاً الى العمل بالأدلة تاركاً للتقليد ، له مباحث علمية جيدة ، وكان حسن السيرة صافي السريرة ، جميل الاخلاق لين المعاملة محبوباً بين الناس ، مقبولاً مقدما ، اعترف شيوخه بفضله وكانوا يقدمونه في المجالس ، ويحدثون الناس بكثرة علومه ، وتخريجه ومعرفته واتساع ذكائه وفكره ، توفي سنة ألف ومائتين واحدى عشرة سنة من الهجرة النبوية .

الشيخ محمد بن حسن دلامة الزماري

العالم الأستاذ والعمدة الملاذ ، نخبة الأنام وحسنة الليالي والأيام ، ولد

---

(١) وفي فهرس الفهارس : متوفى سنة ١٢٦٩ والعمراني نسبة الى عمران باليمن ، وفي أعلام الأستاذ الزركلي من ترجمته : نقي الى زبيد (سنة ١٢٥٠ هـ) وسافر الى مكة ، فأقام ثلاث سنوات ، واستدعاه الشريف حسين بن علي بن حيدر ، صاحب أبي عريش (باليمن) وبالغ في اكرامه ، فمكث نحو سنتين . ورحل إلى زبيد ، فلما دخلتها الباطنية ، هاجم بعضهم داره فقتلوه . له تاريخ « ترجم فيه علماء عصره ، و « عجالة ذوي الحاجة » حاشية على سنن ابن ماجه ، و « التعريف ، بما في التهذيب من ذوي وضعيف » مجلدان في رجال الحديث اهـ .

تقريباً سنة ألف ومائة وخمسين ، وكان حسن المحاضرة عارفاً بالبحث والمناظرة ، رقيق الحاشية ذا شهرة منتشرة فاشية ، كثير الميل الى النظر إلى الولدان ذوي الصور الحسان ، مع عفة وصيانة وحماية من كل خيانة ، ناهز الستين من الأعوام وهو كالشاب في الوجد والغرام . ويغلب على الظن أن العشق قتله وأورده منهله ، لأنه الى حين موته وهو يتهم بالملاح والوجوه الصباح ، ولذلك تسلط عليه السقم والمرض حتى كأنه لسهام الأسقام غرض ، ومع ذلك فانه كان لا يكره من نسبة ذلك إليه، ولا ينقبض إذا ذكر ذلك بين يديه ، وكان كل من كاتبه يكاتبه بعبارة العشق والنوى ، والوجد والهوى ، ويذكر له الجمال وفعله والغرام وأهله ، وهو يتلذذ بذلك ويحاويهم سالكاً هذه المسالك ، ومعلوم أن الموت بالعشق بشروطه شهادة وموجب للفوز والسعادة ، وكان يعاتبه بعض الناس مزاحاً بقصد الهزل والمداعبة فيقول :

لحظ النجوم بمقلتيه فراعها ما أبصرت من حسنه فتردت
فتساقطت في خده فنظرتها عمداً بمقلة حاسد فاسودت

ومقصوده بذلك ان اللائمين له يكلمونه حسداً وكلامهم لا يسري عليه فيخرجون ووجوههم مسودة ، كما نظر هذا الناظم النجوم لما تساقطت في خد الحبيب نظرة حاسد فاسودت ، الا انه فرق بين السوادين ، مات المترجم سنة الف ومائتين وتسع رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن الحسن بن عبد الله الظفري الصنعاني

عالم صنعاء وفرد العلماء ونخبة الفضلاء وعمدة النبلاء ، ولد في سنة الف ومائة وست وسبعين . قال في البرج الطالع في ترجمته : برع في العلوم الآلية ، وشارك في غيرها ، وله فهم جيد وادراك قوي ، وسمت حسن وعقل رصين . وكان مجتهداً يعمل بالسنة والكتاب ولا يأخذ بقول

مجتهد ولا يعد التقليد من الصواب ، بل يتقيد بالنصوص الصحيحة والدلائل الصريحة . [١] توفي سنة الف ومائتين وسنة واحدة .

السيد محمد بن حسن المعروف بالمحتسب

عالم زمانه العامل وفاضل أوانه الكامل ، من استوى على عرش الفضائل واحتوى على سامي الشمائل ، ولد سنة الف ومائة وسبعين ، وأخذ العلوم عن جماعة من علماء صنعاء المتقنين ، فروى عنهم واستفاد وأعطى وأجاز وأفاد ، وشارك في علم السنة مشاركة قوية حتى صار يعمل بالأدلة من الكتاب والسنة المحمدية ، وكان حسن الطاعة بعيداً من الاضاعة ، متعبداً صالحاً زاهداً ناجحاً ، لين الجانب قريب الاجابة لكل طالب ، توفي سنة الف ومائتين وسبع وخمسين .

القاضي محمد بن حسن بن علي الذماري

الشيخ العابد والصالح الزاهد ، العامل الهمام والألمعي الامام ، ولد سنة الف ومائتين قال في البدر الطالع : له ذهن قوي وفهم سوي ، وذكاء كأنه شعلة نار ، وادراك فاق به على الأخيار ، وشعر رائق ونثر فائق ، حضر الأكابر وأخذ عنهم كابراً عن كابر . وله مؤلفات عديدة ، ومصنفات بكل حسن فريدة ، وتقريرات فائقه وكتابات رائقة [٢] توفي سنة الف ومائتين ونيف وستين .

---

(١) يظن كثير من الناس أن العمل بالكتاب والسنة وبالاجتهاد ، هو فتح لباب الفوضى والفساد ، وهذا خطأ لا يحتمل الصواب ، وإنما القصد أن ينظر العلماء فيما يجد ويتجدد من الحوادث والنوازل ، وما يسخر للانسان من مخترعات البر والبحر والجو ، فيستنبطون لها من الكتاب والسنة الأحكام ، من حلال وحرام ، على قاعدة جلب المصالح ، للأمة ودرء المضار والمفاسد عنها ، هذا هو الطريق الوسط بين الجمود والتقليد ، وبين التهور أو التدهور المسمى بالتجديد !

(٢) في معجم المؤلفين : من آثاره « الاقتصاد » في التراجم .

الشيخ محمد بن احمد مشحم الصفدي الاصل الصنعاني المولد

قال في البدو الطالع : ولد سنة الف ومائة وست وثمانين ، وقرأ في سائر العلوم ، وشارك في سائر الفنون ، له ذهن قويم وفهم جيد مستقيم، وذكاء متوقد وحسن تصور باهر وقوة إدراك مفرط ، وهو ممن لا يعول على التقليد بل يعمل بما ترجحه الأدلة ، ولاّه مولانا الامام المنصور بالله القضاء بصنعاء من جملة قضاتها ، ثم حج ثم نقل إلى قضاء الحديدة ، ثم رغب عن القضاء لما حصل من الفتن بتهامة ، ورجع إلى صنعاء وأخذ في فنون الحديث ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في رجب سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن أحمد الشاطبي الصنعاني

العالم العامل والجهبذ الكامل ، شمس سماء العلوم وكوكب اشراق المنطوق والمفهوم ، ولد سنة الف ومائتين وعشرة وقرأ على المشايخ في الآلات والحديث ، وله مشاركة في باقي العلوم [١] ، وهو قوي الفهم صحيح التصور من عباد الله الصالحين ، ومن العاملين بالأدلة ، السائرين على الطريقة النبوية ، الموثرين لها على الرأي [٢] وكذلك والده العالم الفاضل ، الزاهد العابد الشيخ أحمد الشاطبي المرقوم أكثر الله أمثالهما ، وجعل الجنة مأواهما .

قرأ نيل الاوطار وفتح القدير وارشاد الفحول على مؤلفها ، وقرأ في كثير من مجاميع الحديث من الأمهات وغيرها ، وبالجملة فهو من أكابر العلماء وأحاسن الفضلاء توفي سنة ألف ومائتين و . . . .

---

(١) في الأعلام : ولد وعاش في صنعاء ، وتوفي بالواعظات (من بلاد تهامة) له كتابان في « الطب » و « الفرائض » .

(٢) قدمنا في ترجمة (المعروف بالمحتسب) قبل صفحة ما يغني عن الإعادة والزيادة .

الشيخ محمد بن احمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي الشهير بابن الجوهري

الإمام الالمعي والذكي اللوذعي ، من عجنت طينته بماء المعارف وتآخت طبيعته مع العوارف ، العمدة العلامة والنحرير الفهامة ، فريد عصره ووحيد دهره ، وهو أحد الاخوة الثلاثة وأصغرهم ويعرف هو بالصغير .

ولد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده في عفة وصون وعفاف ، وقرأ عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ احمد ، وعلى الشيخ خليل المغربي والشيخ محمد الفرماوي وغيرهم من فضلاء الوقت ، وأجازه الشيخ محمد الملوي بما في فهرسته . وحضر دروس الشيخ عطية الأجهوري في الأصول والفقه وغير ذلك ، فلازمه وبه تخرج في الالقاء ، وحضر الشيخ علي الصعيدي والبراوي ، وتلقى عن الشيخ حسن الجبرتي كثيراً من العلوم ، ولازم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفردا ، وكان يحبه ويميل إليه ويقبل بكليته عليه .

وحج مع والده في سنة ثمان وستين وجاور معه ، فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله الميرغني صاحب اللطائف ، واقتبس من فوائده واجتنى من ثماره ، وكان آية في الفهم والذكاء ، والغوص والاقتدار على حل المشكلات ، وأقرأ الكتب وألقى الدروس بالأشرفية ، واظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس ، والذهاب والترداد إلى بيوت الأعيان ، والتزهد عما بأيديهم ، فأحبه الناس وصار له أتباع ومحبون ، وساعده على ذلك الغنى والثروة وشهرة والده وإقبال الناس عليه ومدحتهم له وترغيبهم في زيادته ، وتزوج ببنت الخواجا الكريمي وسكن بدارها المجاور لبيت والده بالأزبكية ، واتخذ له مكاناً خاصاً بمنزل والده يجلس فيه في أوقات ، وكل من حضر عند أبيه في حال انقطاعه من الاكابر أو من غيرهم للزيارة أو للتلقي ، يأمره بزيارة

ابنه المترجم والتلقي عنه وطلبهم الدعاء منه ، ويحكي لهم عنه مزايا وكرامات ومكاشفات ومجاهدات وزهديات ، فازداد اعتقاد الناس فيه . وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ومشايخه وقرنائه ، وتردد عليهم وترددوا عليه ، ويبيتون عنـده ويطعمهم ويكرمهم ويتنزه معهم في أيام النيل مع الحشمة والكمال ، ومجانبة الأمور المخلة بالمروءة .

ولما مات اخوه الكبير الشيخ احمد وقد كان تصدر بعد والده في اقراء الدروس ، أجمع الخاص والعام على تقدم المترجم في اقراء الدروس في الأزهر والمشهد الحسيني في رمضان ، فامتنع من ذلك ، وواظب على حالة انجماعه وطريقته واملائه الدروس بالأشرفية . وحج في سنة سبع وثمانين ومائة ألف ، وجاور سنة وعقد دروساً بالحرم وانتفع به الطلبة ، ثم عاد إلى وطنه وزاد في الانجماع والتحجب عن الناس في أكثر الأوقات ، فعظمت رغبة الناس فيه ، ورد هداياهم مرة بعد أخرى ، وأظهر الغنى عنهم فازداد ميل الناس إليـه ، وجبلت قلوبهم على حبه واعتقاده .

وتردد الأمراء وسعوا لزيارته افواجا ، وربما احتجب عن ملاقاتهم ، وقلد بعضهم بعضاً في السعي ، ولم يعهد عليه أنه دخل بيت أمير قط ، أو أكل من طعام أحد قط ، إلا بعض أشياخه المتقدمين ، وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان ، مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة في وجوههم إذا أتوا إليه ، وازدادت شهرتـه وطار صيته ، ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند والشام والروم ، وقصدوا زيارته والتبرك به ، وحج أيضاً في سنة تسع وتسعين لما حصلت الفتنة بين أمراء مصر ، فسافر بأهله وعياله وقصد المجاورة ، فجاور سنة واقرأ هناك دروسا ، واشترى كتباً نفيسة ، ثم عاد إلى مصر واستمر على حالته في انجماعه وتحجبه عن الناس ، بل بالغ في ذلك ، ويقرىء ويملي الدروس بالأشرفية ، وأحياناً بزاويتهم بدرب شمس الدولة ، وأحياناً بمنزله بالأزبكية .

ولما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي ، باتفاق الأمراء والمتصدرين من الفقهاء ، وهاجت حفائظ الشافعية ، ذهبوا إليه وطلبوه للمشيخة فأبى ذلك ، ووعدهم بالقيام لنصرتهم وتولية من يريدونه ، فاجتمعوا ببيت الشيخ البكري واختاروا الشيخ أحمد العروسي لذلك ، وأرسلوا إلى الأمراء فلم يوافقوا على ذلك ، فركب المترجم بصحبة الجمع إلى ضريح الإمام الشافعي ، ولم يزل حتى نقض ما أبرمه العلماء والأمراء ، ورد المشيخة إلى الشافعية ، وتولى الشيخ أحمد العروسي وتم له الأمر كما تقدم ذلك في ترجمة العريشي ، ولما توفي الشيخ أحمد العروسي كان المترجم غائباً عن مصر في زيارة سيدي أحمد البدوي ، فأهمل الأمر حتى حضر وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوي بإشارته .

ولم يزل وافر الحرمة معتقداً عند الخاص والعام ، حتى حضر الفرنساوية واختلت الأمور وشارك الناس في تلقي البلاء ، وذهب ما كان له بأيدي التجار ونهب بيته وكتبه التي جمعها ، وتراكمت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له اختلاط ، ولم يزل حتى توفي يوم الأحد حادي عشرين شهر ذي القعدة الحرام عام الف ومائتين وخمسة عشر بحارة برجوان ، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن عند والده وأخيه بزاوية القادرية بدرب شمس الدولة . وبالجملة فكان من محاسن مصر والفريد في العصر ، ذهنه وقاد ونظمه مستجاد ، وكان رقيق الطبع لطيف الذات ، مترفهاً في مأكله وملبسه .

ومن مؤلفاته مختصر المنهج في الفقه ، وزاد عليه فوائد ، واختصر الاسم وسماه النهج ، ثم شرحه وهو بالغ في بابه ، ومنها شرح المعجم الوجيز لشيخه السيد عبد الله الميرغني ، وقد اعتنى به وقرأه درساً ، ومنها شرح عقيدة والده المسماة منقذة العبيد في كراريس أجاد فيه جداً ، ورسالة في تعريف شكر المنعم ، وشرح الجزرية ، والدر النظيم في تحقيق

الكلام القديم ، ونظم عقائد النسفي ، وعقيدة في التوحيد وشرحها بشرحين، واللمعة الألمعية في قول الشافعي باسلام القدرية ، وتحقيق الفرق بين علم الجنس وبين اسمه ، واتحاف الكامل ببيان تعريف العامل ، وزهر الأفهام في تحقيق الوضع وما له من الأقسام ، وحلية ذوي الأفهام بتحقيق دلالة العام ، واتحاف الطرف في بيان متعلق الظرف ، والروض الأزهر في حديث من رأى منكم منكر ، ورسالة في تعريف الشكر العرفي ، وثمرة غريس الاغتناء بتحقيق أسباب البناء ، والدر المنثور في الساجور[1] ، واتحاف الآمال بجواب السؤال في الحمل والوضع ، لبعض الرجال ، واتحاف الأحبة في الضبة أي المفضضة ، ورسالة في التوجه واتمام الأركان ، ورسالة في زكاة النابت ، ورسالة في ثبوت رمضان ، ورسالة في أركان الحج ، ورسالة في مُد عجوة ودرهم ، ورسالة في مسألة الغصب ، وحاشية على شرح ابن قاسم العبادي إلى البيوع ، والروض الوسيم في المفتى به من المذهب القديم، ورسالة في النذر للشريف ، ورسالة في اهداء القرب للنبي عليه السلام ، ورسالة في الأصولي والأصول ، ورسالة في مسألة ذوي الأرحام واتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف . وله غير ذلك منظومات وضوابط وتحقيقات [2] رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن محفوظ بن منفاخ الدمشقي الصالحي المعروف بابي تفالة

قطب الشام وبركة الأنام ، صاحب الكرامات الكثيرة والكشوفات الشهيرة ، والاخبارات العجيبة الواقعة المصيبة ، وكان كثير الأحوال

---

(١) الساجور : خشبة تعلق في عنق الكلب ، ويقال : في أعناقهم سواجير ، أي أغلال .

(٢) انتهى من « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » الجبرتي (ج ٧ ص ١٩١ ـ ٢٠٢). وذكر له في معجم المطبوعات » : إتحاف أولي الألبـــاب ، بشرح ما يتعلق في (سيّ) من الإعراب ـ وهو شرح على منظومته في إعراب (لا سيما) مصر سنة ١٢٧٨ هـ .

مع الهيبة والجلال ، دائم الاصطلام على مر الأيام ، لا يتقيد بلباس ولا بمعرفة قدر أحد من الناس ، قد أسكره شراب المحبة ، وقصره على الشخوص إلى الأحبة . وكان كثير القعود في الطريق أمام المحل الذي دفن فيه ، ويطلب من المارين الدراهم فمن لم يعطه شتمه بملء فيه ، ولكن من الغريب وأعجب العجيب ، ان من مر عليه ولم يكن معه شيء من الدراهم لم يتعرض له بل يمر عليه وهو له باسم .

ولد بدمشق الشام ونشأ بها وهو على حالة الجذب والاصطلام ، ولم يزل يقوى عليه الحال ويترقى في مدارج الجلال ، ويزداد تصديق الناس لحاله ويحكمون بنواله لمرغوبه حسب آماله ، إلى أن مات رضى الله عنه يوم عيد عرفة سنة سبع عشرة ومائتين والف ، وحضر جنازته الجم الغفير والعدد الكثير ، ودفن في حجرته في جامع السكة جانب حمام العفيف ، ويعرف الجامع الذي دفن فيه بجامع العفيف ، وقبره فيه ظاهر في الجهة الشرقية من الرواق الشمالي ، وعليه شعرية حائلة بين القبر ومصلى الناس ، وهو مقصود بالزيارة يزوره الناس ويتبركون به ، ومن جملة ما رقم عند قبره الشريف رفع الله قدره المنيف :

اعط المعية حقهـا والزم له حسن الأدب
واعـلم بأنك عبده في كل حال وهو رب

الشيخ محمد بن سعيد سنبل الدمشقي

العالم العامل والفاضل الكامل . ولد بدمشق وبها نشأ وأخذ عن والده المذكور ، وعن الشيخ سعيد سفر وعن العلامة أحمد الجوهري وأخيه محمد الطاهر ووالدهما وعن العلامة محمد عارف بن حجار وعن العجيمي والدمنهوري ، واشتهر بالعلم والصلاح والفضل . توفي عام ثمانية عشر ومائتين والف رحمه الله تعالى ،

الشيخ محمد المهدي المغربي الزواوي المالكي
مقدم الطريقة الخلوتية

شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة ، صاحب الفيوضات الالهية والكشوفات الربانية ، العارف بالله والمقبل بكليته على مولاه ، المرشد الامام والمسلك الهمام .

ولد في المغرب سنة الف ومائتين ، ثم لما استولى الفرنسيون على الجزائر وتوابعها هاجر بعياله إلى دمشق الشام سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، واستقام في حارة الخضيرية ، وكان يقيم الأذكار ويسلك المريدين في مدرسة الخضيرية . وقد أخذ عنه كبراء دمشق وعلماؤها وحكامها وفضلاءها . وأخذ عنه الوزير الكبير والمشير العظيم الخطير ، صاحب الدولة أحمد عزة باشا ، وكان والي دمشق ومشير الأوردي الهمايوني [١] الخامس ولم يزل ملازماً للطريق على أتم حال وأكمل منوال ، إلى أن دخلت سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، فكان ما كان من حادثة النصارى المعروفة بفوق العادة ، وقد أمرت الدولة باطلاق الرصاص على الوالي المرقوم لنسبتها القصور اليه ، وترتب هذه الفتنة على اهماله وعدم مدافعته ، ولم تتمكن الدولة من اطفاء نار الفتنة إلا باعدامه كما ذكرت ذلك باطول من هذا الكلام في ترجمة الوالي المذكور ، [٢] فمات شهيداً مظلوماً ودفن بمقبرة بني الزكي بصالحية دمشق ، جوار سيدي محي الدين قدس سره . ومن المشهور أن صاحب الترجمة كان يقول له يا أحمد ستموت شهيداً ، ولما أرادوا قتله عرضوا عليه الماء فلم يقبل وقال أنا صائم ولم أفطر إلا في الجنة ، مات

---

(١) الجيش السلطاني .

(٢) تجد ترجمته المفصلة ، وذكر هذه الحوادث والفجائع التي حدثت في عهده في (ج ١ ص ٢٦٠ ـ ٢٨٠) من هذا التاريخ ، وتعليقاتنا عليها .

المترجم سنة ثمان وسبعين ومائتين والف ، وحضر غسله الأفاضل والأعيان والأماثل وذوو الشأن ، ولما وضع نعشه على الأعناق ازدحم عليه الناس حتى صارت كالبساط تحته ، وانسدت الطرقات فلم يجد الانسان طريقاً للسلوك ، وصلى عليه الألوف من الناس في جامع بني أمية ، ودفن في قاسيون في مقبرة سيدنا نبي الله ذي الكفل ، وقبره معروف مشهور عليه مهابة ونور .

الشيخ محمد أبو القاسم بن عربي المغربي الفلالي

الأسمر المشهور بالشرف ، الصوفي الصالح والمرشد الناجح ، بركة الأنام وعمدة الاسلام ، القدوة الكامل والنخبة الفاضل ، معتقد الصالحين ومعتمد الناجحين . كان اماما في القراآت السبعية ، وكان ملازماً لتلاوة الدلائل في الصلاة على خير البرية . وكان كثير التواضع مهاباً مقبول الدعوة مجاباً ، له اليد الطولى في كلام القوم ، ومواظبة كلية على القيام والصوم ، وكان أسمر اللون طويل القامة ، ذا هيئة حسنة جميلة ، ملازماً لمقام الشيخ الأكبر . وكانت وفاته في منتصف رمضان المبارك سنة سبع وثمانين ومائتين والف ، ودفن في تربة ابن الزكي جوار جامع سلطان العارفين الشيخ الأكبر قدس سره .

الشيخ محمد بن صالح بن عبد القادر بن ابراهيم ابن السيد شرف الدين

الحنفي الشهير بالكيلاني نسبة إلى سيدنا عبد القادر الكيلاني الحسني ، ولد المترجم سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده واجتهد في العلم والطلب ونال بحمد الله غاية الأرب ، واجازه السادة الأفاضل والقادة ذوو الشمائل ، واستفاد وأفاد ، وألف الكتب والرسائل وأجاد . ومن جملة تأليفاته « نسمات الأسحار في فضائل العشرة الأبرار » والحاصل أنه

كان من السادات الصالحين والأفاضل المعتقدين ، ناهجاً منهج أسلافه مشهوراً بين الناس في حسن أوصافه ، وكان خاشعاً متواضعاً مهاباً مقبول الكلمة ، وكانت وفـــاته رحمه الله في دمشق سنة أربع وأربعين ومائتين والف ، ودفن بسفح قاسيون بتربة سيدنا ذي الكفل [١] .

الشيخ محمد أنيس بن حسن بن مصطفى الطرابلسي
الأصل الدمشقي المولد الحنفي

أحد أمناء الفتوى بدمشق الشام لدى مفتيها العالم العلامة السيد محمود أفندي حمزه كان المترجم المرقوم على قدم صالح ودين راجح ، وتقوى وعبادة وصلاح وزهادة ، وحلم وعمل من غير ملل ولا كسل ، مات في الخامس والعشرين من رمضان سنة خمس وتسعين ومائتين والف ودفن قرب تربة بني حمزة .

السيد محمد نصيب بن السيد حسين بن السيد يحيى نقيب الأشراف
ابن السيد حسن نقيب الاشراف بن السيد عبد الكريم
نقيب الاشراف الحسيني

الدمشقي الحنفي المشهور بابن حمزة . من أفاضل الصدور ، والأعيان ذوي القدر العالي المشهور ، الامام الشريف والعالم العامل الزاهد العفيف ، صاحب الفواضل والعرفان فريد العصر والأوان .

---

(١) جاء في روض البشر للأستاذ الشطي بعد ختام هذه الترجمة ما يأتي :
قلت : أثبت العلامة المرادي في تاريخه ، تراجم جملة من أسلاف صاحب الترجمة وأثنى عليهم ، وذكر في ترجمة جد المترجم السيد عبد القادر بيان سبب انتقالهم من حماة الى دمشق وذلك سنة ١١٤٣ هـ .

ولد بدمشق خامس عشر صفر سنة احدى ومائتين والف ، ونشأ بها معتكفاً على الطلب والعلم والأدب ، مع العفة والصيانة والتقوى والديانة ، أخذ عن السيد شاكر العقاد الشهير بمقدم سعد ، وعن الشمس محمد الكزبري وعن الشيخ محمد عيد العاني والشيخ عبد الكريم الطاراتي وعن الشيخ أحمد المخللاتي وعن غيرهم ،وله من النثر والنظام ما يزدري بكلام ابن نباتة وأبي تمام [١].

---

(١) أقول : ههنا ترك الأستاذ المؤلف الجد رحمه الله تعالى صفحتين لم يملأهما بشيء ، ولكنه في آخر الصفحة الثانية ذكر سنة وفاته ، فرأيت أن أثبت هنا ترجمة المترجم بقلم ولده العلامة محمود أفندي حمزة مفتي دمشق الأسبق في شرحه على بديعية والده المترجم ، (نقلاً عن روض البشر للأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله) :

قال ما مختصره : ولد في منتصف صفر سنة احدى ومائتين وألف ، وتوفي والده وعمره سنتان ، فكفله أخوه السيد محمد سعدي ، ونشأ في حجره ، وتعلّم القرآن الكريم وهو ابن خمس ، وتعلم الخط بنوعيه وهو ابن سبع ، ثم اشتغل بطلب العلم ، فأخذ التجويد وشيئاً من الفقه عن الشريف حسن المكي ، والفقه والنحو والعروض عن العلامة السيد شاكر مقدم سعد ، وكان أغلب قراءته عليه ، وسمع الحديث من العلامة الشمس محمد الكزبري ، ثم قرأ الأربعين النووية والتوحيد والنحو والصرف والمعاني والبيان على العلامة الشيخ محمد عيد العاني ، وأخذ الفقه أيضاً ، والتفسير والنحو كالدر والبيضاوي والفاكهي عن العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وطرفاً من الفرائض والحساب عن النحرير الشيخ أحمد المخللاتي الفرضي . وأخذ الطريقة الخلوتية عن الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السمري . ثم درس في الفقه والنحو والتجويد والعروض مدة في داره ، وفي مسجد جدّه الحافظ كمال الدين الكائن بزقاق النقيب ، وانتفع به جماعة .

وقد نظم رحمه الله بديعية ضمنها ذكر المولد الشريف ، طبعت سنة ١٣٠١ وله شرح لطيف على الكافي ، في العروض والقوافي ، وديوان شعر ، سماه « قريضة الفكر » . وكان له الرغبة التامة في مطالعة كتب الأدب ، واشعار العرب ، والفهم الثاقب في المستظرفات من الأعمال اليدوية . وكان حسن السيرة والسريرة لدى الخاص والعام ، مع الاعراض التام عن مزاحمة الناس في المناصب . وأخيراً أجبر على جعله من اعضاء المجلس الكبير بالشام ، وكان كثيراً ما يحال اليه من المجلس المذكور ومن غيره معضلات القضايا ، فيحلها أحسن حل مع رضا الطرفين .

مات غاية ذي الحجة الحرام سنة خمس وستين ومائتين والف ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح بجوار أجداده قرب مزار سيدنا أبي شامة المقدسي.

الشريف محمد بن محمود بن حسين بن محمد بن أمين الدمشقي الحنفي

المعروف بمحمد أفندي الشريف المكي ، ولد بدمشق سنة ثلاث ومائتين والف ، ونشأ بها واشتغل مدة بالطلب على العلماء الدمشقيين ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الله الكردي وغيرهم ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ خالد الحضرة الكردي ، وكان يشتغل خياطاً مدة طويلة ، ثم تركها لضعف في بصره ولكبره ، وكان فقيراً صالحاً . ثم وضع نائبا في المحكمة الكبرى بدمشق ، فكان بعد ذلك عرضة

ـــ وكان له القبول التام عند الوزراء العظام ، وهم يزورونه ويحترمونه . وقد حج البيت الحرام سنة ١٢٥٧ ، وصار بينه وبين الشريف فاخر محبة ومودة .

وكانت وفاته في الساعة الخامسة من نهار الخميس ، سلخ شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٥ ودفن بمرج الدحداح ، رحمه الله تعالى . انتهى

ومن شعر المترجم منظومة نسبه الحسيني التي أولها :

بعد ابتداء بسم الله أحمده حمداً يليق به والشكر يعضده

وقال مشطّراً هذين البيتين للشهورين :

(أيها الحامل همّا) لا يكن عيشك ضنكا
كلّ ما تلقاه منا (برضانا خلّ عنكا)
(لا تدبر لك أمراً) تلق بالتدبير هلكا
سلّم الأمر الينا (نحن أولى بك منكا)

قال الأستاذ الشطي : وقد أعقب المترجم أولاده الخمسة : العابد الزاهد سليم أفندي المتوفي سنة ١٣٠١ . والعلامة الفراكة محمود أفندي مفتي دمشق المتوفي سنة ١٣٠٥ ، والخليل النبيل أسعد أفندي المتوفي سنة ١٣٠٧ ، وراغب أفندي ، ومحي الدين أفندي ، وبنو حمزة بدمشق من أكابر وجهائها وأفاضل علمائها اه مختصراً .

الكلام ، وكـــثر عليـه الانتقاد ونسب اليه مالا يليق بمقـام من يتولى الأحكام . مات يوم الأحد خامس عشر جمادي الأولى سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة مرج الدحداح رحمنا الله وإياه (١) .

الشيخ محمد بن عمر البرْجكلي ثم الدمشقي الحنفي الشهير بالصوفي

ولد في برْجيك سنة ثلاث ومائتين وألف ونشأ بها ، وفي سنة ثلاثـين ومائتين وألف قدم دمشق الشام واستوطنها . وكان زاهداً عابداً متفقهاً في دينه حسن الكتابة في أنواع الخطوط ، وكان له محل في حارة حمام القاضي يأخـــذ الناس عنه الكتابة فيه ، وكان جميـل المنظر ذا هيبة ووقار ، لايتكلم إلا في الوعظ والرقائق والمذاكرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنواع الاذكار . وكان معتقداً عند الخاص والعام يتـبرك به ويطلب دعاه ، وكان شافعي المذهب صوفي المشرب ، مات في اليـــوم التاسع من ذي الحجة الحرام سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح (٢) .

الشيخ محمد كمال الدين بن محمد شريف بن أبي المعالي محمد الغزي الدمشقي الشافعي مفتي الشافعية في دمشق الشام

حامل علم العلم الباذخ ، وحامي حمى الفضل الذي هو فيـــه راس وراسخ ، منبع الكمالات والفضائل ، ومربع ذوي المعارف والفواضل ، من ارتوى من نمير العوارف ، وتحلى بحلية الجمالات واللطائف .

---

(١) ذيّل هذه الترجمة الأستاذ الشطي بقوله : أعقب صاحب الترجمة أولاداً ، أكبرهم وأفضلهم أبو الخير افندي رئيس الكتاب بالمحكمة المذكورة ، (محكمة الباب) ثم مميز الأوراق بها ، المتوفى (سنة ١٣١٩) وهو والد محمد أفندي مدير الأيتام السابق المتوفى (سنة ١٣٥٥) .

(٢) علّق على هذه الترجمة الأستاذ الشطي بقوله : المترجم هو والد الفاضل الشيخ سعيد الصوفي الخطاط المعروف المتوفى بعد سنة ١٣١٠

ولد في دمشق في اليوم السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده ، واشتغل عليه وعلى غيره من السادة الفضلاء والأئمة النبلاء ، منهم الشيخ احمد البعلي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق والعلامة صالح الأزهري والعلامة محمد البخاري ومحمد ابن عبدالله بن محمد بن فيروز الحنبلي والعلامة البصير عن محمد سفر وعن العلامة أبي الطيب احمد بن عبدالله السويدي وأخته أم الخير رقية وعن محمد سعيد السويدي ويوسف الزرقاني ومحمد بن علي الشنواني وابراهيم بن خطاب البجيرمي الشافعي والعلامة عبدالعليم المالكي والسيد مصطفى الأيوبي الأنصاري الرحمتي والشيخ التافلاتي مفتي القدس ومحب الله الهندي وابن منجا الطرابلسي واسماعيل القاضي واسماعيل أبو الفدا المواهبي .

وله تأليفات منيفة ورسائل شريفة ، منها التذكرة الكمالية ، المسماة « بالدر المكنون » والجمان المصون من فرائد العلوم وفوائد الفنون ، ومنها الورد الأنسي والوارد القدسي ، في ترجمة العارف عبدالغني النابلسي. وشاعت فضائله في أقطار البلاد وانتفع به الحاضر والباد ، حتى ذاع ذكره بين أكابر الحكام ، وشاع قدره بين الخاص والعام ، مات في السابع والعشرين من صفر سنة اربع عشرة ، ومائتين وألف ودفن في الدحداح [1] .

---

(١) ذكر الأستاذ الشطي آباء هذا المترجم إلى شهاب الدين أحمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي (قال) : وأحمد هذا هو جدّ بني الغزي الأعلى الذي قدم دمشق من غزة بني هاشم وتوفي (سنة ٨٢٢) . وتولى (المترجم) إفتاء الشافعية بدمشق بعد والده في محرم (١٢٠٣) ، وألف مؤلفات لطيفة أغلبها في التاريخ والأدب ، فمنها « النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل » جعله ذيلاً على طبقات العلامة العليمي ، مبتدئاً من رأس القرن العاشر حتى رأس القرن الثالث عشر ، (قال الشطي) : وقد وفقني الله تعالى ، فاختصرت طبقات العليمي ، فذيل المترجم الغزي ، فشاهير الحنابلة من بعده إلى عصرنا الحاضر ، وسميت « مختصر طبقات —

الشيخ محمد امين الكردي الشافعي المجاور في مسجد جامع الأقصاب

عالم عامل وزاهد فاضل ، معتكف على التقوى والديانـــة متصف بالخلوة والصيانة ، له شهرة عالية وآثار في الكمال وافيـــة ، ذو هيبة وجمال ولطف وكمال ، له مواظبة على التفكر والمراقبة ، مـــات في دمشق سنة ثلاث وسبعين ومـــائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح رحمه الله .

ـــ الحنابلة » وطبعت بدمشق (سنة ١٣٣٩) وهو معروف مشهور ، (قال) : ومن مجاميع صاحب الترجمة ، التذكرة الكمالية التي تنقل منها في بعض التراجم ، وهي عشرون جزءاً ، وسماها : (الدر المكنون والجمال المصون ، من فرائد العلوم وفوائد الفنون) وقد اطلعت على بعضها وفيها السواد والبياض : وتشتمل على فوائد وتراجم وآداب شتى . ومن مجاميعه (المورد الأنسي ، في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي) وله غير ذلك من المصنفات التاريخية ، والمجامع الأدبية ، وشعره كثير ، ونثره غزير ، وقد أورد الشطي نماذج من شعره ونثره ، ومن ذلك ما كتبه الى العالم الأديب الشيخ أحمد البربير :

ياسيدي زدت بعادي إلى ... أن صار جسمي للتجافي خيال
أنقصت حظ الصب مع أنه ... لم ير في خلق إلا الكمال

فأجابه المترجم بقوله :

مولاي ياذا المكرمات التي ... في نظمها والحسن تحكي اللآل
ومن رقي هام العلى وانتهى ... لفضله بين الورى الانتهال
بمن حباكم رق فضل غدا ... بحبكم ذا وكلٍ واختيال
كفّوا بساط العتب حلماً ولا ... تؤاخذوني بمطال المطال

وكانت وفاة المترجم في صفر سنة ١٢١٤ عن واحد وأربعين عاما .

الشيخ محمد بن أحمد وهبي الحنفي الدمشقي
المعروف بابن سنان (١)

الحائز حميد الخصال والمستوي في المكان على منصة الاعتدال ، والمحتوي من العلوم على المرام وكان له ذكر جميل في كل مقام ، وكان له حظ وافر وقبول عال وكان معدوداً من ذوي الكمال ، مات بدمشق سنة أربعين ومائتين وألف ودفن في مقبره مرج الدحداح .

---

(١) ظفر صديقنا الأستاذ المؤرخ الشيخ جميل الشطي بهذه « التذكرة الكمالية » التي وصفها في ترجمة مؤلفها الشيخ محمد كمال الدين العزي ، فكانت كنزاً ثميناً ، عثر فيه على تراجم لم يكن مثلها في غيره ، ومنها ترجمة ابن سنان هذه التي كتب فيها مؤلف « حلية البشر » هذه الأسطر القليلة ، وانا ننقل ترجمته باختصار قليل عن « روض البشر » وقد أثرها هو عن « التذكرة الكمالية » فقال : هو محمد بن سنان بن أحمد ابن سنان بن عثمان بن أحمد القرماني المحتد ، الدمشقي المنشأ والمولد ، الحنفي . الشيخ الفاضل ، الكاتب المنشىء المهام ، أبو المكارم فخر الدين الشهير بابن سنان . كان مولده بدمشق في سابع عشري رمضان (سنة ١١٣٩) . ونشأ بها في حجر والده ، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ علي المصري مؤدب الأطفال ثم طلب العلم ، فقرأ مبادىء الفقه والعربية على الشيخ علي بن حمزة البغدادي نزيل دمشق ، ولازم في الفقه والعربية خالي الزين مصطفى بن محمد الرحتي الأيوبي ، وبه انتفع وعلى يديه تخرج وأجاز له بخطه . وحضر دروس الحديث على كلّ من جدي العمس محمد بن عبد الرحمن العزي والعماد اسماعيل بن محمد العجلوني ، والشهاب أحمد بن علي المنيني ، والعلم صالح بن ابراهيم الجينيني ، وكتب له الأخير إجازة وقفت عليها . وحضر دروس التفسير والحديث والعربية على كل من العلامة علي بن أحمد الكزبري ، والشرف موسى بن أسعد المحاسني ، والجمال عبد الله بن زين الدين البصروي والشيخ محمد بن أحمد قولنصز ، وحضر دروس الهداية في الفقه على كل من المولى حامد بن علي العمادي ، والمولى علي بن محمد المرادي مفتي دمشق ، في التكية السليمانية . (ثم قال) : وحج صاحب الترجمة (سنة ١١٦١) ، واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين وكان له من الوظائف كتابة وقف التكية السليمانية ، وكتابة وقف الغازي مراد باشا ، وكان ملازماً للصلوات الخمس مع الجماعة في الجامع الأموي (ثم قال) وكان جمع كتباً نفيسة ونظم شعراً قليلا ، وكانت وفاته فجأة (سنة ١٢١٠) ولعل سنة الوفاة هذه أصح مما جاء في الحلية : (سنة ١٢٤٠) والله أعلم .

السيد محمد علاء الدين بن السيد محمد عابدين
ابن السيد عمر بن السيد عبد العزيز

ابن السيد أحمد بن السيد عبد الرحيم بن السيد نجم الدين بن السيد الشريف العالم العامل والولي الفاضل ، محمد صلاح الدين الشهير بعابدين ، ابن السيد نجم الدين الثاني بن السيد محمد كمال بن السيد تقي الدين الشهير بالمدرس ، بن السيد مصطفى الشهابي بن السيد حسين بن السيد رحمة الله ابن السيد أحمد الثاني بن السيد علي بن السيد أحمد الثالث بن السيد محمود ابن السيد أحمد الرابع بن السيد عبد الله بن السيد عز الدين بن السيد عبد الله الثاني بن السيد قاسم بن السيد حسن بن السيد اسمعيل بن السيد حسين ابن السيد أحمد الخامس بن السيد اسماعيل الثاني بن السيد محمد بن السيد اسماعيل الأعرج بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام محمد الباقر ابن السيد الإمـام علي زين العابدين بن حضرة السيد الإمام سيد الشهداء حسين بن السيدة الطاهرة البتول فاطمة الزهراء بضعة سيد المرسلين وزوجة سيدنا علي بن عم سيد الأولين والآخرين .

ولد المترجم المرقوم في دمشق الشام في ثالث ربيع الأول سنة أربع وأربعين ومائتين وألف ، ومن حين تمييزه اشتغل في قراءة القرآن ، إلى أن أتقنه غاية الاتقان ، ثم اشتغل في الطلب ونال منه ما رام وطلب ، وقصد البيت الحرام للنسك والعبادة ، أربع مرات وهو عازم على الزيادة ، وأخذ عن جملة من العلماء ، وعصبة من الفضلاء ، ما بين دمشقيين ومصريين وروميين وحجازيين . من أجلهم سيدي والده السيد الشيخ محمد أمين عابدين وسيدي والدي الشيخ حسن البيطار ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وشيخ الأزهر الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ عليش والشيخ ابراهيم السقا والشيخ المبلط والشيخ المنصوري وغـيرهم من السادة

المصريين ، وعن الشيخ جمال والمرغني والشيـــخ محمد الكتبي وعن الشيخ دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمـة ، وعن الشيخ يوسف الغزي رئيس المدرسين بالمدينة المنورة ، وعن كثير من الواردين من عراقيين ورومييين، ومن جملة من أخـذ عنه في الشام أيضاً الشيخ عبدالرحمن الطيبي والشيخ حسن الشطي والشيخ حامد العطار والشيخ هاشم التاجي ، وغـيرهم من السادات الأجلاء العظام والقادات الفضلاء الكرام ، وأفاد واستفاد وحصل مارام واراد .

وله من التأليفـات الشريفة : كتاب معراج النجاح على متن نور الإيضاح في مجلد كبـير ، وكتاب قرة عيون الأخيار تكملة حاشية رد المحتار على الدر المختار ، لوالده العلامة السيد محمد امين عابدين ، ورسالة إغاثة العاري لزلة القاري ، وكتاب الهدية العلائية ، وكتاب مثير الهمم الأبية إلى ماأدخلته العوام في اللغة العربية .

وقد سافر إلى الاستانة العلية دار مملكة الدولة الاسلامية ، ووظف بها عضواً في الجمعية العلمية ، الشعبة من ديوان أحكام العدلية ، سنة خمس وثمانين ومائتين وألف . ثم بعـد ثلاث سنين قدم استعفاء ، وحضر للشام بمعاش شهري ، ونيشان (وسام) من الرتبة الرابعة وباية إزمير ، ثم تعين رئيساً للجمعية الخـيرية فى الشام ، ثم صار نائباً في طرابلس الشام سنتين ونصفاً ، أولها شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف ، ثم أرسل اليه من الدولة فرمان[1] مولوية ادرنه من بلاد الخمسة باية مجردة سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ، ثم في سنة إحدى بعـد الثلاثمائة والألف أرسل له فرمان [1] باية بورسه من بلاد الخمسة موصلة الحرمين الشريفين ، ثم في ثامن محرم الحرام سنة أربع بعد الثلاثمائة والألف وجهت

---

(١) براءة سلطانية .

عليه باية مكة المكرمة والنيشان عـالي الشان المجيدي من الصنف الثالث ، وهو إلى الآن رئيس ثان في مجلس معـارف ولاية سورية الجليلة . ولم يزل مشتغلاً في الإفادة ، والإرشاد مع التقوى والعبادة ، وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج .

ولم يزل يترقى في درج الكمال ويتعلق بأسباب النجاح والنوال ، ويشتهر في الآفـاق ذكره ويعلو في الأنام قدره ، إلى أن مرض في يوم الجمعة مستهل شوال ولم يزل يزداد مرضه إلى أن توفي يوم الاثنين حادي عشر شوال قبيل طلوع الشمس ، وذلك سنة ست وثلاثمائة وألف ، وصلي عليه الظهر في الجامع الأموي . وحضر جنازته جم غفير وجمع كثير ، حتى كاد أن يقال حضر جنازته أهل البلد ولم يتخلف عنها كبير ولا ولد ، فغصت الطرقات من الازدحام وعلت الأصوات بالبكاء الذي لايرام ، ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من والده رحمـة الله تعالى عليه وعلى المسلمين أجمعين .

الشيخ محمد شمس الدين بن حسن بن يوسف الدمشقي الحنفي الخلوتي المعروف بالطباخ

شيخ الطريقة الخلوتية وعين الحقيقة الجلوتية ، المربي الناصح والمرشد الناجح ، ولد بدمشق ونشأ بهـا في حجر والده بالأدب والصيانة والعفة والأمانة . أخذ الطريقة الخلوتية عن والده وهو أخذها عن السيد نصري عن الشيخ مرجان ، عن القطب عيسى بن كنان ، عن القطب الكـبير الشيخ العباسيّ ، عن الهيكل الصمداني الشيخ احمد العسالي الرباني ، واشتغل المترجم في الطريق والأذكار . والإرشاد في الليل والنهار ، إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ودفن في الدحداح .

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد حجازي الشافعي البقاعي الشهير بالكفرسوسي

أحد العلماء العظام وأوحد الفضلاء الكرام ، العالم الفاضل والعامل الكامل ، كان من الأماجد الأعيان والمقدمين ذوي القدر والشان ، توفي يوم عاشوراء سنة تسع وعشرين ومائتين وألف ودفن في الدحداح [١] .

الشيخ محمد الزهري بن عمر بن محمد بن محمد بن عمر الدمياطي الأصل الدمشقي

الحنفي المعروف باليافي الخلوتي ، شيخ الطريقة الخلوتية بدمشق المحمية الشيخ الصالح المؤدب المرشد الناصح ، الورع الزاهد والناسك العابد ، الخاشع .

ولد بدمشق ونشأ بها ، وأحيا الطريقة الخلوتيـــة وأقام الاذكار ، واشتهر صلاحه وزهده وورعه وتقواه في هـــذه الديار ، وشاع صيته في سائر الأقطار ، وكان ذا هيبة ووقار ، أخذ الطريقة الخلوتية عن أبيـه وألبسه الخرقة وأذن له في الاذكار ، وأعطاه الطريق لمستحقه ، ولا زال عاملاً بما أوصاه به والده إلى أن خطبته المنية سنة سبعين ومائتين وألف ، ودفن في تربة الدحداح عند والده .

السيد محمد سعيد افندي الكيلاني بن السيد محمد بن السيد صالح بن السيد عبد القادر بن السيد ابراهيم

ابن السيد شرف الدين بن السيد احمد بن السيد علي الهاشمي بن السيد

---

(١) ذيل هذه الترجمة الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي بقوله : المترجم هو ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكفرسوسي الذي تولى فتوى الشافعية بدمشق ، وتوفي سنة ١١٧٩ كما في تاريخ سلفنا المرادي ، رحمهم الله تعالى .

احمد شهاب الدين بن السيد قاسم شرف الدين بن السيد يحيى محي الدين بن السيد حسين نور الدين بن السيد علي علاء الدين بن السيد شمس الدين بن السيد يحيى سيف الدين ، وهو أول من نزل حماه واستوطنها ، بن السيد احمد ظهير الدين بن السيد محمد ابو النصر بن قاضي القضاة السيد عبد الرزاق ابو صالح بن القطب الأعظم ، والغوث الفرد الأفخم ، السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه .

ولد المترجم سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف في دمشق الشام ، ونشأ في الطاعة والتقوى والصيام والقيام ، إلى أن جلس على سجادة المشيخة العلية في الطريقة القادرية ، وأرشد وأفاد وخدم طريقة جده حسب المراد ، وجعل داره مورد المريدين ومأوى القاصدين ، وهو من أعيان دمشق الشام وصدورها ذوي القدر والاحترام . ومن حين أن شب خطبته المناصب ورفعته على أعلى المراتب ، إلى أن صار عضواً في مجلس ادارة ولاية دمشق ذات الرعاية والحفظ والحماية ، ومع ذلك فهو لطيف متواضع ليس على طالبه حاجب ولا مانع ، حسن العبادة كثير الوداد ، مساعد لمن يقصده على المراد ، سيرته حسنة وشمائله مستحسنة ، حاتمي الكرم علوي الهمم ، صحيح النسب رفيع الحسب أعلا الله علاه ورفع على درجات القرب مرتقاه .

الشيخ محمد عيد بن محمد بن محمد احمد العابي الدمشقي الشافعي

ولد بدمشق الشام ونشأ بها في حجر والده ، وكان شهيراً في العلم والصلاح وسلوك منهج السعادة والفلاح ، مستقيم الأطوار أشهر من الشمس في رابعة النهار . مات غرة جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف ودفن في تربة الدحداح .

الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن ابن القاضي جمال الدين الأيوبي الانصاري الدمشقي الحنفي المعروف بالرحمتي نسبة الى جده رحمة الله

ولد بدمشق سنة ست وسبعين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده ، وكان حسن المجالسة لطيف المؤانسة ، مقتنناً في العلوم دقيق النظر مابين المنطوق والمفهوم .

رحل الى المدينة المنورة واستقام بها وأخذ عن فضلائها ، ومن أجلهم صهره العلامة احمد افندي الياس مفتي المدينة المنورة ، وأخذ أيضاً عن محمد افندي ميرغني مفتي مكة المكرمة ، وقرأ الشفا الشريف للقاضي عياض درساً عاماً تجاه الحجرة الشريفة بتوجيه من السلطان محمود ، وأقام في المدينة الى سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ، ثم عاد الى دمشق الشام .

وقد أخذ عن والده الحديث المسلسل بالحنفيين ، ورواه عنه ، ووالده يرويه عن الأستاذ عبد الغني النابلسي ، عن والده الشيخ اسماعيل ، عن والده عن الشيخ اسماعيل عن شمس الدين بن طولون عن لسان الدين محمود عن والده سري الدين عبد البر بن الشحنة عن زين الدين بن قطلوبغا عن أمين الدين القاهري عن موفق الدين محمد بن محمد الأكفاني عن عز الدين أحمد بن المظفر عن حافظ الدين محمد بن محمد عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار عن بدر الدين عمر بن عبد الكريم عن ركن الدين عبد الرحمن الكرماني عن شمس الدين محمد بن الحسن عن عبد الرحيم بن عبد العزيز عن القاضي أبي زيد عبدالله بن عيسى الدبوسي عن أبي جعفر السمرقندي عن أبي الحسن علي النسفي عن الامام الكبير أبي بكر بن محمد بن الفضل عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب السندموني عن

أبي حفص عن احمد أبي حفص الكبير عن أبي عبد الله محمد بن الحسين الشيباني عن تقي الدين احمد بن محمد الشمني عن محمد بن الحسن عن الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان عن عبد الله بن أبي حبيبة عن أبي الدرداء قال كنت رديف رسول الله ﷺ فقال يا أبا الدرداء من شهد أن لاإله إلا الله واني محمد رسول الله وجبت له الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال فسار ساعة فأعاد الكلام عليّ فقلت وإن زنى وإن سرق قال ﷺ وإن زنى وإن سرق ، وإن رغم أنف أبي الدرداء ، قال فكان أبو الدرداء يحدث بهذا الحديث جميعه ، ويضع اصبعه على أنفه ويقول : وإن رغم أنف أبي الدرداء . مات المترجم بدمشق سنة خمسين ومائتين والف ودفن في الدحداح (١) .

الشيخ محمد نجيب بن احمد بن سليمان بن احمد بن محمد الدمشقي الجنفي الشهير بالقلعي

البدر الذي سرى في سماء المعارف فاهتدى بنوره كل مريد صادق عارف ، وحيد الفضائل والكمال محمود الشمائل والخصال ، من سمت أوصافه وخلائقه وزكت شيمه وطرائقه . وساد على أقرانه وأحرز قصب السبق في ميدانه ، وتحلى بأحاسن الشيم وتوشح بجلباب الفضائل والكرم ، فهو الأوحد البارع في الكمال والأمجد السامي ندوة الافضال ، العلامة العارف الحائز رتب المعارف ، قطب الدائرة الكونية وفقيه الديار الشامية ، وإمام مذهب النعمان ومعتمد هذا الشان .

---

(١) في روض البشر للأستاذ الشطي عن (حلية البشر وغيره) ما ملخصه : ولد سنة ١١٨١ (ثم قال) : ان صاحب الترجمة ساد وبرع ، وأقام بالمدينة المنورة ، يستفيد ويفيد ، حتى أقرأ كتاب الشفاء تجاه الحضرة النبوية بتوجيه سلطاني ، وألف المؤلفات النافعة ، الى أن عاد الى الشام سنة ١٢٢٥ ، فدرس في الجامع الأموي ، وكانت وفاته سنة ١٢٥٠ ودفن بمقبرة الباب الصغير اه قلت : ليتنا نقف على أسماء مؤلفاته إذ لم تطبع .

ولد بدمشق سنة ستين ومائة والف ، ونشأ متطوراً بطور الكمال متحلياً بأنواع الجمال ، واشتغل بأنواع العلوم من فروع وأصول ، ومعقول ومنقول ، وأخذ عن جملة من العلماء الأعلام ، والأئمة الكرام ، من دمشقيين ، وحجازيين ، ومصريين ، وعراقيين ، ومن أجلهم السيد مصطفى ابن شمس الدين محمد بن رحمة الله بن السيد عبد المحسن الأيوبي الأنصاري الدمشقي الحنفي ، وعن السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس والشيخ مصطفى بن ابراهيم الحلبي محشي الدر المختار ، واعلا أسانيده في أخذ الأحكام الفقهية عن السيد مصصفى الأيوبي المولود سنة ١١٣٥ المتوفى سنة ١٢٠٥ عن العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي المولود في ذي الحجة سنة ١٠٥٠ المتوفى سنة ١١٤٣ عن والده الشيخ اسماعيل النابلسى المولود سنة ١٠١٧ المتوفى سنة ١١٦٣ عن الشهاب احمد الشوبري المولود سنة ... المتوفى سنة ١٠٦٦ عن عمر بن نجيم المولود سنة ... المتوفى سنة ١٠٠٥ عن الشهاب احمد بن يوسف الشلبي المولود سنة ٨٨٠ المتوفى سنة ٩٤٧ عن الثر عبد البر بن الشحنة المولود سنة ٨٥١ المتوفى سنة ٩٢١ عن الكمال محمد بن عبد الواحد المولود سنة ٧٨٨ المتوفى سنة ٨٦١ عن علاء الدين اليرامي المولود سنة ... المتوفى سنة ٧٧٠ عن السيد جلال الدين الكبير المولود سنة ؟ المتوفى سنة ٧٤٥ عن الامام أبي عبد الستار محمد بن عبد الستار الكردري المولود سنة ٥٥٩ المتوفى سنة ٦٤٣ عن البرهان علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني صاحب الهداية المولود سنة ؟ المتوفى سنة ٥٩٣ عن فخر الاسلام علي بن محمد بن الحسين البزدوي المولود سنة ٤٠٠ المتوفى سنة ٤٨٣ عن شمس الأئمة عبد العزيز بن احمد بن نصر بن صالح الحلواني المولود سنة ... المتوفى سنة ٤٤٨ عن القاضى أبي علي الحسين ابن الخضر النسفي المولود سنة ٣٤٤ المتوفى سنة ٤٢٤ عن الامام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري المولود سنة ٣٠٧ المتوفى سنة ٣٨٨ عن عبد الله

ابن محمد بن يعقوب السيدموني المولود سنة ٢٥٨ المتوفى سنة ٣٤٠ عن الأمير أبي عبدالله محمد بن أبي حفص احمد بن محمد البخاري ولد سنة ... وتوفي سنة ٢٧٢ عن والده أبي حفص المولود سنة ١٥٠ المتوفى سنة ٢١٧ عن الامام محمد بن الحسن الشيباني المولود سنة ١٣١ المتوفى سنة ١٨٩ عن سيدنا سراج الأمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت المولود سنة ٨٠ المتوفى سنة ١٥٠ عن حماد بن مسلم المولود سنة ... المتوفى سنة ١٢٠ عن ابراهيم النخعي الكوفي المولود سنة ... المتوفى سنة ٩٦ عن علقمة بن قيس بن مالك النخعي الفقيه ، ولد في حياة رسول الله ﷺ وتوفي سنة ٦٣ عن عبد الله بن مسعود ابن الحارث بن غافل بن حبيب المتوفى سنة ٣٢ عن النبي ﷺ المولود عام الفيل والمتوفى سنه ١١ بعد الهجرة .

هذا وان والدي يروي عنه ماتجوز له روايته عن مشايخه ، ويروى عنه بالسند الحديث المسلسل بالأولية ، كما يرويه هو عن الشيخ محمد عقيله قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الشيخ محمد بن عبد العزيز المنوفي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي الخير بن عموس قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن شيخ الاسلام الشريف زكريا بن محمد الأنصاري قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم العراقي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الصدر أبي الفتح محمد بن محمد الميدومي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي سعيد اسماعيل النيسابورى قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي طاهر محمد بن محمد بن مخمش الزيادي

قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي حافد احمد بن محمد بن يحيى البزار قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن عبد الرحيم بن بشر بن الحاكم النيسابوري قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن سفيان بن عُيَيْنَة قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء قال الترمذي حديث حسن صحيح .

توفي المترجم المرقوم في اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة إحدى وأربعين ومائتين والف ، ودفن في باب الصغير قرب قبر سيدنا أوس بن أوس الثقفي الصحابي الجليل رضي الله عنه[1] .

السيد محمد عطا الله الأيوبي ، بن محمد سعيد ، بن الشهاب أحمد ، بن محمد نجيب ، بن ابراهيم ، بن القاضي عبد المحسن ، بن القاضي جمال الدين يوسف ، ابن شهاب الدين أحمد ، بن ولي الدين محمد ، بن شهاب الدين أحمد ، بن يوسف جمال الدين بن تقي الدين ، بن أبي بكر عين الملك ، بن رمضان الاخلاطي ، بن زين الدين عبدالقادر أبي عبد الله محمد ، بن محمد بن ابراهيم ، بن يوسف ، بن عبد الرحمن ، بن عمير ، بن كثير بن زيد ، بن حسان ، بن سالم ، بن عبد الرحمن ، ابن ابراهيم ، بن الاشعث ، بن ثعلبة ، بن سهل بن سهيل ، بن أبي القاسم الجنيد ، بن مقدم ، بن شرحبيل ، بن عمير ، بن نظير ، بن مطعم الليثي ، ابن الصحابي الجليل أبي أيوب خالد بن زيد الخزرجي الانصاري ، رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

ولد يوم الثلاثاء غاية جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف ، ونشأ يتيما ، وعند بلوغه سبع سنين اشتغل بقراءة القرآن إلى أن أتقنه ،

---

(١) في روض البشر : وقد اشتهر بعض ذرية صاحب الترجمة بالشيخ نجيب ، وبعضهم بقنبازو ، وهم أسرة معروفة بدمشق .

ثم اشتغل بطلب العلم إلى أن وقع على مقصوده منه ، على أفاضل دمشق الشام ، وفي سنة الألف والمائتين والخمسين خدم الشريعة المطهرة في محكمة الباب مدة سبع سنوات ، ثم خاف على نفسه من وقوعه بالغلط فخرج منها ، وأقبل على مولاه وادبر عما سواه ، مات يوم الخميس في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف .

الشيخ محمد المغربي السوسي ثم الدمشقي المالكي

ولد بسوس سنة نيف وثمانين ومائة وألف ، وقرأ وأتقن ، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها وحضر على علمائها ، وكان صالحاً معتزلاً عن الناس مشتغلاً بنفسه ، وكان فقيهاً عالماً بفن القراءة مات بدمشق نهار السبت سادس عشر ذي الحجة الحرام سنة خمسين ومائتين وألف ودفن في باب الصغير .

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد الكزبري الشافعي الدمشقي

ولد سنة ألف ومائتين وتسع وأخذ عن والده ونشأ في حجره ، وأخذ عن غيره من العلماء ، إلى أن فاق والده كما قيل ، وصار له ذكر بين الناس جميل ، وقصده الناس للطلب والحيازة على الأرب ، إلا أن المنية قد استعجلته ومن بين الناس قد اخذته ، سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين ودفن بباب الصغير .

الشيخ محمد بن سليمان الجوخدار الدمشقي الحنفي

ولد سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين تقريبا ، وأخذ عن شيخ الشام الشيخ سعيد الحلبي ، وعلى الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعلى غيرهم من الشيوخ ، حتى برع واشتهر وعد من العلماء الأعلام والسادة الكرام ، وكثر

طالبوه حتى أن صار من أكثر العلماء طلبة [١] وفي سنة ثمان وسبعين بعد المائتين والألف صار نائباً بمحكمة الباب بدمشق الشام ، فتغير طوره وتكدر ذكره ، وانكشف شمس اقباله وظهر للناس تبدل أحواله . نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة . ولم يزل نائباً في محكمة الباب إلى أن نعق عليه غراب المنية بالذهاب ، مات رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف ودفن في باب الصغير قرب قبر الشيخ هاشم التاجي .

الشيخ محمد بن سعيد المنير بن محمد أمين الحنفي الدمشقي الشهير بالمنير

ولد بدمشق سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف ، ونشأ بها وأخذ العلوم عن السادة الفحول ، ونال مرامه فوق المأمول ، من أجلهم الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ ابراهيم الباجوري ، وعن الشيخ عبد اللطيف افندي مفتي بيروت ، وكان نبيل المحاضرة جميل المعاشرة ، كثيراً ما أقرأ الطلبة في جامع بني أمية دروساً عامة وخاصة ، وكذلك في جامع السنانية . وحج ثلاث مرات وقرأ الشفا درساً عاماً في حرم النبي ﷺ [٢] . مات في الساعة

---

(١) في « روض البشر » : وممن أخذ عنه شيخنا العلامة الشيخ بكري العطار ، والشيخ محمد خطيب دوما ، وحسين افندي الغزي ، والشيخ نجيب العطار ، وغيرهم ممن لا يحصى ، (قال) ثم أنه نقل من محكمة الباب الكبرى الى محكمة السنانية ، لأسباب أوجبت ذلك ، فلما صار المفتي محمود افندي الحمزاوي وكيلاً عن القاضي محمود عزيز افندي (سنة ١٢٩٠) أعاد المترجم الى نيابة الباب ، فلم يزل فيها على حالته العلمية والقضائية حتى توفي (سنة ١٢٩٧) .

(٢) في (روض البشر) نقلاً عن ابن أخي المترجم الأستاذ الشيخ عارف ، ما ملخصه : وكان له حرمة وهيبة وكلمة مسموعة ، وكان ينتخب عضواً في المجالس العلمية . وكان والد المترجم السيد سعيد المنير عالماً فاضلاً مفتياً على التدريس والإمامة في محراب الشافعية بالجامع الأموي ، توفي (سنة ١٢٢٩ هـ) قال العطي : وقد أعقب المترجم ولده الوجيه سعيد افندي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ .

الثانية من ليلة الاثنين في الليلة التاسعة والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف ودفن في مقبرة باب الصغير

القاضي شمس الدين محمد افندي الجابي الحنفي العثماني الدمشقي

عين أعيان الدولة الدمشقية ، وحلية سادات الأقطار الشامية ، روض المعارف والاجلال وروح دوح المطارف والافضال ، ذو الأوصاف العلية والأحوال الجلية ، بدر ذوي التحقيق المستضاء بنور افضاله ، وشمس أولي التدقيق المستنار بإشراق سناء كماله ، الجامع بين طرفي المنقول والمعقول ، والقاطف بأنامل افهامه ثمرات الفروع من رياض الأصول ، ولد عام مائتين وثمانية بعد الألف . وقرأ على والدي المرحوم كتباً جة ، وفنوناً عديدة بكل جد وهمة ، وكان جل انتفاعه عليه ، وأكثر تردده اليه ، ثم توجهت اليه عين عناية المناصب ، وخطبته لترتفع به على أعلى المراتب ، فذهب إلى بغداد قاضياً ، ثم بعدها توجه اليه قضاء المدينة المنورة . وفي شوال عام اثنين وتسعين ومائتين وألف وجه عليه قضاء الاستانة العلية [1] ، وأرسل لحضرته الفرمان العالي الشان مع نيشانين فاخرين ، وألبسة رسمية ، وعند حضور ذلك حضر الوزراء الفخام والأعيان الكرام ، للتبريك له بذلك ، فكان فرد الشام وعمدة الأعيان العظام ، مات رابع شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

---

(١) في (روض البشر) : وفي سنة ١٢٦٠ صار من أعضاء مجلس الشورى الكبير ، وما زال يتقلب في الرتب العلية والأوسمة العثمانية ، حتى حاز رتبة قضاء استانبول العلية (سنة ١٢٩٣) ولم يكن حازها من أهل الشام أحد قبله . (ثم قال) : وقد أعقب الوجيه الفاضل عارف أفندي المتوفى بالاستانة (سنة ١٣٠٤) وهذا هو والد الفاضل الكامل عثمان أفندي المتوفي في حدود سنة ١٣٣٠ رحمهم الله .

وقد مدحه أديب عصره ولبيب اقليمه ومصره ، عبد الباقي أفندي الفاروقي العمري حينما شرف المترجم الى بغداد قاضياً فقال : لما شرف من دمشق الشام إلى دار السلام ، جناب قاضيها السيد المولى محمد افندي جامـــع أشتات الفضائل وابن جابيها ، وذلك بواسطة مشيرها وواليها ، وبالاشارة العلية من حضرة شيخ ملة الاسلام ومفتيها ، واستبشرت بمبارك قدومه أهالي الزوراء قاصيها ودانيها ، وقصدته مصاقـــع شعراء العراق بقصائدها المشحونة بتهانيها ، قلت مهنئاً ومؤرخاً عام تشريفه بغداد وحلول ركابه بناديها ، بهذه القصيدة المزرية بتأليف جواهرها وتنظيمات لئاليها ، مرصعاً مصارعها بنعت ولي نعم هذه الأمم ومولى مواليهـا ، شاكراً من تلك الأيدي على هذه النعمة فضل أياديها ، فقال :

ظهر الدين طالعاً من أكنه ... كهلال عنه أميطت دجنه
وحمدنا عند الصباح سراه ... حيث قد جاء مطلقاً للأعنه
ونفى الجور عدل قاض بحق ... وقـع آرائه كوقع الأسنه
ولأهل الزوراء من غير زور ... كم وكم منحة أتت إثر محنه
فأذاقت قطر العراق على مر ... الليالي أحلى من المن منه
وقضت حاجة ليعقوب كانت ... من قـــديم بنفسه مستجنه
بقضاء المولى محمد هذا الـــــعصر لما لربّه بث حزنه
وشقيق النعمان جاء من الشا ... م فخلناه شامة فوق وجنه
واذا جاء الحق من بعد يأس ... ذهب الباطل المورث هجنه
يا لندب زد الشريعة بكراً ... فغدت شـــبة وكانت مسنه
جبر الكسر من قلوب اليتامى ... فهي لم تخش بعد ذلك وهنه
وقد انتاش الشرع شرع أبيه ... من يدي هاتك من الشرع صونه
ثاقب رأيه بنصل حجاه ... شاهد الزور ليس يأمن طعنه
غوث أهل الكمال بل هو غيث ... كم بيوم النوال جاد بمزنه

خلقه كالنسيم والعقل منـــه مستقيم ونفسه مطمئنـــه
حسن كله تقول المعالي لا تلمني إذا تعشقت حسنه
لم نخف وهو عندنا من سوى سحـــــر عيون المَهـا ، لك الله ، فتنه
بيض الله وجهه ما ازدهته من سواد العراق خضراء دمنه
أخذ الزهد والتقى عن أويس والهدى عن سفيان بن عيينه
صام عن أكل السحت حتى وقا ه شر يوم الحساب والصوم جنه
شهد الحق أنه مثل ما قـــد قلت فيه ويشهد الله انـــه
ويح قوم من قبله سجنوا الحـــــق وفيه قد أطلق الحق سجنه
وتعاطى إظهـــاره من خفاء بعد ما أدغموه من غير غنه
فيه شيخ الاسلام ما ضَنّ لكن ظن خيراً فأحسن الله ظنه

ومنهـــا

كنز فقـــه بصدره درر البحر الذي فيه غنيتي مستكنه

ومنهـــا

ذو فنون أفنان دوح علاها فوقها العندليب أظهر فنـــه

ومنهـــا

بيتـــه بيت عصمة وفناه حرم فيه يبلغ الدين أمنه
بابه باب حطـــة رفع اللـــــه على عاتق السموات ركنه
هو للدين حصنه وحري بالمعالي من شاد لله حصنه
طود فخر رأس تطاول حتى طاولت منه قنة العرش قنه

ومنهـــا

واشاراتـــه العليـــة تكسو شامخات الرؤوس أسنى مئنه

ومنهـــا

خصه الله بالكمال فأعطي للزبرقان ليلة التم ثمنـــه

إلى أن قال

عش مدى الدهر كم أمتّ بهذا ال ... قطر من بدعة وأحييت سنه
ولسان الدين انتضى ينشد الحـــق بثغر قد أضحك البشر سنه
من يدي قاضي النار بشراك أرخ ... أنجد الحق حكم قاضي الجنه

١٢٦٥

الشيخ محمد بن أحمد بن محمد أبي الفتح العجلوني الجعفري الشافعي الدمشقي

ولد بدمشق يوم الاثنين في اليوم العشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف ، ونشأ بها بالأدب والصيانة والزهد والقناعة والديانة ، أخذ عن والده المرقوم ، وعن عمه الشيخ صالح بن محمد أبي الفتح ، وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعن الشهاب أحمد العطار ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن والده وعن عمه المرقوم الشيخ صالح ، وأخذ الطريقة المحمودية عن ابن عمه الشيخ عبد الحليم العجلوني . وكان مهاباً محترماً من أعيان دمشق الشام . مات في الليلة الأولى من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ محمد المصري المجذوب

كان مقيما في مدرسة الشميصاتية شمالي جامع بني أمية في الأودة (الحجرة) التي عند المطاهر ويصعد اليها بدرج ، كان ملازماً لهذه الحجرة لا يخرج منها في ليل ولا في نهار ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً سوى الطعام في بعض الأوقات ، مع انه كان محبوبا عند الناس ، وله هيبة وجلالة ، إذا كان طوره متغيرا لا يجسر عليه أحد اجلالا له وخوفاً منه . وكان له اخبارات

غيبية وكشوفات علية ، وظهر له كرامات تثبت انه عند الله من ذوي الرتب والعنايات . وعلى كل حال فان أطواره كانت غريبة وأحواله كانت عجيبة ، واستقامته لا يقدر عليها أحد إلا من لاحظته عين المدد . توفي رحمه الله ثاني عشر رجب سنة احدى وسبعين ومائتين والف ، وحضر غسله وجنازته والصلاة عليه الأعيان والكبار والأصناف والتجار ، فكانت جنازته من أعجب العجائب وأغرب الغرائب ، ومـــا ترى من أحد إلا ودموعه تتساقط من عيونه تساقط البرد ، كأنه له والد أو ولد ، ودفن في باب الصغير عند قبر سيدنا بلال رضي الله عنه .

الشيخ محمد بن محمد بن محمود بن جيش المقدمي المعروف بابن بدير

الامام الصالح العالم العامل الناجح ، الورع الناسك العابد التقي النقي الزاهد ، الفاضل المتقن واللوذعي المتفنن ، أخذ عن الشيـــخ محمد الميهي والشيخ عيسى البراوي المتوفى سنة ١١٨٣ وعن الشيخ محمد الرُّزي والشيخ محمد الفارسكوري والعلامة الملوي والعلامة الشيخ أحمد الجوهري والشيـخ محمد الحفني والشيخ أحمد الراشدي والشيخ أحمد الدمنهوري والشيـــخ علي الصعيدي والعلامة محمود الكردي والشيخ مصطفى أبو النصر وغيرهم .

مات رحمه الله تعالى في الثامن والعشرين من شعبان سنة عشرين ومائتين والف عن نيف وستين سنة ، وقد أخذ عنه الشيـخ محمد الكزبري وابن فتح الله البيروتي وغيرهما ، ولا ريب انه كان أوحد الفضلاء ومفرد العلماء ونخبة الصلحاء .

الشيخ محمد بن عثمان افندي العقيلي

أحد شيوخ دمشق الشام ونخبة السادة العلماء الأعلام ، بحر الحقائق وكنز الدقائق ، الفقيه ذو العرفان كعبة طواف أهل مذهب النعمان ، أخذ

على والده عثمان افندي ، وهو عن الشيـــخ طه بن مهنا الشافعي الحلبي الشهير بالجبريني ، وهو عن علامة الزمان سيدي عبد الله بن سالم البصري ، وانتفع به خلق كثير وجم غفير ، فأخذ عنه الشيخ سعيد الحلبي الدمشقي وأجازه ، والشيـــخ مصطفى الأيوبي الأنصاري الحنفى الشهير بالرحمتي ، وغيرهما من العلماء والسادة الفضلاء . مات رحمه الله سابع جمادى الاولى سنة تسع ومائتين والف .

الشيخ محمد بن احمد الحلواني مفتي ثغر بيروت

شيخ الاسلام مفتي الأنام ، التقي الزاهد والهمام الماجد ، نخبة الأئمة الكرام وعمدة السادة الأعلام ، المتقن المحقق والمتفنن المدقق ، الجامع بين طرفي المعقول والمنقول ، والمتضلع في معرفة الفروع والأصول . أخذ عن الفضلاء الأفراد وشاع ذكره في الأمصار والبلاد ، ثم ترك الافتاء وقدم الى الشام ، واشتغل في الافادة والطاعة والصلاة والصيام والقيام ، ولقد قرأ على سيدي الوالد ، وتلقى عنه الفنون والفوائد . مات رحمه الله تعالى سنة أربع وسبعين ومائتين والف . ودفن بجبانة باب الصغير قرب ضريح سيدنا أوس الثقفي رضي الله عنه [1] .

الشيخ محمد الدسوقي الدمشقي

امام علمٍ رقى في الأنام منارُه ، وارتفعت على طود الاقبال ناره ، وهمام طيب الكون أرج نشره ، وملأ الآفاق جميل ذكره ، وتعلم الناس

---

(١) لخص ترجمته هذه وأشار اليها في (روض البشر) فقال : كان عالماً عاملاً ورعاً تقيا ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولي إفتاء ثغر بيروت ، وعزل عنه لحادثة وقعت له مع النصارى ، وقد أخذ العلم عن كثيرين ، من أجلهم محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وقد انتفع فه جم كثير ، وجم غفير .

منه حقيقة التقوى والعبادة والعفه والزهادة [١] . مات رحمه الله في شهر محرم الحرام سنة تسع عشرة ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ محمد بن شاكر بن محمد بن اسماعيل الدمشقي الحنفي الشهير بالسكري [٢]

الامام الهمام الفاضل الكامل ، ولد بدمشق الشام ، ومذ نشأ شرع في تحصيل العلوم ، ثم سافر إلى مصر ودخل الجامع الأزهر ، فأخذ عن العلماء المصريين كالشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ السقا والشيخ عليش وأمثالهم ، ثم بعد أن علا قدره وأشرق بدره ، عاد إلى وطنه دمشق الشام ، وأخذ عن فضلائها الفخام ، كالشيخ عبد الرحمن الكزبري والسيد محمد عابدين وسيدي الوالد ، ثم تولى إمامة جامع المرحوم درويش باشا

---

(١) قال أستاذنا العلاّمة المحقق الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه تعطير المشام من ترجمته : ولما أكمل المادّة على أشياخه اشتهر فضله ، وتصدى للاقراء ، وانتفع به الجم الغفير ، وكان غالب دروسه في حجرة في جامع حسّان ظاهر باب الجابية ، وهناك يقرىء الدروس الليلية والنهارية ، وكان خطيباً به وإماما ، وكان لخطبته التأثير العظيم في القلوب بحيث لا يتمالك من البكاء من حضرها لقوة حاله وصلاحه ، (ثم قال) : ورأيت في مجموعة وفيات انه توفي رحمه الله في ١٣ محرم سنة ١٣٤٢ : فيكون توفي في منزلة (هدية) قافلاً من الحج ، والله أعلم وقال : وكان في الركب يومئذ العلامة الشيخ خالد النقشبندي فعاده مرارا ، وكان يجله ويعظمه كثيرا لعرفه وصلاحه وعلمه ، رحمهما الله تعالى اه ويرى القارىء هنا الاختلاف في تاريخ الوفاة ومحلّها .

(٢) قال الأستاذ الشطي : ترجمه لنا ولده الأستاذ الفاضل الشيخ سعيد بما خلاصته : العالم الفقيه الصالح القدوة كان متضلعاً في العلوم متفنناً ورعاً زاهدا ، يغلب عليه حب الانزواء والعزلة ، ولد في حدود (سنة ١٢٣٠) بدمشق ، ومن مشايخه كل من العلامتين الشيخ حسن الشطي والشيخ هاشم التاجي وأقرانهما ، ثم رحل الى القاهرة .

وخطابته ، وكان ملازماً لحجرته في الجامع المرقوم لإقراء الدروس وإفادة الطالبين [١] ، ثم قبل وفاته بثلاثة أشهر ولي تدريس التكية السليمية بعد موت المرحوم عبد الرحمن افندي البوصنه‌لي ، فقرأ الدرس مدة ثلاثة أشهر [٢] ثم مرض مرض الموت ، وكانت وفاته يوم عيد الأضحى سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف ودفن بباب الصغير .

الشيخ محمد الدمشقي الحنفي المعروف بسكر

أحد الأفاضل وأوحد الأماثل ، ولد في دمشق ونشأ بها ، وكان عالماً عاملاً متفنناً فاضلاً ، له اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية ، خصوصاً في المعاني والبيان ، فانه كان مرفوع الرتبة على الاقران ، غير انه قد أخره الدهر لفقره ، وخفض له اعلام تعظيمه وقدره ، وكان ذا طاعة وعبادة وتقوى وزهادة . توفي بدمشق سنة نيف وستين [٣] ومائتين والف ودفن بباب الصغير .

الشيخ محمد بن الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري الدلسي الحسني المالكي الدمشقي [٤]

كعبة الافراد الآتي من الابداع بما أراد ، والناظم لمنثور الأدب والراقم

---

(١) ومن قبل أقام في حجرته المعروفة في المدرسة السيباتية ، وصار يقرأ فيها الدروس الخاصة ، فانتفع به خلق كثير .

(٢) أو ستة أشهر كما في ترجمة ولده له .

(٣) ذيلها في (روض البشر) بقوله : (أو سبعين) .

(٤) هو أديب لغوي صوفي ، ولد ببيروت ، وتعلّم بدمشق ، وتوفي سنة ١٣٣٠ ، ودفن في المزة بظاهر دمشق ، نبغ في اللغة والأدب وبرع في المناظرات والمحاضرات والمساجلات ، وهو أحد ناشري العلم والتعليم في مدرسة الريحانية ، ومؤسستها ، تخرج على يده كثير من الأدباء والبلغاء (قال الأستاذ التقي الحصني الذي نلخص هذه السطور عن كتابه « منتخبات التواريخ » وكنت أحد تلامذته في تلك المدرسة اهـ (أقول : وأنا كنت أحد تلاميذه في الريحانية) جزاه الله عنا خير الجزاء ، وله رسائل ومحاورات أدبية كثيرة ، (انظر مؤلفاته في آخر الترجمة) .

في كتاب دلائله على فضائله ما يقضي له باسمى الرتب . ولد سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، وقرأ على السادة الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ، الى أن برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، وأتى من المنظوم والمنثور بما يدهش العقول ويشرح الصدور ، ومن جملة ذلك مقامته التي توصل بها الى مديح من كانت ذاته الشريفة مطلعا للهمم ومشرعاً للكرم ، حضرة مولانا الأمير السيد عبد القادر الحسني الجزائري التي سماها غناء الهزار في محاورة الليل

١٠٥١ ٢٤٤

والنهار ، والسجعة الأولى من التسمية يؤخذ من حساب حروفها تاريخ إنشائها وترصيفها ، وهي بحروفها لتدل على قدر مبدعها وموصوفها : حمداً لمن فتح أبواب الخير في جميع الأوقات ، ويسر أنواع البر وقدر أصناف الأقوات . وصلاة وسلاماً على من واظب على بث الحكمة ودأب ، وعلى آله الذين تنافسوا فيما جاء به من العلم والأدب ، ما تعاقب الغدو والمساء ، وضحكت الأرض من بكاء السماء .

وبعد فاني تفكرت ذات يوم في اختلاف الليل والنهار ، وما أودع الله فيهما من لطائف الحكم والأسرار ، مصغياً لما يترجمه لسان الحال ، لأسند ذلك اليه دون انتحال ، فرويت عنه من أنبائها بدائع وغرائب ، وقد قيل ان في الليل والنهار عجائب :

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

فصغت تلك المعاني ، في مقامة رقيقة المباني ، مشحونة بغرر من نتائج الأفكار ، ودرر تزهو على البنات الأبكار ، يزداد بها الأديب علماً وتبياناً ، ويرتاد منها الأريب أدبا وعرفانا . وأبرزتها في معرض المحاورة ، لتجنح اليها أرباب المحاضرة ، فهي فكاهة أحلى من عيش الصبا ، ونفثة أرق من نفحة نسيم الصبا . وشحنتها بمدح أمير تتحلى بوصفه البراعة ، وتنطلق في تقييد شمائله الشريفة أيدي اليراعة . فلله فوائد كفرائد اللؤلؤ

في السلك ، أو رحيق مختوم ختامه مسك ، وذلك انه ابدى الضيـــاء والدجى ما هو للعين قرة ، فـكلما أسفر ذاك عن بياض الغرة ، قابله هذا بسواد الطرة ، ثم استنجد كل منهما صاحبه ، بعد أن رشق خصمه بسهام صائبة . وإذا بالليل حمل على النهار ، فجعل حمرَة وردته كصفرة البهار . وخطر يجر ذيول تيهه وعجبه ، مرصعاً تيجان مفاخره بدرر شهبه ، وقد كساه بدر الكمال برد الجمال ، ولوائح الهيبة والجلال ، تلوح عليه في ذلك المجال ، فصدر النـقُول بأحاسن رواياته ، وحير العقول بمحـاسن كناياته . ثم قال : « والليل اذا يغشى » « ان في ذلك لعبرة لمن يخشى » ففتح باب المفاضلة في هذا الفصل ، وعقد أسباب المناضلة بقوله الفصل ، فان الحرب أولها كلام ، ثم تنجلي عن قتيل أو رهين كلام . فانتدب اليه النهار ، ممتطياً صهوة الفخار ، وقد ازورت مقلتاه ، واحمرت وجنتاه ، وصاح إذا أديرت كؤوس المنايا ، (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا) فأدهش الأفكار بعظيم وثباته ، ورسوخ قدمه في الهيجاء وثباته ، وتقدم في ذلك الميدان وجلّى ، مترنماً بقوله تعالى : « والنهار إذا تجلى » واستدل على كماله من الفرقان بسورة النور ، والشمس ترسم آية جماله بالذهب على رقه المنشور ، ولما استوى على عرش سمائه ، واطلع أنوار طلعته في أرضه وسمائه ، أعرب عن مكنون الحقائق ، وأغرب في كشف الأسرار والدقائق ، فابتدر إليه الليل ، ومال عليه كل الميل ، وجعل النجوم له رجوما ، وما غادر من مغانيه اطلالاً ولا رسوما ، ثم صعد على منبره ثانيا ، وقد أمسى الفخر لعطفه ثانيا ، وقال : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » فأسدى إليّ من عوارفه براً ونيلا ، أحمده على أن جعلني خلوة للأحباب ، وجلوة لعرائس العرفان بين أولي الألباب ، وخلقني مثوى لراحة العباد ، ومأوى لخدمة المقربين والعبّاد ، أتردد على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب ، وأتودد الى أصحاب المشاهدة بعيون الرغائب ، تدور عليهم بدور الانس والسمر ،

وتحييهم بشذا نفحاتها نسمات السحر ، فأحيانُ وصلي بالتهـــاني مقمرة ، وأفنان فضلي بالأماني مثمرة :

ومـــا الليل إلا للمجد مطية ومیدان سبق فاستبق تبلغ المنى

فوجم النهار لبراعة عبارته ، وبلاغة معنى رمزه وإشارته ، وتنفس الصعداء بنفح الصّبا في الصباح ، فأطفأ بأنفاسه العاطرة نور المصبـــاح ، ثم خرج للمبارزة من بابها ، إذ كان من فرسانها وأربابها ، فشمر للحرب العوان ، غير ناكل ولا وان ، ناشراً راية مجده البيضاء ، وأسنته لامعة بين الخضراء والغبراء ، وقال له أيها الليل ، هلا قصرت من اعجابك الذيل ، ولئن دارت رحى الحرب ، واستعرت نار الطعن والضرب ، فلأبرزن مخدراتك وهي عن الوجوه حاسرة ، وأنت تتلو « تلك إذاً كرة خاسرة » وهل دأبك إلا الخداع والمكر ، وترقب الفرصة وأنت داخل الوَكر ، ان كنت تجمع الحب بالحبيب ، إذا جار عليه الهوى وحار الطبيب ، فكم يقاسي منك في هاجرة الهجر ، ويئن أنين الثكلى حتى مطلع الفجر .

ولله در القائل

اقضّي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتني إليك المضاجع

وإن كنت مَغْنى الأنس والراحة ، تفعل بعقول الناس فعل الراحة ، فهل حسبت أن السكون خير من الحركة ، وقد اجمع العالم أن الحركة بركة ، وان افتخرت ببدرك الباهر الباهي ، فإنما تنافس بوزير شمسي وتباهي ، وهل له عند اشراق بهجتي من نور ، او لطلعته من خدور البطون ظهور ، فأنشدك الله أينا أحق بالفخر ، فقد حصحص الحق ووضح الفجر ، أما لك في قوله تعالى بينة وتبصرة « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » وهل يستوي الأعمى والبصير والظلمات والنور ، أم هل يستوي الأحياء وأصحاب القبور ، ولقد أبدع من قال :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ألم تعلم أينا أبهى محيا ، وشتان ما بين الثرى والثريا ، ولا ريب أن الحسن في الجميل ، عنوان على أنه رب الاحسان والجميل ، وقد قال من نؤمل بره ونرجوه (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) فأنا مفتاح خزائن الأرزاق ، وبي يستفتح باب المنعم الرزاق ، وهل يخفى حسني وجمالي على انسان ، أو يحتاج فضلي وكمالي إلى برهان ، وعرضي عار عن الدنية والعار ، ونور البدر من ضيائي مستعار ، ولولاي ما تميز الحسن من القبح ، ولا أحيا ميت الكرى نسيم الصبح ،

وليس يَصحُّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وان ذكرت الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً مُعَرِّضاً بكل غافل لاه ، فلي في كل مجال « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » ، واين من احتجب بظلمات بعضها فوق بعض ، ممن اضحى ينظر في ملكوت السموات والأرض ، فان أولي الألباب ، رأوا الدنيا دار الأسباب ، فلزموا الأدب مع الله باستعمالها وقلوبهم عاكفة على الباب ، وقد اتحفني الله بالصلاة الوسطى فأوتر بها صلواتي ، وشرع فيها الإسراء لأسرار اختصت بها أهل جلواتي ، وكفاني شرفاً شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، فياله من شهر أيامه للخيرات موامم ، وهي للجبـــاه غرر وللثغور مباسم ، فمآثري مشهورة في القديم والحديث ، وبها نطق الكتاب العزيز والحديث ، ومحاسني واضحة لأولي الأبصار ، وهل تخفى الشمس في رابعة النهار ؟ ثم انحدر من منبره ، وقد أيّد حديث خبره بآية مخبَره ، ولمـــا جن الليل ، اجلب عليه بالرجْل والخيل ، فسد ما بين الخافقين بسواده ، وطفق يرمي بسهام جداله وجلاده ، مقدماً بين يدي نجواه سورة القدر ، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر ، ثم قال سحقاً لك أيها النهار ، لقد أسست بنيانك على شفا جرف هار ، تناضلني ومني كان انسلاخك وظهورك ، وتفاضلني وبي أرخت أعوامك وشهورك ، كيف اطعت هواك في عقوقي ، وأضعت جميع مطالبي وحقوقي ، ألم يأن لك أن تخشع للذكر ، فتعترف لي برتبة التقديم في الذكر ، وهل الأعمى سوى المحجوب عن المحبوب ،

فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ، كيف تعيرني بلون السواد ، وهل يقبح السواد إلا في الفؤاد ، أم كيف تعيبني بالخداع والحرب خدعة ، مع أنك تعلم أني في عز ومنعة ، أما تشهد الأنام من هيبتي حيارى « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » فأنا البطل الذي لا يصطلى لي بنار ، ولا يؤخذ لقتيلي مدى الدهر بثار ، فكم أرّقت أسوداً كاسرة ، وأرّقت دمـــاء ووجوه يومئذ باسرة ، وكم أوريت نار الوغى تحت العجاج ، وقد اكفهرت الوجوه واغبرت الفجاج ، وليت شعري أنّى لك بالحياة دون الورى ، والحي من أحياه الله ولو كان تحت أطباق الثرى :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميّت الأحيـــاء
إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجـــاء

وافتخارك بالصلاة الوسطى ، ليس إنصافـــاً منك ولا قسطا ، وهب انك انفردت بتلك الصلاة ، فأين أنت مما اشتملت عليه من وافر الصّلات ، اما علمت أن الركعة فيّ تضاعف أجورها ، ويعظم فضلها ويزهو نورها ، وهل فرضت في زمنك منهـــا فريضة ، حتى تطاولت عليّ بدعواك الطويلة العريضة :

وما أعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها الف شاهد

وأما افتخارك بفضيلة شهر رمضان ، وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن ، فهل صح لك صيامه إلا بي بدأ وختاما ، وقد اختصصت باحياء لياليه تهجداً وقياماً ، على اني محل النية ونية المرء خير من عمله ، لأنهـــا بمثابة الروح له وبها يحظى الراجي ببلوغ أمله ، فكيف تدعي التفرد بجمع فنون المجد والفضل ، ولم تخف يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ، هل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين ، أم على جناح جنحك أسرى بنور طلعة الكونين ، وهل في اسحـــارك يقول الرب هل من سائل ، ويجود على أهل مناجاته بأعظم الوسائل ، أم فيك نزل الكتـــاب المنزه

في فضله عن المشاركة ، والحق تعالى يقول : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » وحسبي من المفـاخر أول ليلة من رجب التي تأكد مبتدأ فضلها بالخبر ووجب ، وكيف لا وفيها قد حملت آمنة بمن به الأمّة من العذاب آمنة ، فهي فاتحة الليالي النيرة الزاهرة ، وواسطة عقدها بحسن خاتمة النبوة الباهرة ، فاكفف عن الجدال وامسك ، ولا تجعل يومك مثل امسك ، وسالم من ليس لك عليه قدرة ، فانه ما هلك امرؤ عرف قدره ، واني أستغفر الله عز وجل ، وأسأله الأمن من كل وَجَل . فبرز اليه النهـار بروز الأسد من غابه ، وقد استل سيف سطوته من قرابه ، وقال ما كل سوداء تمرة ، ولا كل صهباء خمرة ، فوالذي كساني حلل الحسن والجمال ، وخلع علي خِلَعَ الفضل والكمال ، لأمحون طرة الدجى بغرة الضياء ، ولأثبتن ما خصصتُ به من السنا[1] والسناء[2] ، ألست مظهر الهداية والدلالة ، وهو مظهر الغَواية والضلالة ، فكم أظهرت منه عيباً كان غيبا ، فابيضت عينه حزنا واشتعل الرأس شيبا ، وما ارعوى عن ظلمة ظلمه ، ولا رجع الى الانصاف في نثره ونظمه ، ثم أقبل عليه ، وأنشد مشيراً اليه :

يا مشبهـاً في فعله لونه ... لم تعدُ ما أوجبت القسمه

خلقكَ من خلقكَ مستخرج ... والظلم مشتق من الظلمه

كيف تزعم أيهـا العبد الآبق ، انك لي في حلبة الشرف سابق ، وقد قال الواحد القهار : « ولا الليل سابق النهار » متى قام على منابر العلا بنو حام ، أو جلس أحدهم في ديوان الفخر بين أبناء سام ، إن أنت ورب البيت إلا كافرٌ ، وبشموس أنوار الشهادة غير ظافر ، لو كنت من السعداء لفزت بدار النعيم ، ولولا شقاؤك لما شابهت سواد طبقات الجحيم ، فكيف جعلت في الفضل حالي دون حالك ، وأي فخر لمن وجهه اسود حالك . لقد سمعت أقاويلك التي قدمتها بين يديك ، وأتيتَ بهـا حجة لك وهي حجة عليك ، ولا جرم أن لسان الجاهل مفتاح حتفه ، وكم

---

(١) الرفعة .

(٢) الضياء .

من باغ قتل بسيف بغيه وحيفه ، أما انسلاخي منك فمن أبدع الطرف لي والطرر ، وهل يحق للأصداف أن تفتخر على الدرر ، وأما تقدمك علي فمن العادة ، تقدم الخدم بين يدي السادة . أو ما ترى أن النبي محمداً فاق البرية وهو آخر مرسل . وأمـــا حديث الإسراء ففي مجلسي روقه الأمة ، ثم بلغه الشاهد للغائب بعد أُمة ، فما لاحت أسراره إلا في مرآة مطالعي ، ولا زاحت أستاره إلا بأنوار طوالعي ، وما أشرتَ اليه من بقية لياليك ، التي سطعت بها نجوم معانيك ومعـاليك ، فأيْن أنت من يوم عرفة ، الذي أفرده بالمزايا من عرفه ، وأين أنت من يوم عاشوراء ، الموسوم بأزكى الفضائل دون مراء ، وناهيك بسمو شأن العيدين ، فما أعظمها من موسمين سعيدين ، وكيف تباهيني بظهور ليلة القدر منك مرة في كل عام ، ولي في كل اسبوع يوم تمتد فيه موائد الجود والانعـام ، وهو معلوم شهير ، يعرفه الكبير والصغير ، وفيه ساعة يستجاب فيهـــا الدعاء ، ويستجاد الثناء على رب العزة والسناء ، هذا ولو تأملت ما لي من المناقب والمآثر ، لما تجارأت على مجاراتي في معترك المفاخر ، أفي معاهدك كانت الصحابة تتلقى القرآن ، وتتملى بأنوار رسول الله في كل آن ، أم في مشاهدك وردت وقائع الجهاد ، وعُبِدَ الله تعالى على رؤوس الأشهاد ، فأحاديث فضلي سارت بها الركبان ، وماست بنسيم لطفها معاطف البان ، وقدري فوق ما تصفه الألسن ، وفيّ مـــا تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، فاضرب صفحاً عن تمويهك وغشك ، فإن هذا ليس بعُشك ، ودع عنك قول الزور والمين ، فقد بَان الصبـــح لذي عينين . فوثب اليه الليل ، وهجم عليه هجوم السيل ، وقد امتطى جواده الأدهم ، وتعمم بعمامة سوداء وتلثم ، فأنسى بفتكاته عنترة بني عبس ، إذْ أمسى يتوعد عمارة بالأسر والحبس ، ثم ضرب خباء عزه الباذخ ، وقدح زناد عزمه الراسخ ، وقال : « فلا أقسم بالخنس ، الجواري الكنّس » لقد تزيا المملوك بزي

الملوك ، وادعى مقام الوصول صاحب السير والسلوك ، طالما منحته جميل ستري ، وهو لا يبالي بهتك أستاري ، وأودعت سره في خزانة سري ، وهو يبوح بمصون أسراري ، أف له من فاضح ، أما يكفيه مـــا فيه من الفضائح :

انمّ بما استودعتَه من زجاجة يُرَى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

وعلام جعل السواد على النقص علامة وهو مشتق من السؤدد لدى كل علامة ، أما درى اني حزت من الكمال الحظ الأوفر حتى تحلى بوصف العنبر والمسك الأذفر ، وهل يُزري بالخال سواده البارع ، أو يُغري بالبرص بياضُه الناصع ، وفي لون المشيب عبرة وأي عبرة ، فكم اجرت من الآماق أعظم عَبرة ، فما كل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء لحمة ، على أن السواد حلية أهل الزهد والصلاح ، وهل يسترقّ الأسودَ الاسودُ احداق الملاح ، بيد أن الحر لا يبالي بالجمال الظاهر ، وإنمـــا يباهي بالفعل الجميل والقلب الطّاهر ، ثم أنشد ، وزفيره يتصعد :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

فأفاض النهار ، في حديث يفضح الأزهار ، وقال مـــا أشبه الليلة بالبارحة ، والغادية بالرائحة ، كم تدعي ياهذا أعلا المقامات ، وأنت كثيف الحجاب أسير المنامات ، وهل يقرُنُ أوقات الغفلة بأوقات الحضور ، إلا من ليس له في الحقيقة أدنى شعور ، انك لفي واد وأنا في واد ، ولكم بين لئيم وجواد ، تجمع بين المعشوق والعاشق ، وتسترهمـــا بردائك عن الرقيب والطارق ، ولقد قال مترجماً عن ذلك من سلكتَ به هاتيك المسالك :

بتنا على حال يسر الهوى وربمـــا لا يمكن الشرح
بوابنـــا الليل وقلنـــا له إن غبت عنا هجم الصبح

وهل يترنم بذكرك إلا غافل ، وأنّى يفترّ بك عاقل ونجمك آفل ، وقد قدمت أني لك فاضح ، وما ذا عليّ في ذلك والحق أبلج واضح ،

فاني نظرت إليك بنور علام الغيوب ، فظهر لي ما بطن في سرك من العيوب ، فجعلت مطويّ معايبك كتاباً منشورا ، ومنظوم كواكبك هباء منثورا ، فأنا الناقد البصير ، والله الولي لي والنصير ، وتعرّضي لمحو دعاويك ، واثبات جرائمك ومساويك ، من الواجب علي ياحليف الكرى ، لخبر من (رأى منكم منكرا) فإلى متى تتبجّح بما لا طائل تحته ولا معنى ، اسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، وحتى متى تعنف من لامك عن اتباع هواك ، وأنت تدعي رتبة الكمال فهلاّ نهاك نُهاك ، فتنبه من غفلتك أيها الليل ، قبل أن تدعوَ بالثبور والويل ، وإلا فرقت طلائع سوادك في كل طريق ، ومزقت سوابغ دروعك أي تمزيق ! فاسودّ وجه الليل ، وانقلب بحشف وسوء كيل ، وندم على مناقشة النهار ، ندامة الفرزدق [1] على النوّار ، ولما سُقط في يده ، ورزىء في عَدَده وعُدَده ، قال من ينصفني من هذا الجاني ، فانه اضطرني إلى الجهر بالسوء والتجاني ، حتى يرمقني بلحاظه ازورارا ، ويرشقني بسهامه عتواً واستكبارا ، وعلام يخفي دلائل فضلي وهي ذات وضوح واشتهار ، ولقد صدق من قال كلام الليل يمحوه النهار ، وما نمّ بسره وباح ، حتى عطس أنف الصباح ، فأسفر عن محاسن غرته ، وقد برقت أسارير مسرته ، وطلع بين يديه حاجب الشمس ، فاستنقذ من الليل ما استأسره من الحواس الخمس ، وقال له كم ذا تدعي أنك غيث ، وتتشكى مني وأنت المفتري المبين ، وهب أني ظلمتك فأنت البادي ، وهل قابلتك إلا بما واجهتني به في المبادي ، وان رمت التقاضي ، لدى الحاكم

---

(١) همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، كان شريفاً في قومه عزيز الجانب ، وكان أبوه من الأجواد الأشراف ، وكذلك جدّه ، وقد جمع بعض شعره في ديوان مطبوع ، ومن أمهات كتب الأدب والأخبار ، « نقائض جرير والفرزدق » مطبوع في ثلاثة مجلدات ، ونوار هي ابنة عين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي ، وكانت ابنة عم الفرزدق اهـ من كتب المعاجم والتراجم .

أو القاضي ، فهلم إلى حضرة الأمير ، « ولا ينبئك مثل خبير » فانه لا زالت عين العلا به قريرة ، موسوم بحسن السيرة وطيب السريرة ، فقال له على الخبير سقطت ، وضالة الحكمة لقطت ، واني معترف بعدله في فصله ، مغترف من بحر جوده وفضله ، فهو الامام العادل ، والعالم العامل ، فأمليا عليه سورة الواقعة والمجادلة ، فحضهما على حسن المعاملة ودوام المجاملة ، وقال لهما جانحاً إلى الصلح في جواب سؤاله : بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله ، انكما كفتا ميزان أصحاب الرقائق ، ودفتا كتاب أرباب الحقائق ، بكما يتحلى المرء بحلا سعادته ، ويتخلى من فضول طبيعته وعادته ، فأنتما في الشرف رضيعا لبان ، وفي مضمار المجد والفخر فرسا رهان . هذا وإن كنتما ابْنَيْ ضرّتين ظلمة ونور ، فأبوكما هو الزمان الذي عليه افلاك الوجود تدور ، فليشدّ كل منكما عضده بأخيه ، وليحذر من تفريطه في جنبه وتراخيه ، وعليكما باطّراح رداء الافتخار ، فان العبد لا يسود إلا بالافتقار ، بارك الله فيكما وبلغكما المرام ، ومنحكما كمال التوفيق وحسن الختام . ولما أصلح ما بين الليل والنهار ، وبوأهما مهاد الألفة بعد الوحشة والنفار ، وردا من رشده موارد الائتلاف ، وطرحا أعباء التعصب والاختلاف ،فقلت مادحاً لحضرته الشريفة ، مستمداً من علومه وأسراره المُنيفة :

قد أسفرت بين العذيب وحاجر ... خود سبت أهل الهوى بمحاجر
هيفاء طرتها غدت تحكي دُجى ... ليل وغرتها كصبح زاهر
يفتر جوهر ثغرها عن لؤلؤ ... أجريت منه عقيق دمع هامر
لله خالٌ عم روضة خدها ... لطفاً على ورد جنيّ عاطر
لما بدت تختال تيهاً خلتها ... بدراً على غصن رطيب ناضر
أسرتْ فؤادي في الغرام وأطلقت ... دمعي ومالي في الهوى من ناصر
ضنت بحسن وصالها يا ليتها ... منّت عليّ ولو بطيفٍ زائر
انّى يشاهد طرف صب ما درى ... طعم الكرى طيف الغزال النافر

يا عاذلي كن عاذري في حبها ... فالوجد أفنى مهجتي وسرائري
قد طاب فرط تهتكي في الحي بعـــد تنسكي والذل لذ لخاطري
هيهات يصحو من سلافة عشقها ... يا صاح صاح أسكرتْ بنواظر
أربتْ على كل الملاح لطافة ... وتفردت ببديع حسن باهر
كالشمس إن سفرت وغض البان ان ... خطرت وإن نظرت فأخت جآذر
يصفو بطيب وصالها وقتي كما ... يحلو المديح بذكر عبد القادر
مولى حكت أخلاقه في لطفها ... مسرى النسائم في رياض أزاهر
بزغت به شمس المعارف بعد ما ... أفلت فأرشد كل لاه حائر
أكرم به براً غدا بحراً طما ... في كل علم باطن أو ظاهر
ان عدت العلماء فهو إمامهم ... ويرى لدى الأمراء أعظم آمر
ان الكمال بأمره في أسره ... والفضلَ طوعُ يديه دون تناكر
ان رمته في حل مشكلة جلا ... سر الحقيقة في أرق مظاهر
وإذا سألت عن السماحة كفه ... أنباك عن قطر وبحر زاخر
ولو اطلعت عليه في يوم الوغى ... لرأيت ليثاً أي ليث كاسر
قد حـــاز أنواع المعالي جملة ... بوراثة من كابر عن كابر
وعليه أسرار الكتاب تنزلت ... فغدا يحررها بأيدي شاكر
فانظر مواقفه وحسبك أنها ... تروي حديث صحيحه المتواتر
الله أكبر كم بهـــا من آية ... شهدت له بفضـــائل ومآثر
يا مفرداً في جمع أشتات العلى ... قد فقت كل مفاضِل ومفاخر
لله درك سيداً أوصـــافه ... عزت وجلت عن وجود نظائر
ته يا زمان به وطاول ان تشأ ... نجم السما بمناقب ومفاخر
فهو ابن طه خير من وطىء الثرى ... فبخٍ بخٍ شرف وطيب عناصر
سعدت بسيرة فضله أوقـــاته ... فتقلدت منه عقود جواهر
أيامه جُمَعٌ كما أمست ليـــا ... ليه ليالي القدر ذات بشائر

من أمّه في حاجة يحظى بوقـــــت اجابة ومديد فضل وافر
لا زال بدراً في سماء المجد محفـــــوفاً بغُرٍّ كالنجوم زواهر
ما قال ممتدحاً مؤرخ شكره هام الوجود بسر عبد القادر

٥٢٥ ٤٦ ٥٠ ٢٦٢ ٧٦ ٣٣٦

وجملة ذلك خمس وتسعون ومائتان والف

ومن قوله مهنئاً أخاه الشيخ محمد الطيب بولده جعفر مؤرخاً ولادته :

نجم بدا في طالع الاسعاد من أفق الهنا يزهو بأبهى منظر
أم ذا هلال هل أول ليلة باليمن من ثاني ربيـع الأنور
أم ذا غلام لاح يا بشراي في مهد الهنا يرنو بطرف أحور
رشق الحشا بسهام قوس حواجب وسطا وصال من القوام بأسمر
وأماط عن وجه البهاء لثامه فسبا النهى يا حسنه من جؤذر
وافتر ثغر جمـــاله متبسما فروت ثناياه صحـاح الجوهر
أفديه من نجل كريم قد زكا فرعاً وطاب لطيب ذاك العنصر
فاهنأ به يا ابن المبارك وارتشف راح التهاني من لماه الكوثري
وانشق شذاه فانه ريحـــانة تزري بنشر فتيت مسك أذفر
لا غرو في طيب بدا من طيّب وهو ابن فاطمة وبضعة حيدر
قد لاح بين الشمس والقمر المنـــــير سناه منجلياً بأبهى مظهر
لا زال قرة أعين لهما ومنـــــية أنفس ما فاح ريا العنبر
وشدا لسان الحال فيه مؤرخا نيل المنى في رشف وجنة جعفر

ومن قوله مشطراً أبيات الشاب الظريف ، ابن العفيف التلمساني :

للعاشقين باحكام الغرام رضى ولو أحلهم المحبوب نار غضا
ان العذاب لعذب فيه عندهم فلا تكن يافتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لأحبابي وإن نقضوا ميثاق ود عليهم كان مفترضا
ماضرهم لو رثوا لي في الهوى ورعوا عهد الوفيّ الذي للعهد ما نقضا

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا بأسهم ليس يُخطي رشقُها غرضا
قد كان يرجو بأن يحظى بقربهم فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا فبات يشكو زماناً بالبعاد قضى
سقاه كأس النوى رغماً وجرعه فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

وقد كنت شطرت هذه الأبيات قبله وهي مع التشطير :

للعاشقين بأحكام الغرام رضى بما ارتضى لو عليهم بالحمام قضى
والذل في الحب عز عندهم حسن فلا تكن يافتى للعزل معترضا
روحي الفداء لأحبابي وان نقضوا زمام صب لذيذ العيش قد رفضا
ماذا عليهم ترى لو أنهم حفظوا عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا من غير ذنب سوى حب له وفضا
من بعدما جرعوا كأس الهوى فطموا فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فسام الوصل فامتنعوا فاستعوض الدمع عند المنع والحرضا
وحاول النفس سلواناً لهم فأبت فرام صبراً فأعيا نيله فقضى

وكنت قد نظمت وخمسها وهما مع التخميس

ياصاح فزتُ بنجدة والأنس جاد بعودة
فأدر كؤوس مودة وافى الحبيب بوردة

وغدا يميس بقده

نمتْ لآلي ومضها عن حسن مورد حوضها
وروت شذا فى عرضها فسألته عن روضها

فأشار لي من بعده

وقد خمسها الأديب الشيخ محمد بهاء الدين بن أخي عبد الغني افندي .

حيا بزاهر طلعة والخال فاح بندة
لما همت بشمة وافى الحبيب بوردة

وغدا يميس بقده

صوب الحيا من فيضها يهمي بعنبر أرضها

لمع السنا من ومضهـــا فسألته عن روضهـــا
فأشار لي من خده [١]

الشيخ محمد المصيلحي الشافعي المصري

الإمام العلامة المتفنن المعمر الضرير ، أحد العلماء العظام والسادات الكرام ، قال الشيخ الجبرتي : ادرك الطبقة الأولى وأخذ عن شيوخ الوقت ، وادرك الشيخ محمد شنن المالكي وأخذ عنه وأجازه الشيخ مصطفى العزيزي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ أحمد الملوي والحفني والدفري والشيخ علي قايتباي والشيخ حسن المدابغي ، وناضل ودرس وأفاد وقرأ وانتفع عليه الطلبة . ولما مات الشيخ احمد الدمنهوري وانقرض أشياخ الطبقة الأولى نوّه بذكره واشتهر صيته وحف به تلامذته وغيرهم ، ونصبوه شبكة لصيدهم وآلة لاقتناصهم ، وأخذوه إلى بيوت الأمراء في حاجاتهم ، وعارضوا به المتصدرين من الأشياخ في الرياسة ، ويرى أحقيته لها لسنه وأقدميته . ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري وتقدم الشيخ أحمد العروسي في مشيخة الأزهر ، كان المترجم غائباً في الحج فلما رجع وكان الامر قد تم للعروسي أخذه حمية المعاصرة ، وأكثرها من اغراء من حوله ، فيحركونه للمناقضة والمناكدة ، حتى انه تعدى على تدريس الصلاحية بجوار مقام الإمام الشافعي المشروطة لشيخ الأزهر بعد صلاة الجمعة ، فلم ينازعه الشيخ أحمد العروسي وتركهـــا له حسماً للشر وخوفاً من ثوران الفتن ، والتزم له الاغضاء والمسامحة في غالب الأطوار ،

---

(١) وله (غير هذه المحاورة) عدة رسائل مطبوعة منها : أبهى مقامة ، في المفاخرة بين الغربة والإقامة ، وبهجة الرائح والغادي في أحاسن محاسن الوادي ، وهي في وصف وادي دمشق ، وغريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء : ولوعة الضمائر في رثاء الأمير عبد القادر ، ومعارج الارتقاء الى سماء الإنشاء ، والمقامة الفنزية ونضرة البهار ، في محاورة الليل والنهار وهي هذه ، و « المقامات العشر لطلبة العصر » . توفي رحمه الله تعالى بدمشق (سنة ١٣٣٠ هـ) .

ولم يظهر الالتفات لما يعانونه أصلاً حتى غلب عليهم بحلمه وحسن مسايرته ، حتى انه لما توفي المترجم ورجع اليه تدريس الصلاحية لم يباشر التصدر في الوظيفة ، بل قرر فيها تلميذه العلامة الشيخ مصطفى الصاوي ، وأجلسه وحضر افتتاحه فيهـــا ، وذلك من حسن الرأي وجودة السياسة . توفي المترجم ثاني عشر شوال سنة إحدى ومائتين والف ، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي

أديب زمانه ولبيب وقته وأوانه . ولد سنة الف ومائة وخمسين ومهر في علوم الأدب ، وجلس من معرفته على أوج الرتب ، وتوفي سنة الف ومائتين وثلاثين ومن قوله :

أي عذر لمن رآك ولامـــا ... عميت عنك عينه أم تعامى
أو لم ينظر اللواحظ تهدي ... سقما والشفاه تشفي السقاما
لا هنيئاً ولا مريئـــاً لقوم ... شربوا من سوى لماك مداما
أتراهم توهمـوهـــا عصيرا ... من محياك حين شبت ضراما
ما لمن يترك السلافة في فيـــــك حلالاً ويستحل الحرامـا
ان للناس حول خديك حوما ... كالفراش الذي على النار حاما
بأبي أنت من خليل ملول ... لم يدم عهده إذا الظل داما
لك خد ومبسم علم الور ... د ابتهاجاً والاقحوان ابتساما
أي وعينيك مـا المدام مدام ... يوم تجفو ولا الندام نداما
لا تقسني بالورق ياغصن اني ... أنا من علم النواح الحماما
أيها الريم ما ذكرتك إلا ... واحتقرت الاقمار والآراما
لست أدري والصدق بالحر أحرى ... اضراماً قد شب لي أم غراما
ان تصلني فصل وإلا فعدني ... ربما علل السراب الأواما

لم يكن طبعك الوشاة ولكن صلب المـاء فاستحال ضراما
لو ملكنا ملك العراق ومصر دون لقياك مـا بلغنا مراما
ألف الله فيك مختلفات الـ ـحسن جمعاً وقال كوني غلاما

وله أيضاً

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا وتقلدوا عوض السيوف الأعينـا
وتقدموا للعاشقين فكلهم طلب الأمان لنفسه إلا أنـا
بخده وبثغره وعذاره حمر العقيق وبارق والمنحنـا
لا خير في جفن إذا لم يكتحل أرقاً ولا جسدٍ تجافيه الضنا
وأنا الفداء لبابليّ لحاظه لا تستطيع الأسد تثبت ان دنا
لما انثنى في حلة من سندس قالت غصون البان ما أبقى لنا
ياقلبه القاسي ورقة خصره لم لا نقلتِ إلى هنـا من ها هنا
أقوى علي من الحديد فؤاده ومن الحرير تراه غصنا ألينا
شبهته للبدر قال ظلمتني ياعاشقي والله ظلماً بينـا
من أين للبدر المنير ذوآبة أم شامة أو ورد خد يجتنى
البدر ينقص والكمال بطلعتي فلأجل ذلك صرت منه أحسنا

وله أيضاً

هل بعد اندية الحمى من نادي يحمى النزيل به ويروي الصادي
خلت الديار من الذين عهدتهم وتنافرت ظبيات ذاك الوادي
طاروا بأجنحة الشتات كأنمـا نادى بتفريق الفريق منادي
وعدوا الرحيل عشية ووفوا به بئس الوفاء لذلك الميعاد

الشيخ محمد بن محمد الشهير بالحوت الشافعي الشامي البيروتي

أحد العلماء الأفاضل والنبلاء ذوي الفواضل ، ولد سنة ثلاث ومائتين وألف ونشأ في العلم والعبادة والتقوى والزهادة ، وسار بين أمثاله واشتهر

في فضله وكماله . وأخذ عن الشيوخ العظام والسادة الكرام ، وانتفع به الجم الغفير [١] وعلى كل حال ففضله معلوم شهير . مات سنة سبع وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في تربة سيدنا عمر المشهورة الآن بالباشورة .

الشيخ محمد الفيومي الشهير بالعقاد المصري الشافعي

قال الجبرتي الإمام العلامة والجهبذ الفهامة الفقيه النبيه الأصولي المعقولي ، الورع الصالح ، أحد أعيان العلماء النجباء الفضلاء ، تفقه على أشياخ العصر ، ولازم الشيخ الصعيدي المالكي ، ومهر وأنجب ودرس وانتفع به الطلبة في المعقول والمنقول ، وألف وأفاد وكان انساناً حسناً جميل الأخلاق مهذب النفس متواضعاً ، مشهوراً بالعلم والفضل والصلاح ، لم يزل مقبلاً على شانه محبوباً للنفوس ، حتى تعلل بالبرقوقية في الصحراء وتوفي بها سنة اثنتين ومائتين والف ، ودفن هناك بوصية منه رحمه الله تعالى .

السيد الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري الدلسي الحسني المالكي

ولد سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين ، ولدى تمييزه اشتغل بحفظ القرآن ثم في تحصيل مالا بد منه من علوم الدين ، ثم عكف على العبادة والتقوى في السر والنجوى ، وكان في بداية أمره يأوي إلى غابة كثيرة الوحوش والسباع ، يعبد الله فيها أياماً ثم يرجع إلى أهله يتزود لمثلها ويرجع

---

(١) هو محمد بن محمد درويش (ابو عبدالرحمن) الحوت ، له : « أسنى المطالب ، في أحاديث مختلفة المراتب » و « حسن الأثر ، فيا فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر » و « الدرة الوضية ، في توحيد رب البرية » والثلاثة مطبوعة متداولة .

لمكانه ، حتى نادته هواتف العنايات بلطائف الاشارات ، وطابت سريرته واستنارت بصيرته ، وتخلى من أوحاله وتحلى بجميل أحواله ، فأخـذ الطريقة البكرية الخلوتية عن صاحب المآثر الأحمدية ، المرشد الكامل والولي الفاضل ، سيدي الشيخ علي بن عيسى ، ولازم المجاهدة مدة على يده ، فلما دنت وفاته أوصى به خليفته الأكـبر سيدي الشيخ محمـد المهدي السكلاوي ، فتولى تربيته ، حتى فتح الله عليه فاشتغل بالارشاد ونفـع العباد ، وشهر الطريقة وشيد معالمها ونهج منهج الحقيقة وأرشد اليها رائمها ، حتى سار صيته في الأقطار وقصدته الناس من صغار وكبار ، فبـذل في نصح الخلق همته وأحسن لهم نيته ، وجمعهم على الملك الحق وسلك بهم مسلك الصدق ، وتخرج على يده عدد كثير ووصل إلى مقصوده من لاحظته عين عناية اللطيف الخبير ، وسمعت من كثير ممن كان له تردد اليه ، أن طائفة من الجن أخذوا عنه واهتدوا على يديه ، وكانوا يتلقون من حكمه ومعارفه ويأخذون عنه معاني نصائحه ولطائفه[1] ، وكان له في السخاء والكرم والعطاء ، اليـد الطولى والقدح المعلّى ، يعطي قاصده العطاء الجزيل ويغمر بوافر فضله ومديد احسانه الوارد والنزيل ، ينفق دائماً على جماعته المتجردين ويحسن الى الفقراء والمساكين ، منزله مأوى لليتامى والأرامل ، تلتمس فيه أنواع الفضائل والفواضل .

ولما قصدت الأمة الفرانساوية بلاد الجزائر جمع جموعاً من العباد وسار

---

(١) قال تعالى في أول سورة الجن من كتابه الكريم « قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا ، يهدي إلى الرُّشد فآمنا به » فالآية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى الى نبيه باستماع الجن للقرآن وهو صلوات الله عليه لم يعلم ذلك إلا عن طريق الوحي ، لا أنه اجتمع بهم وعلمهم ، فكيف يكون لواحد من أمتـه مالم يكن له (ﷺ) ؟ (وما آفة الأخبار إلاّ رواتها) .

بهم الى المدافعة عن الوطن والجهاد ، وما زال يحرض الناس على القتال ويساعدهم في الهمـــة والنفس والمال ، إلى أن ظهر الكفار على الاسلام لحكمة أرادها الملك العلام ، فقصد بلاد الشام مهاجراً بأهله وقرابتـه ، وتبعه خلق كثير من مريديه وأهل عصابته ، واستوطن دمشق الشام ، وكان له بها من الله زيادة فتح وانعام ، وأخـبر أنه لما استشرف عليها شاهد أولياءها قد أقبلوا يسلمون عليه ، وأظهروا الفرح والسرور بقدومه وقدموا أنواع التهاني اليه ، وخرج لملاقاته جملة من أشراف البلدة وعلمائها ، وتجارها وعوامها وعظمائها ، فاستأنسوا به الاستئناس التام واشتهر فضله لدى الخاص والعام ، واجتمعت عليه القلوب وصار مقصوداً في التوسل به بدفـع الهموم والكروب ، فأقام في دمشق عامين ، ثم توجه لبيت الله الحرام لأداء فرض الحج وزيارة خير الأنام ، وفي خدمته خمسة وأربعون نفراً من أحبابه ومريديه وأصحـابه ، وبعد رجوعه لداره ، اتخذ لنفسه خلوة في منزله لايخرج منها إلا لقضاء أوطاره ، إلا يوم الخميس فانه جعله لزيارة القاصدين ومذاكرة الواردين ، وكثيراً مايقرأ عليهم كتب الرقائق ويستخرج لهم من كنوزها لآلىء الدقائق ، ليزيدهم في فعـــل المأمور ترغيبـا ، وعن المآثم ترهيبا ، ثم يعود لخلوته ليلة السبت بالهمة العاليـة والقوة السامية ، ولم يزل على ذلك حتى قدم على السيد المالك .

وأخبرني ولده السيد محمد الطيب عن والدته بنت الشيخ محمد المهدي شيخ المترجم المرقوم ، أنها دخلت عليه مرة في خلوته لتحظى برؤيته وتغنم جميل زيارته ، فلما أشرفت عليه اعترتها هيبة عظيمة وقشعريرة جسيمة ، حتى لم تطق أن تسلم عليه ولا أن تنظر اليه ، وسمعته يطلب من النبي ﷺ الشفاعة ويقول له اضمنّي يارسول الله ، ثم حمـد الله وقال يارسول الله اضمن أولادي ثم حمد الله ، وقال يارسول الله اضمن أزواجي ثم حمـــد الله ، وقال يارسول الله اضمن كل من تعلق بي وتلقى وردي وبقي طويلاً

وهو يتضرع اليه ﷺ في قبول مسئلته ، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال هذا جل آمالي ، وربحي منك يارسول الله ورأس مالي .

ثم سمعته يخاطب والدها ويذكر له بعض الأسرار والمكاشفات[1] ، وبعد فراغه من ذلك كله سرى عنها ذلك الحال وزال عنها الشتات ، فأقبلت عليه فتلقاها بالرحب والبشاشة والسرور والهشاشة ، وكان يعظمها جداً حرمة لأستاذه وقدوته وملاذه ، ولما يرى فيها من الخير والصلاح والفوز والفلاح ، وعزم عليها أن لاتحدث بهذا الحديث أحدا ، ما دام موجوداً في قيد الحياة وإن طال المدى ، فما ذكرت ذلك لسواه حتى توفاه الله .

وأخبر الشيخ المحفوظ ابن عم الأستاذ الشيخ محمد المهدي وكان رحمه الله رجلاً صالحاً تقياً ناجحاً ، انه توجه يوماً مع المترجم وشيخه الشيخ محمد المهدي في بلاد المغرب من قرية الى أخرى وهو ساع في خدمتها لينال ثواباً وأجراً ، فوقفت بغلة الشيخ قرب قبر في الطريق ، فقال الشيخ ماأصابها من البلاء ؟ فقال المترجم ان الله كشف لي عن صاحب هذا الضريح ، وهو الذي استوقف الدابة يلتمس منك صالح الدعاء ، فدعا له فانطلقت ، والى نحو المطلوب توجهت ، ثم مرا في طريقهما على شجرة عظيمة ، فقال الشيخ للمترجم ليت شعري في أي زمان غرست هذه الشجرة الجسيمة ، ومن غرسها في هذا المكان فهل من يعرف ذلك الآن ؟ فأطرق المترجم غير طويل ، ثم قال أيها الأستاذ الجليل : إن الله أنطقها لي فأخبرتني أنها غرست في التاريخ الفلاني وإن غارسها فلان ابن فلان الفلاني .

---

(١) قال في الرسالة القشيرية : ومن ذلك الغيبة والحضور ، فالغيبة غيبة القلب عن علم مايجري من أحوال الخلق ، لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره ، بوارد من تذكر ثواب ، او تفكر عقاب .

وأخبر عنه أيضاً هذا الرجل الصالح ان المترجم جاء يوماً الى استاذه المرقوم ، يخبره بوفاة أخ له في الله في مكة من رجال الغيب الكرام ، ويستأذنه في التوجه الى بيت الله الحرام ، للصلاة عليه وتشييع جنازته ، وحضور دفنه في تربته ، فأذن له فغاب ، وبعد برهة رجع وآب .

وطلب منه مرة بعض أصحابه زيارة الشيخ الأكبر والدعاء بالمرغوب في فسيح رحابه ، فقال له : هل يكشف لك عن روحانيته عند زيارته ، فقال لا ، فقال له : الرجل هو الذي يجتمع بالولي عند الوقوف بحضرته ، وبعد انتقال المترجم الى الدار الآخرة جاء بعض أولاده لزيارة جده والد والدته وشيخ المترجم المذكور الشيخ محمد المهدي ، وفي يده كتاب الابريز في مناقب الشيخ الدباغ عبد العزيز ، فأمره أن يسمعه منه شيئاً ، فقرأ عليه جملة من كراماته وعلومه المستجادة ، فقال له : لو سطر أحد مآثر والدك ومناقبه لبلغت هذا المبلغ وزيادة ، وحدث ولده انه كان يوماً عند الأمير السيد عبد القادر الجزائري ، وعنده رجل من أهل فاس يسمى الشيخ عمر بن سودة ، فقال له الأمير : ان والد هذا الشاب كان في المجاهدة من أضراب أبي يزيد البسطامي ، وأبي سليمان الداراني . وبالجملة لو أردت أن أستقصي أحوال هذا السيد الجليل لأدى المقام الى الاسهاب والتطويل ، وما ذكرته يدل على بعض مقامه ، وعلى رفيع رتبته ووجوب احترامه ، مات رحمه الله سنة تسع وستين ومائتين والف ، ودفن في سفح قاسيون في جوار نبي الله ذي الكفل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

الشيخ محمد العطار بن . . . . بن الشيخ ابراهيم الحسيبي جد بني الحسيبي

عالم عامل وهمام فاضل ، قد أجمع الناس على طيب أصله وصحة كماله وفضله ، قد اتصف بصفات من سلف وساد في معالي شمائله فيمن خلف ،

وارتفع مقامه وعلا قدره واحترامه ، وصار مقصوداً في مشكلات المسائل وموروداً في أخذ الفضائل .

ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة والتقوى والزهادة ، الى أن برع وفاق واشتهر في الآفاق . تولى القضـــاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في أحكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاتي قاضي القدس الشريف ، فوقـع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار اقتضى اللوم والتعنيف ، فكتب السيد محمد التافلاتي رسالة في تعنيفه وأرسلها اليه ، فغب وصولها شرحها وردها من غير مهلة عليه ، وابتداء هذه الرسالة قوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » (١) جناب الأخ الأمجد الشيخ محمد التافلاتي حفظه الله تعالى ، وصلت مكاتبتك الينا ولم يسبقها منا اليك كتـاب ، وابتدأتنا بمخاطبتك ولم يتقدم في هذه المدة منا اليك خطاب ، فتلقيناها تلقي الأحباب بالسعة والترحاب ، وحين رأيناها نزلت منا منزلة الأضياف ، عجلنا قراها بما يجب لها عندَ أهل الإنصاف :

سوداءَ شمطـــاءَ اللمم وافت بتيـــه وعجب
لما علمت جهلهـــا أنكحتها فحل الأدب

فما مكثت إلا بمقدار ما يمكث الطيف ، ولا لبثت إلا كما قلبث سحابة الصيف ، حتى نهضت :

مسرعةً تقول: قطني قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وألبستها خلعاً حكت قطعاً من الليل مظلما ، كما يليق ذلك بشأنها فلم تكفر لنا أنعما ، فالرجاء اذا وصلت أيها الشيخ اليك ، وألفيت بكراً عذراء ، بين يديك ، أن تتقبلها بقبول حسن ، وأن تكفلهـــا وتهجر لأجلها الوسن ، وإذا نسبتها فقل عربية قرشية ، شامية قدسية ، رملية

(١) سورة النساء /١٤٧ .

غزية . وإياك أن تنسبها لأمهـــا الغريبة ذات اللامة التي أكسبتك فوق ما اكتسب ببغلته أبو دلامة [١] ، وأزرت بك في الشرق والغرب ، ازراء الطيلسان بابن حرب ، وستشتهر بها عند كل قريب وبعيد ، كما اشتهرَ بِشَاتِهِ سعيد ، فإذا ورد عليك بذلك الخبر ، فلا تلم سواك في البشر . وتذكّر ما أنشده سيدي عمر :

ولقد أقول لمن تحرش في الهوى عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وأنت حيث فتحت هذا الباب ، وابتدأت هذا الخطاب ، تكرمت عليك بالجواب ، لئلا تحقر نفسك إذا لم تجاب ، واعلم بأنني كما قيل :

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا مبتـغ للشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

ولا يظن أحد أن إقدامك على هذا الأمر لجرأة في الخلد ، فالعير كما لا يخفى تقدم من خوف على الأسد ، ولولا ما أرشدنا سبحانه وتعالى اليه بقوله عز وجل : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وخشية ما قيل :

إذا المرء لم يكرم كريماً ولم يهن لئيما ولم يبرز إلى من يحاربه

فذاك الذي إن عاش لايعتنى به وإن مات لاتبكي عليه أقاربه

لمّا فوقت من قسي الملام نحوك سهما ، ولا أفدتك من شهب الكلام رجما ، على أنني أتيقن الملامة ، وأتحقق على ذلك الندامة ، إذا طاشت السهام في ظلك الزائل فـــلم تر فيه مرمىً ، وتساقطت شهب ثواقب الكلام عليك فلم تجد لك رسما ، غير أني أخلص بقوله تعالى في محكم التنزيل « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل [٢] » هـــذا

---

(١) أبو دُلامة : عبد أسود من موالي بني أسد بالكوفة ، نادم السفاح والمنصور والمهدي من الخلفاء العباسيين ، كان يقول الشعر ، وكان الخلفاء يخافون لذعات لسانه . توفي سنة ٧٧٦ أو سنة ٧٨٦ .

(٢) الشورى / ٤١ .

وان كان يقع لا على شيء منك الفَنَد ، لأنك ماتحت الواحد في العدد ، فالوهم يصورك وتشير إليك الأفكار ، ليعتبر بذلك غيرك من ذوي الأبصار ، وقد حملني على ذلك قول من تقدم : ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يتهدم ، وكيف لا أناضل المناضل ؛ وأنازل المنازل ، وقد أعددت بحمد الله للكفاح أتم عدة وأمضى سلاح ، ولكن أحببت أن أوضح لكل واقف على هذا المجال ، ماحصل عليه وبسببه هذا الجدال ، ليظهر لمتأمله حقيقة الحال ، ويعلم أن الرجال تعرف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، فأقول : ملخص ذلك أن الشيخ المذكور ، هو مفتي القدس التافلاتي المشهور ، ضاقت عليه في بيت المقدس الأحوال ، واشتد الضنك عليه بها واستطال ، فنزل الى اسكلة يافا ليقرع باب الفرج وصار يدرج بها مع من درج ، فما ترك باباً يُتوهم منه حصول رزق حتى عالجه ، ولا وجد انساناً يظن خيره إلا خالطه ومازجه ، فلما أعيته المطالب واستحالت عليه المآرب واستدت في وجهه المسالك وتقطعت أحبال مانصب من الشبائك ، ولم يصطد عقعقاً ولا بوما وأصبح من كل خير محروما ، فعزم على الرجوع بخفي حنين [١] وهو بهمومه أشغل من ذات النحيين [٢] وقد كان آلى أن يجيب كل من يستفتيه على وفق مايرضيه ، وأقسم أن لايرد سائلا يأتيه ولو ألقاه الجواب في التيه ، فسمع انساناً يذكر حادثة على سبيل المحادثة فسقط عليه سقوط الذباب ، ووقع دونه وقوع الغراب ، فجعل يفتيه قبل أن يسأله ، ويقلب له الأجوبة عساه أن يوافق ماأمله ، وكان الرجل عن جميع أجوبته مستغنيا ، ولم يكن على حالة من الأحوال مستفتيا ، ولكن فهم حاله فرثى اليه ، واستطلع مرامه فعطفته الرحمة عليه ،

---

(١) مَثَل يُضرب لكل يائس وقانط ومكد مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢١١) .

(٢) مَثل يقال في مشغول إذا استفتته ، مجمع الأمثال : ج ١ ص ٣٢٧ والنِّحْي والنَّحي : الزق الذي فيه السمن خاصة .

فاستفتاه بحادثة واقعة في غزة ، بما ملخصه في بكر بالغة تزوجها غير كفؤ برضاها ، وولدت منه ولداً فقام وليها يطلب فسخ النكاح هل يجاب إلى ذلك ، فأجاب الكفاءة شرط صحة انعقاد النكاح ، وهذا النكاح المشروح في السؤال لم ينعقد أصلاً كما هو المختار للفتوى ، كما صرح به قاضي خان ، وصاحب التنوير ، واتفقت عليه فتاوى المتأخرين ، لفساد الزمان ، وإذا طلب الولي الفسخ أم لم يطلبه رضيت المرأة أم لم ترض فالفسخ واقع لعدم انعقاد النكاح من أصله ولو ولدت أولاداً ، والنقل به مستفيض لم يخل منه كتاب من كتب المذهب ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، فأخذها السائل وأرسلها للولي بغزة هاشم وحرضه على إجراء مافيها من الأحكام ، فأخذها واستكتب مفتي غزة فكتب عليها ، ثم عرضها على هذا العبد الضعيف ، لكونه انتصب لفصل الأحكام بين كل وضيع وشريف ، وكان الزوج غائباً ، فأجبته أنك تحتاج إلى خصم لتثبت عليه عدم الكفاءة ، فاستفتى علماء غزة فأجابوه كما أجبت ، غير أن مفتيها قال ليس لذلك سبيل الا بنصب مسخر ، ولكن ينبغي أن تنظر في الصور ، في الصور التي يجوز فيها نصب المسخر ، فأجبت بأن هذه الصورة ليست منها فانفصل المجلس على أن المفتي والعلماء يراجعون كتب المذهب ، وحرر الولي ذلك الى يافا وأخبره المستفتي بما حصل وصدر في طرفنا ، فاستشاط من الغضب وامتلأ من الغيظ ، وصار وجهه كالمسافر في أشهر القيظ ، ثم كتب سؤالاً آخر كالأول ولكن زاد فيه ونقص ، وما أراد بذلك إلا إرضاء السائل ليطيب من عيشه ماتنغص ، ثم كتب جواباً غير الأول وبسط فيه المقال ، وأكثر من نقل الأقوال ، وذكر رواية الحسن ونقل ترجيحها والعمل بها عن أئمة أعلام ، وساق أسماء من عول عليها واعتمدها من العلماء العظام ، ثم قال : والحاصل أن هذا النكاح لم ينعقد من أصله وهو باطل ، والباطل يجب اعدامه ، ثم قال في آخرها : هذا

خلاصة مذهب الامام النعمان ، نعوذ بالله من الحظوظ الموجبة لغضب الرحمن ، كأنه يشير الى توقفنا وتوقف علماء غزة أنه من الحظوظ الموجبة لغضب الرحمن ، ويدل على كونه أرادنا بذلك أنه حرر مكاتبة للولي ، وأرسل له فتوى أخرى ثالثة داخل تلك المكاتبة ، والفتوى صورة سؤالها في نكاح فاسد باطل ، لكون الزوج غير كفؤ للزوجة ، هل للزوجة أن تفسخ هذا النكاح ولو بعد الدخول ، ولو كان زوجها غائباً ، وهل يجب على القاضي التفريق والفسخ ولو كان الزوج غير حاضر ؟ والحاصل أنه اتسعت دائرة القيل والقال ، وتفاقم أمر الجدال ، وتعددت الرسائل واتخذت الوسائل ، وطال الكلام في هذا المقام ، وكثرت المخاطبة واللوم والمجاوبة ، وانتقل مركز القضية لغير هذه الكيفية ، ومن جملة ماقاله المترجم :

يا أيها الشيخ الذي بزخرف القول اشتهر
خف عالم الأسرار أن يبدي الذي منك استتر
فلتصبحن عبرة مشتهراً بين البشر

ومن قوله

اذا أنت ضيعت الصنيع ولم تكن تقابله إلا بسوء فلا عجب
فقد جاء في معنى الحديث الذي رووا ولا يصلح المعروف الا لذي حسب

وقال أيضاً في رسالته المذكورة :

ألا أيها الشيخ الذي أكثر الدعوى كذبت وايم الله في السر والنجوى
أما تستحي أن قلت ماليس فاعلاً فأكبر به مقتاً وأعظم بها بلوى

وقال بها أيضاً :

أعد نظراً فيما كتبت ولا تكن بشقشقة للأفضلين منازعا
فحسبك ماتهذي به لك زاجراً وحسبك أن تُخزَى ويكفيك رادعا

وقال أيضاً :

يا للشريعة من مقت لقد فتنا وضل اذ فارق المفروض والسننا

أراد يكتم ماتحوي طويتـــه فضاق ذرعاً وعن أثقاله وهنا
وقـد تردى بما أخفت سريرته فأصبح الكتم منها للورى علنا

وقد استشهد بهذه الأبيات الثلاثة :

عجوز تمنت أن تكون فتية وقديبس الجنبان واحدودب الظهر
وأضحت بلا عقل يصون حجابها فباحت بما في السر وانكشف الستر
وجاءت الى العطار تبغي تحسنا وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر

وقال أيضاً :

فتباً لشيخ يزعم الحق باطلاً وباطل ما يأتيه يزعمه حقا
فبعداً له من مفسد ما أضره على الملة الزهرا وسحقاً له سحقا

وقال أيضاً :

ولو نسب الزمان لتـافلات تغير وجهـــه وبدا القتام
وأصبح صبحه ليـــلاً بهيماً ودام على أهاليـه الظـــلام

وقال أيضاً :

لو أن طينـــة آدم مزجت بتربـــة تافـــلات
ما كان في أولاده أهـــل التقى والمكرمات
ولا أتـــاه الصـــالحـــــون بنسله والصالحات

ولو أردت أن أذكر رسالة التافلاتي وشرحها للمترجم العريض الطويل ، لأدّى المقام الى الاطناب والتطويل . مات المترجم في الاستانه سنة تسع ومائتين وألف ودفن هناك رحمة الله عليه [١] .

---

(١) بعد أن لخص في « روض البشر » هذه الترجمة ، عقبها بقوله ، قلت : المترجم هو جدّ آل الحسيبي الوجهاء المعروفين بدمشق ، وقد تقدمت ترجمة ولده علي افندي حسيب ، وحفيده أحمد افندي في حرفها .

الشيخ محمد افندي الشافعي المصري كاتب الرزق الاحباسية (١)

العمدة المفرد والنجيب اللبيب الأوحد ، والناهج منهج الصلاح والمتمسك بعرى التقوى والفلاح ، كان حسن الأخلاق قد اشتهر في النواحي والآفاق . وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات العشر مع الإتقان . مات رحمه الله ثامن ربيع الثاني سنة اثنتين ومائتين والف .

محمد بن الحسن بن عبد الله الطيب المصري

الشاب الأديب المذب الأريب ، والكامل اللبيب والوحيد النجيب ، نشأ في الرفاهية والنعم وعانى طلب العلم فنال منه ما أخرجه من ربقة الجهل والنقم ، وتعلق بالعروض وأخذه عن الشيخ محمد بن ابراهيم العوفي المالكي فبرع فيه ، ونظم الشعر إلا أنه كان يعرض شعره للذم بالتزامه فيه ما لا يلزم في قوافيه ، كتب اليه صاحبنا المتقن العلامة السيد اسمعيل بن سعد بن اسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب على ديوانه :

قل للرئيس أبي الحسين محمد ... خدن المعالي والسري الأمجد
والحاذق الفطن اللبيب أخي الذكا ... اللوذعي الألمعي الأوحد
ألزمت نفسك في القريض مذاهبا ... ذهبت بشعرك في الحضيض الأوهد
وتركت ما قد كان فيه لازماً ... هلا عكست فجئت بالقول السدي
كدرت منه بما صنّعت بحوره ... فغدت مشارع ليس يمحوها الصدي

---

(١) هذه الوظيفة تلقاها بالوراثة عن أبيه وجدّه ، وعرفوا اصطلاحها وأتقنوا أمرها وكان محمد افندي هذا ، لا يغرب عن ذهنه شيء يسأل عنه من أراضي الرزق ، بالبلاد القبلية والبحرية مع اتساع دفاترها وكثرتها ، ويعرف مظناتها ، ومن انحلت عنه ومن انتقلت اليه ، مع الضبط والتحرير والصيانة والرفق بالفقراء في عوائد الكتابة اهـ من الجبرتي ، قلت هذا مثال صالح الموظف المستقيم ذي الخلق الكريم .

فإذا نظمت فكن لنظمك ناقدا نقد البصير بذهنك المتوقد
أولا فدع تكليف نفسك واسترح من قولهم مـــا شعره بالجيد
ولئن عنفت عليك فيما قلته فلقد بذلت النصح للمسترشد

فلما قرأها ضحك ولم يزد على ان قال له أنت في حل ، وكان رحمه الله قد علق غلاماً من أبناء الكتاب فكتب اليه أيضاً السيد اسمعيل صاحب الأبيات المتقدمة :

إني أجلك أن تصبو بمبتذل على تسنمك العلياء من صغر
امسك عليك وحاذر من اخاء فتى قميصه مذ نشا ينقد من دبر

وكتب اليه أيضاً الماهر الأديب ، والذكي الأريب ، طه بن عرفه مقرظاً على ديوانه بيتين في غاية الحسن :

لك لفظ كـــأنه الدر نظما صدف القلب عن سواه منيا
لو تجلى منه الجمال الإناثي لترضاك للفؤاد صفيـــا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

نار الخليل اذا بدت في مهجتي ورشفت ذاك الثغر برد حرها

توفي رحمه الله في غره شعبان سنة خمس ومائتين والف .

محمد افندي بن سليمان افندي بن عبد الرحمن افندي بن مصطفى افندي جليان المصري

قال الجبرتي : الصنو الوجيه والفريد النبيه نشأ في عفة وصلاح وخير ، وطلب العلم وعانى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ حسن الجبرتي وقرأ عليه كثيراً من الحسابيات والفلكيات والهيئة والتقويم ، ومهر في ذلك وانتظم في عداد أرباب المعارف ، واشترى كتباً كثيرة في الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمستظرفات ، وحسب

وقوم الدساتير السنوية عشرة أعوام مستقبلة بأهلتها وتواريخها وتواقيمها ، ورسم كثيراً من الآلات الغريبة والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه في غاية الضبط والصحة والحسن .

وكان لطيف الذات مهذب الأخلاق قليل الادعاء جميل الصحبة ، وقوراً . مات بالطاعون في شعبان سنة خمس ومائتين وألف وتبددت كتبه وآلاته .

الشيخ السيد محمد أبو العرفان بن علي الصبـــان الشافعي الأشعري المصري

الامام الذي لمعت في أفق الفضل بوارقه ، ورَوَى أفئدةَ الواردين عذبُ شراب عرفانه ورائقُه ، لايدرك بَحْرَ وصفه الاغراق ، ولا تلحقه حركات الافكار ولو كان لها في مضمار الفضل السباق ، العالم النحرير واللوذعي الشهير .

ولد بمصر وحفظ القرآن والمتون ، واجتهد في طلب العلم وحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره ، فحضر على الشيخ الملوى شرحه الصغير على السلّم ، وشرح الشيخ عبدالسلام على جوهرة التوحيد ، وشرح المكودي على الألفية ، وشرح الشيخ خالد على قواعد الاعراب ، وحضر على الشيخ حسن المدابغي صحيح البخاري بقراءته لكثير منه ، وعلى الشيخ محمد العشماوي الشفا للقاضي عياض وجامع الترمذي وسنن أبي داوود ، وعلى الشيخ أحمد الجوهري شرح أمّ البراهين لمصنفها بقراءته لكثير منها ، وعلى الشيخ السيد البليدي صحيح مسلم وشرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني وتفسير البيضاوي وشرح رسالة الوضع للسمرقندي ، وعلى الشيخ عبدالله الشبراوي تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وعلى الشيخ محمد الحفنـاوي صحيح البخاري والجامع الصغير وشرح المنهج والشنشوري على الرحبية ومعراج النجم الغيطي وشرح الخزرجية

لشيخ الاسلام ، وعلى الشيخ حسن الجبرتي التصريح على التوضيح والمطوّل ومتن الجغميني في علم الهيئة وشرح الشريف الحسيني على هداية الحكمة قال : وقد أخذت عنه في الميقات وما يتعلق به ، وقرأت فيه رسائل عديدة ، وحضرت عليه في كتب مذهب الحنفية كالدر المختار على تنوير الأبصار وشرح ملا مسكين على الكنز ، وعلى الشيخ عطية الاجهوري شرح المنهج مرتين بقراءته لأكثره ، وشرح جمع الجوامع للمحلى ، وشرح التلخيص الصغير للسعد ، وشرح الأشموني على الألفية وشرح السلم للشيخ الملوي وشرح الجزرية لشيخ الاسلام والعصام على السمرقندية وشرح أم البراهين للحفصي وشرح الاجروميه لريحان آغا ، وعلى الشيخ علي العدوي مختصر السعد على التلخيص وشرح القطب على الشمسية وشرح شيخ الاسلام على ألفية مصطلح الحديث بقراءته لأكثره وشرح ابن عبدالحق على البسملة لشيخ الاسلام ومتن الحكم لابن عطاء الله ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

قال : وتلقيت طريق القوم وتلقين الذكر على منهج السادة الشاذلية الاستاذ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي وقد لازمته المدة الطويلة وانتفعت بمدده ظاهراً وباطناً ، (قال) : وتلقيت طريق ساداتنا آل وفا ، سقانا الله من رحيق شرابهم كؤوس الصفا ، عن ثمرة رياض خلفهم ونتيجة أنوار شرفهم ، مربح الأكابر والأصاغر ومطمح أنظار أولي الأبصار والبصائر ، أبي الأنوار محمد السادات بن وفاء ، نفحنا الله وإياه بنفحات جده المصطفى ، وهو الذي كناني على طريقة أسلافه بأبي العرفان ، وكتب لي سنده عن خاله السيد شمس الدين أبي الاشراق ، عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق ، عن أخيه السيد أبي الارشاد يوسف ، عن والده الشيخ أبي التخصيص عبد الوهاب ، عن ولد عمه السيد يحيى أبي اللطف ، الى آخر السند هكذا نقلته من خط المترجم رحمه الله تعالى .

ولم يزل المترجم يخدم العلم ويدأب في تحصيله حتى تمهر في العلوم

العقلية والنقلية ، وقرأ الكتب المعتبرة في حياة أشياخه ، وربى التلاميذ ، واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل ، وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام ، وكان خصيصاً بالمرحوم الشيخ حسن الجبرتي والد صاحب التاريخ ، اجتمع به من سنة سبعين ومائة وألف ، ولم يزل ملازماً له مع الجماعه ليلاً ونهاراً . واكتسب من أخلاقه ولطائفه ، وكذلك بعد وفاته لم يزل على حبه ومودته مع ولده الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، وانضوى الى استاذنا السيد أبي الأنوار بن وفا ولازمه ملازمة كلية ، وأشرقت عليه أنواره ولاحت عليه مكارمه وأسراره .

ومن تآليفه حاشيه على الاشموني التي سارت بها الركبان ، يشهد بدقتها أهل الفضائل والعرفان ، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية ، وحاشية على شرح الملوي على السلّم ، ورسالة في علم البيان ، ورسالة عظيمة في آل البيت ومنظومة في علم العروض وشرحها ، ونظم اسماء أهل بدر ، وحاشية على آداب البحث ، ومنظومة في مصطلح الحديث ستمائة بيت ، ومثلثات في اللغة ، ورسالة في الهيئة ، وحاشية على السعد في المعاني والبيان ، ورسالتان على البسملة صغرى وكبرى ، ورسالة في مفعل ، ومنظومة في ضبط رواة البخاري ومسلم[1] وله في النثر كعب علي ، وفي الشعر كأس ملي ، فمن نظمه في مدح الأستاذ أبي الأنوار بن وفا ، ويستعطف خاطره عليه بتقصير وانقطاع وقعا منه قوله :

عبيد جنى ذنباً ورحب الحمى حلا ... فهل من رضا عنه تجود به فضلا
اليك أبا الأنوار قد أبت مخلصاً ... ومن ذا الذي يا سيدي قط مازلا
أعيذك أن يسعى لبابك عائذ ... وتكسوَه من أجل ذنب له ذلا
أعيذك أن ترضى حقارة لائذ ... لسالف جرم تاب منه وإن جلا
إذا أنت بالغفران والصفح لم تجد ... فمن منه نرجو العفو والصفو والبذلا

---

(١) وهذه التآليف مطبوعة متداولة إلا قليلاً منها .

وكيف وأنت الصدر من سادة حووا ... مكارم أخلاق العلا ما طووا غلا
ومن معشر هم نسل أشرف مرسل ... دعا لجميل الصفح أكرم بهم نسلا
اولئك آل المصطفى وبنو الوفا ... كنوز الصفا مزن العطاء الذي انهلا
وهم بركات الكون شرقاً ومغربا ... وغوث اللهافى [1] والهداة لمن ضلا
بهم عند أستاذ الوجود توسلي ... ومن أم سادات الوفا لم يخب أصلا
هو المقصد الأسنى لمن كان آملا ... هو المنهل الأصفى لمن كان مغتلا [2]
هو الكعبة العظمى لحج اولي النهى ... فمن بيته يدخل يكن آمناً جذلا
أجل بني الدنيا وأبهرهم سنا ... وأبهجهم سمتاً وأشرفهم أصلا
وأمضاهم عزماً وأبسطهم يدا ... وأوفرهم حزماً وأوسعهم عقلا
وأثبتهم قلباً وأكملهم تقى ... وأبلغهم نطقاً وأفضلهم نبلا
غزير المزايا طيب الجسم خير من ... حطنا بوادي حيه الأقدس الرحلا
همام له ألقى الزمان سلاحه ... وأمسى له دون الورى تبعاً كلا
جواد إذا هلت سماء سماحه ... على ما حل أضحى كان لم ير المحلا
لحا الله أوقاتا ببعدي تصرمت ... أبيت ولي قلب بنار النوى يصلى
وأقوام سوء دينهم رفض دينهم ... وديدنهم شحن الصدود بما يقلى
إذا ما دعوا للخير صموا وإن دعوا ... لسيئة مدوا لسانا يداً رجلا
ولله أيام بها كنت أجتني ... ثمار الرضا والحظ مجتمع شملا
وأنظم في روضات أنسي بوده ... لآلىء مدح بين منثورها تجلى
اسوّد اشعاري بسؤدد ذكره ... وأرجع مبيض المحيا بما أولى
فيا ليت شعري هل يعود لي الهنا ... وأحظى بآمالي وأطرح الثقلا
ويا واحد الأعصار لا عصره فقط ... ويا ملكاً مثواه في الفلك الأعلا
أأجفى ولي ود مديد المدى ولي ... اليك انتماء ليس يبلى وان أبلى

---

(١) اللهيف واللهفان : المكروب ، والملهوف المظلوم ينادي ويستغيث . يقال : رجل لهفان وامرأة لهفى من نساء لهافى ولُهُف . واللهفان واللاهف : للسكين للتحسّر
(٢) الشديد العطش .

أأجفى ولي في ذا الجناب مدائح ... على مدد الأزمان آياتها تتلى
وما زهر روض صافحته يد الصبا ... وهادت بريا نثره الوعر والسهلا
وغنت على أفنانه ساجعاته ... فنوناً من الألحان تسترق العقلا
وسطرت الأنداء في ورقاته ... أحاديث في الأشجان عن ورقه تملى
بأبهج من شعر مدحتك طيه ... وحاشا للفظ أنت معناه أن يعلى
لقد قلت قولي ذا واعلم أنه ... إذا لم يكن حظ يضيع وإن جلا
على أن حظي أن يعود رضاك لي ... وإقبالك الشافي لمن كان معتلا
ولا شافعاً لي غير حلمك سيدي ... وأسلافك السادات أسنى الورى فضلا
سلمت وما لاقت عداك سلامة ... وطبت ونال الحاسد الخزي والذلا
ودمت كما ترضى لشانيك غيظه ... وللخل جود من ندى دائم وبلا
على جدك الهادي صلاة إلهه ... وتسليمه ما عين استحسنت شكلا
وآل وصحب ما ترنح بالصبا ... معاطف أغصان وما هيجت خلا

وله قصائد شتى ، ومراث وتهنئات بأعياد وغيرها ، ومن قوله مهنئاً جناب الشيخ حسن الجبرتي في غلام ، سنة أربع وسبعين ومائة والف :

نهنيك بالنجل السعيد الذي بدا ... من الغيب بالأفراح والسعد والندى
أتاك فغنى بالهنا بلبل الرضا ... وقام على غصن المسرات منشدا
وأشرق من أفق العلا كوكب المنى ... فأمسى ببشراك الزمان مغردا
فطب سيدي نفساً بما ترتجي له ... وقر عيوناً بالذى يكمد العدا
فان لسان المجد قال مؤرخاً ... نهنيك بالنجل السعيد الذي بدا

وله أيضاً قصائد غراء في مدح الأستاذ أبي الأنوار بن وفا ، مذكورة في المدائح الأنوارية ، ومن كلامه تهنئته للأجل الشيخ أبي الفوز ابراهيم السندوبي تابع السيد المشار اليه بقدومه من سفره :

بروحي حبيباً في محاسنه بدا ... فخرت له أهل المحاسن سجدا
وراح يثنيه مدام دلاله ... فخلناه من راح الدنان تميدا

ومر بنا في عسكر من جماله ... فقطع أحشاء وفتت أكبدا
مليح أعار النيرين سناهما ... وعلم غصن البان كيف تأودا
وشاكي سلاح يرهب الأسد لحظه ... ويرعب خطيّ القنا والمهندا
وحلو اذا ما افتر باسم ثغره ... أرانا عقيقاً حف درّاً منضداً
كسا الله خديه من الورد حلة ... وأسكن في فيه الزلال المبردا
نسيم وغصن رقة ورشاقة ... وأما شذا فالروض كله الندى
فسبحان من سواه للناس فتنة ... وصوره في دولة الحسن مفردا
شغفت به قدماً ولذ هواه لي ... على رغم غمر لامني فيه واعتدى
وفي حبه أنفقت عمري جميعه ... ولم أخش في شرع الصبابة ملحدا
ولم ينسني ذكراه شيء سوى علا ... أبي الفوز ابراهيم شمس ذوي الهدى
امام له في كل مجد وسؤدد ... مآثر لاتستطيع انكارها العدا
ومولى أجل الله في الناس قدره ... وتوجه تاج القبول وأيدا
ونابغة دراكة من بيانه ... وآرائه المعروفة السحر والهدى
جواد له بذل الجزيل سجية ... وبحر ندى عن موجه يؤخذ الندى
يرى عرض الدنيا وان جل باطلاً ... لهذا يرى المجتدي الفضل والندى
تسير له قبل الجسوم قلوبنا ... فلا تنثني إلا وعنها انجلى الصدى
يمازج عز المجد منه تواضع ... ولطف به فيه نسيم الصبا اقتدى
اليه انتهى جمع الفضائل سالماً ... فأصبح للأقران مولى وسيدا
ولا غرو إن حاز الكمال جميعه ... فمن يتبع السادات يزداد سؤددا
ومن لأبي الأنوار استاذنا انتمى ... ينال من الآمال ما كان أبعدا
هو السيد السامي على أهل عصره ... هو السند الحامي إذا عدت العدا
هو الجوهر الفرد الذي بوجوده ... تجدد إيوان العلا وتشيدا
هو المقصد الأسنى لمن كان آملاً ... هو المنهل الأصفى لمن كان ذا صدى
هو المورد المقصود من كل وجهة ... هو الشرف النامي على مدد المدى

محط رحال العارفين وقطبهم ... وكعبة أهل الفضل حالاً ومبتدا
همام حباه الله كل حميدة ... فأصبح بين العالمين محمدا
وأورثه مولاه شامخ رتبة ... لآبائه آل الوفا أبحر الندى
مصابيح مصر بل صباح الوجود بل ... حياة الورى أزكى البرية محتدا
كنوز المعاني والحقائق والتقى ... شموس سموات الولاية والهدى
خلاصة آل المصطفى ولبابهم ... وسر بني الزهراء بضعة أحمدا
هم بركات الكون شرقاً ومغربا ... هم ملجأ العاني إذا خطب اعتدى
هم القوم لا ينقاس غيرهم بهم ... ومن ذا بسادات يقايس أعبدا
اذا أطلق السادات كانوا بني الوفا ... فيا حبذا فخراً صميماً وسؤددا
أبا الفوز خذها بالقبول تكرما ... وان كنت كالمهدى الى الكنز عسجدا
وقابل بحسن العفو سوء قصورها ... فذنب المحب العفو عنه تأكدا
على خير رسل الله خير صلاته ... وتسليمه ما شارق غاب أو بدا
وآل وأصحاب وكل متابع ... لمنهاجهم ما ناح طير وغردا
وما المخلص الصبان قال مؤرخا ... أبو الفوز بشراه السرور مؤيدا

وله في ديباجة سلام

يانسيم الصبا تحمل سلامي ... لحبيب به شفاء سقامي
وإليه بلغ تحية صب ... مستهام ما خان عهد الغرام
لم يكن ناسياً وداداً قديما ... لا ولا سامعاً ملام لئام
ذو اشتياق الى لقاء محب ... فاق نوراً على بدور التمام
وجه مولى حاز المحاسن طراً ... فهو شمس الكمال بين الأنام

وله أيضاً

ترحلتم عنا وشطت دياركم ... وبدلتمونا بالصفا غاية الكدر
وأعدى علينا الشوق جيش خطوبه ... وأصبح حزب الصبر ليس له أثر
فإن تسألوا عنا فإنا لبعدكم ... كجسم بلا روح وعين بلا بصر

ولولا رجاء النفس لقيا حبيبها لما بقيت منا معـان ولا صور

ولـه متغزلاً

وحق صبح المحيا مع دجى الشعر وجنة الخلد مع راح اللمى العطر
ومقلة بفنون السحر قد كحلت وقامة رشحتهـا خمرة الخفر
وعرف عنبر خال وابتسام فم من اليواقيت عن ثغر من الدرر
ما غير البعد عهدي في الغرام ولا نسيت وداً مضى في سالف العصر
لي في المحبة شرع غير منتسخ ومذهب في التصابي غير مندثر
إن كنت ملت الى السلوان ياأملي فلا تمتعت من خديك بالنظر
كيف السلو وأنت الروح في جسدي والعقل في خلدي والنور في بصري
كيف السلو لظبي ما نظرت له إلا رأيت شقيق الشمس والقمر
غصن من البان قد رقت شمائله ورق في حبه ذو البدو والحضر
بديع حسن يقول الناظرون له تبارك الله ما هـذا من البشر
الى محاسنه تصبو العقول وفي هواه يحلو مرير السقم والضجر
شاكي السلاح شديد البأس ذو مقل تعد أسهمها في أسهم القـدر
ريم ولكن تخاف الأسد سطوته وكل أهل الهوى منه على خطر
يغزو النفوس بجيش من لواحظه وعسكر من جمال غير مقتـدر
محاسن حار فيهـا لب ناظرها وفتنة دهشت منها ذوو الفكر
كأنما ذاته في لطفهـا خلقت من نفثة السحر أو من نسمة السحر
يغنيك عن كل ذي حسن محاسنه ومن يرى العين يستغني عن الأثر
أفديه من رشأ ما مثله أحد عدمت في حبه حلمي ومصطبري
أطال هجري بلا ذنب أتيت به وساءني بعد صفو الود بالكدر
أصغى الى قول أعدائي وشمتهم مع ان قول الأعادي غير معتبر
يا أحمد الفعل الا في تقلبه دع التقلب واجبر قلب منكسر
وأحي بالوصل نفساً فيك ميتة وأبر بالود جسماً من جفاك بري

يامن هو الآية الكبرى لناظره رفقاً بصب غدا من أكبر العبر
تكاد تحرقه نيران مهجته لولا سخاء سحاب الجفن بالمطر
إن كان عندك شك أنني دنف فسل دموعي وسل سقمي وسل سهري

ولـــــه أيضاً

أهابك أن أجيبك لا لعجز ولكن المحبـــة أخرستني
وأحتمل المكاره لا لذل ولكن الصبابة أحوجتني
وقدري لست تجهله ولكن غرامي باعني لَكْ بيع غبن
فكن يا ابن الأكابر أهل عرف ولا تكثر عليّ من التجني
فلي جسم كساه الشوق سقماً ولي قلب علاه كل حزن
ولي في مذهب العشاق حال يطول بذكرها شرحي ومتني

وله غير ذلك كثير ، وفضله وعلاه شهير ، وكان في مبتدأ أمره وعنفوان شبابه وعمره ، معانقاً للخمول والإملاق متكلاً على مولاه الرزاق ، يستجدي مـــع العفة ، ويستدر من غير كلفة ، وتنزل أياماً في وظيفة التوقيت بالصلاحية بضريح الامام الشافعي رضي الله عنه ، ثم ترك ذلك .

ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تنزل المترجم أيضاً في وظيفة توقيتها وعمر له مكاناً بسطحها سكن فيه بعياله فلما اضمحل أمر وقفه تركه واشترى له منزلاً صغيراً بحارة الشنواني وسكن به ، ولما حضر عبد الله افندي القاضي المعروف بطرزاده وكان متضلعاً من العلوم والمعارف ، وسمع بالمترجم والشيخ محمد الجنـاحي واجتمعا به ، أعجب بهما وشهد بفضلهما وأكرمهما ، وكذلك سليمان افندي الرئيس ، فعند ذلك راج أمر المترجم وأثرى حاله ، وتزين بالملابس وركب البغال ، وتعرف أيضاً باسمـاعيل كتخدا حسن باشا ، وتردد اليه قبل ولايته ، فلما أتته الولاية بمصر زاد في اكرامه وأولاه بره ورتب له كفـايته في كل يوم

بالضربخانة [١] والجزية ، وخرجاً من كلاره [٢] من لحم وسمن وأرز وخبز وغير ذلك وأعضاه كساوي وفراء ، وأقبلت عليه الدنيا ، وازداد وجاهة وشهرة ، وعمل فرحاً وزوج ابنه سيدي علي فأقبل الناس عليه بالهدايا وسعوا لدعوته ، وأنعم عليه الباشا بدراهم لها صورة ، وألبس ابنه فروة يوم الزفاف ، وكذا أرسل اليه طبلخاناته [٣] وجاويشيته [٤] وسعاته فزفوا العروس وكان ذلك في مبادىء ظهور الطاعون ، فتوعك الشيخ المترجم بالسعال وقصبة الرئة ، حتى دعاه داعي الأنام ، وفجأه الحمام ليلة الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة ست ومائتين وألف ، وصلي عليه بالأزهر وكان محفل جنازته مجمع الأفاضل :

مضت الدهور ومـا أتين بمثله ولئن أتى لعجزن عن نظرائه

ودفن بالبستان رحمه الله تعـالى ، انتهى من كلام الجبرتي مـع بعض تغيير .

محمد خليل أبو المودة بن السيد العـارف علي بن السيد محمد بن القطب السيد محمد مراد المعروف بالمرادي

ابن علي الحسيني الحنفي الدمشقي مفتي دمشق الشام أعاد الله علينـا من بركاتهم : الإمام السيد السند ، والهمام الفهـامة المعتمد ، فريد عصره ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف ، الصاعد لأعلى ذروة العوارف ، نبعة صافيها ومبتدأ مَعِينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده حتى ابان صبح يقينها ، من بيت العلم والجلالة والسيادة ، والعز والرياسة والسعادة ، ولا ريب أنه كان شامة الشام ، وغرة الليالي والأيام ، اورق

---

(١) دار ضرب المسكوكات .

(٢) بيت المؤونة .

(٣) هم الضاربون على الآلات .

(٤) رتبة عسكرية معروفة (فارسية) هذه الكلمات التركية ، كانت مألوفة .

عوده بالشام وأثمر ، ونشأ بها في حجر والده والدهر أبيض أزهر ، وقرأ القرآن على الشيخ سليمان الدبركي المصري ، وطالع في العلوم والأدبيات واللغة التركية والانشاء والتوقيع ، ومهر وأنجب واجتمعت فيه أشتات الفضائل ومتفرقات الشمائل ، مع لطيف خلق يسعى اللطف لينظر اليه ، ورقيق جمال يقف الكمال متحيراً لديه .

ولما توفي والده المرحوم آل اليه إفتاء الحنفية في الديار الدمشقية ، ونقابة الأشراف ، واشتهر بين الخاص والعام بحسن الأوصاف ، واستوى على العلوم العقليـــة والنقلية ، وملك بنقد ذهنه جواهر المعارف والعوارف السنية ، فكانت تتيه على سائر البقاع به بقاع الشام ، ويفتخر به عصره على بقية الأعصار والأعوام ، فلا تزال تصدح ورق الفصاحة في ناديه ، وتسرح اليه وفود روّام البلاغه فتباكره وتغاديه ، ونور فضله باد ، وموائده ممدودة لكل حاضر وباد ، كما قيل :

كالشمس في أفق السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

وكان رحمه الله مغرمـــاً بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار وجمع الآثار ، وتراجم العصريين ، على طريق المؤرخين . وكان يراسل فضلاء البلدان البعيدة ، ويواصلهم بالهدايا والرغـــائب العديدة ، ويلتمس من كل منهم تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن الثاني عشر بحسب وسع همته واجتهاده . الى أن بلغ مطلوبه وحصل مرغوبه ، ورقم ما رام فجاء بحمد الله على أتم مرام ، وسمـــاه « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » .

وله أيضاً كتاب عظيم أرخ فيه المفتين في دمشق من أيام السلطان سليم ، وسمـــاه : « عرف البشام [1] فيمن ولي فتوى دمشق الشام »

---

(١) البَشَام جمع بشامة : شجر طيّب الرائحة .

وقد ختمه بترجمة ذاته ، فأحببت ذكرها بلفظها لدلالتها على رفيع مقامه وصفاته ، فقال رحمه الله :

لامزية فتذكر ولا محمدة فتشكر ، ولا فضل فيقـــال ، وليست عثرة واحدة فتقال ، ولا سيئة واحدة فتغفر ، وليس سهم واحد من المعائب يرده من الاغضاء مغفر ، ولا طيب خلق ولا جمال ، يوضح بيانه بالتفصيل والاجمال ، ولا جملة كمالات ، ولا محاسن كلمات ، يشهد به البادي والحاضر والسامع والناظر ، ولا فضائل ولا معارف ، تنقدها بيد الاختبـــار من الأذكياء الصيارف ، ولا فواضل ولا أدب ينسل اليه من كل حدب ، ولا سماحة بنان وحماسة جنان ، ولطافة بيان وعذوبة لسان ، يعترف بها كل ملسان ، ويقر لها كل إنسان ، وتتشنف بسماعها الأذهان ، ويرويها فم كل زمان في كل آن . وقد اقترفت الذنوب ، وارتكبت العيوب ، وغدوت منها ملآن الذنوب ، واغترفت الاساءة ، واعترفت بالبطـالة ، ورفضت الأصدقا ، وجانبت الأودا ، وخبطت خبط عشوا ، وكنت كخاطب في الليلة الظلما ، ووصفت فما أنصفت ، وأطلت الكلام وما أفدت ، وجنحت للأماني ، وتبعت في الأفعال زماني ، ونصبت الآمال الكواذب ، أشراك الرغبات والمطالب ، وجهلت الكريم وعرفت الوضيع ، وسامرت الوغد وتركت الرفيع ، وجبت الجهل وسلكت حزنه والسهل ، وصرفت أوقاتي للإضاعة فقلّت البضاعة ، وتبعت الأهواء النفسية ، وفعلت في أيام شيخوختي أفعال الطفولية ، لا أميز الخسيف من الشريف ، ولا الربيع من الخريف ، ولا الفاضل من المفضول ، ولا الناقل من المنقول ، ولا الافيال من الأقيال ، ولا الجهـــد من الجهر ، ولا الجمر من الخمر ، ولا الحبر من الحبر ، ولا الجبر من الجبر ، ولا القضا من الفضا ، ولا العلا من الغلا ، ولا النهار من البهار ، ولا الأشجار من الأسحـار ، ولا العرار من الغرار ، ولا الحلال من الخلال ، ولا الحمار من الحمار ولا الملاح من الملاح ، ولا الصبا

من الصباح ، ولا الربا من الرياح ، ولا النوى من النواح ، ولا الفلا من الفلاح ، ولا السما من السماح ، ولا القرا من القراح ، ولا الربا من الرباح ، ولا العقار من العقار ، ولا يوح من نوح ، ولا الخد من الحد ، ولا الجد من الجد ، ولا الوجد من الوخد ، ولا الشمع من السمع ، ولا قابوس من فانوس ، ولا الشاعر من المشاعر ، ولا القاضي من القاصي ، ولا الضد من الصد ، ولا الحامد من الجامد ، ولا الصائغ من الصانع ، ولا الناظر من الباصر ، ولا الصابر من الصائر ، ولا الجابر من الحابر ، ولا المعنى من المغنى ، ولا القاصي من القاصر ، ولا الزاهي من الزاهر ، ولا الوافي من الوافر ، ولا الهاجي من الهاجر ، ولا الهامي من الهامر ، ولا الآمي من الآمر ، ولا الرامي من الراسخ ، ولا النامي من الناسخ ، ولا الساري من السارق ، ولا العالي من العالم ، ولا الشاكي من الشاكر ، ولا الصابي من الصابر ، ولا السالي من السالك .

فكيف أترجم ويذكر حالي المبهم المعجم ، وأنعت بمقال وكلام ، وتجري بخصوصي مياه الأقلام ، ويقال عنّي مادح نفسه يقريك السلام ، وانخرط في سلك من ذكرته ، وسمط من وضعته ونشرته ، وأصف نفسي لشيء يمحضه التكذيب ، وانشىء مقالاً يصير هدفاً للتعريض والتأنيب ، ولا يخفى أن الجهل شلل في يد الرياسة ، آفة في رجل الرجولية ، صمم في سمع الأريحيـة ، قذى في عين المروءة ، بخر في فم الفتوة ، فلج في سن السيادة ، لكنة في لسان الشهامة ، بهق في وجه السعادة ، صداع في رأس الكياسه ، علة في جسم المعالي ، مرض في قلب المجد والفضل ، قوة في قلب السيادة ، متـانة في يد الفتوة ، ابتسام في فم الشهامة ، جلاء في عين المعالي ، وضاءة في وجه الكيـاسة والرياسة ، فصاحة في لسان السعادة ، صحة في جسم الدولة ، ونعمة مغبوطة ومنحة بها المفاخر مربوطة ، فياليتني ارعويت ، وما تصدّيت وادعيت ، ولكني وإن كنت

الموصوف بهذه الأوصاف المذكورة ، والنعوت الغير المحمودة والمشكورة ، فأفتخر بجدي وأبي ، وبنجاري ونسبي ، لابأدبي ونشبي ، فرونق الأخلاف بالأسلاف ، وإن طابت تربة الكرْم تحسن السلاف ، والذَنبُ اختلاجه بسلامة الرأس ، والبناء لايقوم إلاّ بالأساس ، والأفق الصافي لايطلع إلا زُهرا ، والتربة الطيبة لاتنبت إلا زهرا ، وبصحو الجو يصحو النهار ، ومتى عذبت العيون تصفو الأنهار :

شمس كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

وناهيك بهذا البيت ، الخالي عن لوّ النقائص واللّيت ، فقد خرج منه رجال وأي رجال ، يضيق عن حصر أوصافهم كل مجال ، خضعت لهم من الأقيال شم الأنوف والمعاطس ، وتناولوا من المعالي والمفاخر مالا تلامسه كف ملامس ، أضاء بدر علاهم وأشرق ، ونجم نجم هداهم وتألق ، إن حرروا حرروا رقاب المعاني ، وإن حبّروا ذلت لهم أعناق المباني ، فمآثرهم حسنات ظاهرة ، وأنفاسهم زكية طاهرة ، فكم سِفْرٍ أودعوه حكماً نبوية ، وكم من علم حققوا دقائقه اللفظية والمعنوية ، لم تخل أناتهم برهة عن طاعة ، ولا عن اجتهاد فوق الاستطاعة ، رجال لاتلهيهم تجارة ، ولا تفي بوصف محاسنهم عبارة ، ولا يشق أحد لأحد منهم غباره ، أحاطوا بالفضل إحاطة الهالة بالبدر ، وافتخر بهم المجد افتخار الليالي بليلة القدر :

قوم اذا ذكروا لم تلق بينهم الا هماماً تردّى المجد واتّزرا
صيد غطارفة غرّ لبابهم تأوي الصناديد والحكام والوزرا

الى أن قال : وأما ايضاح حالي في اقامتي وترحالي ، وذكر شيوخي والأساتذة ، ومن تخرجت عليه بالفنون من الجهابذة ، وتقلباتي مع الدهر في كل آن وشهر ، وذكر تلاعب الأيام بي ، وصرفي لردع بوائقها اجتهادي وتعبي ، وذكر ماوليت من المناصب العالية ، والرتب الشامخة السامية ، وما حباني الله به من النعم والدولة ، والحشمة والجاه والصولة ،

ومؤلفاتي وآثاري ، ونظامي ونثاري ، وذكر من نظمتني واياه أيدي الأقدار ، في هذه الدار وغيرها من الأجلاء أولي الفضل والمقدار ، وما وقع لي وجرى بالارادة الالهية ، والحكمة الأزلية ، فقد يطول ذكره هنا ويتعذر ، ويصعب بيانه وشرحه ويتعسر .

وقد ذكرت جميع ذلك في سفر مطول ، وأوضحت أمري به فهو عليه المعول ، ولما عزل ابن العم عبد الله بن الطاهر من فتوى دمشق الشام ، وبقيت البلدة خالية عمن يصونها ، ومفتقرة لمن يحرس رباعها وحصونها ، ويتولى أمرها ، ويطفىء برأيه من البوائق المدلهمة جمرها ، وينشر مسائلها ، وينقح رسائلها ، ويتصدر في دستها السامي الأركان ويتصدى لحل مشكلاتها حسب الامكان ، كنت في قسطنطينية فوليت هذا المنصب بعده برأي رجالها ورؤساء الدولة ، وكان مفتيها الحلاحل [١] الغطريف [٢] ، شيخ الاسلام محمد شريف ، وهو العلامة والبحر الزخار ، وطود الفضائل والفخار ، لا برح السعد يراوح ناديه ، وتزاحم القلانس والتيجان على لثم بابه وأياديه ، فقد أحلني مكان بنيه ، ومن يحنو عليه ويدنيه :

وألبسني ثوب المكارم معلماً وتوّجني من فضله وكساني

وكانت توليتي للمنصب المذكور من طرف الدولة في اليوم السابع من شعبان سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ، وأنا حينئذ في البلد المذكورة قسطنطينية دار السلطنة العلية ، صانها الله من كل آفة وبلية ، ثم قدمت مفتياً لبلدتي دمشق ذات النيربين والشرف ، التي أكرمها الله تعالى بالبركة والشرف ، وأنخت ببقاعها من المسير المطايا وأنا متوكل على مجزل العطايا ،

---

(١) السيد في عشيرته ، الشجاع التام .

(٢) السخي والسريّ والسيد والحسَن .

وغافر الذنب والخطايا ، ورجوته ودعوته أن يوفقني في هذا الأمر لما يرضاه ، ويداركني باللطف فيما قدره وقضاه ، انه خير مجيب لمن دعاه ، وأكرم مسؤول لمن رجاه ووعاه ، لأني لست من هذه الحمائم ، ولا قطرة تلك الغمائم ، ولا من نور هـذه الكمائم ، ولا من درر تلك الأسلاك ، ودراري هذه الأفلاك ، ولكني أقول متمثلاً بقول من يقول :

لعمر أبيك مانسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اضمحلت وصوح نبتها رعي الهشيم

وقد أثبت هنا من أشعاري ، التي نسجتها يد أفكاري ، نبذة حرية بالمحو ، لايستر عوارها الا الاغضاء والعفو ، عارية عن الجزالة والحلاوة ، خالية عن البلاغة والطلاوة ، فمن ذلك قولي مفتخراً وأنا في الروم :

أما نحن أبناء السراة الأكاسر لنا في الندى والحلم جم المآثر
نجود بما نحوى ونعفوعن السوى ونصفح عن زلات باغ وقاصر
ونحن أناس لايغـير عهدنا تغلب محتـال وصولة فاجر
نعف متى نقوى ونغضي تكرما ونظهر في الحالين مافي السرائر
وآباؤنا صيد غطارفـة لهم جلابيب مجد نسجها بالمفاخر
هم القوم سادوا منذشادوا دعائماً من العز منها الركن ليس بدائر
فلا يجد الملهوف غير مقامهم اذا اشتدخطب أو بدا جور جائر
أزاحوا من العدوان ليلاً لقد دجى بصبح من الايمان أسفر ظاهر
فكم أشهروا يوم الوطيس مهنداً يحز نجوداً سترت بالمغافر
فوارس في الهيجامتى طرفا امتطوا رؤوس العدى تلقاهاتحت الحوافر
وان جردوا عضباً وهزوا أسنة ترى في الوغى يبدو انهزام العساكر
وليدهم يردي الكماة اذا انتحى يذل له خوفاً أشـد القساور
وليس خضاب في أنامله بدا ولكنه بالبطش دامي الأظافر
فلم يلف في نعمائهم غير حامد ولم يبق في الدنيا لهم غير شاكر

ففي دستهم أقيال قوم أجلة ... وفي أفق العلياء هم كالزواهر
وآياتهم جل المصاقع لم تزل ... ترددها للناس فوق المنابر
متى أمّ من أم القرى وافد قرا ... سطور القِرى والجود غب البشائر
أو اجتازهم راج سماحة جودهم ... رأى لطف مفضال وهمة ناصر
وفي الشام ما شام الغريب ببابهم ... أذى حاجب وغد وسطوة ناهر
بهم جلق والروم تسمو وتزدهي ... ولم يبق ذكر فيها للأواخر
فياروم هل تبغين بعد فراقهم ... كراماً وياذي الشام غيرك فاخري
وفي الروم قسطنطينة تبتغيهم ... وجلق تبغيهم هما كالضرائر
فأي مكان ضمهم كان موئلاً ... يضم قروماً[1] من خيار أكابر
فلو حاتم أدى المكارم حقها ... وشاهدهم أضحى كنادم حائر
وفي صمم اذن المناصب بعدهم ... وقد عميت حزناً عيون المفاخر
فغيثاً لقفر الفقر يهمع جودهم ... وناديهم مأوى لعائذ زائر
واني وان شط المزار وأبعدت ... منازل من أهوى وكدر خاطري
أخو همة قعسا يؤم ومؤتسى ... وفرع لأصل بالشرافة طاهر
ولست بمغبون إذا مر حاسدي ... وصرت قطيناً في نوادي الأصاغر
وإني امرؤ ما ذل يوماً لماجد ... ولا هاب آلاف الأسود الخوادر
ولم يخش دهراً قد أعز أذلة ... وما راعه إلاّ عيون الجآذر
لها موقع في القلب انى له دوا ... فوا عجباً من جرح أحور فاتر
ولا يشتكي ضيم الخطوب وإن دهت ... ويشكو صدوداً من نفور وهاجر
فقل لفخور يحسب المجد هينا ... ويظهر أرفاداً لباد وحاضر
أتبغي منالاً يشمخرّ اعتلاؤه ... ويسمو وأنت اليوم ليس بقادر
أأنت ابن من لولاه لم يك كائن ... وأول مخلوق وآخر آخر
أأنت ابن من فيه العوالم تزدهي ... ولم يبق في إرساله شرك كافر

---

(١) جمع قَرْم ، وهو السيد العظيم .

أأنت ابن من في الحشر يرجى ومن أضا ... به الكون لما كان مثل الدياجر
اليه انتمائي وانتسابي فعلّني ... أفوز بعفو شامل لي وساتر
وليس قريضي محصياً لشمائل ... حواها وعن ذا ضاق صدر الدفاتر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وآل وأصحاب كرام أكابر
مدى الدهر ما اشتاق الغريب لألفه ... وهبت جنوب في رياض أزاهر

وقال رحمه الله

أدر ذكره ان الفؤاد لذو ضنى ... وإن له ذكر الرسول شفاء
وروّح نفوس العاشقين بنعته ... ففيه لداء العاشقين دواء

وقال

يا رب إن ذنوبي ... كثيرة ليس تحصر
وفيك كل يقيني ... بأن عفوك أكثر

وقال

إذا ما دهتك صروف الزمان ... ووافاك منه سقام وخطب
فداوم على الصبر تلقى المرام ... وفيه مع الفوز للداء طب

وقال رضي الله عنه مشطراً أبيات ابن عبد ربه

ودعتني بزفرة واعتناق ... وأثارت لواعج الأشواق
وتهادت عند الفراق عشيا ... ثم قالت متى يكون التلاقي
وبدت لي فأشرق الوجه منها ... يتسامى بزائد الاشراق
وارتنى طلوع شمس وبدر ... بين تلك النهود والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم ... قد فتكت القلوب بالإحداق
فتنة العاشقين أنت لهذا ... بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أصعب يوم ... أورث القلب زائد الأحراق
كل من في هواك عانٍ ينادي ... ليتني مت قبل يوم الفراق

انتهى كلامه ملخصا . وله ديوان شعر ، ذو جمال وقدر .

ومن مكاتباته للسيد المرتضى الزبيدي رحمها الله تعالى قوله كما ذكره الجبرتي:
أحمد الله على كل حال ، في حالتي المقام والترحال ، وأصلي على نبيه وآله الطاهرين ، وأصحابه السامين بالفضائل والفواضل والظاهرين ، وأهدي السلام العاطر ، الذي هو كنفح الروض باكره السحاب الماطر ، والتحايا المتأرجة النفحات ، الساطعة اللمحات ، النافحة الشميم الناشئة من خالص الصميم ، وأبدى الشوق الكامن وأبثه ، وأسوق ركب الغرام وأحثه ، الى الحضرة التي هي مهب نسائم العرفان والتحقيق ، ومصب مزن الإتقان والتدقيق ، ومطلع شمس الافادة والتحرير ، ومنبع مياه البلاغة والتقرير ، وموئل العائذ ، ومطمح اللائذ ، وكعبة الطائف ، ومنتدى التحف واللطائف ، ومجمع مجرى العمل والعلم ، وملتقى أنهر الملاطفة والرأفة والحلم ، وروض المكارم الوريق الوارف ، وحوض العوارف والمعارف ، المنهل الصافي ، والظل السابغ الضافي ، صانها الله من البوائق وحماها ، وحرس من الخطب الفادح حماها ، ولا برح السعد مخيما في رباعها ، واليمن والأمن مقيمين في بقاعها ، هذا وإن عطف مولانا الأستاذ عنان الاستفسار والاستخبار عن حليف آثاره ، وأليف نظامه ونثاره ، وسمير تذكاره ، في ليله ونهاره ، والمشتاق لمرآه ، والواله بهواه ، والمقيم على عهده ، والمتمسك بوثيق ودّه ، والمتمسك بعرف نده ، والصانع عقود تمداحه ، في مسائه وصباحه ، فهو بمنه تعالى رهين صحة وعافية ، وقرين نعمة وآلاء وافية ، يستأنس بأخبارك ، ويتوقع ورود رسائلك وآثارك ، وقد مضت مدة ولم يجر بين البين ماء محاورة ومراسلة ، وأدى هذا الجدب لقحط غلال المواصلة ، وعلى كل حال فالقصور من الجانبين ، واعتقاد ذلك يحسم مادة العتاب بين المحبين ، ثم الباعث لتحرير الأسطار ، ونميقة الاعتذار ، وإجراء فيض النفس المدرار ، تفقد الأحوال ، واستدعاء المراسلة ببليغ تلك الأقوال ، وللشغل الشاغل ، الذي ما تحته طائل ، اقتضى تأخير المراسلة لهذا الحين ، والتقصي من الجواب ،

عن استنشاق أوراد ورياحين ، والله يشهد أن غالب الأوقات ، ذكراك نقل وأقوات ، وقلبك شاهد على ما أقول ، وحجة المحبة ثابتة بأقوى دليل ونقول .

ولقد كنت حرضت الأستاذ لابرح وجوده للسائل نفعا ، والدهر لما يقول مجيباً سمعاً ، لجمع تراجم المصريين والحجازيين ، ومن للأستاذ الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار ، من أبناء القرن الثاني عشر ، ووعد حفظه الله بالانجاز ، ولسبب الشواغل الطـــارئة في هذه السنين الموجبة لتكدير الافكار ، ورخص أسعار الأشعار ، واخلاق برد الفضائل وذاك الشعار ، أوجب قطع المراسلة وتأخير المطلوب والمأمول ، ولم يفز المحب بمرام من ذلك ومسؤول . ولما كنت في الروم قبل ذلك العام ، جرى ذكر الأستاذ لدى حضرة أحد رؤسائها الأجلة الصناديد القروم ، فأطال بالمدح وأطنب ، ثم جرى ذكر التاريـخ وفقدانه في هذا الوقت وعدم الرغبة اليه من أبناء الدهر ، مع انه هو المادة العظمى في الفنون كلها ، فتأوه تأوه جزين ، وكان في مجلسه أحد الأفاضل المولعين باقتناص الأخبار ، فقال إن الأستاذ أبا الفيض مرتضى بلغه الله مرامه ، وقرن بالنجاح آماله وبالسعود أيامه ، قد باشر تأليف تاريـــخ عظيم باشارة هذا وأشار إلي ، فقلت نعم قد كنت حرضت الأستاذ يجمع ذلك ولا أدري كيف فعل ، هل أوقد الطروس تلك المصابيح والشعل ، أم عاقه الزمن بأحواله ، قال لا بل شعر الوزير الكبير المقتول اسمعيل باشا الرئيس وذكره في ترجمته ، ثم انه أطال على الأستاذ في الثناء ، وأطال طرف المدح في حلبة ذلك المجلس الى المساء ، فسرني هذا الخبر الطارىء ، من ذلك الرجل الاخباري ، وطرت بأجنحة السرور والأماني ، وقلت قد صافاني زماني ، ولما عدت لبلدتي دمشق دامت معمورة ، وبالخيرات مغمورة ، وقعت باشراك الشواغل المتبادرة ، وتركت من الفنون كل نادرة ، وحرصت على تدبير أمورهـا

خوف القال والقيل ، وصرفت أوقاتي للاضاعة حتى في المقيل ، وأروم من واهب النعم ، ومسدي الخير ومسدل الكرم ، أن يهبني لطفاً في مسعاي والأمور ، وعوناً في نظام الجمهور ، انه خبير بصير ، واليه المصير . وكان هذا الشغل الشاغل سبباً أعظم لتأخير المراسلة ، والاستخبار من الأستاذ عن إتمام التراجم وتحصيلها ، والآن بادرت لنسخ هذه الأسجاع ، بيد اليراع ، وحررته عجلا ، ورقمته خجلا ، فالمأمول تبييض مسودات التراجم ، وإرسالها حتى تكمل بها مادة التاريخ ، وبحسن توجهاتكم القلبية ، مع هذه الأشغال الدنيوية ، بلغ من التراجم نحو ثلاث مجلدات ضخام ، ونحوها وزيادة باقية في المسودات ، هذا ما عدا تراجم أبناء العصر وشعرائه الذين في الأحياء ، ومن نظمتني وإياه الأقدار وامتدحني بنظام او نثار ، ، فتراجمهم وآثارهم مجموعة بمجلد آخر ، وعلى كل حال فالأستاذ له الفضل التام ، في هذا المقام ، وإن شاء الله تعالى بآثاره يتم الكتاب على أحسن نسق ونظام ، وجل القصد أن يكون هذا الأود المحب مشمولاً بالأدعية الصالحة ، لتنطق بالثنا منه على كل جارحة ، والمأمول ستر عواره المتبادر ، والاغماض عما أظهره الفكر القاصر ، والذهن الفاتر ، وألقته أفواه المحابر ، على صفحات الدفاتر ، ولك الثناء العاطر ، والسلام الوافر ، والشوق المتكاثر ، من القلب والخاطر ، ما همى وادق ، وذرشارق ، وصدح يمام ، وناح حمام ، وسح ركام ، وفاح خزام والسلام . وتاريخه في اواخر ربيع الثاني سنة مائتين والف . انتهى كلام الرسالة (١) قال الجبرتي رحمه تعالى وما أدرى ما فعل الدهر

(١) في « روض البشر » من ترجمته : ثم ان المترجم تولى نقابة الجامع الأموي سنة ١١٩١ وفتوى الحنفية بدمشق سنة ١١٩٢ وجاء تاريخ فتواه (أفق الخليل) ، ونقابة الأشراف بها سنة ١٢٠٠ ، وصار بدمشق صدر الصدور ، اليه ترجع مهمات الأمور ، وألّف مؤلفات أدبية تاريخية ، منها : (عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام) ، وقد رأيته فوجدته يشبه نفحة المحبي ، (ومنها) رسالة ترجم بها بعض علماء حلب ، نقل عنها الأستاذ البيطار في تاريخه ، (ومنها) معجم ، ترجم به من لقيه من العلماء ، (ومنها) كتاب سماه « إتحاف الأخلاف ، بأوصاف الأسلاف » . أما تاريخه الذي نوّه به العلاّمة الجبرتي ، وهو : « سلك الدرر ، في أعيان القرن الثاني عشر » فقد طبع واشتهر اه .

بتاريخه المذكور ، لأنه انتقل المترجم بعد ذلك لأمور أوجبت رحلته منها إلى حلب الشهباء ، كما ذكر لي ذلك في مراسلاته في سنة خمس ومائتين وألف ، وهناك عصفت رياح المنية بروضه الخصيب ، وهصرت يد الردي يانع غصنه الرطيب ، فاحتضر وأحضر بأمر الملك المقتدر ، لا زال جدثه روضة من رياض الجنان ، ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان . وذلك في اواخر صفر الخير سنة ست ومائتين وألف ، من هجرة مظهر الرحمة واللطف .

محمد أبو عبد الله بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي المالكي

الإمام الفقيه المحدث البارع المتبحر عالم المغرب قال العلامه الجبرتي ولد بفاس سنة ثمان وعشرين ومائة وألف ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري شارح الاكتفاء والشفاء ولامية الزقاق وغيرها ، والشهاب أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي ، قرأ عليها الموطأ وغيره ، والشهاب أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي ، قرأ عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث ، وكان في أكثرها هو القارىء بين يديه مدة مديدة ، وأذن له في اقراء الصحيح في حياته فألقى دروساً بين يديه ، وكان يوده ويبر به ويقدمه على سائر الطلبة . ولما توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة خمس ومائة وألف بالطاعون ، تزاحم ذوو الوجاهات فيمن يلحده في قبره ، فكان الشيخ هو المتولي لذلك دون غيره ، وتلك كرامة له ، ورضوا بذلك ، قال : وكلمته يوماً في شأن الحج متمنياً له ذلك فقال لي مشيراً إلى شيخه عبد العزيز الدباغ ان الناس قالوا لي جعلناك في حق فلا تخرج من هذه البلدة ، وأنت ستحج واعطيك ألف دينار وألف مثقال إن شاء الله تعالى ، قال : ولم تكن نفسي تحدثني بالحج يومئذ ولم يخطر بالبال ، ومن جملة مشايخ المترجم الفقيه المتواضع صاحب التآليف أبو عبد الله

محمد بن قاسم جسوس ، لازمه مدة وقرأ عليه كتبا ، منها رسالة ابن أبي زيد ، ومختصر خليل ثلاث مرات ، مع مطـــالعة شروح وحواش ، والحكم والشمائل وجميع الصحيح من غير فوت شيء منه ، ومنهم حافظ المذهب الفقيه القاضي أبو البقاء يعيش ابن الزغاوي الشاوي ، قرأ عليه طرفاً من الصحيح وغيره . توفي سنة خمسين ومائة وألف ، كان منزله بالدوخ في أطراف المدينة ، فنزل به اللصوص ليلاً فدافع عن حريمه وقاتلهم حتى قتل شهيداً رحمه الله ، ومنهم قاضي الجماعة ومفتي الأنام أبو العباس احمد بن احمد الشدادي الحسني ، قرأ عليه المختصر الخليلي من أوله الى الوديعة أو العارية ، وسمع عليـــه بعض التفسير من أوله ، ومنهم الفقيه الزاهد القاضي أبو عبـــد الله محمد بن احمد التاق قرأ عليه رسالة بن أبي زيد والحكم ، والتفسير من أوله إلى سورة النساء ، ومنهم الإمام الناسك الزاهد ابو محمد عبد الله محمد بن جلون ، قرأ عليه الآجرومية وختم عليه الألفية مرتين ، والمختصر الخليلي من أوله إلى اليمين ، ولم يكن له نظير في الضبط والاتقان والتحرير ، وهو أول شيخ أخذ عليه وذلك قبل البلوغ ، وكان إذا قام من درسه عرض على نفسه ما قاله فيجده لا يدع منه حرفاً واحداً ، ومنهم سيبويه زمانه ابو عبد الله سيدي محمد بن الحسن الجندوز ، قرأ عليه الألفية فكان يملي من حفظه في اثنائه الشروح والحواشي ، وشروح الكافية والتسهيل والرضي والمغني والشواهد وغير ذلك مما يستجاد ويستغرب ، وقرأ عليه السلم والتلخيص ، ومن انصافه أنه لما قرب أواخره بلغه أن الشيخ ابن مبارك يريد أن يقرأه ، فقام مع جماعة وذهب إليه ليسمع منه ، وهذا من حسن انصافه واعترافه بالحق ، ومنهم أبو العباس احمد بن علال الوجاري ، قرأ عليه الالفية بلفظه ثلاث مرات ، وشيئاً من التسهيل والمغني ، وقد ذكر له بعض الشيوخ عن ابن هشام ، أنه قرأ الألفية ألف مرة ، فقال له بعض من سمعه وكم قرأتها ؟ قال أما المائة فجزتها ، فهؤلاء عشرة شيوخ . كذا لخصتها من إجازة المترجم للشيخ احمد بن علي بن عبد الوهاب بن الحاج الفاسي في تاسع جمادى الثانية سنة ثلاث وألف .

وحج المترجم فقدم مصر سنة إحدى وثمانين ورجع عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وعقد درساً حافلاً بالجامع الأزهر برواق المغاربة ، فقرأ الموطأ بتمامه وحضر غالب الموجودين من العلماء ، وأجاد في تقريره وأفاد ، وسمع عليه الكثير أوائل الكتب الستة والشمائل والحكم وغيرها ، وأجاز ، ولقي بمكة أبا زيد عبد الرحمن ابن اسلم اليمني ، وأبا محمد حسين بن عبد الشكور صاحب الشيخ عبد الله الميرغني ، والشيخ ابراهيم الزمزمي ، وغيرهم . وبالمدينة أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان ، وأبا الحسن السندي ، وعبد الله جعفر الهندي ، وغيرهم . وأجازوه وأجازهم ، وعاد الى مصر واجتمع بأفاضلها كالجوهري والصعيدي وحسن الجبرتي والطبلاوي والسيد العيدروس والشيخ محمود الكردي وعيسى البراوي والبيومي والعريان وعطية الاجهوري ، وكان صحبته ولداه سيدي محمد وهو الأكبر وسيدي ابو بكر ، خالي العذار جميل الصورة ، وتردد على الشيخ حسن الجبرتي كثيراً وتلقى عنه بعض الرياضيات ، وترك عنده ولديه المذكورين مدة إقامته بمصر ، فكنا نطالع معهما سوية صحبة الشيخ سالم القيرواني والشيخ أحمد السوسي ، ونسهر غالب الليل نراعي المطالع والمغارب وممرات الكواكب ، بالسطح حذاء خيط المساترة ، ونراجع الشيخ فيما يشكل علينا فهمه وهو معنا في ناحية أخرى ، وأوقفت سيدي أبا بكر على طريق رسم ربع الدائرة المقنطر والمجيب .

ومن تآليف المترجم حاشية على البخـــاري في أربع مجلدات [١] ، وحاشية على الزرقاني شارح خليل ، وشرحان على الأربعين النووية ، ومناسك حج ، وشرح الجامع لسيدي خليل ، وشرح تحفة ابن عاصم في القضـــاء والأحكام [٢] ، والمنحة الثابتة في الصلاة الفائتة ، وفتح المتعال فيما ينتظم منه بيت المال ، وحاشية على ابن جزي المفسر ، وحاشية على البيضاوي لم تكمل ، وشرح المشارق للصاغاني [٣] ومنظومة فيما يختص بالنساء ، أولها :

---

(١) في معجم المطبوعات : طبع حروف فاس جزء ٤ (سنة ١٣٣٠) .
(٢) طبع فاس ج ٢ . وأسئلة وأجوبة ، وبهامشها أسئلة وأجوبة لعبد القادر الفاسي
(٣) طبع (سنة ١٣٠١) .

الحمد لله العلي الصمد ثم صلاته على محمد
وبعد فالقصد بهذا النظم تحصيل نبذة من المهم

إلى أن قال

الدم صفرة وكدرة ترى من قبل من تحمل حيض قد جرى
مثل أقل الطهر والمعتاده عادتها تمكث مع زياده
ثلاثة ان لم تجاوز أكثره وبعد طاهر لدى من حرره

إلى آخرها . وكلفه سلطان المغرب خطة القضاء في ثلاث ومائتين وألف فقبلها كرهاً ، وكانت فتاويه مسددة وأحكامه مؤيدة ، مع غاية التحرز والصيانة والاتقان . وبالجملة فكان عين الأعيان في عصره ومصره ، شهير الذكر وافر الحرمة مهيب الصورة ، يغلب جلاله على جماله ، قليل التبسم . ولما توفي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن المحمدية ، وبايعه الكافة بعده على ذلك ، وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم والمكوس والمحارم ، وكان كذلك .

ولم يزل المترجم على طريقته الحميدة ، حتى توفي سنة سبع ومائتين وألف ، وكان قد توفي قبله ولده السيد محمد سنة أربع وتسعين ومائة وألف ، وتوفي بعده ولده السيد أبو بكر سنة عشر ومائتين وألف .

الشيخ محمد بن داود بن سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي المالكي الأزهري

قرأ على والده ، وحضر دروس شيخنا الشيخ علي العدوي الصعيدي وبه تخرج وأنجب في العلوم ، وله سليقة جيدة في النثر والنظم ، وحصل كتباً نفيسة المقدار زيادة على الذي ورثه من والده ، قال الشيخ الجبرتي :

وله محبة في آل البيت ومدائح كثيرة ، وهو ممن قرظ على شرح القاموس لشيخنا السيد محمد مرتضى تقريظاً بديعاً ، وهو أحمد من أبدى من صنائع الحكم محكم المصنوعات ، وأسدى من سوابغ النعم أنواع المبدعات ، سبحانه من إله أفاض علينا جوده وافضاله ، وأزال عن قلوبنا رين الرين والجهالة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي خص بجوامع الكلم وبجامع الحكم ، وعموم الرسالة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الإحسان والجلالة ، وبعد فلما من الله على العبد الضعيف بالاطلاع على هذا الشرح الشريف ، المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس ، الذي ألفه أعلى أرباب الكمال والكلام ، لسان الحق الناطق ببيان الحلال والحرام ، يد الزهادة ومنهج الطريقة ، فهو السري بل البرهان على الحقيقة ، من سلك مسالك التحقيق ، وتتبع مواضع الفصل والتدقيق ، حتى فاز من بغيته بالسهم المعلى ، وجليت عليه غواني المعاني فتملى وتحلى ، اعني به سيدي ومولاي ، ومالك أزمة ولاي ، من هو لي عمدتي ومعيني ، السيد محمد مرتضى الحسيني ، أدام الله للعالمين انسه ، وأشرق عليهم في هذا الوجود بجوده شمسه . وكان حفظه الله تعالى قد أشار بوقوفي على هذا الطراز المحلّى ، والقدح المعلّى ، وأن أكتب عليه بما تسمح به القريحة الخائفة لقصورها من الفضيحة ، فنظرت فعلمت أن ذلك سبيل ليس لمثلي أن يسلكه ، ولا لمن كان على قدري أن يقود زمامه ويملكه ، لا سيما وقد قرظ عليه فحول الأئمة الأعيان ، الذين تعقد عليهم الخناصر في كل زمان ومكان ، فأحجمت من ذلك احجاماً مخافة واحتشاماً ، ثم علمت أن أمره قد ورد على سبيل الإيجاب ، وان قاضي الانصاف لا يرضى الا بشهادة الحق وقول الصواب ، فأقدمت بعد الجموح ، ودخلت إلى رحبات التوكل من باب الفتوح ، وتأملت ما فيه من العجب العجاب ، وتذكرت قول العلي الوهاب في محكم الكتاب ،

« هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » وقلت فيه في الحال ، معتمداً على الملك المتعال :

تاج العروس الذي أبداه سيدنا ... المرتضى العالم النحرير ذو الهمم
لما بدا أرخص التيجان كلهم ... لما حوى من عظيم الفخر والشيم
واجمعَ اهل الهدى أن لا نظير له ... من التآليف في عرب وفي عجم
ثم غلب علي الرشد أن أحذو ... حذو شيخنـــا محيي النفوس سيدي العيدروس فقلت وعلى الله توكلت :

صاح ان شئت كل علم نفيس ... فانظرن ما حواه تاج العروس
شرح شيخ الاسلام تاج المعالي ... مرتضى العارفين راس الرؤوس
سيد الاكملين أعظم شهم ... حاز فضلا قد جل عن تقييس
شرحه الجامع المهذب أبدى ... من خبايا العلوم ما قد تنومي
قلت لمـــا رأيته يا ابن ودي ... نشر روض أم ذاك عطر عروس
ام حياة النفوس من أسكرتني ... بسلاف من ريقها المأنوس
بنت سبع وأربع وثلاث ... ان تجلت ازرت ضياء الشموس
قال هذي لآليء قـد جلاها ... ماجد عارف زكي الغروس
بحر بَر البيان رب المعاني ... حبر علم البديع محي النفوس
وهو نجل الزهراء وابن حسين ... وعلي أكرم بهم من هموس
وهو في الزهد كابن أدهم حقا ... وهو في العلم كالإمام السنومي
يا ابن طه يا مرتضى يا كريما ... دعوة دعوة تزيل نحومي
نجدة نجدة فقد ضاق صدري ... من زمان مقلب معكوس
ليس يخفاك والدي وعلاه ... في مقام التأليف والتدريس
وعلو الاسناد ذاك شهير ... عند أهل الكمال بالعيدروسي
سيدي والدي صديقي عزيزي ... من على بابه طروق الرؤوس
فبحق الشيخين يا خير شهم ... دعوة علها تضيء شمومي

أنت حصني الحصين يا ابن حسين ... في مقامي ورحلتي وجلوسي
كيف أخشى العدى وأنت ملاذي ... أو أخاف الردى وأنت أنيسي
دمت في عزة وفتح ونصر ... من إله مهيمن قدوس
وصلاة مع السلام دواما ... تغشى طه النبي تاج العروس
ما غدا قائلا أسير ذنوب ... صاح ان شئت كل علم نفيس

وفي آخره : كتبه خجلاً وجلاً مرتجي غفر المساوىء الفقير الحقير محمد بن داود الخربتاوي المالكي ، في عاشر شهر رجب الفرد سنة أربع وثمانين ومائة وألف [١] . ولم يزل المترجم مقبلا على شانه ، مواظباً على دروسه وحفظه واتقانه ، متباعداً عن الناس ، ليس له بغير العلم والتقوى استئناس ، إلى أن دعته المنية ، إلى الدرجات العلية ، في سنة سبع ومائتين وألف ، غمره الله ببحر الرحمة واللطف .

الشيخ محمد بن عبد الحافظ افندي ابو ذاكر الخلوتي الحنفي المصري

الأجل الصالح والناسك الفالح ، العارف بالله . أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكري والشيخ الحفني ، وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدجلي والشيخ أحمد الحماقي ، وأدرك الاسقاطي والمنصوري ، ولم يتزوج قط ، وكف بصره سنة إحدى وثمانين ومائة والف ، وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ولا جارية ولا عبد ، ولا من يخدمه في شيء مطلقا ، وبيته متسع جهة التبانة ، وبابه مفتوح دائما ، وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط والجميع مطلوقون في الحوش ، وهو يباشر علفهم واطعامهم وسقيهم الماء بنفسه [٢] ، ويطبخ طعامه بنفسه ،

(١) من آثاره : المواهب العلية ، لحل ألفاظ الأجرومية ، الحاشية المرضية على ابن تركي والشماوي (معجم المؤلفين) .
(٢) كذا في الأصل .

وكذلك يغسل ثيابه ، واشتهر في الناس بأن الجن تخدمه وليس ببعيد لأنه كان من أهل المعارف والأسرار ، ويأتي اليه الكثير من الطلبة للأخذ عنه والتلقي منه . وكان له يد طولى في كل شيء ، ومشاركة جيدة في العلوم والمعارف ، والأسماء والروحانيات والأوفاق ، واستحضـــار تام في كل ما يسأل عنه ، وعنده عدة كثيرة من السنانير ، ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ، ويقول هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة ، الى غير ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في شهر شوال سنة سبع ومائة [١] وألف كما ذكر ذلك العلامة الجبرتي رضي الله عنه وأرضاه آمين .

السيد محمد افندي البكري الصديقي شيخ سجادة السادة البكرية ، ونقيب السادة الأشراف في مصر المحمية

نادرة الزمان ، وغرة وجه العصر والأوان ، إنسان عين الأقـاليم ، فريد عقد المجد النظيم ، جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر اسم الظـــاهر والباطن ، من لبس رداء النجابة في صباه ، ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه ، ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده ، فعلى جبينه نور النسب ، وعلى رأسه لواء المجد يصونه عن كل عطب :

مستيقظ الحزم واري العزم ثاقبه همومه حين يتلوهن همـــات
صافي الطوية من غل يكدرهـــا وأول المجد أن تصفو الطويات

الحسيب النسيب والنجيب الأريب ، تقلد بعد والده المنصبين . وورث عنه السيادتين ، فسار فيهما سيرة الملوك ، ونثر فرائد المكارم من اسلاك السلوك ، فجوده حدث عن البحر ولا حرج ، وبراعة منطقه تنتج سلب

---

(١) قوله : (ومائة) هو سبق قلم ، والصواب (ومائتين) كما في تاريخ الجبرتي فيمن توفي (سنة ١٢٠٧ هـ) وكتبه : محمد بهجة البيطار

الألباب والمهج ، مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار ، وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار ، وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال ، واخباره غنية عن البيان ، مسطرة في صحف الإمكان ، زمانه كأنه عروس الفلك ، فكم قال له الدهر أمّا الكمال فلك ، ولم يزل كذلك إلى أن أذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ، وقطفت زهرة شبابه ، وقد سقتها دموع أحبابه ، ورثاه الألمعي الفاضل السيد عبد الله المزاريقي وأرخه بقوله :

لقد مات من كانت موارد فضله ... تعم جميع الخلق في القرب والبعد
محمد البكري من فاز وارتقى ... كما بشر التاريخ في جنة الخلد

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الثاني ، وخرجوا بجنـــازته ودفن عند أجداده بجوار الامام الشافعي رضي الله عنه . وبالجملة فهو كان مسك الختام قلما تسمح بمثله الأيام .

ولما مات تولى سجادة الخلافة البكرية ابن خاله سيدي الشيخ خليل افندي ، وتقلد النقابة السيد عمر افندي الاسيوطي ، ومن نظمه مادحاً خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام :

ينقضي الدهر والهوى لا يزول ... من فؤاد بعشقه مشغول
كل حين يمر بي من نهـــار ... هو عندي دهر عنيد طويل
والهوى يورد الفتى كل صعب ... وعلى عكس قصده مجبول
وعذولي قد لج يعذل جهلا ... أوَ هل يعرف الغرام جهول
وألذ الأيام مـــا لاح فيه ... قمر طالـــع وغصن يميل
قد حكته الغصون لينا وقدًّا ... باعتـــدال وفاتها التمثيل
جمع الحسن كله مثل ما قد ... جمع الفضل والفخار خليل
فرع أصل نما فأثمر فضلا ... وذكاءً ما ان حكاه مثيل
ألمعي حاز السيادة كسبا ... كل فضل بذاته موصول

خصه الله بالكمال فأضحى ما له من سوى الكمال خليل
وهو طود العلوم من كل فن وسواه عند الأنام الجهول
قل لمن رام أن يحاكيه جهلا أوَ يحكي شمس الضحى قنديل
لست أدري أرأيه أم ذكاه صاحِ أمضى أم سيفه المسلول
الرشيـــد الحميد نجل علي المرادي النقشبندي الجليل
شب في كسبه المعاني فأضحى طوعه الدهر طائعاً ما يقول
طاهر الذيل قد تبرأ ممـــا بعضه قد تعاب منه الذيول
فاق بالحلم والتواضع والجو د وخلق الفتى اليه يؤول
وإذا كانت الطباع كراما لاح منها للمكرمات دليل
قد تسامت به مراتب مجد ساميات مـــا نالهن فحول
وأرانا من معجز القول شعراً ليس إلا به تحاكى الشمول
رق معنى وراق لفظاً فأزرى نسمة الروض إذ سقته السيول
كل معنى يستعبد الذهن وحياً وبحسن الخطاب تدري العقول
وبخط أزرى بكل نضيد زانه في طروسه التشكيل
لو تحلى تاج الملوك بحرف منه أضحى من حرفه اكليل
باسط الكف للأنام جميعـاً وسواه بقبضهـــا مشغول
تخجل السحب عند جودنداها حين تهمي وغيثهـــا مهطول
وأرى المال يكسب المرء عزاً دائماً عندما البخيل الذليل

إلى أن قال :

قيل ماذا تاريخه حين أفتى قلت قد أرخوه أفتى الخليل
دام في عزه ومجد أثيل بدره التم ما اعتراه أفول
واليك الكمال أهدى قصيداً باعتـــذار ففكره مشغول
بنت حين من ساعة من نهار حيثما العذر عندكم مقبول
لا تقابل أصدافهـــا بعقود من نظام يردهـــا التخجيل

مات رحمه الله سنة ثمان ومائتين والف . كما ذكره الشيخ الجبرتي .

الشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي الأصل ثم المصري
خليفة الشيخ محمود الكردي

قال الإمام الجبرتي : العمدة الصالح الورع الصوفي الضرير نزيل مصر ، جاور بالأزهر وحضر على الأشياخ فى فقه مذهبه وفي المعقول ، وأخذ الطريق على شيخنا الشيخ محمود المذدور ، ولقنه الأسماء على طريق الخلوتية والأوراد والأذكار ، وانسلخ من زي المغاربة وألبسه الشيخ التاج ، وسلك سلوكا تاما ، ولازم الشيخ ملازمة كلية بحيث انه لا يفارق منزله في غالب أوقاته ، ولاحت عليه الأنوار وتحلى بحلل الأبرار ، وأذن له الشيخ بالتلقين والتسليك . ولما انتقل شيخه رحمه الله تعالى صار هو خليفته بالاجماع من غير نزاع . وجلس في بيته وانقطع للعبادة ، واجتمع عليه الجماعة في ورد العصر والعشاء ، ولقن الذكر للمريدين وسلك الطريق للطالبين ، وانجذبت القلوب اليه واشتهر ذكره وأقبلت عليه الناس ، ولم يزل على حسن حاله ، حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة تسع ومائتين والف ، وصلى عليه في الأزهر الجم الغفير رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد شمس الدين بن عبد الله بن فتح الفرغلي
المحمدي الشافعي السربابي المصري

نسبة إلى سربابي قرية بالغربية قرب طندتا وبها ولد ، ونسبه يرجع إلى القطب سيدي الفرغلي المحمدي من ولد سيدنا محمد بن الحنفية ، قال الجبرتي في ترجمته : هو العمدة الفاضل والصفوة الكامل ، العالم الفقيه والعامل النبيه ، تفقه على علماء عصره وأنجب في المعارف والفهوم وعانى الفنون ، فأدرك من كل فن الحظ الأوفر ، ومال إلى فن الميقات والتقاويم فنال من ذلك ما يرومه ، وألف في ذلك وصنف زيجاً مختصراً دل على سعة باعه

ورسوخه في الفن ، ومعرفة القواعد والأصول ودقائق الحساب ، ونهج مسلك الأدب والتاريخ والشعر ففاق فيه الأقران ، ومدح الأعيان ، وله المزدوجة المسماة بنفحة الطيب في محاسن الحبيب ، التي نظمها باسم الأمير حسن بك رضوان ، فكان طوداً راسخاً وبحراً راسخاً ، مع دماثة الأخلاق وطيب الاعراق ، ولين العريكة ، وحسن العشرة ، ولطف الشمائل والطباع . وكان يلي نيابة القضاء ببلده ، وبالجملة فكان عديم النظير في اقرانه لم أر من يدانيه في أوصافه الجميلة .

وله مصنفات كثيرة منها (الضوابط الجليلة في الأسانيد العلية) ألفه سنة ست وسبعين ومائة وألف ، وذكر فيه سنده عن الشيخ نور الدين أبي الحسن سيدي علي بن الشيخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد العربي الفاسي المغربي الشهير بالسقاط . وسليقته في الشعر عذبة رائقة ، وكلامه بديع مقبول في سائر أنواعه ، من المدح والرثاء والتشبيب والغزل والحماسة والجد والهزل . وله ديوان جمع فيه أمداحه ﷺ سماه (عقود الفرائد) وقد قرظ عليه الشيخ عبد الله الأدكاوي في سنة تسع وسبعين ومائة وألف بقوله :

هكذا من أراد نظم الفرائد ... أو نحا نحو حوك برد القصائد
هكذا هكذا عقود المعاني ... لا عقود المخدرات الخرائد
تلك صواغها البنان وهذي ... صاغها فكر شمس فضل الأماجد
فرغلي الأروم نامي ذرى المجـــد بديع الفهوم سامي المشاهد
الاريب الذي أتاح له اللـــه المعاني لذي العقود مصايد
واللبيب الذي لقد قيد اللـــه له في قريضه كل شارد
من معان لو حاز منها أبو الطيـــب [1] معنى لقال حزت المحامد

---

(١) أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الكوفي ، نشأ بالشام ، وتنقل في البادية يطلب الأدب ، ووفد على سيف الدولة في حلب ، فمدحه وحظي عنده ، وقصد العراق وبلاد فارس ، ومدح عضد الدولة ملكهما ، ثم قتل بالقرب من النعمانية من سواد بغداد سنة (٣٥٤ هـ) . وديوان شعره مطبوع ، وعليه شروح وافية .

أو نحا نحوها الوليد [١] لقلنا والداً صرت يا سنيّ الموارد
أوشذا مثلها حبيب [٢] لحاز الحســـــن طرا وقـد سما للفراقد
اين منها بدائع ابن سناء [٣] الملـــــك حسنا مرونقا ومقاصد
أين منها ما زخرفوه من القو ل وقالوا هنا محط الفوائد
ذاك والله ضاع وصفاً وهذا ضاء إذ ضاع منه أسنى الفوائد
بمديح الذي قد اختاره الاـــــه رئيساً على جميع الأعابد
أحمد المصطفى الظهور فأمّ خير أمّ ووالد خير والد
صلوات مطيبـــات توالى تربه ما صلى وسلم عابد
وتعم الآل الكرام والأصـــــحاب جميعاً ما خر لله ساجد

وله في رثاء شيخه القطب الحفني قصائد طنانة ، وله جملة أراجيز ، منها أرجوزة في تاريخ وقائع علي بيك ومحمد بيك . وله قصيدة من بحر الطويل ضمنها ما وقع للأمير مصطفى بك مولى محمد بك في سنة أربع وتسعين في طريق الحجاز حين ولي أميراً على الحج ، وهي بديعة سلسلة النظم ، حاوية وقائعه التي جرت له مع العربان ، ولحلاوتها أوردت منها جملة ، وسماها تغريد حمـــام الأيك ، فيما وقع لأمير اللوا مصطفى بك وهي هذه :

---

(١) أبو عبادة البحتري الطائي ، خرج من ديار الشام إلى العراق ، فمدح جعفراً المتوكل على الله ، وخلقاً من الأكابر والرؤساء ثم عاد إلى بلده منبج من أعمال حلب ، وتوفي بها (سنة ٢٨٤ هـ) له ديوان شعر وكتاب الحماسة ، وكلاهما مطبوع .

(٢) حبيب بن أوس الطائي أبو تمّام ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم من قرى حوران ، ونشأ بمصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء عصره . ديوان شعره ، وديوان الحماسة كلاهما مطبوع .

(٣) هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدي ، مصري المولد والوفاة ، كان وافر الفضل جيد الشعر ، كتب في ديوان الإنشاء بمصر ، له : « دار الطراز » في عمل الموشحات ، وديوان شعر . توفي سنة ٦٠٨ هـ .

إمارة حج البيت في سالف العصر ... هي المنصب الأعلا وحقك في مصر
وخدمـــة وفد الله جل جلاله ... هي النعمـــة العظمى لمغتنم الأجر
تنافس فيها الأولون وعظموا ... امارتها في الخافقين مدى الدهر
وقام بها الأهلون وافتخرت بها ... ملوك بني عثمان في البر والبحر
وهان على الحجاج من فقد مالهم ... وما عندهم انفاقه أنفس العمر
وطاب لهم نوم العقنقل بعد ما اســـــتراحوا على تلك الأرائك القصر (١)
ولذ لهم بعد الفرات ودجلة ... ونيل الهنا شرب الأجاج مع المر
وصاموا وهاموا في جمال حبيبهم ... وظلوا سكارى لا بكأس ولا خمر
وأفلتهم صوت المنادي فأعلنوا ... إجابته في عالم الغيب والذر
وفي عالم الملك المشاهد طلقوا ... منامهم شوقاً إلى البيت والحجر
وشدوا على العيس الرحال وأخلصوا ... سرائرهم لله في السر والجهر
وساروا وزند الشوق بين ضلوعهم ... له شرر أذكى لهيباً من الجمر
وخلوا ديار الانس بعـــد مسيرهم ... يغرد فيهـــا بلبل الدوح والقمري
وفيها من الغادات كل خريدة ... إذا ابتسمت تغنيك عن طلعة الفجر
وحجوا وطافوا البيت سبعا وعرفوا ... وزاروا رسول الله ثم أبا بكر
وعادوا إلى الأوطان ليس عليهم ... ذنوب ولا اثم كما جاء في الذكر
وفي عام الف تم ، ثم ومائة ... وأربعة من بعد تسعين في الحصر
تولى أمير الحج مفرد عصره ... كريم السجايا ذو المهابة والفخر
أمير اللوا كنز الصفا مصطفى الوفا ... مبيد العدى بالمرهفات وبالسمر
بديع الحلى مولى الأمير محمد ... أبي الذهب المحفوف بالعز والنصر
أمير اللوا من كان سلطان عصره ... فريداً وحيداً بالتكلم في مصر
وكان كبدر التم في أفق العلا ... وكان هلال السعد في غرة الدهر
فسار على نهج العلا مصطفى الوفا ... وشيد أركان الإمارة بالفخر

---

(١) لعله : (في القصر) .

وشدّ جواد العزم والحزم والقوى ... وعظم شأن الحج في ذلك العصر
وأنفق أموالاً عليه كثيرة ... وفاز بتحصيل الثواب مع الأجر
وقضى شؤوناً بالحجاز تعلقت ... وأحكمها بالعقل والنقل والفكر
وقد وضع الأشياء طراً محلها ... ودبرها تدبير مجتهد حبر
وجهز ما يحتاجه من ذخائر ... ووجهها نحو السويس على الظهر
وسير منها جانباً نحو جدة ... وأرسل باقيها إلى ينبع البر
وقرر حقاً في الوظائف أهلها ... وقلد أجيادَ المناصب بالدر
وأمسى خلي البال بعد اشتغاله ... وأصبح بعد الكل في راحة السر
وقد عملت أرباب دولة عزه ... على كل أمر مقتضاه بلا كبر
وفي شهر شوال المبارك زينت ... لموكبه أطلال مصر من الغبر
وسرت به الآفاق وابتهجت به ... جميع القرى والسعد وافى مع البشر
وأضحت بقاع الأرض مخضرة الربا ... وأضحت رياض الزهر مبهجة الثغر
وسلمه شيخ الكنانة محملا ... قد افتخرت مصر به غاية الفخر
ونالت بنو عثمان حظًّا به على ... جميع ملوك الأرض في البر والبحر
وسار به كالبدر عند تمامه ... وأتباعه الأمجـاد كالأنجم الزهر
وماس به يهتز في حـلة البها ... على صافن مثل النسيم إذا يسري
وبين يديه الدفتدار (١) وحوله ... صناجق (٢) مصر في ازدهاء وفي فخر
ومن خلفه الفرسان من كل جانب ... أحاطت به مثل الكواكب بالبدر
بأسلحة كالبرق تخطف عمر من ... دنا نحوه بالسوء والغدر والشر
وما زال يسعى مع سلامة ربه ... بمحمل طه ذي الفتوحات والنصر
إلى أن دنا من حصوة طاب ريحها ... ونسمتها تشفي العليل من الضر
وأنزله فيها وبات بهـا وقد ... دعته إلى مصر دواعي الهوى العذرى

---

(١) كبير المحاسبين .
(٢) الأعلام .

وأصبح فيها قائماً هائماً له ... حنين الى الجوزا وشوق الى بدر
وبات بها والقلب خيم باللوا ... وأم القرى ذات الفضائل والفخر
وأصبح منها سائراً متوكلا ... على الله رب البيت والركن والحجر
وفي بركة الحج الشريف أتى بها ... محط رحال الوفد من سائر القطر
أقام بها حتى انقضت يا أولي النهى ... مهماته طرا وأعلن بالشكر
وغلق واستوفى جميع الذي له ... وللعرب العربا من الذهب التبر
وغلق أيضاً بعد ذا مال ضرة ... أعدت لأشراف الحجاز مدى الدهر
وأقبلت الحجاج من كل جانب ... عليه وأضحى ملجأ العبد والحر
وفي سابع العشرين دقت طبوله ... وسار كبدر التم في رابع العشر
وصحبته الحجاج طرا بأسرهم ... وزوار طه ملجأ الناس في الحشر
وودعه شيخ الكنانة قائلا ... تعود الينا بالسلامة والجبر
وتنظر مصراً في السرور وفي الهنا ... ونحن بخير سالمين من الضر
وبالحج فافعل كل ما أنت أهله ... من الخير والإحسان والحلم والبر
ولا تنسنا في البيت من صالح الدعا ... وفي حجر اسماعيل يا طيب النشر
وفي عرفات والمحصب من منى ... وفي الروضة الغرا تجاه أبي بكر
وفي ينبع مع بدر والقاع فاحترص ... من العرب العرباء في الورد والصدر
ولا تأمن الصغرا ونقب عليها ... فانها يا ذا العلا بقعة الشر
وكل قليل يا أمير اللوى لنا ... فوجه بشيراً عاقلاً كاتم السر
ومن بعد ذا كل الصناجق أقبلت ... تميس دلالا في ثياب الهوى العذري
وعانقهم مذ عانقوه وودعوا ... وأدمعهم فوق المحاجر كالقطر
وأحبابه طرا تقول له مع السلامة يا ذا العز والمجد والقدر

وهي طويلة . توفي المترجم في شهر ربيع الأول سنة عشر ومائتين وألف من هجرة النبي ﷺ .

استدراك

الشيخ محمد بن حسن بن ابراهيم الشهير بالبيطار الدمشقي الميداني

فات مؤلفنا العلامة أن يترجم لشقيقه الأكبر الشيخ محمد البيطار ، مع انه ترجم لولده الشيخ محمود ، وإنا ننقل ترجمته عن منتخبات التواريخ للتقي الحصني ، وروض البشر للأستاذ الشطي ، ومما كتبه هو بقلمه رحمه الله تعالى . قال في منتخبات التواريخ (ج ٢ ص ٨٥٨) : ومن الأسر الشهيرة في العلم والفضل في حي الميدان ودمشق (بنو البيطار) خرج من رجـــال هذا البيت جماعة من أجلّة العلماء ، والشعراء ، تقدم ذكرهم في كتابنا في العصر الأخير ، وهم الشيخ محمد أمين الفتوى ، وله ذرية كبيرة نجيبة ، والمؤرخ الشهير الشيخ عبد الرزاق وله أحفاد نجباء ، والشيخ عبد الغني وله ذرية أدباء ، والشيخ سليم أحد أركان رجال هذا البيت . مات (سنة ١٣٤١ هـ) وقد أعقب ذرية نجيبة ، عرفنا منهم الشيخ جميل إمام جامع الدقاق ، وحسني بك المحاسب المركزي المالية دمشق . واشتهر منهم بالفضيلة والعلم ، الشاعر الشهير الشيخ بهاء الدين ، وهو والد صديقنا الشيخ محمد بهجة من علماء دمشق ، ومن مدرسي الحرم المكي اليوم (أي من سنة ١٣٤٤ هـ إلى سنة ١٣٤٩ هـ) اهـ . بتصحيح قليل وذكره الأستاذ الشطي في وفيات سنة ١٣١٢ هـ فقال : ان المترجم من كبار علماء دمشق وفقهائها وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة ، ثم نقـل ترجمته عن التقي الحصني وزاد عليها زيادات جعلها بين هلالين ، ونحن نثبتها كما وردت ، قال : هو محمد بن حسن (بن ابراهيم) الشهير بالبيطار الدمشقي الميداني (الشافعي ثم) الحنفي ، الشيخ المعمّر أمين الفتوى بدمشق . (ولد في حدود سنة ١٢٣٠) وقرأ على والده ، وبه كان أكثر انتفاعه ، وأدرك الطبقة العليا من الشيوخ الأعلام ، وأخذ عنهم حتى برع في جميع العلوم ، المنطوق منها والمفهوم ، (وتولى أمانة الفتوى في دمشق بزمن أمين افندي الجندي والعلامة الحمزاوي والسيد المنيني) وانفرد في الفقـــه ، وأصوله ،

(ونال رتبة ازمير المجردة) فاشتهر فضله وعم نفعه ، وقصدته الناس في أمر دينهم ودنياهم ، وفي كل اختلاف بينهم ، حتى كانوا يستفتونه وهو سائر في الطريق ، فيقف لهم ويفتيهم ، وقد اشتهر أنه أعلم من بعض المفتين . وكان يرزقه الله من حيث لا يحتسب ، وكانت وفاته سنة ١٣١٧ (صوابه عام اثني عشر وثلاثمائة والف) انتهى .

وهذه شذرة من كلامه ، تدل على جلالة قدره وعلو مقامه ، وهي إجازة له من شيوخه الكثيرين ، في قراءته لكتاب (إحياء علوم الدين) قال رحمه الله تعالى : قد أخذت هذا الكتاب عن أساتذة فضلاء ، وجهابذة كرماء ، ما بين مكيين ومدنيين ومصريين وشاميين ، ورروميين ، ولكن لا أذكر منهم إلا من أرضعني بلبانه ، وربابي بتأديبه وإحسانه ، وعندي هو من أجلهم بل أجلّهم ، ومن أحسنهم هو بل أحسنهم ، بركة الوقت في زمانه ، (الى أن قال) : قد أخذت بالإجازة كتاب إحياء علوم الدين عن والدي المرحوم حسن بن ابراهيم البيطار ، عن شيخه الإمام الشيخ صالح الزجاج ، عن محدث الشام الشيخ محمد الكزبري ، عن الصالح والده القطب الشيخ علي الكزبري ، عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، عن شيخه عبد الرحمن الكزبري وعن خاله الشيخ عبد الباقي الحنبلي ، عن الشمس الميداني ، عن الشهاب الطيبي ، عن الكمال بن حمزة ، عن القاضي أبي حفص الحنبلي ، عن سليمان بن المحب ، عن محمد بن العماد ، عن أبي سعد السمعاني عن محمد بن ثابت عن مؤلفها الإمام الزاهد ، الفقيه المقدام زين الدين ، أبي حامد ، محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد الغزالي ، حجة الإسلام (إلى أن قال) فانتقل الى رضوان الله تعالى عن خمس وخمسين سنة ا هـ وقد أجاز الشيخ محمداً أخوه في الطلب والتحصيل على والده الشيخ حسن البيطار ، عن الشيخين عبد الرحمن الكزبري وحامد العطار ، بشرطه المعتبر .

السيد محيي الدين باشا بن السيد الأمير عبد القادر بن السيد محيي الدين الجزائري الحسني المتصل نسبه بسيدي عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه

انني لم أجد عبارة تفي في حقه بالمدح ، غير أني أرسلت اليراع يجول في ميدان الفتح ، ومن أين لي ان اترجمه بما يليق ، أو ان اصفه بما هو به حري وحقيق ، وهو الأمير الذي ورث الإمارة عن أبيه وجده ، والشهير الذي استوى على عرش الفضائل باجتهاده وجدّه ، والأديب الذي يمتزج كلامه بأجزاء النفس لطافة ، والأريب الذي رق طبعه حتى حاكى النسيم رقة ونحافة ، تحلى بالمكارم فكانت مقصورة عليه ، وتجلى على عرش الكرائم المنتسب أكرمها إليه ، ولقد لحظته عين السعادة فقصرته من كل محبوب على الأعلا ، وجذبته يد السيادة لكل مرغوب فقلدته منه بالأولى ، ورفعه ساعد العلم إلى ذروة الكمال ، ووضعه صائب الفهم الثاقب على نقطة الاعتدال ، فله من الملح ما يزري بنوافث السحر ، ومن المنح ما ينقل ذوي الحاجات إلى الغنى بعد الفقر ، وان سألت عما ناله من رقيق الاخلاق وانيق اللطف والارتفاق ، فهو واحد هذا العصر بل نادرة الزمان وثمرة الدهر ، وأمّا طلاوة نظمه ونثره ، وحلاوة قريضه وشعره :

يستنبط الروح اللطيف نسيمه أرجاً ويوكل بالضمير ويشربُ

فلعمري ان عقود ألفاظه أحلى من عقود النحور ، وابكار معانيه لومازجها النسيم لأزالت ملاحتها ملوحة البحور ، فما من جارحة إلا وهي تود لوكانت أذناً فتلتقط ثمين جواهره ، أو عيناً لا تنفك عن مطالعة طرائفه ونوادره ، أو لساناً يدرس محاسنه وشمائله ، أو قلما يرقم مآثره وفضائله . وبالجملة فقد نال في الأدب رتبة عجز غيره عن استعلامها فضلاً عن علمها ، وحاز فهمه الشريف منحة كلّ غيره عن استفهامها دون فهمها ، تنتهي إليه محاسن الألفاظ وتزدهي معانيه على غمزات

الألحاظ ، فأشعاره قد طارت في الآفاق ، وانعقد على كمال جمالها الاتفاق ، لا يُبلي جِدَّتها الجديدان ، ولا تزداد إلا حسناً على تردد الأزمان ، قد كادت الأيام تنشدها طربا ، والأنام توردها حلية وأدبا ، ونثره يقطر ظرفاً ويمزج بالراح رقة ولطفا ، لسان الراغب في مدحه عن مراده قاصر ، وقلم الكاتب عن استيفاء حليته في ميدان جولانه حائر ، فلا ريب انه عين الزمان ويمينه ، لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه ، فهو بحر كله جود ، وحبر كل فضل في ذاته موجود ، مع تواضع يفرغ على مجالسه جلباب السرور ، ولطف يجلب لمؤانسه كل حبور ، ومنطق تحاشى عن النطق بما يعاب ، ووجه بشوش يوهم المسيء له انه بفعله أصاب ، غير ان يده قد صالت على ماله ، فلا ترد يد مستمنح خالية من نواله ، كثير المروءة والفتوة ، يميل في أموره إلى الحزم والقوة . حسن المجالسة عذب الاستشهاد ، لا يأتي جليسه بمعنى من العلوم إلا واستشهد له بأبيات من حفظه أو نظمه حسب المراد .

وقد أخبرني حفظه الله حينما سألته عن مقدار ما يحفظه من الأبيات الشعرية ، فقال : ما ينوف على عشرين ألف بيت من نظمه ونظم غيره زيادة على المحفوظات النثرية ، يهوى الاطلاق والطرب ومذاكرة العلوم ، ويأبى الترفع والتحجب والتمسك بأحوال ذوي الرسوم ، ويقول بأن رفعة القدر والشأن ، ليس بالعجب والكبر وسلاطة اللسان ، وكيف لا يكون كذلك وهو فرع شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، قد اتصلت بسيد الرسل وسند الأنبياء.

وأما والده فهو علم الفضل والإنصاف ، وشرف النعوت والأوصاف ، افتخر به الآباء والبنون ، وتجملت بفضائله الشهور والسنون ، شهرته من الأنام شهرة القمر ليلة بدره ، ومحله من الكمال حيث يستمد كل ذي قدر من قدره ، وهذا المترجم نتيجة ذلك الأصل ، فلذا تفرد في زمانه في الكمال والفضل ، تحقق بأنواع العلوم الحديثة والقديمة ، وتعشق في الطريق الواضح فكان لا يسلك غير الطريقة القويمة ، وناهيك بهذا الشرف العظيم والفضل الجسيم .

ولد حفظه الله في ثالث ربيع الثاني سنة تسع وخمسين ومائتين والف باقليم الجزائر ، ونشأ في حجر والده عمدة السادة الأكابر ، وحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو ابن ثمان سنين وشهور ، وأقبل على حفظ المتون في أنواع العلوم ما بين منظوم ومنثور ، ثم قرأ فقه المالكية على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المغربي وعلى غيره من العلماء الأخيار ، وقرأ جملة من الفنون على الفاضل الدمشقي الشيخ محمد الجوخدار . ثم قرأ على الإمام الكامل والهمام الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري الكتب الكبيرة في أنواع العلوم ، وحضر على والده الحديث والتوحيد ، وأجازوه جميعاً بما تجوز لهم روايتـه من منثور ومنظوم . ولما رأى فيه والده الأهلية للتدريس العام ، أمره بأن يقرأ درساً بحضرته وحضرة العلماء الكرام ، فامتثل أمر والده المبرور ، وكان يرى على وجهه حين حضوره في درسه البشر والسرور ، وأجازه على ذلك ترغيباً له بجائزة سنية ، وتفرس به الترقي إلى الرتب العليـــة ، وكان سنه إذ ذاك ثمانية عشر ، حتى تعجب من نبله وفصاحته وجسارته من حضر ، وفي سنة احدى وثمانين ومائتين والف ، أنعم عليه السلطان الغازي عبد العزيز خان ، برتبة ازمير مع النيشان العثماني من الرتبة الثالثة ذات القدر والشأن .

وفي عام اثنين وثمانين في ثالث ذي الحجة الحرام من الهجرة النبوية ، توجه للسياحة في البلاد الافرنجية ، فتوجه إلى رومة وبلاد ايطاليا ، ثم إلى مملكة سويسرة ، ثم إلى عاصمة الفرنسيس ، وفي ثاني يوم وصوله زار الامبراطور نابليون الثالث فأكرمه وعامله بغاية الاقبال والتأنيس ، ودعاه إلى مائدته وبالغ في مودته ، ثم استأذن منه في السياحة في أنحاء مملكته ، فدارها ثم رجع إلى العاصمة فاستأذن من الامبراطور في الرجوع إلى أهله وبلدته ، فجدد اكرامه وأهداه نيشاناً وودعه بكل اقبال ، فتوجه إلى البلاد المصرية فساح بها مدة ثم رجع إلى محل اقامته بعد ذلك الترحال ، وكان مدة ذلك

ستة أشهر هلالية ، فعاد إلى حاله وكماله بهمة قوية . ثم في سنة تسع وثمانين في شهر رجب ، وقع بين دولة فرنسا وألمانيا للقتال أعظم سبب ، فانتشبت بينهما نار الحرب ، وتقابلت الدولتان بالسفك والطعن والضرب ، وآل الأمر في مدة أربعة أشهر إلى انتصار ألمانيا على الدولة الفرنساوية ، وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية ، فخطر في بال المترجم أن الحرب يطول بين الدولتين ، فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والغين ، فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية ، فحينما وصل إلى مدينة اسكندرية ، توجه منها إلى تونس الغرب ولم يعلم أحد نيته الخفية ، فأكرمه حاكمها صادق باشا وشاع ذكره في ذلك القطر عرضاً وطولا ، وأنزله ذلك الحاكم عنده وأهداه نيشاناً من الرتبة الأولى ، فقصد المترجم التوجه منها إلى الجزائر ، فلم يتمكن من ذلك نظراً لما ناله من الاشتهار ، الذي ملأ تلك النواحي والأقطار ، فحرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب ، لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا عند قدومه المستطاب ، وأرسلها من تونس مع الرسل الخفية ، ثم ودع الباشا مظهراً له قصد الرجوع إلى الديار الدمشقية ، فتوجه إلى مالطه ، وحين وصوله إليها أخفى نفسه وتنكر ، ولبس لباس الدراويش وظهر في غير ذلك المظهر ، وتوجه إلى طرابلس الغرب ، فحينما وصلها أرسل ثقله مع بعض الخدم في البحر إلى مدينة قابس ، وهو قد توجه برّاً متكبداً لمشقات لم يكن على مثلها بمارس ، إلى أن وصل لبلاد الجريد ، ومكانها عن حدود الجزائر غير بعيد ، فهناك أظهر حاله للناس ، ولم يخش على نفسه من بأس ، ومن عجيب ما اتفق له أن شخصاً من المنصورة (قرية من قرى جريد) كان مرافقاً له من طرابلس متوجهاً إلى قريته ومحل إقامته ، فكان يسأل رفقاء المترجم عنه ، فيقولون له رجل من أشراف الجزائر كان في الحجاز ، فيقول لهم هذا ابن ملك أو أمير حقيقة لا أقصد المجاز ، ولم يمكنهم اقناعه بحال ،

إلى أن وصلوا إلى قريته ، فقال لهم ان عدم نزولكم عندي من المحال ، فنزلوا عنده فما استقر به المجلس حتى جاء للسلام عليه حاكم البلد ، وبعده نحو الأربعمائة فارس من ذوي الشجاعة والجلد ، وكان قد أرسل لهم يخبرهم بوصوله ، فسلموا عليه وعاهدوه على القيام معه حسب مأموله ، ثم انه سأل عن رفيقه صاحب الدار ، فقال له رجل من أقـاربه انه يقدم لحضرتك عن عدم حضوره جميل الاعتذار ، حيث انه من نحو سنتين قتل شخصاً وفر لطرابلس ، والآن قد رجع خفية لرؤية عائلته ثم يرجع ، فلما رأى حاكم البلد والخيل معه ظن انهم حضروا للقبض عليه ففر منهم ، فعند ذلك تذاكر المترجم مع حاكم البلد وطلب منه الصفـح عنه حيث انهم ضيوفه ، فأجابه الحاكم بأنه ان يسمح عنه أهل المقتول فأنا أسمح عن حق الحكومة ، فأحضروهم وكلموهم أن يسمحوا على الدية ، فسمحوا في الحال بلا دية نظراً الى خاطر المترجم ، ثم فتشوا على الرجل فبعد الجهد وجدوه مختبئاً في مكان ، فأحضروه عند الحاكم وأخبره الحاكم بأن أهل المقتول قد سمحوا عنه ، وكذلك هو نظراً لخاطر المترجم ، فعندها قال الرجل لأتباع المترجم كيف رأيتم فراستي في الدرويش ، مع كونكم أجهدتم أنفسكم في إقناعي فما قدرتم ، وقد أشار الى ذلك فى قصيدة طويلة أرسلها الى أخيه سعادة محمد باشا :

طوراً تراني مختف متنكراً كيما أرى من ماء قصدي أستقى
والبدر لا يخفيه جنـح دجنة والمسك لا يخفى وإن لم يفتق

وسأورد بعض هـذه القصيدة عند ذكر نظمه ، ولنرجـع الى ذكر بعض ما وقع له في الجزائر ، فانه لما وصلت كتبه إلى رؤساء الجزائر من تونس ، استبشروا ولم يعد لهم صبر لانتظـار قدومه ، فتراسلوا وتؤامروا وأظهروا العصاوة على دولة فرنسا ، وانتشب القتال بينهم في كل مكان ، فلما وصل اليهم بايعوه على السمع والطاعة ، ووقعت بينه وبين الجيوش

الفرنساوية مقاتلات عديدة ، ما عدا التي وقعت بأمره في عدة أماكن ولم يحضرها ، وقد قتل ألوف من الفرنساوية ، ولكن حيث ان الباري لم يقدر خلاص الجزائر من اليد الفرنساوية تصالحوا هم وألمانيا ، وأرسلوا في الحال جيوشاً جرارة لمحاربته ، فتيقن عند ذلك بعدم اقتداره على مقاومتهم ، والتمست دولة فرانسا من حضرة والده إرسال أمر ونصيحة له ، فعندها رجع الى حدود تونس بمن معه ، ثم بقيت أهالي الجزائر في تونس ، ورجع هو الى الشام ، وبقي في ثغر صيدا نحو السنة ، ثم رجع الى دمشق عند والده ، وقد سألته بعد مدة معاتباً له عن عدم إخباره لي بما عزم عليه من السفر الى الجزائر ، وما ترتب على ذلك ، فاعتذر لي بأن هذا من الأمور المكتومة التي لا يمكن إبداؤها لأحد ، وأخبرني أيضاً حفظه الله انه لما خطر له هذا الخاطر ، ورأى أن أسباب اغتنام الفرصة متسهل بواسطة الخلاف الذي وقع بين فرانسا وألمانيا ، عظم عليه الأمر واشتد عليه الخطر ، وعلم ان دون ذلك مسالك جسيمة ومهالك عظيمة ، وشديد مشقات عميمة ، تباطأت عزمته وفترت همته ، فجرى على فكره نظم هذه الأبيات ، فلما أتمها وقرأها عادت له همته أعظم من الأول وهي :

على ماذا الخمول وأنت قرم ... مطاع في العشائر لا تمارى
وانك لا تنال المجد حتى ... تقود عرمرماً يملا القفارا
تعوض من شدا الشادي صهيلا ... وعن طيب الغواني اعتض غبارا
وأطيب من عناق الخود حقاً ... عناق مدرع يورى الشرارا
فقومي سادة عرب كرام ... بغير الحرب ما نالوا فخارا

ثم انه في سنة ست وتسعين ، أنعم عليه حضرة مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان برتبة مير ميران [1] الرفيعة ، ثم في سنة ثلاثمائة وثلاث ، رقاه الى رتبة روملي بيكلر بيكي ، وكان قد عين له بعد انتقال والده

(١) أمير الأمراء .

معاشاً في كل شهر خمسين ليرة عثمانية من الخزينة السلطانية ، حيث انه رفض معاش دولة فرانسا التي طلبت منه أن يكون من رعيتها هو واخوته ، وتعيد لهم معاش والدهم على التمييز والاستحقاق لا على التسوية .

ولنورد شيئاً من شعره وبديع نثره الذي هو أرفع من الدر قدرا ، وأضوع من المسك نشرا ، فمن ذلك وكان متنزهاً في صالحية دمشق بحديقة الشيخ الأكبر في فصل الربيع ، فقال :

لله در الصالحية مذ بدت ... محفوفة بحدائق النـــوار
فكأنما هي غادة حفت بهـا ... سود الحاجر في جمال نَوَار[1]
حوت المفاخر اذ غدت للحاتمي ... داراً فأضحت مطلع الأنوار

ومن نظمه حفظه الله موريا باسم فائق :

يقول معذبي هل حسن وجهي ... لبدر التم يشبه أو يطابق
فقلت وحق من أعطاك حسناً ... ملكت به القلوب لأنت فائق

وله متغزلاً حفظه الله :

دعوني فالغرام أذاب قلبي ... وأحرق مهجتي هجران حبي
أيا أهل الهوى كرماً أعينوا ... جريح لواحظ وقتيل حب
أنا المفتون واويلاه حالي ... غريب في الهوى عن كل صب
ملاح الشرق تيهوا قد أخذتم ... أسيراً في الغرام أمير غرب
رويت الحرب عن آباء صدق ... فها أنا ذا الأسير بغير حرب
لعمرك ما خشيت سواد جيش ... فمالي قد خشيت سواد هدب

ومن نظمه تشطير هذه الأبيات ، وانه يصعب تشطيرها لشدة ارتباطها :

أنا والحب ما خلونا ولا طر ... قة طيف يا صاح هذا عجيب
ما تواصلنا ساعة ولا طر ... فة عين إلا علينـا رقيب
ما خلونا بقدر ان مكن الدهـــــشة اني عن السلام اجيب

---

(١) زوجة الفرزدق

ليس لي فرصة وقد فني العمـــــر بأني أقول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت انت الـ ـح فلاح فقلت سيب النسيب
ومرضت فعادني قلت جاء الـ ـح فوافى فقلت كيم الطبيب

ومن نظمه أطال الله بقاه ، وجعل في مدارج السعادة مرتقاه :

تأمل في بديع الحسن واعذر به صبا لقـــد خلع العذارا
من احداق الورى قد صاغ خالا ومن أجفانها جعل العذارا
له لحظ ينـــادي من رآه هلموا واتركوا عشق العذارى

وله دام علاه تخميس على لامية العجم أوله :

الله عظم مقداري من الأزل وزادني شرفاً كالشمس في الحمل
وان رماني العدا بالنقص والزلل أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني عن العطل

ولي جدود لبند المجد قد رفعوا عدت جميع الورى طبعاً له تبع
وانني مقتف آثار ما شرعوا مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

وله أحسن الله اليه ، وأسبل جميل امتنانه علينا وعليه ، موريا في اسم خنجر :

يا قاتلي بلحاظ سيوفها لي أشهر
اني لأضعف عنها يكفي لقتلي خنجر

وله ألبسه الله حلة السرور ، وأجلسه على ذروة الحبور :

اشرب على البدرين شمس مدامة بدر السماء وبدرنا في المجلس
واغنم زمان الأنس لا تسمع لمن يلحو المتيم في ارتشاف الأكؤس
ما العيش إلا راحة في راحة تجلى عليك من الغزال الأانعس
يا أيها الظبي الذي ملك الحشا وغدا له شغل بقتـل الأنفس
ارحم أميراً في هواك أهنته وغدا ذليـلا للعيون النعس
ما هاب من جيش يضيق به الفضا وبدا طعيناً بالقـــدود الميس

ومن نثره كتابه لأخيه الأمير محمد باشا كتبه له من ثغر صيدا :

ان اطرب من خفق الأعواد ، ومن ترجيع البلابل على الأعواد ، ومن كؤوس الحميا يطوف بها بهي المحيا ، في روض زاهر ، غض الأزاهر ، ومن نقر المثاني والمثالث ، ومن وصل أليفَين ليس بينهما ثالث ، سلام عطري النشر ، يبشر قتيل الفراق بالنشر ، ويؤذن مطوي أيام التلاقي بالنشر ، تتحمله وتؤديه ريح الجنوب ، من مشوق تتجافى عن المضاجع منه الجنوب ، إلى ذي المنصب العالي ، وواسطة عقد المعالي ، وفريدة سمط اللآلي ، والبدر المنير في مدلهمات الليالي ، إذا امتطى صهوة جواد ، ازرى بكل فارس بطل جواد ، فكأنه بدر فوق نسر ، أو أسد ممتط النمر ، وإذا جرد بسّام هنديه في يوم بالقتال حالك ، قال النحس لأبطال أعدائه اليوم يا سوأة حالك ، له يد أحوالها كعدة البنان ، ليست إلا لمسك عنان ، أو هز هندي وسنان ، أو تحبير رسائل ، أو اعطاء سائل ، أو تقبيل عدو خاضع ، ذليل منكسر متواضع ، أعني الأخ الشقيق والبر الرفيق ، وارث المفـــاخر كابراً عن كابر ، الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر ، لا زال الدهر له يساعد ، ويمده باليد والساعد . أما بعد إهداء التعظيم الواجب ، من صميم قلب بالفراق واجب ، فإن تفضلتم بالسؤال عن حالي ، فهو لله الحمد بمر الصبر حالي ، مُتَسَلّق بتعظيم المقدار ما أوجبته حكمة الأقدار ، والدهر ذو إحاله فلا يدوم على حاله ، فمن ذا الذي أساءه وما سره وأين يوجد من نفعه وما ضره ، وفي مطالعة أخبار من سلف ، تسلية وموعظة لمن بعدهم قد خلف .

ومن نثره ونظمه أيضاً جبل الله القلوب على محبته ، وأدام لهم إشراق طلعة سعادته ، ما كتبه إلي يدعوني للحضور في قريته المعروفة بالكفرين ، الواقعة في ناحية المرج ، بينها وبين دمشق نحو أربع ساعات ، وصورة ما كتبه :

فديتك عجل اللقيا وبادر فانك سيدي للكون بادر

فذا زمن الربيع أتى وحيا بأنواع اللطائف والأزاهر
فأضحى الروض يضحك من سرور وكل مُنىً سواك لديَّ حاضر
فديتك أنت تعلم ان حظي من الدنيا هواك به أفاخر
فلا تمهل بحق الود واسرع فها طرفي لنحو الطرق ناظر

حضرة عالم الأدباء وأديب العلماء ، العالم الأديب العلم ، فارس المنبر والقلم ، نخبة عصرنا وزينة مصـرنا ، من جبل الله القلوب على محبته ، فغبطته الناس على عَلِيِّ مرتبته ، أخي وصديقي ومناي من الدنيا ورفيقي ، الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار ، حفظه الله في الاقامة والاسفـار . مولاي : اني خرجت الى القرية لأنزه الخاطر ، وأجلو برؤية الخضرة صدى الناظر ، فوجدت الربيع قبل وصولي قد وصل اليها ، وهيأ كل ما تشتهيه الأنفس وتفضل عليها ، وكسا الأرض بالحلل الخضر ، والأغصان بالتيجان البيض والحمر ، وطيبها نسيم الصبا بالمسك الأذفر ، وبعده ريح الغرب بالعطر والعنبر ، فأسرعت اليها شعراء الأطيار ، لأجل اداء التهنئة بمـا نالته من الأوطار ، فأطربت القلوب بتسجيعها ، وشنفت الآذان بلطيف ترجيعها ، وماست الأزهار من الطرب ، ورقصت الأغصان فرحـاً ولا عجب ، فعندها اصطفت ندماني ، وابتدوا بضرب المثالث والمثاني ، ثم بعد أن أطربوا الفؤاد ، وأزالوا الهموم برائق الانشاد ، أخذوا في المذاكرة ، وشرعوا في المحاورة ، فكان أول شيء ذكرهم لبعض ألطافكم ، ومـا حزتموه من بديع أوصافكم ، فتنغض على الحضور بسبب إبطائكم السرور ، وقد كان حصل وعدكم الشريف بأنكم تتفضلون علينا بالتشريف ، فطلب مني جميعهم إرسال رسالة لتحثكم على سرعة الإجابة بدون إطالة ، فبادرت بإرسال هذا الكتـاب ، وأملي أن تكون رؤية طلعتكم هي الجواب ، وبصحبتكم صاحب القلب السليم ، سيادة أخيكم الشيخ سليم ، وشاديكم قرة العين ، النجيب السيد حسين ، وها هي جياد الخيل واصلة لأعتابكم ،

وواقفة مسرجة ملجمة ببابكم . وأسأل الله أن يديم سرورنا بكم على الدوام ، ما فاح على الرياض مسك ختام . وغب وصولنا اليه ، وتمثلنا بعد السلام بين يديه ، أنشدنا وقال :

أهـلاً بقدم سادة قد شرفوا ... ولذي الوداد بقربهم قد اسعفوا
حازوا اللطائف والفضائل كلها ... سروا الفؤاد وللمسامع شنفوا
دامت مسرتهم ودام علاهم ... فعلى مودتهم فؤادي أوقفوا

فقلت له على الارتجال ، مع اعترافي بأني ضيق المجال :

يا أكمل الناس في فضل وفي شرف ... أنت الأمير على السادات والأمرا
حويت كل مقام عز مطلبـه ... ونلت كل كمال في الورى ذكرا
حييت بالبشر والإقبال ذا شغف ... وليس ينكر ذا ان منك قد صدرا
لا زلت تاجاً على هام العلا أبدا ... ودام من رام ضراً فيك محتقرا

ولقد أنشدنا لنفسه أيضاً حينما شدا الشادي على العود ، قصيدة مطلعها سعد السعود ، وكان الوقت صافيا ، والمقت بحمد الله قافيا .

بشير للصفاء غـدا ينادي ... هلموا فالأيادي في أيادي
أنا قطب السرور عليّ دارت ... نجوم البسط يا أهل الوداد
إذا بأصابعي حركت عودي ... غرست رياض أنس في الفؤاد

فأنشدته ما أنشأته في الحال ، حينما انحنى العواد على عوده ومال ، وأجاد وأطرب ، وانبأ عن وجده وأعرب ، وكان سعادته أمرني أن أقول شيئاً من هذا المعنى .

عجباً لعواد على العود انحنى ... وغدا يثنيه تواجداً وهيامـا
وتكلما حتى فؤادي كلمـا ... وتشاكلا لذوي السماع كلامـا
وتراقصا رقص الشجي لدى النوى ... والحب أثر فيهما الأسقامـا
وتعانقا وتشاكيـا أمر الهوى ... حتى بكينا رحمة وغرامـا

وفي أثناء حضوري عنده قال أجز هذا البيت وهو قوله :

قدم الربيع فلا تكن متواني عن نهب وقت مسرة وتهاني

فقلت :

فالأرض قد لبست رداءاً أخضرا متلوناً ببدائع الألوان

وقال :

وبدا يميس كغادة قد حليت وتزينت بالدر والعقيان

فقلت :

والبدر أشرق والرياض تنورقت والنهر ساح على حصى المرجان

وقال :

وبلابل الروض الأنيق لقد شدت تسبي العقول بسائر الألحان

فقلت :

وتجاوبت خطباء أنواع الطيو ر بشدوها في منبر الأغصان

وقال :

وتمايلت قضب الرياض تميس اذ هب النسيم مبشراً بأمان

فقلت :

تهتز ان مر النسيم تمايلا كتمتم دنف الحشا ولهان

وقال :

فكأنها الأحباب بعد تشتت وتباعد قد عدن للأوطان

فقلت :

وتعانقت لحنوها ولشجوها وتزايدت لعناقها أشجاني

وقال :

والزهر بين معصفر ومفضض ومذهب صاف وأحمر قاني

فقلت :

قم يا معنى للرياض مبادرا واطرب وقل والله طاب زماني

وقال :

وانظر عجائب صنع رب قادر سبحانه من مبدع منان

فقلت :

مقل الزهور تفتحت كيما ترى ما قد جرى في مجلس الندمان

وقال :

ورد ونسرين ومنثور زهـا قد فاخرته شقائق النعمان

فقلت :

والطل ينثر كالعقود لثالثـا في الجيد ينظمها كنظم جمان

وقال :

يا أيها الساقي المفدى هاتهـا وأدر كؤوسك لا تكن متوانـي

فقلت :

صرفاً بها عنا تزيح همومنـا واطرح ملام مؤنب النشوانـي

وقال :

خمراً معتقة غدت منسية في الدن طول تعاقب الأزمان

فقلت :

وبخمر فيك امزج كؤوسي علها تطفي حرارة قلبي الولهان

وكنت مرة في صحبته بروضة ذات ادواح ، قد أقيمت بها مواكب افراح ، فجاء غلام حسن المحيا ، فقبل يده وسلم وحيا ، ثم بعد حصة قبل ذيله وذهب وخلف في القلوب أعظم غصة ، فحينما غاب أنشد سيدي المترجم في الحال . على الارتجال :

فديت بدوع حسن قد سباني بطلعته وبالقـد الرشيق
ولم أنس الوداع له ودمعي دماً يجري وقلبي في حريق
فمبسمه ووجنته ودمعـي عقيق في عقيق في عقيق
ومنه الخصر مع شفة وعهد رقيق في رقيق في رقيق

فأنشدته أبياتاً كنت أنشأتها من هذا المعنى وتخلصت منهـا بمدحه الشريف وهي :

ايا روحي وريحاني وراح إلى م وأنت لم ترحم جراحي
فجيدك والمحيـا والثنايـا صباح في صباح في صباح
وقربك والوصال وبعد ضدي صلاح في صلاح في صلاح

وعمري والملام وسوء هجري نواح في نواح في نواح
وسقمي والغرام وفقد صبري فلاح في فلاح في فلاح
وضمك والعناق ولثم خد رباح في رباح في رباح
وعطفك وابتسامك واقتبالي سماح في سماح في سماح
وعذالي ولوامي وضدي قباح في قباح في قباح
وثغرك والعيون وحمر دمعي ملاح في ملاح في ملاح
وتعذيبي وابعادي وقتلي مباح في مباح في مباح
وإني لست أشكو منك حالي ولكن بُحتُ في أصل افتضاحي
لقطب المجد محيي الدين باشا علي القدر في كل النواحي
فمهما عشت في الدنيا فإني عليه قصرت شكري وامتداحي
له دام العلا ما ضاء بدر ومن عاداه مقصوص الجناح

وأنشدته أيضاً حفظه الله ورفع في الخافقين قدره وعلاه ، قولي :

هلال الحسن هلَّ على جبيني ومن فرقي بدت شمس الكمال
فمـــا لي لا أتيه على الندامى وأسعى ساحباً ذيل الدلال
دموع العاشقين عقود نحري ووصلي دونه حد النصـــال
ولب أولي الهوى في قيد أسري ولا يحلو لهم إلا وصـــالي
فكم بنصال قدي باد قرم وكم لحظي فرى موج الرجال
فجيدي ثم نحري والمحيـــا هلال في هلال في هلال
وأخلاقي وألفاظي وحظي كمال في كمال في كمال

وقد اتفق لي أني مرة كنت في داره المعمورة فناولني غلام عنده وردة ، وقال أنشدني شيئاً مناسباً لذلك ، ووقف فقلت له بعد إطراق قليل :

وافى الحبيب بوردة وغدا يميس بقده
فسألته عن روضهـــا فأشـــار لي من خده

فخمسها سعادة الباشا في الحال بقوله :

نلتُ الهناء بروضة قد تم لي بأحبة لما غدوا بمسرة
وافى الحبيب بوردة وغدا يميس بقده

قد شابهته بلونهـــا فكأنه وكأنهـــا فرع بأصل قد زها
فسألته عن روضهـــا فأشار لي من خده

ومرة كنت مع سعادته في البويضية قرية من قرى دمشق ، فجلس غلام معه بعيداً مني ولم يسمح بالتداني فقلت له :

كم ذا تـــذل متيما وتـــذيقه ألم النوى
فأجـــابني متبسما ان الهوان مع الهوى

وقد خمسها سعادته أيضاً فقال :

أفدي مليحاً قد سمـــا وأذلـــني واستعظما
فســـألته مستفهما كم ذا تـــذل متيما
وتـــذيقه ألم النـــوى
وترى لقاه محرمـــا وعذابه عذبا فمـــا
أقساك يا حلو اللمـــا فأجـــابني متبسما
ان الهوان مـــع الهوى

وقد أسمعني حفظه الله وأدام بقاه وعلاه ، قصيدته التي مدح بهـــا والده وهنأه بها بعيد الفطر ، سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين :

زمان الأنس والافراح مِنا دنا إذ منيتي بالوصل مَنّـــا
فبادر للصفاء وللتصابي فمن خوف التقاطع قد أمنـــا
وياساقي المدام ادر وعجل فطير الروض بالبشرى تغـــنا
وناول رفقتي كأساً فكأسا بظل حديقة بالزهر غنـــا
بها طير وظبي قد تبارا فذا يشدو على غصن تثـنى
وذا شاد تثنى فوق عود ولم اسمع بظبي قبل غنـــا
تثنى مفرد في الحسن فاعجب بلا ثان فكيف به تثـنى
إذا أبدى الدلال وهز قدا فلا تسأل عن الصب المعـنى
غدا ملك الملاح بلا اعتراض وقالوا كلهم إنا أطعنـــا
له قتل الخلائق صار فرضا وسيفُ اللحظ للعشاق سَنّـــا
فهل للعاشقين له نصير بسحر عيونه انا فتنـــا

ترى عشاقه سكرى غرام كأنهم سقوا دنّا ودنـا
تراهم في النهار وهم حيارى وويلهم إذا ما الليل جنّـا
تبارك من براه بـلا شبيه فلاعجب إذا ماالصب جُنّـا
ولا أنسى مراجعة تقضت بأول وهلة لما التقينـا
رنا شزراً إلي وقال مهـلا فمالك من نجاة إنْ طَعَنّـا
فقلت له فديتك لا أبالي سأصبر في الغرام فمن تأنى
وابلغ منك مقصودي بلطف وإلا بالمهند وهو أدنى
فماس يتيه من قولي دلالا وقال اراك قد اخلفت ظنـا
فإن معاشري فرسان حرب ولا يخشون يوم الروع طعنا
فقلت له ألم تسمع بقومي فقد جعلوا الوغى والفتك فنا
وقد ذاعت مفاخرهم وشاعت تناقلهـا الرواة بكل مغنى
وسل عنا الفرنجة فهي تنبي بما قاست من الأهوال منـا
وقائد معشري بطل همام غدا لي والداً وبه افتخرنـا
بعبد القادر المولى تسمى لعمرك في اسمه قد لاح معنـى
وفي الأسماء للأشخاص فأل كذا نقل الرواةوقد صدقنـا
أمير قد تفرد في البرايا غدا لجميع أهل العصر ركنـا
له الجود العميم بكل قطر به أهل الفضائل قد سعدنـا
له جد وجد ثم جد بهم نال الفخار وما تمنـى
فجد فاق أهل الأرض طرا وشرّف ذكره سهلا وحزنـا
وجد في المعارف والمزايا به نال العلا فناً ففنـا
وجد منه يدني كل قاص فلو طلب النجوم لما بعدنـا
أمير في الشجاعة لا يضاهى إذاما السيف في الهامات رنـا
يسير إلى الوغى فرحاً بشوق ويقتحم الكتائب مطمئنـا
بسالته بكل الأرض شاعت بها أعداء دولته شهدنـا

إذا ما لاح ممتطياً لطرف تخضب بالدماء بدت كحنا
ترى بدراً على شفق وبرق بيمنى قد غدت نحساً ويمنا
بها لعدو سدته هلاك وأضحت للصديق منى وأمنا
وإن شئت العلوم فكل فن غدا فيه فريداً لا يثنى
أيا مولى تفرد في المزايا ولم أعلم له في الفخر دنا
تفضل بالقبول فدتك نفسي فأنت أحق من بالصفح منا
ودم في عزة وعلو شان بك الأعياد يا سندي تُهنا

وقد دعاني في عيد من الأعياد لأن أكون معه أيام العيد في بعض منتزهاته ، فأرسل لي هذا الكتاب الشريف ، المحتوي على كل معنى لطيف ، فقال : الأستاذ المعظم والملاذ المفخم ، الحائز للفضائل والمتمّم للفواضل ، سيدي وأخي الشيخ عبد الرزاق افندي ، وبعد : فإنني أهديكم من السلام أعطره ، وأبث إلى صديقي من الشوق أوفره ، هذا وإن عيد الفطر قد اقترب ، والنفوس متشوقة إلى التنزه والطرب ، لأن شهر الصيام يضني الأجسام ، ولذلك قد صممت الجماعة على التوجه لمحل مخلصكم بالأشرفية بعد الغروب بساعة ، وحيث ان حضرتكم واسطة عقدنا ، وعروتنا الوثقى الرابطة لودنا ، ولا يتم إلا بوجودكم سرورنا ، وإن غبتم عنا غاب بسطنا وحبورنا ، وبمشاهدتكم يكون لنا عيدان ، بمجلس النايات والعيدان ، فبادروا الى المحفل الزاهر ، واجتنوا من البستان الأزاهر ، وسرحوا الناظر في الروض الناضر ، ولا تنقصوا علينا بعدم تشريفكم المسرة ، وتجلبوا لأهل ودادكم ببعادكم المضرة ، لأنكم قطب دائرة أفراحنا ، وطلعتكم البهية مزيلة أتراحنا ، فبادروا لإسعافنا بتشريفكم وإتحافنا والسلام :

أهنيك يا بدر السيادة والفخر بعيد سعيد بعد ما نلت من أجر
فدم ملجأ للناس في العلم والنهى يُهنى بكم عيد الضحية والفطر
فلا زلت يا مولاي ترفل دائماً بثوب الهنا والعز ما رجع القمري

ثم انه بعد الغروب ، مر علي في عربيته فبادرت الركوب وسرت مع حضرته مصغياً لكلامه ، مقتطفاً أزهار نثره ونظامه ، بمحاضرة تهز المعاطف اهتزاز الغصون ، ورونق لفظ لم يدع قيمة للدر المصون . وفي ثاني يوم صبـــاح العيد ، باركت له في الموسم السعيد ، ثم قدمت هذه القصيدة ، لطلعة حضرته السعيدة ، فتناولها مني بيد القبول ، وأجرى لها من البشاشة ما يفوق المأمول ، وهي :

اما والهوى العذري المقيم على عذري ... بها كل برهان حكى طلعة البدر
لئن كان لي قلب يميل لغيرها ... فلا زلت طول الدهر في غصة الهجر
فتاة لها روحي وهبت ومهجتي ... وإن قبلت أسديتها ميّتا شكري
أرى الموت في شرع الغرام بحبها ... حياة ومن لم يقض في الحب ذو كفر
رماني عذولي بالسلو ولامهـــا ... على صلتي من لي بضدٍ عَنَى ضري
أأسلو وقلبي كلما مر ذكرها ... أسال جفوني من يواقيتها الحمري
ألم يكف هذا الدهر سقمي ولوعتي ... فساعد في تسليط ضدي على غدري
رعى الله أيام الوصال وطيبهـا ... ويا ليت لو أنفقت في نيلها عمري
لقد كان لي ممن أحب رعـــاية ... فصار لها قلب يزيد على الصخر
ولم أنس مذ جاذبتها من ذوائب ... فمالت كغصن البان تيها على صدري
وقبلتها تحت الوشاح وأدمعي ... على نحرها المزري بشمس الضحى تجري
ولله ما أجراه رشح رضابهـــا ... بلبي كأني سغت خمراً على خمر
ثوت في فؤادي حين شامته خالياً ... ولكن على صعب النوى أحكمت قصري
سقى الله مغناها سواكب عبرتي ... فيغدو بدمعي منبت الورد والزهر
فليس لها في الحسن والله مشبه ... وليس لمحيي الدين ثان بلا نكر
أمير العلا بحر الندى صفوة الملا ... عليه يد النعماء قد قصرت شكري
تملكني عن أصله فهو سيدي ... واني له المملوك في صورة الحر
أيا ابن النبي الهـــاشمي محمد ... لقد راق للأسماع في مدحكم شعري

اليك يحق المدح إذ أنت أهله وأنت لعمري كعبة النظم والنثر
وأنت الذي قد أعجز العقل دركه وهيهات أن تدري النهى لجة البحر
واني لكم أهديت عذراء فكرة تفاخر إن أبدت حلاها سنا الفجر
وتفصح ان شامت قبولاً بقولها وحقك يامولاي قد زدت فيمهري
فلا زال شهر الصوم يحكيك قدره ولا زلت تحكي منه في ليلة القدر
وأعطاك ربي ما تروم وما تشا ودامت لك الأيام باسمة الثغر
ولا زلت للأعياد عيداً وللعلا علاء وللدنيا ضياء مدى الدهر

وفي العيد الذي بعده كنت في معيته في بعض المتنزهات فأراد ملاطفتي بخطابه لي بهذه الأبيات وهي :

ألا يا واحد الفضلاء اني لغيرك ليس لي في الود منزع
وقد كانت توافى كل عيد قصائدك التي للشان ترفع
فلم غيرت عادة ذي وداد بحبك دون كل الناس يقنع
وأكثرت المدائح والتهاني لغيري ان هذا الأمر أفظع

فأجبته في الحال :

ألا يا أوحد الأمراء طرا ويا من سادأهل العصر أجمع
تفرقت المحاسن في البرايا وأنت لكل ما نالوه مجمع
فمهما كان مني من مديح فمالي في السوى والله مطمع
فأنت على الحقيقة جل قصدي وأنت لكل مدح راق مطلع

وقد آن أن نذكر بعض القصيدة التي وعدنا بها عند ذكر سفره إلى الجزائر .

بُعد الأحبة عن عياني محرقي يا ويح قلب المستهام الشيّق
ياقلب هل تقضي زمانك بالأمى اربأ بنفسك واشفقَنْ وترفق
كم تقطعن الليل بين تنهد وتحسر وتفكر وتحرق

ومنهـــا

هل نلتقي يا أهل ودي ساعة ... يا أهل ودي ساعة هل نلتقي
فأبثكم شكواي من ألم النوى ... تباً له بتيم لم يرفق
أنا ذلك الصب الذي وحياتكم ... وحياتكم لسواكم لم يعشق
هل تحفظون ذمام خل عنده ... ان السلوّ سجية لم تخلق

ومنها في الحماسة :

اني ورثت شجاعة الآباء في ... صغري وان بفعالهم لم الحق
اني اجتهدت وخانني دهري فلا ... عار علي برد سعي المخفق
لله أشهب كالشهـــاب علوته ... لولا اللجام غدا لشهب يرتقي
وطلبت سهم الموت قدماً جاهداً ... لكنه لتعـــاستي لم يرشق
إنا أناس لا نرى موت الفتى ... فقداً إذا كان برمـــح أزرق
ونرى عناق مدرع يوم الوغى ... أشهى وأبهى من عناق مقرطق
والشرب من جاري الدماء ألذ من ... صَهْبَاءِ ماء في الدنان معتق
وغبار يوم الحرب أعبق عندنا ... من نشر مسك في ثياب ممنطق
من كان معشره أمانيهم كذا ... فاذا تحدث بالبسالة صَدَّق

وهي طويلة تنوف عن ثمانين بيتاً ، وله حفظه الله من قصيدة يمدح بها والده :

فؤادي في حب الحسان تعذبا ... وما أحسن التعذيب منهم وأعذبا
ألا في سبيل الحب روحي وهبتها ... لبدر تمام بالهلال تنقبـــا
سبى العقل مني بل جميعي جملة ... وفرق صبري مثلما افترقت سبا
صبا كل قلب في الأنام لقده ... إذا ما انثنى كالغصن حركه صبا

ومنها :

أيا ربة الحسن البديع ترفقي ... بصب على جمر الغرام تقلبا
ولا تسمعي قول الوشاة فانه ... الى غير ذاك الحسن في الحب ماصبا

صليه واصلي قلب واشيه حسرة فكم نمق التزوير عنه وأطنبا

ومنها :

أيا ويح من بالحب ذاب فؤاده وعلق بدراً في البروج محجبا
يرى الموت أدنى من نوال مرامه ونيل نجوم الأفق أيسر مطلبا
مهاة أسود الحرب تحرس خدرها يرى دونها سمر الأسنة والظبا
وما العيش إلا أن تكون ممتعا بوصل حبيب عن سواك تحجبا

ثم انه كان قد قدم معروض الاستئذان من الحضرة العلية ، والذات الشاهانية ، حضرة مولانا بهجة الأنام وروح جسم الليالي والأيام ، السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان ، أيد الله صولته وأبد دولته ، ما أشرقت الشمس وضاء النهار وطاب الأنس بين الرياض والأزهار ، بأن يتشرف بأعتابه وأن يكون مأذونا في السعي لواسع رحابه ، فحصل له الاذن العال بكل تعظيم وإجلال ، أن يشرف من غير إطالة لكي يحظى بمطلوبه وينال آماله ، فأحكم العزم وعلى السفر عول ، وتوجه عام خمس وثلاثمائة والف في ربيع الأول ، وخرج لوداعه أهل البلد ، وكاد أن يقال ما بقي منهم أحد :

لا تطلبن القلب بعد رحيلهم مني فقد ذهب الفؤاد بأسره
يا ليت يوم البين من قبل النوى لم تسمح الدنيا بمولد شهره

ثم انه لم يمض أيام من وصوله الى الدار العلية ، إلا وقد وجهت عليه الذات الشاهانية رتبة الفريقية[1] مع الياورية[2] العظمى ذات المقام الاسمى ، بعد نقله من الملكية الى العسكرية ، ومعاملته بالمعاملة التي تليق بطلعته البهية ، وأمره حضرة مولانا السلطان ، بأن يبقى في الدار العلية ليكون تحت نظره العالي الشان ، وبعد نحو سنة أرسله أفندينا السلطان الى الشام في

---

(١) رتبة الفريق ، وهو قائد الفرقة العسكرية .
(٢) ياوَر : معاون ، مساعد .

مسألة سياسية ، فجلس في الشام أياماً ثم أخذ عياله ورجع بهمة قوية ، وفي شهر رمضان عام الف وثلاثمائة وستة ، أمرني بكتابه الشريف بالتوجه لحضرته ، لما علم من كثرة شوقي لرؤية إشراق طلعته ، وأرسل لي مصروف الطريق ونفقة العيـــال ، فامتطيت جواد العزم على التوجه نحو التداني والوصال ، وودعت الأهل والأولاد والاخوان الكرام ، وتوجهت في سنة الف وثلاثمائة وست ســـادس ذي القعدة الحرام ، وحينما وقف الوابور (القطار) في موقفه من الدار العلية ، وجدت حضرة عطوفة المترجم مقبلاً علينا بقاربه بهمة قوية ، فعلمت أنه قد تنزل من مقامه العـال ، لأجل أن يجبر الخاطر بجميل الاستقبال ، فوقف عند الوابور متبسما تبسم السرور وهو في ملابسه الرسمية ، الدالة على فخـــامة رتبته العلية ، فنزلت من الوابور اليه ، وحييته بما يجب وجلست في قاربه لديه ، فخلع عليّ خلعة سروره وبشره ، وصنع بي ما يوجب عليّ دوام حمده وشكره :

شهم يدل على كريم أصوله ... طيب النبوة في جميل صفاته
كل المطـــالب دونه فلو انه ... طلب السماك لحل في عتباته
بدر السعادة والسيادة والعلا ... محيي لدين الجود بعد ممـــاته

فلله دره من همام قد تشرفت الصفات بذاته ، وإمـــام قد تحلت العبارات ببديع صفاته ، فلعمري ما تليت آيات أوصافه إلا وركع لهـــا القلم وسجد ، ولا قرأت أحاديث سنده إلا وتفردت في صحيحهـا بعلو السند ، فهو الذي حديثه في الفضل مرفوع ، وغيث سحـــابه الهاطل لا مقطوع ولا ممنوع ، ولقد وجه إلي خطابه التأنيسي الذي يستحق أن يرسم بنور البصر ، في عنوان صحائف الأذهان والفكر ، ثم خرجت معه من القارب الى الركوب في عربته ، وأخذت تسير بل تطير بنا الى داره ومحلته ، وكان قد قال لي من جملة الكلام ، إياك أن تتأمل العود الى الشام قبل مضي عام ، وفي ثاني يوم من وصولي عين لي معاشاً لنفقة

الأهل والولد ، وأخبرني بذلك لكي أستريح من كل هم ونكد ، مع انه مدة مكثي عنده ما قطع عني عطاءه ، ولا منع عني يوماً حباءه ، ولم يقيد حفظه الله إجراء هذا المعاش بمدة من الأيام ، بل جعله من إحساناته المعتصمة بحبل الدوام ، ثم انه بعد أن رآني قد استرحت من النصب ، ونفضت ثوب السفر من غبار التعب ، أخذ يطوف بي كل يوم في مكان ، ويدخل بي إلى أمكنة لم يدخلها سوى أهل الرفعة والشان ، ويجمعني بأكابر أعيانها ، ويدخل بي أحسن رياضها وجنانها ، ولم يبق مكان من أمكنتها أو سراي [1] من سراياتها إلا وقد دخلته معه وقوبلت من أهله بالرحب والسعة ، وقد أخذني حفظه الله وأعلا مقامه وعلاه ، إلى مكان في البحر يقال له بيق اضا ، ليس لداخله منه إلا السرور والرضى ، فلا ريب أن ذلك المكان ما كأنه إلا قطعة من الجنان ، تدرقت حواشيه وتأنق واشيه ، فتنظمت عقوده وتنمنمت بروده ، وراضته اكف المطر ودبّجته أيدي الندى بأفانين الدرر ، واخرجت أرضه آثارها ، وأبدت مخبآتها وأسرارها ، والقيان في زينتها وزخارفها تتيه في وشيها ومطارفها ، والولدان تزهو جمالا ، وتميل لطفاً ودلالا ، فلعمري ان ذلك المكان هو كالعين من الانسان ، قد تضوعت بالأرج الطيب ارجاؤه ، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤه ، وتنافجت بنوافج المسك أنواره ، وتعارضت بغرائب النطق أطياره ، وتنظمت بيوتها على طرز بديع ، يزري بجمال الزهور في أيام الربيع ، فجلسنا في ذلك المكان سحابة النهار ، نشرح الصدر ونجلو الأبصار ، وفي شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثمائة والف أرسل حضرة مولانا السلطان أمير المؤمنين عبد الحميد خان لحضرة المترجم خبراً بالحضور ، فتوجه إلى مكانه السامي المعمور ، فحينما حضر لديه وتمثل في أعتابه بين يديه ، أظهر له سروره وبشره وحبوره ، وقال له قد عينتك عضواً في مجلس التفتيش العسكري الكائن في المابين ،

---

(١) دار الحكومة .

فعند ذلك أحضر المترجم قلبه ورفع اليدين ، ودعا له بما فتح الله به في الحال ، وأبدى من التشكر والثناء على العواطف الشاهانية ما لم يكن يخطر في ذلك الوقت ببال ، حيث أنه لم يزل يخصه برعايته ، ويلحظه بعين عنايته ، ويقربه من رفيع سدته ، ويدنيه من منيع حضرته ، ويرفع حجاب الوسائط بينه وبينه ، ويمنع عنه همه وكدره وغينه . أبقاه الله له وللأنام حصناً حصيناً ، ووقاه ما يضره وأدامه لنا سلطاناً أمينا .

ثم انني حينما دخل المحرم سنة سبع وثلاثمائة والف قدمت له قصيدة تبريكاً بالعام ، أحببت ذكرها هنا تتميماً للمرام ، وهي .

ألفت الهوى طفلاً وكهلاً وأشيبا ... ومارمت لي دينا سواه ومذهبا
ولم أر شخصاً مثل شخصي متيما ... ولم أدر قلباً مثل قلبي معذبا
رعى الله من بات الفؤاد بحبها ... حريقاً على جمر الغضا متقلبا
إذا ما محيا البدر قابلها صبا ... إليها وأبدى للغيب وغربا
ممنعة لا يمكن الطرف أن يرى ... جمال محياها البديع المحجبا
جفتني ومن لي من جفاها وليس لي ... أخلاي ذنب في جفاها تسببا
ومذ صوبت قلبي بسهم صدودها ... رأيت سهام القتل أولى وأقربا
اشابت شعوري ثم مني تنكرت ... ومنها مشيبي كان من زمن الصبا
شغفت بها حباً ومالي مأرب ... سواها ولا أرضى سوى الحب مأربا
ولم أنس مذ قالت دلالاً ومحنة ... أراك بدعواك الغرام مكذبا
وسهدي وسقمي وانتحالي وأدمعي ... شهود عدول رامت الصدق مركبا
وقالت باني في الغرام سلوتها ... ولست أرى السلوان في الحب مذهبا
فلا عشت ان مر السلو بخاطري ... ولا أم لي إن كنت أسلو ولا أبا
وكيف ترى المشغوف يسلو حبيبه ... وهيهات يسلو الصب مهما تعذبا
وكان على سمعي حديث ملامها ... ألذ على المحرور من نسمة الصبا
وما أجمل التأنيب فيمن تحبه ... وما أعذب التعذيب فيه وأطربا

اما والهوى العذري قلبي بحبها ... أسير ولا يرضى من الأسر مهربا
أبى الله إلا شقوتي في غرامها ... ولم يرج من يشقى سوى الذل مطلبا
رأيت نواها لي مبيداً وليتها ... تنيل المعنى من جنى الوصل مأربا
فبالله دعني عاذلي لا تلم فتى ... يرى الموت في شرع الصبابة أقربا
وحاشاي أني ارهب الموت في الهوى ... ولكن أرى هجري من الموت اصعبا
فشقي لجيبي في الهوى ليس نافعا ... فمن لم يشق القلب كان مكذّبا
فما العز إلا بالحبيب وعطفه ... وما الذل إلا أن تكون مخيبا
افاتنتي بالوصل عطفاً تكرمي ... على مغرم لازال مضنى معذبا
وليس له ذنب يقود الى الردى ... سوى الحب ان الحب يدعو إلى الحبا
فبالله يا ذات الجمال وما الذي ... أمالك عن وصلي وهجري أوجبا
يميناً بمحي الدين باشا أبو الهدى ... سليل الندى من فاق شرقاً ومغربا
لأنت منى روحي ولم تر مقلتي ... سواك غدا في ذروة الحسن كوكبا
كما ان هذا الشهم شمس أولي العلا ... وفي فضله باح الزمان وأعربا
سما في المعالي واستقر بأوجها ... جمالاً وإجلالاً ومجداً ومنصبا
لقد ورث المجد المؤثل والعلا ... عن الغوث فرد الكون من قد تقطبا
أبيه الذي دانت له مهج الورى ... وكان لدى كل الأنام محببا
أبي الفضل عبد القادر الحسني الذي ... له كان متن الدهر للعز مركبا
هو ابن علي وابن سيد من سما ... محمد المختار أفضل مجتبى
فهذا هو الفخر الرفيع مقامه ... هنيئاً له قد فاز بالعز والحبا
فلا ريب ان الله أعطاه ما رجا ... وكمله خلقاً وخلقاً ومنسبا
فما هو إلا في البرية أوحد ... بآداب خير الخلق طرا تأدبا
همام أعاد الفضل من بعد ما قفا ... وجدد رسم الجود من بعد ما نبا
له شيم تسمو الى ذروة العلا ... فقل ما تشا حمداً عليه مرتبا
تجمع فيه الجود والعلم والتقى ... لذا كان من ظل الأنام مقربا

أجل ملوك الأرض قدراً وقدرة ... خليفة خير الخلق شرقاً ومغربا
سليل العلا عبد الحميد الذي سما ... وقر على عرش الصعود وطنبا
فبشرى لمحي الدين باشا بنعمة ... عليها دوام الشكر مولاه أوجبا
فأين الجبال الشم من عظم قدره ... وان له من سيد الرسل منسبا
إذا الناس قد راموا مديحاً بفعلهم ... فعنه لسان المدح لبى وأعربا
وإن ذكر السادات يوماً فذكره ... كبسملة القرآن ممن تأدبا
فللشمس ان شامت بوارق حسنه ... حياء به مالت الى جهة الخبا
له هيبة بين الأنام وطلعة ... غدت في سماء العز للعين كوكبا
يغص العدا ان فاح عطر ثنائه ... كأنك تغريهم على السم مشربا
وفي قلبهم مهما تقدم للعلا ... من النار مقدار عليهم تلهبا
فقل للأعادي خاب ظنكم به ... فقولوا لموت الغيظ أهلاً ومرحبا
غدا رأيه في المشكلات مقدماً ... إذا خابت الآراء كان المصوبا
يرى بذله للمال لو جل هينا ... وكان لديه الحمد أعلا وأكسبا
رأت جوده سحب السماء فأيقنت ... بأن نداه كان أغلا وأغلبا
وإن هز في يوم الوغى سمهريه ... فليس لمن يبغي من الموت مهربا
وأسد الشرى تخشى مواقع بطشه ... ففي يده اليمنى المنية والحبا
ضحوك اذا استمطرت هاطل جوده ... وإن هب ريح الحرب حياه مرحبا
إذا نشرت يوماً دواوين مدحه ... أذاعت لنا عطراً من المسك أطيبا
أرق من الراح الشمول شمائلاً ... ولطفاً ولكن زاد عن نسمة الصبا
به قد غدا حمدي بهيجاً ومدحه ... لديّ غدا من نغمة العود أطربا
بمالي وأهلي أفتديه ومهجتي ... وإن لامني اللاحي العذول وأنبا
لأني به قد نلت كل مآربي ... ولست سواه أرتجي العمر مطلبا
فيا سيداً ساد الأنام بسؤدد ... ويا جيداً في جوده الدهر أطنبا
تهن بما ترجو ودم في سيادة ... تكون لمن والاك عزاً ومنصبا

فلا زلت في أثواب سعدك رافلاً وشانيك ما دام الزمان مخيبا
وأبشر بعـــام عمه منك نفحة يضوع لهـــا نشر القرنفل والربا

وحينما وقفت لديه ، وتلوتها بين يديه ، هش وبش وقابلني بسروره ، وأفرغ علي حلة حبوره ، وحباني من نعمه ، وأولاني ما يدل على مزيد كرمه ، ولم أزل عنده في دار السعادة متقلباً على فرش السعادة ، فائزاً بكل مطلوب ، حائزاً على كل مرغوب ، ولما كمل لي في ضيافته عام ، وما كأنه إلا لحظة أو منام ، أذن لي بالسفر الى الوطن والأهل ، فأخذت في تهيئة الأسباب على مهل . ثم ودعته بعد أن أودعته قلبي ، وفارقته وقد فارقني صبري ولبي :

لأصبر كرها لا احتمالاً فربمـا صروف الليالي مسعدات بأسعد
وأبعث أنفاسي إذا هبت الصبا تروح بتسليم عليه وتغتدي

ولم أبرح بحمد الله موصولاً بصلاته ، ممتعاً بجميل نعمه وهبـاته ، مسعوداً بحسن شمائله ، مقصوداً بشريف كتبه ورسائله ، أطال الله مدته وعمره ، ورفع في الدارين حضرته وقدره ، وأناله كل مُنى ، وقصر أيامه ولياليه على السرور والهنا ، وأهلك حاسده وضده وجعل السعد خادمه وعبده . هذا وانني لم أزل أقابل بره الدائم بالثناء الجميل ، وأصرف مدة العمر عليه بالدعاء الجليل .

وغاية جهد أمثالي ثنـــاء يدوم مدى الليالي مع دعاء [1]

---

(١) أقول : هكذا هكذا يكون الإخاء ، رحم الله المؤلف وصديقه الباشا فقد كانا زينة المجالس ، وقرة عين المجالس ، وقد أسعدني الحظ مرة بالتشرف بزيارة الباشا مع سيدي الجد ، فرأيت من سروره بصديقه الحميم ، وعنايته به ورعايته له ، ما يفوق حدّ الوصف . وكانت وفاة المترجم بعد السنة التي توفي فيها المؤلف ، في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ تغمدهما المولى برحمته .

السيد الشيخ شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله افندي الألوسي البغدادي (١)

ينتهي نسبه الشريف من جهة الأب إلى سيدنا الحسين ، ومن جهة الأم

---

(١) تنتسب هـذه الأسرة إلى (ألوس) بالقصر على الأصح ، وهي قرية على الفرات ، قرب عانات ، والألوسيون سادة أشراف ، وهم ـ على ثبوت نسبهم ـ من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب ، ومن مأثور كلام أبي الثناء شهاب الدين ـ محيي مجدهم التليد ، ومشيّد أركان فضلهم الطريف ـ قوله في روح المعاني عند تفسير قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » : « . . . فالحزم اللائق بالنسيب أن يتقي الله تعالى ، ويكتسب من الخصال الحميدة ما لو كانت في غير نسب لكفته » اهـ .

قال صديقنا السمي العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري في ترجمة السيد محمود الألوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠) هو طود العلم وعضد الدين وفحل البلاغة وأمير البيان ، وعين الأعيان وإنسان عين الزمان ، قرأ على والده العلوم العربية ، وحصل طرفاً جليلاً من فقه الحنفية والشافعية ، وأحاط خبراً ببعض الرسائل المنطقية والكتب الحديثية ، وأتم دروسه على كثير من علماء مصره ، وقد استجاز شيوخه المذكورين في هـذه الترجمة وغيرهم فأجازوه في علوم اللغة والدين والآداب والفقه والحديث وغيرها من المعقول والمنقول ؛ وكانت خاتمة اجازاته على يد الشيخ علاء الدين ، وكان قد لازمه نحو (١٤) عاماً ، في يوم مشهود حضره جلّة العلماء والأدباء والوجهاء ، وكان في زمن أبيه ـ هو السيد عبد الله صلاح الدين الألوسي المتوفى سنة ١٢٤٦ وكان عالماً مدرسا ـ محافظ كتب مدرسة الشهيد علي باشا التي كان والده فيها ثالث المدرسين . وفي شهر رمضان سنة ١٢٥٠ هـ دعي للوعظ في جامع الجيلي فأجاب مكرها ، واتفق أن حضر درسه وسمع وعظه الوزير علي رضا باشا والي بغداد ، فدهش واستغرب وأعجب بحسن بيانه ، وقوة عارضته وفصاحة لسانه ، وفي أثناء ذلك شرح « البرهان في إطاعة السلطان » فقدمه إليه ، فأجازه عليه بتوليه أوقاف مدرسة مرجان ، وهي مشروطة لأعلم أهل البلد ، وجلب له رتبة « تدريس الأستانة » من السلطان ، ثم نصبه مفتياً للحنفية ـ وكان قد وعده بذلك يوم سمع وعظه ـ فهنّأه الشعراء بقصائد رنانة أثبتت في مجموعة « حديقة الورود » .

وفي هذا الحين أخذ يكتب تفسير « روح المعاني » في أوقات الفراغ ، وابتاع داراً من أكبر دور بغداد ، ملاصقة لجامع الشيخ عبد الله العاقولي في الرصافة ، حيث تسكن أسرته اليوم ، وجعل قسما منها مأوى لروّاد العلم ، فقصد من أطراف العراق وكردستان ، وتهافت عليه الطلاب تهافت الظماء على الشراب ، فكان يدرسهم ويواسيهم ، ـــ

ـــ كما كان يدرّ على سائليه مانالته يده من الذهب ، وما بلغ اليه علمه من الفضل والأدب . وتخرج فريق من أهل الفضل به ، فذاع صيته في الآفاق ، ورأسه أكابر الكتاب والعلماء ، ومدحته الأدباء والشعراء بأبلغ آيات المديح وأبرع جمل الثناء . وممن بالغوا في إطرائه ومدحه من الشعراء المشاهير ، عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمري وأحمد عزة باشا العمري ، وعبد الحميد الأطرقجي وصالح التميمي وغيرهم .

ثم لم يزل ذلك الوزير يعلي شأنه ويقدمه ، حتى قلده من أيادي السلطان (بنشان) ، وذلك بعد أن وردت عدة أسئلة من إيران أحجم عنها علمـــاء الزمان ، فنهض هو للاجابة عنها ، فكان أبا حسن تلك القضية ، وفارس حلبتها المجلي عن اشكالاتهـــا ورموزها كل خفية .

وفي سنة ١٢٦٧ توجه الى الآستانة ، وكان قد أتم تفسيره فاصطحبه معه ، وأول من التقى به هناك شيخ الإسلام عارف حكمة صاحب خزانة الكتب الشهيرة في المدينة المنورة ، فعرض عليه تفسيره ، ودارت بينهما مباحثات علمية ومناقشـات أدبية ومحاورات فنية ، دلت على سعة اطلاعها وغزارة مادتها وتوسعها في علوم الدين والأدب ، وأجاز كل صاحبه ، وبعد لأي ما صدرت إرادة السلطان عبد المجيد باعطائه مبلـغ خمسة وعشرين الف قرش استنبولي ، وله مثلها أو ما يزيد عليها في كل عام من بيت المال ، وأنعم عليه صاحبه شيخ الإسلام بخمسين الف قرش استنبولي من خالص ماله . ثم آب إلى وطنه بعد أن غاب عنه (٢١) شهرا ، وقد فصّل رحلته هذه في ثلاثة كتب سيأتي ذكرها . وما زال بيته مثابة الناس إلى أن توفي يوم السبت ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ ، فرثاه الشعراء في كل صقع بقصائد شجية مثلوا بها الأسى والحزن ، وقد عني بجمع ذلك مع ما قيل في مدحه بعض تلاميذه في كتاب كبير أسموه (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء محمود) ، ودفن في مقبرة معروف الكرخي على يسار الذاهب الى مسجده ، تاركاً خلفه ذكراً حسنا ، وذرية طيبة ، وأنجالاً كراماً حفظوا مجد بيته الى يومنا هذا . اهـ ملخصاً من كتاب السمي الأثري (أعلام العراق) المطبوع سنة ١٣٤٥ هـ .

مؤلفاته :

(١) « روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني » وهو أعظم مؤلفاته شأناً وأجلها قدرا .
(٢) « الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية » يحتوي على ثلاثين مسألة مهمة .
(٣) نهج السلامة إلى مباحث الإمامة . ـــ

(٤) « الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية » وهو رد على الشيعة أيضا .
(٥) النفحات القدسية في الرد على الإمامية .
(٦) « شرح البرهان في إطاعة السلطان » مخطوط .
(٧) الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب ، لعبد الباقي العمري .
(٨) « شرح القصيدة العينية » للعمري ، في مدح الإمام علي رضي الله عنه ، لعبد الباقي أيضا .
(٩) الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد .
(١٠) « غرائب الاغتراب » وهو الرحلة الكبرى الجامعة لتراجم الرجال ، والأبحاث الطبية والأدبية التي جرت بينه وبين عارف حكمة شيخ الإسلام .
(١١) نشوة الفؤاد في السفر الى استامبول .
(١٢) نشوة المدام في العود الى مدينة السلام .
(١٣) « كشف الطرة عن الغرة » في اللغة .
(١٤) شهيّ النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم .
(١٥) « الفوائد السنية من الحواشي الكلنبوية » في الآداب والمناظرة .
(١٦) « دقائق التفسير » مجموعة فريدة في بابها .
(١٧) « شجرة الأنوار ونور الأزهار » من ذرية الزهراء عليها السلام .
(١٨) سفرة الزاد لسفرة الجهاد .
(١٩) بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام .
(٢٠) « شرح سلم العروج » في المنطق .
(٢١) « حاشية شرح القطر » في النحو .
(٢٢) مقامات الألوسي .

وله رحمه الله علاوة على ما ذكر حواش وتعليقات ورسائل وفتاوي كثيرة ، انتهبت كثيراً منها أيدي الضياع ، وانتسخ بيده كتباً جة ، وجمع مجاميع مهمة ، يجد الباحث شيئاً منها في الخزانة النعمانية وخزائن كتب أحفاده .

وقد أنجب هذا الإمام أربعة من الأبناء كانوا خلفاء كراماً له ، وهم السادة عبد الله ، وعبد الباقي ، ونعمان خير الدين ، وأحمد شاكر ، فتولى كل منهم مناصب التدريس والقضاء ، وتخرج على أيديهم العلماء الأجلاّء ، وتسلسل العلم في أولادهم وأحفادهم ، وصدق فيهم قول القائل :

نجوم سماء كلما انقضّ كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه —

إلى سيدنا الحسن ، بواسطة الشيخ الرباني والهيكل الصمداني ، سيدي عبدالقادر الجيلاني قدس سره . وقد كان رحمه الله خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين ، أخذ العلم عن فحول العلماء ، ومنهم والده العلامة ، ومنهم الشيخ علي السويدي ، ومنهم الشيخ خالد النقشبندي ، والشيخ علي الموصلي ، وغيرهم من السادة والأفاضل القادة ، كان رضي الله عنه أحد أفراد الدنيا يقول الحق ولا يحيد عن الصدق ، متمسكاً بالسنن متجنباً عن الفتن ، حتى جاء مجدداً وللدين الحنيفي مسددا ، وكان جل ميله لخدمة كتاب الله ، وحديث جده رسول الله ﷺ ، لأنهما المشتملان على جميع العلوم ، وإليهما المرجع في المنطوق والمفهوم ، وكان غاية في الحرص على تزايد علمه وتوفير نصيبه منه وسهمه ، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ودرس ووعظ وافتى للحنفية في بغداد المحميّة ، وأكثر من املاء الخطب والرسائل ، والفتاوى والمسائل ، وخطه كأنه اللؤلؤ والمرجان ، والعقود في أجياد الحسان ، قلد الإفتاء سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف ، وأرسل إليه السلطان بنيشان [1] ذي قدر وشان ، قال نجله السيد أحمد في ترجمته المسماة بأرج

— وقد تركوا عشرات للمصنفات في العلوم والفنون الدينية والعربية . غير أن الملاحظ في هذه الأسر العلمية في العراق ومصر والشام ، وغيرها من أقطار الإسلام ، أنه كان يكثر فيهم المفسّر والمحدث والفقيه والمختص بالعلوم العربية ، فصار يكثر فيهم الطبيب والمهندس والزراعي ، والمختص بالعلوم القانونية والمدنية ، (ولكل عصر دولة ورجال) .

ومن أراد الاطلاع على تراجم نبغاء هذه الأسرة الألوسية الجليلة — وعلى مآثر رجالها ومفاخرهم ، ومصنفات كلّ منهم — وجد ذلك كلّه في كتاب « أعلام العراق » لصديقنا السميّ الأثري ، وقد ألفه إحياءً لذكرى أستاذه أبي المعالي السيد محمود شكري الألوسيّ الشهير ، (المتوفى سنة ١٢٤٢) وهو حفيد السيد محمود صاحب التفسير الكبير ، (روح المعاني) رحم الله الجميع ، وجمعنا بهم في دار كرامته .

(١) وسام .

الند والعود ، كان عالماً باختلاف المذاهب ، مطلعاً على الملل والنحل والغرائب ، سلفي الاعتقاد ، شافعي المذهب كآبائه الأمجاد ، إلا أنه في كثير من المسائل يقتدي بالإمام الأعظم ، ثم في آخر أمره مال إلى الاجتهاد (قال) : ومن مؤلفاته ما هو أعظمها قدراً وأجلها فخرا ، تفسيره المسمى « بروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني » أيد فيه مذهب السلف الأماثل ، ومنها شرح السلم في المنطق ، ومنها نزهة الألباب في غرائب الاغتراب ، ومنها نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول ، ونشوة المدام ، وكتاب الأجوبة العراقية ، والفيض الوارد ، وغير ذلك . وقد مدحه السيد عبد الباقي افندي العمري بقوله :

نزلوا بالسفح من وادي زرود ... ونزلنا بالغضا ذات الوقود
فانقضت منهم أويقات اللقا ... وقضت بالموت أيام الصدود
لو تراني يوم سارت عيسهم ... من خفوق خلتني بعض البنود
بخلوا عن أن تراهم في الكرى ... مقلتي يا مقلتي بالدمع جودي
وعدوا والوعد منهم خلّب ... رب برق ما به غير الرعود
أين آرام المصلى والنقا ... من وفا وعد وانجاز وعودي
أنكروا دعوى صباباتي بهم ... وشؤون الدمع من بعض الشهود
صوب العَبرة تصعيد الحشا ... نار وجد جاوزت حد الصعود
ومحال حر وجدي ينطفي ... بسوى رشفي لمى ثغر بُرُود

إلى أن قال :

ومتى روض الأماني قد ذوى ... بثنا المولى الشهاب اخضرّ عودى
وغصون القصد فيه ازهرت ... بورود كقدود وخدود
فانثنى ينظم منه قلمى ... دراً تزري بقرطي كل خود
قبله مـا نظرت عين ذكا ... سيد في قومه غير مسود
خندف العليا بـه قد أنجبت ... فأتى خير وليد من ولود

ومنها :

فلقت أقلامه صبح هدى ... رفعت فسطاطه فوق عمود

جند الأرواح في تخبيره فهو مشغول بترتيب الجنود
مسلم أذكى مصابيح الهدى وبخاري الثنا بعد همود
وأحاديث على سلسلها ألحق الآباء منها بالجدود
حجة بالغة برهانها قام من غير دفوع وورود

توفي رحمه الله حادي وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف ومائتين وسبعين رحمه الله تعالى . وقد أرخ وفاته الإمام الأديب الشيخ عبد الباقي افندي العمري المذكور آنفاً بقوله :

قبر به قد توارى خير مفقود فاغتم حزناً عليه كل موجود
أبو الثناء شهاب الدين فيه ثوى فيا لمثوى برفد الفضل مرفود
كجدّه كان سيفاً يستضاء به فحاز في الرشد حداً غير محدود
مضى تغمده المولى برحمته فليفتخر لحده فيه بمغمود
من بعده لا فقدنا من بنيه فتى لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
تفسير روح معاني الذكر نضّدها كعقد در بأيدي الفكر منضود
على تبحره في العلم شاهدة كفى بها شاهداً في حق مشهود
أجاب أعلام ايران بأجوبة برهانها غير مدفوع ومردود
حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعاني قبر محمود

ودفن رحمه الله تعالى بالقرب من الشيخ معروف الكرخي ، وقبره مشهور يزار ، وبلغ عمره نحو ثلاث وخمسين سنة .

الشيخ محمود الصاحب أخو الشيخ خالد الحضرة

العالم الكامل والعابد العامل ، عمدة الأفاضل ونخبة ذوي الشمائل ، ولد في بلدة السليمانية سنة الف ومائتين ، وقرأ القرآن والمحرر للإمام اليافعي الشافعي على السيد عبد الكريم البرزنجي ، نسبة الى قرية برزنجة من بلاد السليمانية ، وقرأ على أخيه مولانا خالد ، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية

وانتفع . وفي سنة الف ومائتين وست وثلاثين لما قدم مولانا خالد الى دمشق ، أقامه في محله لإعطاء الطريق وإرشاد المسترشدين ، ثم في سنة الف ومائتين وثمان وثلاثين حضر الى الشام لعدم قدرته على فراق أخيه ، ثم هاجر إلى مكة وأقام بها سبع سنوات ، ثم رجع الى دمشق واستقام في التكية السليمانية يرشد المريدين ، إلى أن توفي رحمه الله سنة الف ومائتين وسبع وثمانين ودفن قرب قبر أخيه .

السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان

ولد سنة الف ومائة وتسع وتسعين ، وفي سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين جلس أخوه السلطان مصطفى على تخت الملك ، وما استقر أمره ولا صفا له دهره ، فأمر بقتل السلطان سليم ، وبقتل المترجم ذي القدر العظيم ، فنفذ أمره في الأول ، وأما الثاني وهو المترجم لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله ، أراد الفرار فرشقه أحدهم بخنجر أصاب يده ، فهرب وصعد على سطوح السرايا ، فلما نظرته جماعة مصطفى باشا البيرقدار وكان من عصبة السلطان محمود ، وضعوا له سلماً فنزل الى صحن الدار ، حيث كان البيرقدار ، وعندما نظر البيرقدار الى المترجم فرح به فرحاً عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه ، وصار يقبل قدميه ، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة في رابع جمادى الأولى سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين ، وأرسل البيرقدار المشار اليه جنداً قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه ، فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم ، وسلمه زمام الأحكام ، فأخذ يجتهد في أخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم ، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد ، وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة ، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وإنفاذ أوامر السلطان ،

طالباً رأيهم في ذلك ، فصادقوه مذعنين لأمر السلطان ، وتعهدوا بالمساعدة في كل ما يؤول لنجاح المملكة ، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين ، وأضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهاراً ويدعونه بالكافر ، وعلقوا أوراقاً في الأسواق وعلى باب داره مكتوباً فيهـــا قد قرب موت الصدر الأعظم ، وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد ، فأخذوهم بغتة وشتتوهم وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ، ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها .

وانقسم الناس فريقين فريقاً يريد التعليم الجديد وفريقاً يكرهه ، وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير ، وأحرقت دور كثيرة ، وحاصروا الصدر الأعظم في الدار التي كان فيها ، وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيراً منهم ، ثم التهبت عليه صناديق من بارود وكانت في داره ، فمات بسبب ذلك ، وكان قد أخرج جواريه ونساءه قبل ذلك ، فأحيلت الصدارة الى يوسف باشا ، وكان ذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف ، وعزل شيخ الاسلام عطا الله افندي وأحيلت المشيخة الى عرب زاده محمد عـارف افندي ، وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتاباً إلى عساكر الانكشارية يحرضهم على الغيرة وإرجاعه الى سلطنته ، فوقع ذلك الكتاب في يد بعض العلماء فذهب به الى شيخ الاسلام ، فجمع كثيرا من العلماء وأخذوا يتحدثون في عواقب هذه الأمور ، ويتشاورون في إطفاء هذه الفتنة ، وظهر لهم انه اذا بقي السلطان مصطفى في قيد الحياة لا تنطفي الفتنة ، فاختاروا رجلاً من بينهم يقال له منيب افندي كان قاضي اسلامبول ليعرض على السلطان محمود رأي العلماء ، ويلتمس منه قتل السلطان مصطفى ، فسار منيب افندي الى السلطان محمود وعرض عليه ذلك ، فقال السلطان محمود ان هذا أمر محال ، وكيف يتصور ان يصدر أمريْ بقتل أخي مع كوني قادرا على منعه من هذه الأعمال ، وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة

كثيرة في ذلك ، فقال له منيب افندي في أثناء تلك المحاورة : قد جاء في الحديث الشريف : اذا اجتمع خليفتان فاقتلوا أحدهما [١] فشق ذلك على السلطان محمود ، وحول وجهه الى شباك هناك ولم يجبه بشيء لشدة أسفه على أخيه ، فقال منيب افندي ان السكوت اقرار ، ففي الحال أرسل منيب افندي الى (كبير البستانجية) وقال له : إن مولانا السلطان قد صدر أمره الشريف بقتل أخيه السلطان مصطفى ، فاذهب وأتم أمره ، فذهب البستانجي باشي ومعه جماعة من أعوانه الى الموضع الذي كان فيه السلطان مصطفى ، فأحسّ بهم وعرف مقصدهم ، فاختبأ بين فرش كانت هناك ، فدخلوا فوجدوه وراء الفرش فقتلوه خنقاً ، وكان العلماء الذين اجتمعوا عند شيخ الاسلام ينتظرون رجوع الجواب اليهم ، فلما أبطأ ظنوا عدم قبول السلطان فدخلوا جميعاً على السلطان محمود ترويجاً لكلام منيب افندي ، فلما دخلوا قبل أن يبتدئوا الحديث رأى السلطان محمود من الشباك إخراج أخيه ميتاً ، فتألم كثيرا والتفت اليهم وعيناه ممتلئتان دموعاً ، فعزوه ودعوا له بطول العمر ، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف ، ومدة سلطنة مصطفى سنة وشهران وعمره ثلاثون سنة .

ولما استقرت السلطة للسلطان محمود كانت أمور الدولة في غاية الارتباك ، وكانت عساكر الروسية تتقدم إلى جهة الطونة بسرعة ، فبعث جيشاً لمصادمتهم فلم يجد نفعا ، فطلبت فرانسا أن تتوسط في الصلح ، فرفض السلطان مداخلتها لتأثره من الشروط التي عقدها نابليون مع الروسية سراً في تيلسيت ، التي مضمونها اقتسام اوربا بينهما مع بلاد الدولة العلية ، واستمر الحرب ، مع كون الغلبة على العثمانيين ، إلى أن وقع خلاف بين فرانسا وروسيا

---

(١) في رواية لمسلم والنسائي : مَن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه ان استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر .

ونشرت بينها راية الحرب ، وذلك سنة الف ومائتين وثمانٍ وعشرين ، فالتزمت الروسيا أن تخرج عساكرها من حدود الدولة العلية ، وعقدت مع الباب العالي صلحاً موافقاً للدولة جدا ، فاغتنم السلطان محمود فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات في ولايتي بغداد وايدين وغيرهما ، فانه في سنة الف ومائتين وست وعشرين أظهر سليمان باشا والي بغداد العصيان ، فأرسل إليه السلطان محمود من قتله .

وفي عام الف ومائتين وسبعة وثلاثين تجاهر اليونان في المورة بالعصيان على الدولة ، وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر ، فيقتلون ويسلبون وينهبون ويأسرون ، وبيان ذلك مع الاختصار أن بلاد المورة وهي قطعة من بلاد الروملي كانت ولاية من ولايات الدولة العلية ، فلما اقتضى نظر السلطان محمود قتل الينجارية وتبديل وجاقهم بالعساكر النظامية الموجودة الآن ، ضعفت عساكر الدولة وقلت ، وطمع فيها الأعداء من كل جانب ، فحاربها الروس وملكوا بلاداً من أراضيها ، وممن ثار عليها في تلك المدة أهل المورة ، وطردوا ولاة الدولة العلية ، وقتلوا أكثر المسلمين الذين كانوا في تلك البلاد متولدين ومتوطنين منذ قرون طويلة ، وكان المسلمون هم أهل الأراضي والأملاك والمزارع ، وكانت نصارى المورة بصفة خدامين عندهم ، فلا زال أمر النصارى يتقوى بواسطة الكنائس ورؤسائها لما يجتمعون في أعيادهم ومواسمهم ، وينصح بعضهم لبعض بالاستقلال ، وشرعوا في تعليم أولادهم الحروب والرمي بالرصاص ، وأتقنوا أسباب الشجاعة بأنواعها سرا ، وتعلموا الصنائع التي يتولد منهـــا الغنى ، فأرسلوا أولادهم إلى بلاد أوروبا لتعلم الصنائع ، والمسلمون في غاية الغفلة والبله ، يتركون تربية أولادهم للنساء والخاصي المعبر عنهم بالأغوات ، فلذلك تنشأ أولادهم ، عقولهم بين عقول النساء والخاصي ، وما ألذ وأحسن ما قاله الشاعر المتنبي في هذه المناسبة حيث قال :

لقد كنت أحسب قبل الخصى أن الرؤوس مقر النهى
فلمـــا تبين لي عقله علمت أن النهى كلها في الخصي

ولما ظهر للسلطان محمود ما حصل لمسلمي المورة من القتل والسبي والنهب إلا من فرّ منهم وهاجر إلى بلاد الإسلام ، جهز جيشاً عرمرماً من عنده ، وأمر محمد علي باشا والي مصر بتجهيز جيش آخر من عنده ، فاجتمع الجيشان في بلاد المورة تحت قيادة ولده ابراهيم باشا ، يزيد على خمسة وعشرين ألفا ، وعمارة بحرية ، فأيس الأروام من النجاة ونوال الاستقلال ، فاستنجدوا بالدول الأروباوية ، فبادرهم كل من فرانسا وانكلترا بتوسط الصلح ، فلم يقبل السلطان سؤالهما ، فعند ذلك أطلق كل منهما نار حربه على عمارتي الدولة ومحمد علي فأحرقوهما ، وكان ذلك سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين ، ولما بلغ السلطان محمود ذلك التجأ لقبول ما اشترطاه من إبطال الحرب واستقلال الأروام . وكان أخذ المورة من يد المسلمين هو أكبر أسباب خروج الروملّي بأجمعه من الدولة العلية ، وفي سنة إحدى وأربعين أيضاً شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد ، وشرع يدبر تدمير الانكشارية وأبطال وجاقهم ، (١) فأبرز أمراً سلطانياً يتضمن القدح في وجاق الانقشارية ، وبيان الخلل الواقع منهم ، وتقلبهم على الدولة ، وقتلهم بعض السلاطين ، وأمر سليم باشا الصدر الأعظم أن يجمع العلماء في بيت شيخ الإسلام ويتلو عليهم الأمر الشاهاني ففعل ذلك ، فأجابوا بالامتثال بما يصدر به الأمر السلطاني ، وتعهدوا بانفاذه ، وكان مع الحاضرين جماعة يميلون الى الانقشارية ، فتعصبوا لهم سرا ، وأخبروهم بما صار عليه الاتفاق ، فهجموا على بيت الصدر الأعظم وبعض العظماء من رجال الدولة ، وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ، ويقتلون كل من صادفوه منهم ، وينهبون البيوت ويضرمون فيها النار ، ففر الصدر الأعظم منهم ، وجاء إلى السلطان محمود وأخبره بتلك الحوادث ، فأمره أن يجمع الطوبجية (٢) وسائر أهل الإسلام

---

(١) الوُجاق : الدَّسْتة من الجند وغيرهم (تركية) .

(٢) الطوبجية : مطلقو نيران المدافع .

أمام باب السرايا ، فاجتمع في ذلك النهار جمع غفير من العلماء ورجال الدولة ، ينتظرون خروج السلطان إليهم ، فلما خرج إليهم أخذ يحدثهم بكلام يهيج به نخوتهم ، فأقسم جميعهم على أنهم يهرقون دماءهم في صيانة أوامره وتنفيذها ، والتمسوا منه إخراج الصنجق [١] الشريف النبوي ليهجموا على العصاة ، فأراد السلطان أن يكون معهم ، فتوسلوا إليه أن لايتنازل إلى ذلك ، وأرسلوا منادين في شوارع المدينة ويدعون أهل الاسلام للاجتماع تحت الصنجق [١] الشريف ، فلما علم بعض الانقشارية بذلك أرسلوا أناساً من جماعتهم ينادون لاجتماع الانقشارية ، فلما قرعت أصوات المنادين آذان أهل الإسلام أسرعوا إلى فسحة السرايا أفواجاً أفواجـــا ، ففرقوا عليهم السلاح ، وسلم السلطان الصنجق الشريف لشيخ الاسلام قاضي زاده طاهر افندي [٢] وعاد إلى كرسيه الملوكي ، وكان يشرف على الجميع أمام السرايا ، وسار سليم باشا الصدر الأعظم أمام تلك الجموع التي كانت أكثر من خمسين ألفا ، وشنوا الغارة على الانقشارية صارخين الله أكبر على الأشقياء ، وهجموا عليهم واطلقوا المدافع والرصاص ، وكان يوماً مهولاً عظيما ، فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف ، والباقون فروا إلى قشلهم وتحصنوا فيها ، فهجم عليهم العساكر والأهالي وطرحوا فيها النار فاحترق كثير منهم ، ومن بقي ولوا الأدبار ، ثم قبضوا على كثير منهم فقتلوهم وطرحوهم في فسحة ات ميدان ، وبعد ذلك دعا السلطان اليه العلمـــاء ووكلاء الدولة وأخذ يريهم أثواب السلاطين العظام الملطخة بالدماء ، الذين قتلهم العصاة الانقشارية طالباً ثمن دم السلاطين ، فأجاب العلماء أن ثمن دم كل سلطان خمسة وعشرون الف نفس ، فصدرت الأوامر بتدمير الانقشارية في الآستانة العلية وفي جميع الجهات ، فقتل منهم عدد كثير وارتاحت الدولة والناس من مظـــالمهم ،

---

(١) السنجق : اللواء ، العَلَم .

(٢) زاده طاهر افندي : أي ابنه (تركية) .

وألحق بهم بعض الدراويش من البكطاشية لكونهم يميلون اليهم ويساعدونهم ويفعلون في تكياتهم أفعالاً شنيعة محرمة وبدعا مسترذلة ، فأمر السلطان بقتل أكثرهم وهدم تكياتهم ، وأخذت الدولة في تكثير العساكر النظامية والجد في تعليمهم ، وأبطلت وجاق الانقشارية ، وفي أثناء تلك المدة غير السلطان محمود لبسه ، ونزع العمامة والجبة ، وتزيا بزي العسكر الجديد على هيئة الأوروباويين ، وبالطربوش الصغير ، ولم يبال بأقوال المعترضين .

ذكر القتال مع الروسية

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ، زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند نهر الطونة ، وسار جيش إلى جهة الأناطول ، فأرسلت الدولة عساكر لمصادمتهم تحت قيادة الصدر الأعظم سليم باشا ، فوقع بين الفريقين حرب شديدة ، وتغلبت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة ، واستولوا على جملة أماكن ، وتقدمت عساكرهم إلى شوملة ، وأقاموا الحصار على سليسترة واستولوا على مدينة وارنة ، فعزل السلطان الصدر الأعظم سليم باشا وأمر بنفيه ، وأقيم في الصدارة محمد عزت باشا ، وسارت بعض عساكر الدولة إلى جبل البلقان ، فتركت الروسية محاصرة شوملة ، وكانوا قد استولوا على سليسترة ، وكانت عساكر الروسية التي في الأناطول تتقدم ، فملكوا القرص وبايزيد وطبراق وأرض روم ، واستأسروا صالح باشا ، وجاء جيش الروسية فيه مائة وستون الف مقاتل وحاصروا أدرنة حصاراً شديداً ، إلى أن استولوا عليها ، ولما اشتد الأمر على رجال الدولة وعلى السلطان محمود اضطربت الأمور اضطرابا كثيرا ، إلا أن السلطان محمود أظهر الثبات وقوة الجنان في وسط تلك الأخطار المحدقة به وبدولته ،

ثم تداخلت دول أوروبا في الصلح ، وأتموه بشروط ، سنة خمس وأربعين ومائتين والف ، ومآل تلك الشروط استقلال الاروام وتنازل الدولة عن إقليم السرب والأفلاق والبغدان لملوك من أهل تلك البلاد ، تحت نظارة ملك الروسية ، وعن بعض جزائر عند فم نهر طونة ، وعن بعض اراض في الاناطول [1] مع غرامة حربية قدرها مائة وعشرة ملايين فرنك ، قال بعض مؤرخي الفرنج : وربما استغرب القارىء كيف ان الدولة التي سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت الرعب في قلوب جميعهم ، لم تستمر في نموها وتقدمها ، حتى التزم سلاطينها إلى أن يرتضوا هذه الشروط ، فإذا نظر الى هذا الأمر بعين خالية عن الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر ، وهو : كيف أمكن هذه الدولة أن تحتمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل في داخليتها ، بسبب أصحاب البغي والفساد وقلة الأموال ، ولم تتزعزع أركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ، ولم تستطع قوة أو سبب آخر أن يثنيها ، وإذا ضممنا الى هذه الأسباب الخلل الذي أوقعه وجاق الانقشارية ، وعدم تمام انتظام الترتيب العسكري الجديد ، وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقاة الأهوال ، لربما حق العجب كيف لم تنقرض هذه الدولة أصلا ، واستطاعت أن تناضل الى هذه الدرجة ، مستعينة بكل الموانع التي تعرضت لها ، فهذا أعظم برهان على عظمها وسطوتها ، انتهى كلامه .

---

(١) في « تاريخ الدولة العلية العثمانية » لمحمد فريد بك ، ما يأتي : وعينت الدولة مندوبين من قبلها اجتمعوا مع مندوبي الروسية في مدينة بخارست ، وبعد مداولات طويلة ، توصل الفريقان الى امضاء معاهدة عرفت في التاريخ باسم معاهدة بخارست ، أمضيت في ١٦ جمادى الأولى (سنة ١٢٢٧ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٨١٢) . أهم شروطها إبقاء ولايتي الافلاق والبغدان تابعتين للدولة ، ورجوع الصرب الى حوزتها مع بعض امتيازات قليلة الأهمية عديمة الجدوى ، وحفظت الروسيا لنفسها اقليم بساريا وأحد مصبات الدانوب اه ص ٢٩٩ من الطبعة الثانية .

وأقول أن ههنا سراً إلهياً لتأييدها ، وهو سر بركة الاسلام وسر بركة النبي ﷺ ، وسريان روحانيته لتأييد ملته وأهل دينه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين والف ، استولت الفرنسيس بقوة جبرية على جزائر الغرب مدّعين أن أهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر في تلك الجهات ويفتكون بهم ، فلما بلغ الباب العالي ذلك أرسل طاهر باشا قبودان باشا إلى الجزائر يتعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا والي الجزائر ، فلما وصل وأراد النزول إلى البر منعته الفرنساوية ، فعاد راجعاً إلى القسطنطينية ، والجزائر المذكورة كانت في حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان ، فلما طالت المدة صار الولاة الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ، ويدفعون خراجاً للدولة ، ويكون تحت أمر الدولة ظاهراً ومتغلبين باطنا ، فلما احدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعاليم الجديدة امتنع والي الجزائر من تعليم عساكرها ، ولم يمتثل أمر السلطان في ذلك ، فقيل أن السلطان محمود هو الذي سلط عليه الفرنسيس لتأديبه فجاؤوا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر إلى أن قبضوا على الباشا المتولي عليها وذهبوا به إلى بلادهم ، وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر ، فلما تملكها الفرنسيس لم يرجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي على ذلك إلى عصرنا هذا [١] .

---

(١) الحمد والشكر لله تعالى ، على أن استقلت الجزائر وسائر الشمال الإفريقي العربي . وقد زففنا هذه البشرى من قبل ، واليوم نقدّم ما هو أجلّ وأكمل ، وهو أنه انعقد مؤتمر عامّ للقارّة الافريقية كلها ، واجتمع رؤساء ثلاثين دولة في أديس بابا عاصمة الحبشة ، ووقعوا ميثاق الوحدة الإفريقية لبلادهم كلّها ، وأهمها السعي لتحرير أي بقعة بقي فيها أثر الاستعمار ، ولم يكن للظالمين من أنصار ، وقد انتهى المؤتمر في اليوم الثالث من شوال (سنة ١٣٨٢ هـ ، ٢٦ /٥ سنة ١٩٦٣ م) .

ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود

وفي سنة سبع وأربعين ومائتين والف ، وجه محمد علي باشا والي مصر جيوشه براً وبحراً لتملك الشام وجعل قيادتها لولده ابراهيم باشا ، فحاصر عكا وافتتحها مظهراً الانتقام من عبد الله باشا والي عكا لأسباب كانت بينهما ، وفتح في طريقه غزة ويافا وحيفا [١] فلما بلغ الدولة ذلك غضبت وأرسلت تأمر محمد علي باشا برجوع العساكر ، وأنه إذا كان بينهما دعوى يقدمان إلى الباب العالي فيحكم بينهما ، فلم يمتثل لأوامر الدولة ، فأبرزت الدولة فرماناً [٢] بعصيان محمد علي باشا ، وتنزيله عن ولاية مصر ، وصدر الأمر السلطاني لوالي حلب بجمع العساكر لمحاربة ابراهيم باشا ، وخرج حسين باشا بعساكر من الاستانة ، وحصل القتال بين الفريقين خارج طرابلس ، فهزمهم ابراهيم باشا واستولى على الأقطار الشامية ، وقبض على عبد الله باشا والي عكا وأرسله إلى الاسكندرية لأبيه محمد علي باشا ، ولما وصل ابراهيم باشا إلى داريا قرب دمشق خرج إليه علي باشا وزير دمشق ، واشتبك الحرب بينهما فهزمهم ابراهيم باشا ، وخرج أهل دمشق يسألونه الأمان فأمنهم ودخلها ، وتقدم إلى حمص واشتبك القتال بينه وبين والي حلب ، وكان يوماً عظيماً وحرباً شديداً من أشهر الوقائع ، قتل فيه خلق كثير ، واستولوا على المهمات جميعها ، وانهزم والي حلب ورجع إليها ، فقفلت في وجوههم الأبواب ، فساروا الى انطاكية ، ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرج أهالي حلب لاستقباله ، فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات ، وأمن أهلهـــا ، ثم سار الى انطاكية وحاربهم فيها ثم الى بوغاز [٣] بيلان ، ولما بلغ الباب العالي تقدم العساكر

---

(١) لقد احتلها وغيرها الصهيونيون منذ أربعة عشر عاما ، إلى اليوم ، وما زالت دول الاستعمار تؤيدهم وتحميهم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

(٢) فرمانا : أمراً سلطانيا .

(٣) بوغاز : خليج ، مضيق ، مصب .

المصرية سير رشيد باشا الصدر الأعظم بالجيوش لحربهم ، فتقدم قونية ، والتقى الجيشان واشتبك القتال ، وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الأعظم ، وأتي به الى ابراهيم ، فقابله بكل إكرام ثم خلى سبيله ، وامتدت هذه الفتنة والحروب الى سنة خمس وخمسين ومائتين والف ، ثم صدرت الأوامر السلطانية الى حافظ باشا ليسير لمحاربة ابراهيم باشا ، فالتقى الجيشان بالقرب من مرعش واقتتلا ، ووقعت الهزيمة أولاً على عساكر ابراهيم باشا [١] ، وكان في واد عسر فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادي ، وصعد إلى تل كان تجاه معسكر حافظ باشا ، وأخذ يطلق عليهم المدافع فعطل أكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ، ثم هجم عليهم بعساكره هجمة هائلة ، فانهزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عائدين الى مرعش ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وهذه الوقعة من أشهر تلك الوقائع التي وقعت في تلك الحروب ، وأعقبها ابراهيم باشا بفتح أكثر الجهات في تلك البلاد ، ولم تصل أخبارها إلى القسطنطينية إلا بعد وفاة السلطان محمود بثمانية أيام . ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كل الاعتناء ، فانه صدرت الإرادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قمح الجراية ، فوجدوا أكثر ذلك بيد الأغنياء والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالفراغ بعوض حقير ، فصار الفقراء ليس لهم شيء ، فصدر الأمر الشاهاني [٢] بنقض ذلك وإبطاله ، وتجديد كتابة دفتر بأسماء المستحقين ، فحصل تجديد ذلك في المدة التي كان فيها محمد علي باشا بمكة .

ومن خيراته وفتوحاته المعنوية انه جدد لأهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذي كان مرتباً لهم من أسلافه ، وذلك انه في سنة إحدى

---

(١) في تاريخ « الدولة العثمانية » الذي تقدم ذكره ، تفصيل هذه الحوادث والوقائع ، والحروب وأمر تنظيم الانكشارية ، وما أجراه السلطان محمود من الاصلاحات الداخلية (ص ١٩٧ — ٢٣٧) .

(٢) السلطاني .

وخمسين بعد المائتين والألف رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين ، وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين مثل المؤذنين والفراشين والكنـــاسين والبوابين ، وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود الجليلة ، بعضها شهريات وبعضها سنويات ، واشترى لذلك عقارات كثيرة ، وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة ، فصارت حسنة جارية الى هذا الوقت يحصل منها كمال النفع والإعانة للمذكورين على معاشهم ، ومن وقت هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدير والمديرية بمكة والمدينة ، ولم يكن ذلك موجوداً قبل ذلك ، ثم ان ولده مولانا السلطان عبد المجيد ضم إلى ذلك الترتيب مثله في مدة سلطنته ، وكانت مدة سلطنة السلطان محمود اثنتين وثلاثين سنة وعمره خمس وخمسون سنة ، وكانت وفاته تاسع عشر ربيـع الأول سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

الشيخ محمود بن محمد بن علي الأنطاكي الحنفي

الامام العلامة والهمام الفهامة ، أحد السادة الأعلام والقادة الكرام ، الفاضل المتقن والكامل المتفنن . ولد سنة أربعين ومائة والف ، وقرأ على جماعة من الأفاضل ذوي المعرفة والفضائل ، وانتفع بالعلامة أبي محمد الحسن الانطاكي وتفوق واشتهر ، وأقرأ ودرس ولزمه جماعة من أهل العلم وتخرجوا على يديه ، وانتفعوا كثيراً عليه ، وأخذ عنه وسمـع من فوائده العلامة محمد خليل افندي المرادي سنة الف ومائتين وخمس ، ومات المترجم بعد ذلك رحمه الله تعالى .

السيد محمود بن المرحوم السيد نسيب افندي
مفتي دمشق الشام (١)

إمام تصدر في محراب العلم والإمامة ، وهمام تسنم صهوة جموع الفضل

(١) ابن حسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم ، المعروف كأسلافه بابن حمزة الحسيني ، وأصل جدّه الأعلا من حرّان .

فملك زمامه ، رفع للعلوم أرفع راية ، وجمع بين الرواية والدراية ، فأصبح وهو كامل الوسادة ، بين الأئمة والسادة ، يشنف المسامع بفرائد كلامه ، ويشرح الخواطر بما تسطره أنامل أقلامه ، فلا ريب انه عين الزمان ويمينه ، لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه ، فما من فضل إلا وهو في ذاته موجود ، ولا من مرغوب إلا وهو له مطلوب ومقصود ، قد أجمع كل ناطق بلسان وعارف بحسن واستحسان ، على فضله الذي اقتضى لذكره التخليد ، فالعالم عرفه بعلمه والجاهل اعتقده بالتقليد ، وهو من منذ لاح هلاله في أوجه ، لا زال بحر فضله آخذاً في مده وموجه ، بزغ من أفق دمشق وبها برع ، وترقى إلى أن بلغ فوق ما يتعلق به الطمع .

وكان قد ولد سنة أربع وثلاثين ومائتين والف [١] في دمشق الشام ، ونشأ في كنف والده السيد الهمام ، وأحسن القراءة والكتابة وهو ابن اثنى عشر ، ثم جد في طلب العلوم على السادة الغرر ، حتى برع وفاق أقرانه ، وفضل أترابه وأخدانه ، وتخرج على مشايخ عصره الأفاضل ، حتى احتوى على أنواع الفضـــائل ، وأتقن علم الفقه والتفسير والكلام والحديث والأصول والعربية والمنطق والبيان والفرائض والحساب والعروض والحكمة ، وله مطالعة قوية في كلام السادة الصوفية ، وعلا شأنه في الآداب وفـاق ، وطار صيته في الأقطار والآفاق [٢] . وعين في أيام شبابه نائباً في محكمة البزورية ، ثم في محكمة السنانية ، ثم في محكمة الباب الكبرى ، ثم في سنة ست وستين صار عضواً في مجلس إيالة دمشق الشام الكبير [٣] عقب وفاة والده ، وفي سنة تسع وستين عين مديراً لأوقاف إيالة الشام ، وبعد مرور سنة أحيلت لعهدته رياسة مجلس الزراعة ، وفي سنة تسع وستين

---

(١) في ترجمته لنفسه أن ولادته كانت (سنة ١٢٣٦ هـ) .

(٢) كان عجيباً في كتابة الخطوط الدقيقة ، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة الرز والخط واضح ، وأغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم أسماء شهداء بدر .

(٣) مجلس إدارتها .

صار ناظراً للويركو [١] ، ثم ذهب من دمشق مع عارف باشا واليها الأسبق الى خربوت حين عين كتخدا [٢] الايالة هناك ، ثم عاد الى الشام وأعيد لعضوية المجلس الكبير . ثم في سنة ثلاث وسبعين أضيفت له مأمورية الدفتر الخاقاني [٣] في ايالة الشام ، علاوة على كونه عضواً في المجلس المذكور ، وفي سنة سبع وسبعين عين في هيأة المجلس الذي أسسه المرحوم فؤاد باشا حين وقعت الشام في ورطة [٤] الفتنة التي وقعت من رعاع دمشق وقراهـا ، ومن الفرقة الدرزية ، وحرقوا محلة النصارى ، ووقع ما وقع من السفك والنهب [٥] وكان في ذلك الوقت حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري قد بذل في حماية النصارى جهده ، وأوسع لهم عطاءه ورفده ، وذلك كان منه رحمة بأهل الشام ، لما يعلم أن ما وقع منهم موجب للمجـازاة والملام . وكان هذا الأمير له رعـاية بالمترجم المرقوم وحسن تودد ، فحينما حضر فؤاد باشا إلى الشام غب الواقعة ، خفض رؤوسها وأذل نفوسها ، وشتت شملها ، وأثقل حملها ، بيد أن الأمير المرقوم كان حينئذ عين الشام وهامها ، وسيدها وهمامها ، لا تعتمد الوزارة والقناصل إلا عليه ولا تجنح في مهماتها إلا إليه ، فرتبته هي المرفوعة ، وكلمته هي المسموعة ، فحينما أزمعت الوزارة على نفي الأعيان ، وإيقاع كثير من الناس في حضيض الذل والهوان ، ضم حضرة الأمير حضرة المترجم إليه وشهد به لتخليصه أنه كان للحماية والوقاية ممن يعتمد عليه ، فعلا قدره وحسن في الحكومة

---

(١) الويركو : الرسوم والتكاليف .

(٢) كَتَخُدَا : وكيل ، أمين ، معتمد ، رئيس .

(٣) مديرية دائرة قيود الأملاك والأراضي العمومية .

(٤) الورطة : كلّ أمر تعسّرت النجاة منه .

(٥) تولى المترجم السيد محمود حمزة افتاء دمشق وظل به الى آخر حياته ، وأهداه نابليون الثالث امبراطور فرنسا — على أثر حادثة الستين المشهورة — جفتا بطقم ذهب ، إقراراً بجميله لما أتاه من الخير والمساعدة لمسيحي دمشق ، ولكونه ميالاً الى الرياضة والصيد لتجديد قواه ، فكانت هذه الهدية أقبل لديه . واشتهر في الرمي ولا يخطىء به اه منتخبات التواريخ .

ذكره ، واستثنى من التكاليف والنوائب ، ولاحظته عين العناية في نوال المآرب ، فأدامت له الرعاية اجلاله ، ولم يزل عضواً في مجلس الايالة ، واضطره الأمر الى أن قال في أهل بلده ووطنه ما لا يقال ، مما هو موجب للملام الشديد ، والاعتراض الذي ما عليه من مزيد ، وربما يعتذر عنه بأن ذلك كان منه وسيلة للخلاص ، مما وقع لغيره من الخواص، ونص ما قاله وهو فيه معذور ، ولا يبعد أن يقال أنه عليه مقهور ومجبور :

اشرقت بالعدل أنوار الشآم ... مذ قؤاد الملك والاها نظام
أشرقت من بعد ما قد أظلمت ... برهة لا ينجلي عنها ظلام
مدة يسطو بها قوم على ... معشر الذمة ظلماً واحتكام
لا يرى أمر بمعروف ولا ... نهيهم عن منكر أدى ملام
غير قوم اقعدتهم قلة ... عن أداء الفرض في هذا المقام
بادروا بالردع لكن لم يفد ... في حمى جمع النصارى بالتمام
واستقام البغي فينا سبعة ... يالها من سبعة سود قتام
لا أزال الله عن مملكة ... ظل سلطان ولا حدّ الحسام
كان فينا حاكم بل لم يكن ... حيث أعطى موضع الفصدالصيام
ان للأحكام وقعاً باهرا ... حكمة الحكام إبراء السقام
كم جرعنا غصصاً في شامنا ... مذ خلت عن حاكم يرعى زمام
فانتضى للحق سيفاً قسور ... عادل مولى غيور ذو اهتمام
شمس أفق الوكلا سيدهم ... فرقد في الوزرا بل تاج هام
ملك عثمان به مفتخر ... بل ملوك الأرض من سام وحام
عدّل القطر الشآمي عدله ... وصحا من بغيهم قوم نيام
رأيه القداح في أهل الشقا ... جالب فيه القضا حط وسام
علمه في الكون لو قسمه ... لن ترى في الخلق وحشياً يذام
عزمه في الصخر لو أنفذه ... ذاب ذاك الصخر وانهل انسجام

حلمه في الأرض لو وزعـــه لن ترى فيها هياجاً واضطرام
وعده بالخير حقـــاً ناجز أي ومن زين بالطوق الحمام
أنصف المظلوم من ظالمه ويلكم من غدركم أهل الشآم
يا اهيل الشام ما ذا غركم إذ غدرتم ملة حازوا زمام
يا وحوشاً صادفت في غابها آمناً واستقبلته بالسهـــام
ويحكم ما خفتم سلطانكم ان مولاكم عزيز ذو انتقام
خنتم قول الرسول المصطفى في حديث صح من أحلى الكلام
ان من اجرى دماهم لم يرح ريح طوبى حبذا تلك المشام
حرم الأعراض مع اموالهم والدما عهداً إلى يوم القيام
إذ لهم من كل حق مالنـــا وعليهم ما على أهل السلام
بئسما خنتم به قرآنكم بئسما عاملتموهم يالئـــام
أي قرآن محلّ فعلكم أي برهان على وزر حرام
فتككم بالآل محفوظ لكم وهو منقول لنا من ألف عام
أي علم زانكم بين الورى أي فضل كنتم فيـــه أمام
جبنكم أصغره طَوْد حرا عقلكم أكبره أوهى المشام
حلمكم ذاك الحماريُّ الذي شاع بالأمثال ضرباً بالأنام
أي إقدام لكم يوم الوغى أي إقدام لكم عند الصدام
أي آراء لكم محمودة انكم اطيش من فرخ النعام
ما لكم من خصلة محمودة غير وضع النقص في القوم الكرام
أحسن الحالات عندي لكم ان توافوا جحفلاً ورد الحمام
أيد الله على اقليمكم ذا المشير الناظر السامي المقام
اذ قوام الدين والدنيا معا بانبعاث الرسل أو عدل الإمام
بئس مصر قد خلت من حاكم جور سلطان ولا عدل عوام

وقد علمت أنه لو لا ضرورة المقام ، لكثر المتصدون للرد وابطال هذا

الكلام ، ولكن كان مقصود الناظم الخلاص ، مما دهى غيره ولات حين مناص ، غير انه نهج منهج الغلو ، وتنازل عن منازل الرفعة والعلو ، وهجا أهل الشام من قديم وحديث ، وطيب وحبيث ، مع ان رسول الله لم يقل ذلك ، ولا سلك بأهل الشام هذه المسالك ، بل مدحها وأهلها ، وأوصى بها وأجلّها ، وهب انه أذنب بعض أهل الشام ، فلا ينبغي تقبيح الخاص والعام ، بل الفاعل بالذم أحرى ، وقال الله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ومن طالع صحيح البخاري وكتب التاريخ المعتمدة ، وجد أن قصة الحسين ليست لأهل الشام مستندة ، على أن يزيد الملعون لم يكن من أهل الشام ، وليس له بها من قرابة ولا نسب ، وإضافة هذه القصة لأهل الشام خالية عن المعرفة وموجبة للعجب ، ولكن طوبى لمن عقل لسانه وكفه ، وأطلق بالخير بنانه وكفه ، ولو سكت الكليم لرأى العجائب ، ولو صمت يوسف لعمم النوائب ، وليت شعري من في الشام الآن ممن كان في ذلك الزمان ، ما بقي بها إلا مهاجر أو غريب ، وانكار ذلك أمر غريب . ويكفي العاقل أن يتخلص من المكروه بجميل أحواله ، بدون أن يلقي أخاه في أوحاله ، فعلى كل حال لم يكن المترجم ممدوحاً بذلك ، بل سلك أوعر المناهج والمسالك ، والملام إنما يكون على ذوي المضرة والباس ، لا على جميع الناس . فكيف يجوز أن يؤخذ زيد بجريمة غيره ، وأن يعامل بالقبيح على معروفه وخيره :

ليس الفتى كل الفتى إلا الفتى في أدبه
وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

ولولا أن أهل الشام الآن من شيعة آل البيت ، لقوبلت هذه القصيدة بكيت وكيت ، ولكن الحب يدعو الى الصبر ، وان تحمّل الانسان ما يوغر الصدر ، على أن القبيح لا يقابل بالقبيح ، وإلا فما فضل المليح على القبيح ، وما هي إلا زلة عالم ، وجهت على قائلها لسان اللائم .

هذا وإنه في سنة أربع وثمانين في أيام ولاية المرحوم راشد باشا قد فصل إفتاء الشام عن المرحوم أمين افندي الجندي ، ووجه الى المترجم ، وفي سنة تسع وتسعين أضيفت له أيضاً مديرية معـــارف الولاية الجليلة ، وأول رتبة وجهت اليه باية ازمير المجردة ، سنة اثنتين وسبعين ، وفي سنة احدى وتسعين بدلت برتبة البلاد الخمس ، مع الوسام المجيدي ، من الطبقة الثالثة ، وفي سنة ست وتسعين رفعت درجة لـكي تكون موصلة لبـــاية الحرمين الشريفين ، وأعطي النيشان [١] العثماني من الطبقة الثالثة أيضا ، ثم وجهت عليه رتبة الحرمين الشريفين سنة تسع وتسعين . ثم في سنة الف وثلاثمائة وجهت عليه باية استانبول مع النيشان المجيدي من الطبقة الثانية ، مع انه في اصطلاحهم من مقتضى الباية المذكورة انها لا تعطى لمن يكون خارج الآستانة ، وارتفع قدره ومقامه ، وشاع ذكره واحترامه ، وتعاظم جاهه وإن كان به بخيلا ، وزاد إقباله عند الناس وإن كان لا يعد من سواه إلا ذميما قليلا .

ومن تآليفه تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة سماه درر الأسرار ، وكتاب في اللغة سماه « دليل الكمل الى الكلام المهمل » ومنظوم غريب الفتاوى ، والفتاوى المحمودية نثراً في أربع مجلدات ، ونظم الجامع الصغير للامام محمد في ثلاثة آلاف بيت ، ونظم مرقاة الأصول لملا خسرو ، والنور اللامع في أصول الجامع ، والقواعد الفقهية ، والطريقة الواضحة الى البينة الراجحة ، والتفاوض في التناقض ، ورفع المجانة [٢] في حكم الغسل في الإجانة [٣] ورفع الستور عن المهاياة في المأجور ، ورفع الغشاوة عن أخذ

---

(١) النيشان : الوسام .

(٢) المجانة ، من مجن مجونا الفتى : غلظ وصلب ومجونا ومُجْنا ومَجانة : مزح وقلّ حياءً فهو ماجن . والمجن : خلط الجد بالهزل .

(٣) الإجّانة والجمع : أجاجين ، إناء تغسل فيه الثياب ، جرّة كبيرة .

الأجرة على التلاوة ، ورسالة في مصطلح صاحب الهداية ، وتنبيه الخواص ، ورسالة في خال المحاضر والسجلات ، وجامع الأسانيد ، والأحاديث المتواترة ، ورسالة في بيان المرصد والكدك ومشد المسكة والحكر ونحوها ، ورسالة في الماس والزمرد والياقوت ، وأرجوزة لطيفة في فن الفراسة ، ومجموعة صغيرة في مسائل فقهية ، وله ديوان شعر بديع [١] ، قد أجاد فيه أنواع البديع ، فمن نظمه مادحاً حضرة العارف بالله الأمير السيد عبد القادر الجزائري قوله :

هذا بريد اليمن والتوفيق ... وافاكم في محفل التصديق
وافى يترجم عن بشير خلفه ... في موكب التشويف والتشويق
يا سادتي يا آل طه مِقْوَلي ... في مدحكم عار عن التنديق
ومتى أحاول مدحةً لسواكم ... ألقاه مكتسباً من التمطيق
حيث المديح الى علاكم والسوى ... جزؤ من التطبيق والتلفيق
لكنه في الغير يسهل مأخذا ... ويحول طِرفي فيه كل طريق
وأرى يراعي صار سهماً صائدا ... خشن المعاني عند كل فريق
وإذا يغصّ يوماً لدر مديحكم ... ويلاه كم يحتار في التطريق
ويعود صفراً من مآمِلَ أمّها ... من بعد روم الدر والتعميق
فأعَضّ اصبع نادم حرصاً على ... ما فاته متتابع التصفيق
وأقول علك يا يراعي واهن ... أو قد نسيت مسالك التدقيق
قد كنت لي نعم المشامر في الدجى ... ما هكذا شرط الاخاء صديقي
غواصٌ تيار المعاني مخرجا ... من معدن الألفاظ كل رقيق
فأجابني مهلاً فهذا مركع ... لا مرتع لسوابق المنطيق
هذا الهمام الشهم شمس الغرب من ... حجبت بها المدّاح عن تحديق
هذا الذي اعي الفَرنج فِرِنده ... والرمح بالتحليق والتخريق

(١) مؤلفاته هذه مطبوع أكثرها كما في « الأعلام » وفي « معجم المطبوعات » .

هذا الذي امراه قد شهدت له ... منهم لدى التطويل والتوثيق
هذا الذي ان قابلوه قلوبهم ... تقضي من التصفيق والتخفيق
هذا الذي حاز العلوم مع التقى ... وكذا السخا زهداً مع التوفيق
هذا الذي شكرت شمائله الورى ... طراً سوى البطريق والزنديق
إن كنت تطمع في انحصار خصاله ... فلقد وقفت مواقف التضييق
فعجبت من قلم يهذب ربــه ... إذ قال قولة ناصح وشفيق
واجبته ياذا اليراع مُسَلَّم ... ما قد نقلت ومحكم التنسيق
أنا لم أَرُم عرض المديح لسيد ... كَلَّتْ بحضرته يد التنميق
لكنني أبغى الوفود مهنئــا ... لقدوم مولود غدا تمليقي
وتفاؤلاً بالصدق منه تيمنــا ... وتبركاً سماه باسم عتيق
أهلاً بمن وافى أمانــا للملا ... من فتنة التحريق والتغريق
إذ قد روينا في الحديث مصححا ... أن الأمان بكم على التحقيق
تاريخ حمد في جمادى عامنــا ... لُقبتَ عبد الله بالتصديق
يا أيها المفضال يا غوث الورى ... ياكعبة الراجي لكل مضيق
كم أشرقت في الغرب أقمار لكم ... والآن قد بزغت من التشريق
فلذاك محمود يزف عروسة ... غصت قوافيهــا من التدقيق
تمشي على استحيا رضيعة يومها ... وافت حماكم خشيه التعويق
ترجو مسامحة القصور لسنهــا ... لو لاه كم أبدت من التعشيق
لا زلت بدراً والكواكب حوله ... منظومة التدوير والتحليق

ثم كتب في إمضائه بخط يده : عبودية الداعي لكم بطول البقــا وسمو الارتقا ، مدى الأيام ، محمود الحراني غفر الله له ولوالديه آمين .

ومن مشايخ المترجم الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي والشيخ حامد العطار والسيد محمد عابدين والشيخ نجيب القلعي ووالده نسيب افندي ، وغيرهم من المشايخ العظام والقادة الكرام ، فأتقن وحقق وتضلع

في العلوم ودقق ، وكان كثير المذاكرة حسن المحاضرة ، ذا نطق فصيح وذكاء راجح مليح ، وحافظة جيدة سامية ، وتقريرات نحو الصواب وامية .

وقبل موته بنحو أربع سنين لازم داره ، وجعل مطالعة العلوم وتحقيق المسائل مركزه ومداره ، وكنت لا اجتمع معه في جمعية ، إلا ويذاكرني في مشكل المسائل خصوصاً في الاصطلاحات الصوفية ، ولم يزل صيته يعلو وقدره يسمو ، إلى أن دعاه داعي المنون إلى حضرة من أمره بين الكاف والنون ، وذلك منتصف ليلة الاثنين تاسع شهر محرم الحرام سنة خمس وثلاثمائة والف ، وصلى عليه في جامع بنى أمية ما ملأ الجامع مع اتساعه من علماء ووزراء وفضلاء وغيرهم ، ثم ساروا به في موكب عظيم إلى تربة الفراديس المعروفة بمقبرة الدحداح .

وفي تلك الليلة اجتمع من أعيان البلدة وصدورها جملة في دار الشيخ سليم افندي العطار ، وسطروا عرض محضر إلى الوالي وكان غائباً في مدينة صيدا ، وقدموه له في توجيه الافتاء إلى أخيه أسعد افندي ، وكتب بوجبه مضبطة في مجلس إدارة الولاية ، ثم في ثاني يوم كتب عرض محضر آخر وختم بأختام جماعة آخرين بطلب توجيه الافتاء إلى حضرة محمد افندي المنيني ، وقدم كذلك إلى الوالي ، فأرسل الوالي الأوراق جميعاً الى باب المشيخة مع كتابة منه خاصة سرية تجنح لتقديم منيني افندي على أسعد افندي ، ثم انه كثر بين الناس القيل والقال ، وتفرقت الكلمة واتسع على الناس المجال ، الى أن مضى أيام ، فجاء الأمر من المشيخة بتوجيه الافتاء على محمد افندي المنيني الهمام ، فانقطع الخصام والجدال ، ولم يكن إلا ما أراد ذو الجلال . ومن جملة من رثى المترجم المرقوم منير زاده [1] محمد صالح افندي فقال :

كل نفس ذائقة الموت حتما وإلى الله ترجـــع الناس حتما

(١) منيّر زاده ، أي ابن المنيّر (تركية) .

ومنها :

كيف لا تبكي العالمون دماء ... لفقيد قد أورث الخلق غمـا
سيد القطر واحد العصر فضلا ... مع حسن الأعمال قد فاق علما
فهو محمود طاب حياً وميتاً ... وغدا الاسم فيه طبق المسمى

الشيخ محمود بن علي بن منصور بن محمد بن عبود الحلبي الشافعي الشهير بابن قَنْصَه

وهو اسم أم جدّهم الشيخ نور الدين . كان المترجم عالماً فقيهاً مقرئاً مجيداً من مشاهير القراء والحفاظ في حلب ، ولد بهـا سنة خمس وأربعين ومائتين والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المصري نزيل حلب ، والشيخ فتيان ، وعلى والده وتفقه بالأول ، وقرأ العربية والفقه أيضاً وبعض الفنون على أبي محمد عبد القـادر بن عبد الكريم الديري وأبي علي حسين بن محمد الديري الحلبي ، وسمع على أبي اليمن محمد بن طه العقاد وأبي السعادات طه بن مهنا الجبريني ، وسمع على الأول صحيح البخاري إلى كتاب الحج ، وأجـازه شيخه أبو محمد عبد الرحمن المصري وغيره ، وأتقن وبرع وجود وأحسن التلاوة والحفظ ، وأثرى ونال حظاً من الدنيا . ولم يزل في ارتقاء وعلو وتقدم وسمو ، الى أن اخترمته المنيّة في حدود عشرة ومائتين والف رحمة الله تعالى عليه [1] آمين .

محمود بيك بن خليل بك بن أحمد بيك بن عبد الله باشا العظم الدمشقي

الأديب الذي في ميدان الأدب لا يجارى ، والأريب الذي في لطفه

---

(١) نقل هذه الترجمة في تاريخ حلب الشهباء ولم يزد عليها شيئـا ، غير أنه ذكر (قنصة) بالفاء لا بالقاف .

وجماله لا يبارى ، والفصيح الذي فاقت فصاحته والمليح الذي تسامت ملاحته ، واللبيب الذي استوى على أوج الرقائق ، والنجيب الذي لم يدع منهلاً في المعارف إلا وكرع منه الكأس الراتق .

ولد في سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وتعلم الكتابة الحسنة ، وقرأ بعض الفنون على بعض الأفاضل ، إلى أن صار له يد طولى ، ثم انفرد في دار وحده ، وكان غنياً غنى مفرطا من جهة أمه ، إلا أنه سلط عليها يد الاتلاف من غير إدارة ولا إنصاف ، والدنيا كانت تعاكسه في كل مراد وتجذبه الى خلاف ما أراد ، وما زال على حاله لا يصغي الى من يريد أن ينشله من أوحاله ، إلى أن قل ماله وبدا له ممن كان يتردد عليه اهماله ، فاختار العزلة في أكثر أوقـــاته ، والانفراد عن أحبابه وذوي التفاته ، الى أن شرف الى الشام العـارف الكبير والهمام الشهير ، الشيخ محمد الفاسي المغربي المالـكي الشاذلي ، فأقبل عليه وتوجه بكليته اليه ، وأخذ منه الطريقة الشاذلية ، وحصل له منها نفحات رحمانية ، وكنا نجتمع معه في أوقات كثيرة هي بأن تذكر بأنها من الأعمار جديرة ، لأن تجليه كان جالباً للفرح مذهباً للترح ، موجبـاً للسرور مخرجاً من الغم والكدور . وكان حسن المعاشرة جميل المذاكرة ، لطيف العبارة ظريف الاشارة ، كثير الابتسام عذب الكلام ، ملاطفته تذهب البؤس عن كل عبوس . وكان له قلم عال سبوق سيال ، وله تأليفات أدبية ، ورسائل عن العيب أبية ، خصوصـــاً وقد اشتغل بعد الطريق بمطالعة كلام السادة الصوفية ، ذوي المعارف والأسرار الإلهية .

فمن مؤلفاته كتاب « رسائل الأشواق في وسائل العشاق » في ثلاثة مجلدات ، وهو كتاب يشتمل على العبارات الرقيقة والقصـــائد الأنيقة ، وأنواع الموشحات والمقاطيع العاليات ، وكثير من فنون الشعر مما لا يوجد بغيره من كتب النظم والنثر ، ويشتمل على حكم ومواعظ ونوادر ونكات ،

وله شرح مناجاة سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي بلسان عال جميل ، وله عدة دواوين شعرية[1] ، تدل على معارفه العلية ، وله كتاب في التصوف سماه البحر الزاخر والروض الزاهر ، ومن كلامه في مدح النبي ﷺ:

سلوني فأحكام الهوى بعض حكمتي ... وأحكام آيات الغرام مزيتي
بدا لي به نور الحقيقة ظاهراً ... فشاهدت ذاتي تنجلي لبصيرتي

ومنها :

فمحبوب قلبي ان تأملت واحد ... انست به للانفراد بوحدتي
مظاهر أسماء له قد تعددت ... ولا ثم إلا واحد في الحقيقة
فطوراً بليلى والرباب تغزلي ... وطوراً بزيد واللوى والثنية
فلم يبق شيء ما تعشقت حسنه ... وما ثم كون ما تراءى لمقلتي
إلى أن رأيت الكل بالكل فانياً ... وذاتي هي المقصود من كل صورة

وهي تقارب المائتي بيت كلها قد بلغت في الحسن مبلغاً عظيماً ، ومن قوله في الفخر والحماسة :

عديني وامطلي مهما تشائي ... ففي التعليل تعليل لدائي
وتسويف الملاح إذا تمادى ... على المضنى ألذ من الشفاء
بعادي في الهوى عين اقترابي ... وغاية مقصدي وبه منائي
فما أحلى العذاب لكل صب ... إذا أمسى الذي يهواه نائي
له في كل وقت طيب وصل ... يجيء به التخيل والترائي
يشاهد من يحب بلا رقيب ... ولا واش عليه ولا مرائي

---

(١) له ديوان شعر منها مطبوع .
ومن شعره القوي في الفخر والحماسة قوله :

سل الخطّار والبتار عني ... وسل جود السحائب عن سخائي
ظمئت فما شربت الماء صرفا ... ولا أدليت دلوي في الدلاء

إلى أن قال :

ولي نفس الملوك بجسم عبد ... تنزّه أن يذل له ثرائي

فلم أترك لقاهـــا عن ملال ولا عن علة تركت لقائي
ولكنا نرى للعز أهلا وأهلا للمذلة والشقـــاء
رويدك أين تبلغ من لحاقي أمامك أيها العادي ورائي
سل الخطار والبتار عني وسل جود السحائب عن سخائي
ظمئت فما شربت الماء صرفا ولا أدليت دلوي في الدلاء
أأشرب والزلال يخاض فيه ومن نهر المجرة كان مائي
ولما ان سموت إلى الثريا انفت بأن أسير على الثراء
فما رتب العلا الا حظوظ مقسمة على أهل الولاء
وحسبك فاقتنع بالبعض منها ولا تلقي بنفسك للبلاء
وإياك التطلع نحو مجدي ولا تقس الغياهب بالضياء
فاني لست أقنع بالتهاني ولا يرضى بغايتها رضائي
واني سوف ابتكر المعالي وأبلغ من نهايتها منائي
ولي نفس الملوك بجسم عبد تنزه أن يذل له ثرائي
ولكني أرى في قوم سود رضوا بالغيم عن زرق السماء
سأصبر صبر مرتاض كريم وأجعل كل ما أرجو ورائي

ومن قوله رحمه الله تعالى في النصائح والمواعظ

يا مهجتي مهلا إلى كم تتعبي وإلى متى بهوى الظبا تتعذبي
خلي معاناة الصبابة والهوى وعن المحبة فاذهبي لا تذهبي
ان الهوى فيه الهوان فقللي ذكر الغزالة والغزال الربرب
كم ذا تداري الكاشحين بحبهم وعلى الغضا وعن الهدى تتقلبي
وإلى متى هذا النحيب وذا البكا فلقد يشك من الجوى أن تعطبي
ان كنت لا تصغي لقولة ناصح فتقطعي بهواهم وتأربي
في مذهبي ترك الصبابة في الصبا شرع أدين بدينه في مذهبي
ودعي كؤوس الراح لا تعني بها وتهذبي ان كنت لم تتهذبي

ان الندامة في المدامة أودعت ... أن تقبلي نصحي وإلا جربي
ودعي المليح وقولهم يا حسنه ... لم يبق ذو لب به الا سبي
ان لاح لاح البدر من أطواقه ... أو فاح اهدى طيبا من طيب
يزري بأغصان الأراك قوامه ... ان قام يخطر خطرة المتعجب
من شعره وجبينه غار الضيا ... حسداً له وانشق قلب الغيهب
ودعي هوى سلمى وزينب فالهوى ... ضرب من الهذيان يجهله الغبي
ان قبد قل للشمس قولة ناصح ... بالله يا شمس النهار تحجبي
هي كالغزالة ان بدت وتلفتت ... لكنها حجبت بقلب العقرب
لا يشجينك بارق متألق ... فلعله برق وليس بصيب
وتكلفي للجد في طلب العلا ... من جد فاز علا بأرفع منصب
يا صاح خذ قولي ودع ما غيره ... حتى تسمى بالأجل الأنجب

وله كثير في كل نوع من أنواع الشعر مذكور في ديوانه ومجاميعه ، وفي آخر أمره ضاقت يده ولم يبق عنده من ثروته الواسعة شيء لا من دراهم ولا من دنانير ولا من عقارات ، ومع ذلك تراه ضاحكا راضياً كأنه ما أصابه شيء قط ، وكنت كلما نصحته قبل ذلك يعتذر لي لأن مراد الله لا بد من وقوعه . وكان حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري يصله كثيراً ويساعده ، ولم يزل الى أن توفي في نصف رجب الحرام الذي هو من شهور سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف ، وتأسف الناس عليه ، وكانت وفاته في حياة والده [1] ودفن في تربة أسلافه ، ومدته من العمر أربعون سنة .

الملا محمود بن غزائي الكردي السليماني الشافعي الأشعري

العالم الذي عد في أقرانه الأول ، والبليغ الذي يفوق مختصر بيانه المطول ، والإمام الذي هو الحسن المشهور ، والهمام الذي هو بكل كمال

(١) والمترجَم هو والد المؤرخ الشهير رفيق بك ، وعثمان بك العظم .

مذكور ، قد استفاد وأفاد وأعاد فأجاد ، فهو من أناس حمدوا سعيا ، ومن غرر راقت بهم وجوه الدنيا ، وهو من عيون أهل السليمانية الاكراد وساداتهم الأمجاد ، الذين تحلوا بحلي الشرف ، وابرزوا في دروسهم الطرف ، وأشار إليهم الفضل ببنانه وضم عليهم بأجفانه ، فهو لا شك من أقمار تلك البلدة ، ومن أبحرها بما ألقاه وأمده ، وإن لم يشن الجزر مده ، فلله فاضل كساه الفضل برده ، ولطيف عباراته ألطف من الشمول ، وعفيف على أوصافه يشرق القبول ، وتقي سارت محاسنه ، وعزت به مواطنه :

يا طالباً تحف المعلوم عليك ما ... يرويه محمود من الآثار
كم جوهر أبدى بحلقة درسه ... ترويه عنه عواطل الأفكار
عيناً لآثار النبي وجدته ... أو ما تراه كل يوم جار

عانى العلوم الرسمية طفلا ، فقالت له أهلاً وسهلا ، وناشدته المحافل بالآثار الحميدة ، فوضع في جيدها كل فريدة ، وجلا فيها من العلوم كل خريدة ، وكان قد نادته السعادة فأجابها وماء صباه غريض [١] ، وروض قوته بالأنس اريض [٢] ، وأنشدها من بنات أفكاره ما هو السبر لعلو اعتباره :

يا علوماً وافيتها وشبابي ... ما نضاه عن كاهلي الملوان
لك طرفي مرأى وقلبي مرعى ... ما تسامى من ذينك النيران

فما زال يفيد بالجوهر الفريد ، ويظهر كل كمال ويحض الناس على طريق الجمال ، ويأمر بالتقوى والعبادة ، والعفة والزهادة ، إلى أن حال حين وفاته ودعته المنية لمماته ، وذلك في عام الف ومائتين واثني عشر من هجرة سيد البشر .

---

(١) الغريض : الماء الذي يورد باكرا ، وكل أبيض طري .
(٢) أرضَ المكانُ : كثر عشبه وازدهى وحسن في العين فهو أريض .

الشيخ محمود بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن البيطار
ابن أخي شقيقي الشيخ محمد

إمام عالم عامل وهمام عابد كامل ، حفظ القرآن في صغره ، ثم دأب على أخذ الفنون إلى كبره ، قرأ على جده والدي مدة ، وعلى والده وقد بذل اجتهاده وجدّه ، وتفقه على مذهب سيدنا أبي حنيفة النعمان .

وفي سنة الف ومائتين وثمانين جلس في أمانة الفتوى في دمشق الشام ، وقرأ على الإمام الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي وعلى الشيخ محمد الخاني وحضر عندي مدة طويلة في الفقه والمعاني والبيان والنحو .

وكانت ولادته سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين تقريباً ، وتوفي صباح الاثنين قبيل الفجر خامس عشر رجب عام الف وثلاثمائة وستة عشر ، ودفن في تربة الحصني في باب الله رحمه الله تعالى .

السلطان مراد الخامس بن السلطان عبد المجيد
ابن السلطان محمود خان

تولى الملك سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سابع شهر جمادى الأولى ، وبيان ذلك أنه اجتمع يوم الاثنين ليلة الثلاثاء سادس جمادى الأولى من السنة المرقومة ، حضرة الصدر الأعظم وشيخ الإسلام خير الله افندي ومدحت باشا مأمور المجالس العالية وعموم الوكلاء ، في الباب السرعسكري [1] وعقدوا مجلساً مخصوصاً ووجهوا حضرة السرعسكر [1] باشا إلى دائرة حضرة مولانا السلطان مراد خان [2] فأبدى لعظمته قائلاً انه بالاتفاق العمومي صار

---

(١) قائد الجيوش .

(٢) ولد السلطان مراد الخامس في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ ، وارتقى منصب الخلافة في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٦م وكان متعلماً مهذباً ميالاً للاصلاح : محباً للمساواة بين جميع أصناف رعيته ، مقتصداً في مصرفه ، غير ميال للسرف والترف ، يشهد بذلك الفرمان الذي أرسله الى الباب العالي بابقاء الوزراء وجميع المأمورين في وظائفهم ، ومبيناً فيه خطة الإصلاح الذي يريد اجراءه اه من ترجمته في تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك (ص ٣٢٠ ـ ٣٢٦) وترجمته في هذا التاريخ .

خلع السلطان عبد العزيز خان [١] استناداً على الفتوى الشريفة التي اعطيت من جانب المشيخة الإسلامية ، وصورتهـا : إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور ، ولا قسم له في الأمور السياسية ، وقد صرف الأموال الأميرية على مصاريفه النفسانية ، على نوع يفوق طاقة وتحمّل الملك والملة ، واجرى اخلال وتشويش الأمور الدينية والدنيوية ، وضر الملك والملة ، وكان بقاؤه مضراً بحق الملك والملة ، هل يلزم خلعه ؟ الجواب : يلزم . كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه .

وحينئذ قد دعيت ذاتكم الهمايونية [٢] لسرير السلطنة العثمانية ، فقام في الحال مستصحباً معه السر عسكر المومى إليه ورديف باشا رئيس دار الشورى العسكرية ، وذهب إلى قرغولخانـه طوله بغجه ، وأبقى هناك حضرة رديف باشا المشار إليه راكباً قايق [٣] السر عسكر إلى اسكلة [٤] سركەجي ، ومنها شرف بحضوره الباب السر عسكري ، فاستقبله حضرة الذوات المشار اليهم المنتظرين قدوم ذاته المحفوفة بالسعد والاقبال ، وهكذا أجرى حضرة ذي الدولة والسياسة الشريف عبد المطلب افندي والصدر الأعظم وشيخ الإسلام وعموم وكلاء السلطنة السنية والعلماء الفخام وأمراء العسكرية الكرام ، أمر البيعة الجزيل الاحترام ، وبعد أن تقدم الدعاء من طرف حضرة شيخ الإسلام والشريف عبد المطلب افندي بتوفيق الحضرة السلطانية ، اطلقت المدافع مائة طلق وطلقا من كل من السفن الهمايونية ، والمحلات الموجودة بها المدافع ، وزينت الدُّونَنا [٥] الهمايُونية ، والسفن

---

(١) السلطان عبد العزيز سلطان بني عثمان (١٨٣٠ ـ ١٨٧٦) كان مسرفـا ، وقد انسلخت في أيامه بعض البلاد كرومانيا وصربيا عن تركيا .

(٢) السلطانية أو الملوكية .

(٣) زورق .

(٤) مرفأ ، ميناء

(٥) السفن الحربية .

العثمانية عموماً برفع البيارق [١] وكانت سناجق [٢] السفن الحربية السلطانية مكللة بالاسم السامي الهمايوني تموج بنسائم العظمة والشان على هام البشر والسرور ، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد ، بجلوس ذي السلطنة والإسعاد ، فكل من سمع هذه المناداة من التبعة العثمانية بادر إلى الباب السر عسكري ، وبمقتضى المساعدة السلطانية السنية لم يجر على أحد رسوم الابعاد ، إلى أن جرت البيعة العامة السلطانية للمترجم المرقوم ، ففي الوقت ارتفعت الأصوات بالدعوات المجابات ، من ذوي العلوم المجتمعين في الديوان خانه العسكرية [٣] ، بالأصوات المرتفعة ، فنهضت الذات السلطانية في الحال لمحل الدعاء بذاته ، وتلا من جملة الحاضرين لفظة آمين ثم انه نظر إلى العموم بعين البشر والسرور ، وأبدى التسليمات المفرغة على الحاضرين أنواع التلطيف ، ثم انه بعد ذلك خرج من الدائرة التي حصلت بها البيعة ، ومعه الصدر الأعظم والسر عسكر ومدحت باشا ، وكان صدى أصوات العساكر وطلبة العلم وعموم الأهالي بقولهم فليعش سلطاننا سنين عديدة ، ولا زال الأمر كذلك إلى أن ركب العربة ، ومنذ قيامه من الباب السر عسكري إلى أن شرف بالوصول للسرايا [٤] ، الهمايونية كانت الأهالي في الطريق تكثر التهاليل وتهتف فليعش سلطاننا كثيرا ، وكان يحيي الجميع بالسلام .

ولما شرفت عظمته بالوصول إلى سرايا بشكطاش استقبلته الخدمة الخاصة الواقفة بموقع التعظيم هاتفة بالدعاء القديم الذي هو ما شاء الله ، عش سلطاننا بدولتك كثيرا ثم نصب التخت العثماني في مكان الديوان ، والموسيقى الهمايونية أخذت تصدح بلذيذ الألحان ، وأتباع الحضرة السلطانية مصطفة بالترتيب والاتقان ، فأجرى جميع الحاضرين من الوكلاء وغيرهم والأفندية والبطاركة

---

(١) الأعلام .
(٢) الألوية أو الأعلام .
(٣) دار القيادة العسكرية .
(٤) دار الحكومة .

والحاخامات وغيرهم من سائر الملل المختلفة إيفاء البيعة واعطاء المقام حقه ، ثم انه بعد أن صار جلوس السلطان مراد وشاع خبره لدى الخاص والعام ، حصل التبليغ والافادة من طرف حضرة رديف باشا المشار إليه المأمور المخصوص على العساكر الشاهانية ، إلى حضرة السلطان عبد العزيز [1] بمعرفة افندية مكتب الحربية السلطاني ، المأمورين من المساء بمحافظة ساحل بشكطاش الهمايونية ، وبمعرفة حضرة آغا دار السعادة الشريفة دولتلو عنايتلو جوهر آغا المتصف بالحماية والحمية الملية والصلابة الدينية ، قائلاً : أن الملة العثمانية المعظمة خلعتك من السلطنة وبايعت سلطاننا السلطان مراد خان ، وصدرت الإرادة السنية بإقامتكم في سرايا طوب قبو ، فبناء على ذلك توجه حضرة عبد العزيز افندي الموما إليه إلى السرايا المذكورة ، مع متعلقاته ومنسوباته بخمسة قوارب متفرقة ، وبقي في السرايا المرقومة إلى أن توفي بعد أيام ، كما هو مذكور في ترجمته .

ثم ان السلطان المترجم المرقوم وقع في شعوره خلل مسقط له عن أهلية الملك فاقتضى المقام خلعه ، بعد استفتاء شريف من المشيخة الإسلامية ، فكان الافتاء بوجوب خلعه إبقاء لاستقامة الدولة وحفظ الملة وحقوقها ، فبناء على ذلك خلع بعد جلوسه على عرش الملك ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وتولى مكانه حضرة السلطان الأفخم والخاقان الأعظم السلطان عبد الحميد خان ، أدام الله دولته مدة الدوران ، وكان خلع السلطان مراد يوم مبايعة السلطان عبد الحميد ثالث شهر شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف .

---

(١) المولود (سنة ١٢٤٥ هـ سنة ١٨٣٠ م) وقد بويع بالسلطنة (سنة ١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦١ م) وكانت فاتحة أعماله أنه أقرّ الوزراء في مراكزهم ما عدا ناظر الجهادية رضا باشا ، فانه أبدل بنامق باشا ، ثم خلع من السلطنة بفتوى من شيخ الإسلام حسن خير الله ، اتفق على اصدارها بعض نظار الدولة أو وزرائها باتهام السلطان بالاختلال ، وإلى الله المآل . انظر تاريخ الدولة العثمانية (ص ٢٨٧ ـ ٣٢٠) وترجمته في هذا التاريخ (حلية البشر) ج ٢/٨٥٢ ـ ٨٥٤ .

الشيخ محي الدين بن محمد الدمشقي المعروف بالناياتي وبابن الدمشقي

الخطيب والمدرس والإمام في جامع القلعي في محلة سوق القطن ، وكان لطيف الكلام حسن المعاملة ، عليه سيما أهل الصلاح ، دائباً على العلم والعمل . مات بدمشق خامس ذي القعدة الحرام سنة ثمان وثمانين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ محيي الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن هديب[1] الدين بن فرج الدين بن عضد الدين الدمشقي الشافعي الشهير بالعاني ، ونسبته إلى عانة قرية من قرى بغداد دار السلام

ولد بدمشق الشام سنة إحدى وعشرين ومائتين ، والف ، ونشأ في كنف والده وأخذ عنه وعن الشيخ سعيد الحلبي وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعن الشيخ عبد الرحمن الطيبي وعن الشيخ حامد العطار وعن الشيخ هاشم التاجي وعن غير هؤلاء من الفضلاء الكبار والعلماء الأخيار ، واشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والرفق والنجاح ، والزهد والتقوى بالسر والنجوى ، والتفكر الموصول والدعاء المقبول ، والهمة العالية والطاعة السامية والكشف عن المغيبات ، والإخبار بالصدق عما هو آت ، وكان له قرناء يذكرون له من الشمائل ما لم يكن لكمل الأولياء ، إلى أن استوى على عرش علاه وظن أنه لا أحد يساويه في حلاه ، فصار يصدق لهم على أقوالهم ، ويذكر لهم من ممدوح صفاته ما لم يكن خاطراً في بالهم ، وكأنه لم يتنبه لما قيل من بديع الأقاويل :

لا تصاحب من الأنام لئيما ربما افسد الطباع اللئيم

---

(١) « كذا » .

فالهواء البسيط في جمرة القيـــــظ سموم وفي الربيع نسيم
وابغ منهم مجانساً يوجب الضـــــمّ فقديصحب الكريم الكريم
واعتبر حال عالم الطير طرا كل جنس مع جنسه مضموم

فخضعوا إليه وخفضوا رؤوسهم ، وأطاعوه وجعلوه رئيسهم ، وشدوا في وسطهم الإزار ، للاعانة والانتصار ، وتوجه كل منهم إلى مكان ، يمدحه فيه ويقوّل ليس في الإمكان ، فعلا قدره وانتشر في الناس ذكره ، إلى أن صار إذا عمل أكبر الكبائر ، يقول الناس هذه لا تعد من الصغائر ، لأن الشيخ له أحوال ، لا نعرف ما يقصد عند بعض الأفعال ، فهو من أهل الكشف والشهود ، ونحن من أهل الحجاب المسدول والممدود ! ! فحينئذ أطلق أقواله وأظهر أفعاله ، وأتى بما لا يصدر مثله عن أهل الشقا فضلاً عن ذوي الطاعة والتقى ، ومـــا ضره إلا من كان يجلس حوله ، ويستصوب له قوله وفعله :

لعمرك لا يغني الفتى طيب أصله وقد خالف الآباء في القول والفعل
فقد صح أن الخمر رجس محرم وما شك خلق أنه طيّب الأصل

فسلك سبيل خلاف الصواب ، معتمداً على شهرته من غير ارتياب :

ما كل من حسنت في الناس سمعته وحاز ذكراً جميلاً أدرك الأملا

فالانسان كل الانسان ، هو الذي كل أعماله قد وزنت بميزان ، فلا يعتمد على قول أي قائل زان أو شان ، إلاّ ان وجده موافقاً للسنة والقرآن .

هذا وإني مرّة قد دخلت الى داره ومحل قراره ، فما زال يذكر لي العلماء والسادة الفضلاء ، الى أن توصل الى ذم الفاضل الأوحد ، والعالم العامل المفرد ، قطب الأولياء ، وكعبة الأصفياء ، سيدي الشيخ خالد شيخ الحضرة النقشبندي ؛ فطعن في حقه وأكثر ، فما وسعني إلا أن قلت الله أكبر ؛ وفارقته وأنا مما صدر في غاية الهم والكدر ، فلما رأى

مني ذلك حقد علي ، وصار يتفقد فرصة يوجه بها سهام أذيته إلي [١] .

وكانت وفاته بدمشق في الليلة الثانية والعشرين من رمضان المبارك ليلة الثلاثا نصف الليل سنة تسعين ومائتين والف ، ودفن في مرج الدحداح بالذهبية ، وكانت جنازته حـــافلة ، وخلف ثلاثة أولاد من خلف مثلهم ما مات ، نسأل الله العفو والعافية ، والنعمة الكافية الوافية .

السيد محي الدين بن السيد مصطفى بن السيد محمد المغربي الجزائري المالكي

الشيخ العالم العامل ، والفرد الأوحد الفاضل ، بقية السلف الصالحين ، وقدوة الأولياء العارفين ، روح مجمع أهل الكمال ، ودوح أهل المعارف والأحوال ، وتاج الأتقياء ، وعلم الأصفيـاء ، وسراج الأولياء ، ومربي المريدين والفقراء ، غيث الأنام وغوث الإسلام ، وبقية السلف وعمدة الخلف ، محيي معالم الطريق بعد دروسها ، ومظهر آيات التوحيد بعد أفول أقمارها وشموسها ، خلاصة أهل العرفان والمتخلق بمقام الاحسان ، فريد أهل التحقيق في المعارف ، ووحيد أهل التدقيق في العوارف ، من تفجرت ينابيع الحكم على لسانه ، وفاضت عيون الحقائق من خلال جـــنانه ، وانبثت أشعة أنواره في الكائنات ، وانبعثت جيوش أسراره في الموجودات ، وتوالت هباته وتواصلت بركاته ، وسطت شموس معارفه وزكت عروس عوارفه ، فهو الذي خطف ببيد مواهبه قلوب السالكين ، فعكف بها في مساجد المشاهد ورقا بأرواح المريدين ، العفيف الحسيب والشريف النسيب . ينتهي نسبه إلى النبي ﷺ وقد تقدم نسبه مسلسلا في ذكر ترجمة ولده الأمير السيد عبد القادر فارجع اليها إن أردتها .

---

(١) اقتصرنا من الترجمة على ما تقدم ، واستغنينـا عن إيراد قصة خاصة جرت بين المترجم والمؤلف لم نر منها فائدة عامة ، ولذا طوينا ذكرها .

ولد المترجم المرقوم سنة تسعين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده وتفقه عليه ، ثم رحل إلى مستفانم فأخذ عن علمائهـــا ، وحضر الكتب المطولة على فضلائها ، وأجازوه بما تجوز لهم روايته ، وحصلت لهم درايته ، إلى أن صار مسموع الكلمة مهاباً مطاعاً ، كثير الطاعة صـــادق اللهجة مطواعا ، ما نال أحد دعوته إلا رأى بركتها في نفسه وماله ، ولا حصّل امرؤ توجهه ورضاه إلا ورأى غاية الاستقامة في أحواله ، ردّد الاختلاف إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة ، عظيم الجاه رفيع السطوة ، كم له من كرامة هي على علو مقامه أعظم علامة ، منها ما جرى له مع حاكم وهران محمد بن عثمان ، التركي الشهير ببوكابوس ، وذلك أن أربعة من رؤساء الحشم يعرفون بأولاد بُونقـَاب ، قصدهم الحاكم المذكور أن يفتك بهم فنفروا من وهران ، والتجأوا للحماية عند المترجم المذكور فوضعهم في بيت الأضياف ، ولما علم الحاكم بهم أرسل اليهم رجلاً معروفاً بالمرسلي آغة الزمالة ، ومحمد بن داوود نائب آغة الدوائر في أربعمائة فارس ، فوصلوا الى بلدته المعروفة بالقيطنه وأحاطوا بمنزل الأضياف ، وفيه أولئك الرؤساء الأربعة ، وكان الشيـــخ المترجم قد صلى الصبح في مسجده ورجع الى داره ، فسمع ضجيج الناس وأصوات البارود وصهيل الخيل ، فخرج مسرعاً من بيته ، فوجد العسكر محيطاً بهم في بيت الأضياف ، فتقدم الى الباب وقـال اخرجوا اليهم ، ولا تخافوا فان كل واحد منكم بمائة من هؤلاء الظلمة ، فامتثل الرؤساء أمره وخرجوا ، وفي أيديهم السيوف ، فوقع الرعب في قلوب أولئك الفجرة ، وانكشفوا عن البيت ، فركب كل من الأربعة على فرس عري ولحقوهم ، فقتلوا ابن داوود والمرسلي أثخنوه بالجراحات ، وتفرق العسكر شذر مذر ، لا يلوي أحد منهم على الآخر ، واستمروا على وجوههم الى وهران ، وأخبروا سيدهم ، وفي الحين أصيب في عينيه ، ولما عجز الأطباء عن معالجته وعلم انه انمـــا أصيب بانتهاكه حرمة الشيخ المرقوم

وجرأته عليه ، أرسل بعض خواصه اليه ، يستعطفه ويستقيله من عثرته ، ويستغفره من زلته ، ويسأله العفو عنه والدعاء له ، فدعا له وعفا عنه كما هو معلوم من حسن معاملته ، ورقة طبيعته ، فعافاه الله وشفاه ، وأخبر ولد المترجم السيد عبد القادر ان والده المرقوم أخبره بعد هذه الواقعة أن هذا الحاكم مثل له في الرؤيا في صورة كبش فذبحه وسلخه ، فكان الأمر كما قال ، وذلك ان باشا الجزائر أمره بتجهيز الجيوش وسوقها الى نواحي قسنطينة ، وهناك يستكمل تعلقات القتال وينهض لقتال صاحب تونس ، فلما خرج الى هبره على مسافة مرحلتين من وهران ، وتلاحقت الجموع ، ورأى كثرتهم ، سولت له نفسه نقض الطاعة لحكومة الجزائر ، ودعته الى الاستقلال ، فجمع أعيان القبائل وأسرّ لهم ذلك ، فأجابوه لمطلوبه ظاهراً ، لاستثقالهم السفر من وطنهم الى تونس ، وأصبح راجعاً الى وهران حاضرة ولايته ، وأمر بقتل من معه من الجند التركي فقتلوا ، وبعث الى تلمسان وأمر عسكر بقتل من بها من الجند ، وأعلن بالدعاء لنفسه ، فاتبعه الدوار والرمالة والغرابة ومن والاهم ، وامتنع الحشم جميعا ، فطار الخبر الى باشا الجزائر ، فبعث اليه جيشاً فدخلوا وهران وقبضوا عليه وذبحوه وسلخوه وملؤا جلده قطناً وبعثوا به الى الجزائر ، فوضع على سورها فكان عبرة لمن اعتبر ، وإخافة لمن نظر .

وله رضي الله عنه كرامات كثيرة ويد طولى هي بنوال المطلوب حقيقة وجديرة ، حج رضي الله عنه ثلاث مرات ، وكان في طريقه يجتمع بالعلماء والأفاضل والسادات والأماثل ، فيفيدهم ويستفيد ، وكان قاصراً نفسه على ما يفيد من العلم والتقوى لا من الطارف والتليد ، ومر في آخر حجاته على بغداد ، فزار جده وأخذ الطريق عن شيخ السجادة القادرية ونال أقصى المراد ، ثم رجع إلى الوطن وقد أفرغ الله عليه حلة المنن ، ولم يزل يعلو مقامه ويسمو احترامه ، ويزكو علاه ويعم نداه ، الى أن دعاه داعي المنية للتوجه للمقامات العلية ، يوم الأحد ثالث ربيع الأول سنة تسع وأربعين ومائتين والف من الهجرة .

الشيخ محي الدين بن عبد العزيز الشافعي الدمشقي الشهير بالادلبي

كان فريداً ماهراً في جميع الفنون ، قد قرت بفضله وكماله العيون وحسنت الظنون . ولد في دمشق الشام ، ثم طلب العلم الى أن صار من علمائها الأعلام ، وبعد أن تكمل وحصل من الفضائل ما بها الى كل رفعة توصل ، ولي في الشام قضاء الشافعية ، وكان ذا أخلاق حسنة وصفات سنية ، نبيلاً نبيهاً تقياً فقيهاً ، مواظباً على الإفادة ملازماً للتقوى والعبادة معروفاً بكل اتقان مقصوداً في الفنون العربية كعلم البديع والمعاني والبيان . توفي رحمه الله تعالى في اليوم الثامن عشر من المحرم سنة ثمـــان وسبعين ومائتين والف ، عن نيف وسبعين سنة ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

السيد مرتضى الزبيدي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق ابن عبد الغفار بن تاج الدين بن حسين بن جمال الدين بن ابراهيم ابن علاء الدين بن محمد بن أبي العز بن أبي الفرج بن محمد ابن محمد بن محمد بن علي بن ناصر الدين بن ابراهيم بن القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن عيسى بن علي ابن زين العابدين بن الحسين السبط

الامام الفاضل والهمام الكامل ، قال صاحب عجائب الآثار في ترجمة هذا السيد المعدود من الأخيار ، هو علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالافهام ، الذي جاب في اللغة والحديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج ، المذلل له سبل الكلام الشاهد له الورق والأقلام ، ذو المعرفة والمعروف وهو العلم الموصوف ، العمدة الفهـــامة والرحلة النسابة العلامة ، الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي ، الناظم الناثر .

ولد سنة خمس وأربعين ومائة والف ، كما سمعته من لفظه ورأيته بخطه ، ونشأ ببلاده ، وارتحل في طلب العلم ، وحج مرارا ، واجتمع بالشيخ عبد الله السندي ، والشيخ عمر بن أحمد بن عقيل المكي ، وعبد الله السقاف ، والمسند محمد بن علاء الدين المزجاجي ، وسليمان بن يحيى ، وابن الطيب ، واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة ، وبالشيخ عبد الله ميرغني الطائفي في سنة ثلاث وستين ، ونزل بالطائف بعد ذهابه الى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين ، فقرأ على الشيخ عبد الله في الفقه وكثيراً من مؤلفاته وأجازه ، وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية وألبسه الخرقة وأجازه بمروياته ومسموعاته ، قال وهو الذي شوقني الى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها من المشاهد الكرام ، فاشتاقت نفسي لرؤياها ، وحضرت مع الركب ، وكان الذي كان ، وقرأ عليه طرفاً من الإحيا وأجازه بمروياته ، ثم ورد الى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة والف ، وسكن بخان الصاغة ، وأول من عاشره وأخذ عنه السيد علي المقدمي الحنفي من علماء مصر ، وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم ، وتلقى عنهم وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه ، واعتنى بشأنه اسمعيل كتخدا عزبان وأولاه بره ، حتى راج أمره وترونق حاله ، واشتهر ذكره عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة ، وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه ، وأكرمه شيخ العرب همام ، واسماعيل أبو عبد الله ، وأبو علي وأولاد نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه ، وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة مراراً ، حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها ، وأكرمه الجميع ، واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم .

وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية ، تحتوي على لطائف ومحاورات ومدائح نظما ونثرا ، لو جمعت كانت مجلداً ضخما ، وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بابي الفيض ، وذلك يوم الثلاثا سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة والف ، وذلك برحاب ساداتنا بني الوفا يوم زيارة المولد المعتاد ، ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة .

وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه تاج العروس ، ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية ، وذلك في سنة احدى وثمانين ومائة والف ، وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نظما ونثرا ، فممن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي ، والشيخ أحمد الدردير ، والسيد عبد الرحمن العيدروس ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ حسن الجداوي ، والشيخ أحمد البيلي ، والشيخ عطية الاجهوري ، والشيخ عيسى البراوي ، والشيخ محمد الزيات ، والشيخ محمد عبادة ، والشيخ محمد العوفي ، والشيخ حسن الهواري ، والشيخ أبو الأنوار السادات ، والشيخ علي القناوي ، والشيخ علي خرائط ، والشيخ عبد القادر بن خليل المدني ، والشيخ محمد المكي ، والسيد علي القدمي ، والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا ، والشيخ علي الشاوري ، والشيخ محمد الخربتاوي ، والشيخ عبد الرحمن المقري ، والشيخ محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي ، وهو آخر من قرظ عليه ، وكنت إذ ذاك حاضرا ، وكتبه نظما ارتجالا ، وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة والف وهذا نصه :

شرح الشريف المرتضى القاموسا ... وأضاف ما قد فاته قاموسا
فقدت صحاح الجوهري وغيرها ... سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى ... في سلك جوهرة اللهى تأنيسا

وبنى أساساً فائقاً واختار في اتقانه مختاره تأسيسا
فأثار من مصباح مزهر نوره عين الغبي فأبصرته نفيسا
فهو الفريد فلا يثنى جمعه اذ لا يحاك كمثله تدليسا
فلسان نظمي عاجز عن مدحه فالله ينشر نشره تقديسا
ويديم مولاي الشريف بعصرنا في كل قطر للهداة رئيسا
وإذا توجه لي بلمحة نظرة اني سعيد لا اصير خسيسا
أهدي الصلاة مع السلام لجده هدياً جزيلاً لا يطاق مقيسا
والآل مع صحب وهذا المرتضى ومن ارتضى ومن اصطفاه انيسا

وقد ذكرت بعض التقريظات في تراجم أصحابها ، ومنها تقريظ الشيخ علي الشاوري الفرشوطي ، أذكره لما فيه من تضمن رحلة المترجم إلى فرشوط ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين .

الحمد لله منطق البلغاء بأفصح البيان ، ومودع لسان الفصيح حلاوة التبيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه ما تعاقب الملوان ، وبعد فإن للعلوم شعباً وطرائق ، وهضاباً وشواهق ، يتفرع من كل أصل منه فنون ، ومن كل دوحة فروع وغصون ، وان من أجل العلوم معرفة لغات العرب ، التي تكاد ترقص العقول عند سماعها من الطرب ، وكان ممن كيل له ذلك بالكيل الوافر ، وطلع في سمائها طلوع البدور السوافر ، ومر في ميدانها طلق العنان ، وشهد له بالفصاحة القلم واللسان ، حلية أبناء العصر والأوان ، ونتيجة آخر الزمان ، العدل الثبت الثقة الرضى ، مولانا السيد الشريف المرتضى ، متعنا الله بوجوده ، وأطال عمره بمنه وجوده ، وقد مَنّ الله علينا وشرفنا بقدومه الصعيد ، فكان فيه كالطالع السعيد ، فحصل لنا به غاية الفرح ، وقرت العين به واتسع الصدر وانشرح ، وقد أطلعني على بعض شرحه على قاموس البلاغة فإذا هو شرح حافل ، ولكل معنى كافل ، وقد مدحه جمع من السادة العلماء الأعلام ،

خصوصاً شيخنا وأستاذنا العلامة البطل الهمام ، خاتمة المحققين بالاتفاق ، أوحد الأئمة المجتهدين الحذاق ، استاذنا الشيخ علي الصعيدي العدوي ، وناهيك به من شاهد ، وكل الف لا تعد بواحد ، فهو مؤلف جدير بأن يثنى عليه ، وحقيق بأن تشد الرحال اليه ، كيف وهو صياغة نبراس البلاغة ، وفارس البداعة والبراعة . الذي قلت فيه حين قدم فرشوط بلدتنا :

قد حل في فرشوطنا كل الرضى ... مذ جاءها الحبر النفيس المرتضى
أكرم به من طود فضل شامخ ... من نسل من نرجوهمو يوم القضا
جاد الزمان بمثله فحسبته ... من أجل هذا قد يعود بمن مضى
عجباً لدهر قد يجود بمثله ... ورواؤه قدماً تولى وانقضى
أحيا فنون العلم بعد فنائها ... وأزال غيهبها بتحقيق أضا
لا سيما علم اللغات فانه ... قد شيد الأس الذي منه نضا
أمست به فرشوط تفخر غيرها ... وتبلجت أقطارها حتى الغضا
لما تولى ذاهباً من عندنا ... فكأن في أحشائنا نار الغضا

وقد اجتمع السيد السند العظيم بأمير المنهل العذب الرحيق الذي قصد من كل فج عميق كهف الأنام ، الليث الهمام ، شيخ مشايخ العرب الشيخ همام لا زالت همته هامية ، ودواعيه إلى فعل الخير نامية ، فأحله من التعظيم بمكانه الأقصى ، متأدباً معه بآداب لا تعد ولا تحصى ، وهو جدير بذلك :

فما كل مخضوب البنان بثينة ... ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

أعاد الله علينا من بركاته وصالح دعواته ، في خلواته وجلواته ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

قائل هذا النظم والنثر العبد الفقير ، إلى مولاه الغني القدير ، علي بن صالح بن موسى الشهير بالشاوري جنبه الله شرور نفسه ، وجعل يومه خيراً من أمسه ، والله ولي التوفيق انتهى .

وقال سيدي الجبرتي في ترجمته للمترجم المرقوم وكتب للمرحوم الوالد يسأله الإجازة والتقريظ بقوله .

أمولاي بحر العلم يامن سناؤه يفوق ضياء الشمس في الشرق والغرب
وياوارث النعمان فقهاً وحكمة وزهد أله قد شاع في البعد والقرب
عبيدكم الظمآن قد جاء يرتجي ملاحظة منها يفوز قضا الارب
ويسأل في هذا الكتاب إجازة بتقريظه حتى يفوق على الكتب
حباكم إله العرش منه كرامة وعيشاً هنيئاً في أمان بلا كرب
وقابلكم بالجبر يوم حسابه بحسن وجازاكم بفضل وبالقرب
وينصب في الآفاق أعلام علمه ويقرن بالتوفيق إخلاصه القلبي
وصلى إله العرش ربي على الرضا محمد المبعوث للعجم والعرب
واتبعه بالآل والصحب كلهم نجوم الهدى يحيا بذكرهم قلبي

ولما أنشأ محمد بيك ابو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها ، أنهوا إليه شرح القاموس هذا ، وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها ، ورغبوه في ذلك ، فطلبه وعوضه عنه مائة الف درهم فضة ، ووضعه فيها . ولم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون ، التي أغفلها المتأخرون ، كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث ، واتصال طرائق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين ، وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات واراجيز جمة ، ثم انتقل الى منزل بسويقة اللالا ، تجاه جامع محرم افندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي ، وذلك في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة والف ، وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان ، فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وهادوه ، وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظهم ، ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى ، ويجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب ، فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ، ورغبوا في معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية ، بل وبعض لسان

الكرج ، فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ، ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة ، وكل من قدم عليه يملي عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وهو حديث الرحمة برواتـه ومخرجيه ، ويكتب له سنداً بذلك واجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ، ثم ان بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه اجازة ، فقال لهم لا بد من قراءة أوائل الكتب ، واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس ، فشرعوا في صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيخوني ، واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ مومى الشيخوني إمام المسجد وخازن الكتب ، وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها ، وتناقل في الناس سعي علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ مصطفى الطائي والشيخ سليمان الاكراشي وغيرهم للأخذ عنه ، فازداد شأنه وعظم قدره ، واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرهـا من العامة والأكابر والأعيان ، والتمسوا منه تبيين المعاني ، فانتقل من الرواية إلى الدراية ، وصار درساً عظيما ، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية ، وقد استغنى عنهم هو أيضا ، وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال ، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ، ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك ،فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها فيما سبق في المدرسين المصريين ، وافتتح درساً آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر ، فازدادت شهرته ، واقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته ، لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم . ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة ، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملي ، وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية ، كثلاثيات البخـاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده ، وبناته ونسائه من خلف الستائر ، وبين

أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد ، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ،ويكتب الشيخ تحت ذلك :صحيح ذلك ، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق كما رأيناه في الكتب القديمة .

يقول الحقير اني كنت مشاهداً وحاضراً في غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأماكن أخر كنا نذهب اليها للنزهة مثل غيض المعدية والأزبكية وغير ذلك ، فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها ، وهو كثير بثبوت المسموعات على النسخ ، وفي أوراق كثيرة موجودة الى الآن . وانجذب اليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار ، فسعوا إلى منزله ، وترددوا لحضور مجالس دروسه ، وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال . واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف ، وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة . وحضر عبد الرزاق افندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر ، وسمع به فحضر اليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري ، فكان يذهب اليه بعد فراغه من درس شيخون ، ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية .ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده اليه وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعييناً من كلاره [1] لكفايته من لحم وسمن وارز وحطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالاً من الأنبار ، وانهى إلى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم برتب جزيل بالضربخانة [2] ، وقدره مائة وخمسون نصفاً فضة في كل يوم ، وذلك في سنة احدى وتسعين ومائة والف ، فعظم أمره وانتشر صيته . وطلب إلى الدولة في سنة أربع

---

(١) كلاره : بيت مؤونة (من مخصّصاته) .
(٢) دار ضرب المسكوكات .

وتسعين ، فأجاب ثم امتنع ، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة ، وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق . وطار ذكره في الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق ، وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة ، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة ، وأرسلوا اليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل ، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا ، وكذلك أرسلوا له من طيور الببغا ، والجواري والعبيد والطواشية ، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحيـة المستغرب ذلك عندها ، ويأتيه في مقابلتها اضعافها ، وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكاري والمربيات والعود والعنبر والعطر شاه بالأرطال ، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد ، وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى ، حتى ان أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجاً ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملاً ، فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه ، ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة ، فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده ، فيقول له فلان من بلدة كذا ، فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقاً أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له فلان طيب فيقول نعم سيدي ، ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها ، فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد ان ذلك من باب الكشف الصريح ، فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب ، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئاً مّا ، أو تمراً أو شمعاً على قدر فقره وغناه ، وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة ، فمن ظفر منهم

بقطعة ورقة ولو بمقدار الانملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ، ويرى انه قد قبل حجه ، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم ميعاده ، وقس على ذلك ما لم يقل .

وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء ، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ، ويرغب في طلبه واستنساخه .

وماتت زوجته في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزناً كثيرا ، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية ، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة ، وستوراً وفرشاً وقناديل ،[1] ولازم قبرها أياماً كثيرة ، وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ، ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسون والقهوة والشربات ، واشترى مكاناً بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتاً صغيراً ، وفرشه وأسكن به أمها ، ويبيت به أحيانا ، وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه ، ورثاها هو بقصائد وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة ، على طريقة شعر مجنون ليلى ، منها قوله :

اعاذل من يرزأ كرزئي لا يزل ... كئيباً ويزهد بعده في العواقب
أصابت يد البين المشت شمائلي ... وحاقت نظامي عاديات النوائب
وكنت إذا ما زرت زبدا سحيرة ... اعود إلى رحلي بطين الحقائب
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها ... من الخفرات البيض غير الكواعب
فتاة الندى والجود والحلم والحيا ... ولا يكشف الأخلاق غير التجارب
فديت لهـا ، ما يستذم رداؤها ... عميدة قوم من كرام أطايب
عليهـا سلام الله في كل حالة ... ويصحبه الرضوان فوق المراتب
مدى الدهر ما ناحت حمامة أيكة ... بشجو يثير الحزن من كل نادب

---

(١) اذا كان القبر روضة من رياض الجنة فهل ينقصه الفرش والنور والستور ؟ وان كان غير ذلك فهل تغني هذه عن الميت شيئا ؟

وقوله أيضاً :

يقولون لا تبكي زبيـدة واتئد ... وسل هموم النفس بالذكر والصبر
وتأتي لي الأشجان من كل وجهة ... بمختلف الأحزان بالهم والفكر
وهل لي تسلّ من فراق حبيبـة ... لها الجدث الأعلى بيشكر من مصر
أبى الدمع الا أن يعاهـد أعيني ... بمحجرها والقدر يجري إلى القدر
فاما تروني لا تزال مدامعي ... لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

وقوله أيضاً :

خليلي ما للأنس أضحى مقطعاً ... وما لفؤادي لا يزال مروّعا
أمن غير الدهر المشت وحادث ... ألمّ برحلي أم تذكرت مصرعا
وإلاّ فراق من اليفة مهجتي ... زبيدة ذات الحسن والفضل أجمعا
مضت فمضت عني بها كل لذة ... تقر بها عيناي فانقطعا معا
لقد شربت كأساً سنشرب كلنا ... كما شربت لم يحد عن ذاك مدفعا

وقوله أيضاً :

خليلي هل ذكرى الأحبة نافع ... فقد خانني الصبر الجميل العواقب
وهل لي عود في الحمى أم تراجع ... لوصل بتلك الآنسات الكواعب
لقد رحلت عني الحبيبة غدوة ... وسارت الى بيت بأعلى السباسب[1]
أقول وما يدري أناس غدوا بها ... الى اللحد ماذا أدرجوا في السباسب
فأخرت عنها في المسير وليتني ... تقدمت لا ألوي على حزن نادب

وقوله أيضاً :

زبيدة شدت للرحيل مطيها ... غداة الثلاثا في غلائلها الخضر
وطافت بها الأملاك من كل وجهة ... ودق لها طبل السماء بلا نكر
تميس كما ماست عروس بدلهـا ... وتخطر تيها في البرانس والأزر
سأبكي عليها ما حييت وإن أمت ... ستبكي عظامي والأضالع في القبر
ولست بها مستبقياً فيض عبرة ... ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر !

---

(١) جمع سبسب ، وهي المفازة ، الأرض البعيدة المستوية .

وقوله أيضاً :

نعم الفتاة بهـا فجعت غدية ... وكذاك فعل حوادث الأيام
شدت مطايا البين ثم ترحلت ... وتمايلت أكوارهـا بسلام
رحلت لرحلتها غداة تجملت ... أحلامنا من قاعد وقيـام
ما خلفت من بعدها في أهلها ... غير البكا والحزن والأيتـام
يا لهف نفس حسن أخلاق لها ... جبلت عليه ووصلة الأرحـام
وإطاعة للبعل ثم عنـاية ... صرفت لإطعـام ولين كلام
تلك المكارم فابكها مارنحت ... ريح الصبا سحراً غصون بشام[1]
يا وارداً يوماً على قبر لهـا ... قف ثم راجع من شج بسلام
وقُلَنْ لها قد كنت فيما قد مضى ... تأتي له عند اللقا بمقـام
واليوم مالك قد هجرت فهل لذا ... سبب فقولي يا ابنة الأعلام

وغير ذلك تركته خوفاً من الإطالة ، وفي هذا القدر كفاية في هذا المقام .

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ماجمعه من مال وغيره.

ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام ، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بجذافيرها من كل ناحية ، لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض ، وترك الدروس والاقراء واعتكف بداخل الحريم ، وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة . وأرسل اليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين اردبا[2] من البر ، وأحمالاً من الأرز والسمن والعسل والزيت ، وخمسمائة ريال نقود ، وبقج كساوي أقمشة هندية وجوخاً وغير ذلك ، فردّها ، وكان ذلك في رمضان ، وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما ، وحضرا اليه ، فاحتجب عنهما ولم يخرج اليهما ، ورجعا من غير أن يواجهاه .

---

(١) البَشام : واحدته بشامة ، شجر طيب الرائحة ، وتتخذ عيدانه لإخراج ما دخل من الطعام بين الأسنان .

(٢) الإرْدَبّ : جمه أرداب ، مكيال ضخم في مصر يساوي ٢٤ صاعاً .

ولما حضر حسن باشا على الصورة التي حضر فيها الى مصر ، لم يذهب اليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة قليق به ، وقدم له حصانا معدوداً مرختاً بسرج ، وعباءة قيمتها الف دينار ، أعد ذلك وهيأه قبل زيارته له ، وكانت شفاعته عنده لا ترد ، وإن أرسل اليه إرسالية في شيء تلقاها بالقبول والاجلال ، وقبّل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها على رأسه ونفذ ما فيها في الحال .

وأرسل مرة الى أحمد بك الجزار مكتوباً وذكر له فيه انه المهدي المنتظر ! وسيكون له شأن عظيم ، فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس الى الأماني ، ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مع الاحراز والتمائم ، فكان يسر بذلك الى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزايرجات ، ويعتقد صحته بلا شك ، ومن قدم عليه من جهة مصر وسأله عن المترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته ، وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده ومنع عنه بره ، ولو كان من أهل الفضائل ! واشتهر ذلك عنه عند من عرف ذلك منه بالفراسة ، ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما .

واتفق أن مولاي محمدا سلطان المغرب رحمه الله وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء ، فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر ، فردها ، وتورع عن قبولها وضاعت ، ولم ترجع الى السلطان ، وعلم السلطان من جوابه فأرسل اليه مكتوباً قرأته ، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق ، ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة ، ويقول له انك رددت الصلة التي أرسلناها اليك من بيت مال المسلمين ، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين ، فيكون لنا ولك أجر ذلك ، إلا أنك رددتها وضاعت ، ويلومه أيضاً على

شرحه كتاب الإحياء ويقول له كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك ، ويذكر وجه لومه له في ذلك ، وما قاله العلماء ، وكلاماً مفحما مختصراً مفيداً رحمه الله تعالى .

وللمترجم من المصنفات خلاف شرح القاموس [١] وشرح الإحياء [٢] تأليفات كثيرة ، منها كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الامام أبي حنيفة [٣] رضي الله عنه مما وافق فيه الأئمة الستة ، وهو كتاب نفيس حافل ، رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات ، ثم في العمليات ، على ترتيب كتب الفقه ، والنفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية ، جمع فيه أسانيد العيدروس ، وهي في نحو عشرة كراريس ، والعقد الثمين في طرق الالباس والتلقين ، وحكمة الاشراق الى كتاب الآفاق . وشرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراساً ألفها لعلي افندي درويش ، وألف باسمه أيضاً التفتيش في معنى لفظ درويش ، ورسائل كثيرة جدا ، منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى الى وفا وأبي الوفا ، وبلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب [٤] ، وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام ، وزهر الاكام المنشق عن جيوب الالهام بشرح صيغة سيدي عبد السلام ، ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري ، ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق ، والقول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت ، وقنسيق قلائد المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن ، ولقط اللآلي من الجوهر الغالي ، وهي في أسانيد الأستاذ الحفني ، وكتب له إجازته عليها في سنة سبع وستين ، وذلك سنة قدومه الى مصر ، والنوافح المسكية على الفوائح

---

(١) طبع بمصر سنة ١٣٠٦ .
(٢) طبع بفاس سنة ١٣٠٢ وبمصر سنة ١٣١١ .
(٣) طبع بالاسكندرية سنة ١٢٩٢ .
(٤) طبع في مصر سنة ١٣٢٦ .

الكشكية ، وجزء في حديث نعم الأدام الخل ، وهدية الاخوان في شجرة الدخان ، ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية ، وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي ، وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود ، والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي ، والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ، ورسالة في المناشي والصفين ، وشرح على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس مستقل على لسان القوم ، وشرح على حزب البر للشاذلي [1] وتكملة على شرح حزب البكري للفاكهي من أوله ، فكمله للشيخ أحمد البكري ، ومقامة سماها إسعاف الأشراف ، وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسني المقدسي ، وحديقة الصفا في والدي المصطفى ، وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي ، ورسالة في طبقات الحفاظ ، ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم ، الخ وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب ، صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني ، والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة ، والمنح العلية في الطريقة النقشبندية ، والانتصار لوالدي النبي المختار ، وألفية السند ، ومناقب أصحاب الحديث ، وكشف اللثام عن آداب الإيمان والاسلام ، ورفع الشكوى لعالم السر والنجوى ، وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ، ورفع الكلل عن العلل ، ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي ، وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس ، فأرسل اليه كراريس من أوله حين كان بمصر ، وذلك سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريظاً ففعل ذلك ، وكتب اليه يستجيزه ، فكتب اليه أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج ، وأولها بعد البسملة الحمد لله الذي رفع

---

(١) طبع في مصر سنة ١٣٣٣ . وله : نشوة الارتياح في بيان حقيقة اليسر والفداح . طبع ليدن سنة ١٣٠٣ كما في معجم المطبوعات .

متن العلماء وشرح بالعلم صدورهم ، واعلا لهم سنداً وصحح الحسن من حديثهم فصار موصولاً غير مقطوع ولا متروك أبـــداً ، وحمى قلوبهم عن ضعف اليقين في الدين ، فلم تضطرب ولم تنكر الحق بل صارت لافادته مقصداً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله ائمة الهدى ، وصحبه نجوم الاهتدا ، ما اتصل الحديث وتسلسل ، وسلم من العلل ، والشذوذ سرمدا . وبعد فهذه قلنسوة التاج ، صنعت بافخر ديباج ، بل غنية المحتاج وبل صدى المزاج ، وزهرة الابتهاج والقصر المشيد بالأبراج ، والمصباح المغني عن أبي السراج ، بل الدرع الموصوف بلآلي عوالي غوالي ، أحـاديث موصولة الى صاحب الاسراء والمعراج ، رصعت باسم الكوكب الوضاح المستنير بأضواء مصباح الفلاح ، المتشح باردية أسرار التحقيق والمتزر بلاءة أنوار التوفيق ، المنصف في جدله غير محـاب لقريب والآتي من تقريره بالعجب العجيب ، ذي المناقب التي لا يستوعبها البنان واللسان ، ولا يبلغ اداء شكره ، ولو اطلقت اللسان بالثناء عليه على ممر الزمان ، صاحبنـا الفاضل العلامة الجمال محمد بن بدير الشافعي المقدسي رحمه الله آمين .

ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان سيصير بدراً كاملا

اضاء الله بدر كماله ، وحرس مجده بجلاله ، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود وكتب في آخرها مانصه :

اجزت له ابقاه ربي وحاطه بكل حديث حاز سمعي باتقان

وفقه وتاريخ وشعر رويتـــه وما سمعت أذني وقال لساني

على شرط اصحاب الحديث وضبطهم بريئاً عن التصحيف من غير نكران

كتبت له خطي واسمي محمد وبالمرتضى عرفت والله يرعاني

ولدت بعام ارخوا فك ختمه وبالله توفيقي وبالله تكلاني

وكتب معها جواب كتابه ما نصه : امعاطف اغصـــان النقا تترنح ، ام القلوب بميلانها الى المحبوب تتروح ، ورنات أوتار العيدان بانات أهل

الغرام والشوق ، أم هيجان البلابل بسجوع البلابل وتغريد ذات الطوق ، أم دعوة روح القدس تهتف بميت فيقوم حيا ، أم مقدم عيس حبيب أحيا تدانيه عشاق معاليه وحيا ، ما هـــذه الا صدى تشبيب نسيم بث الشوق واهداء التحيات ، كلا بل نفحات عبهر الثناء وارسال تحف التسليمات الى ممد ماء الحب من ميم مد بحره البسيط ، والفيض للمجتدي من رشحات قاموس بره المحيط ، من نثر لآلىء القول البديع على مفارق مهارق الصباحة والملاحة ، ونشر ملاءة الاحسان على غرة طلعة تاج عروس الفصاحة ، مردي فارس البراعة في الميدان اذا اقتعدها سلهبا [1] سبوحا ، الممطر غارب النجابة والاتقان بجلالة قدر تخضع له من الفلك الاطلس برجا ، هو الذي اذا قال أقال عثار الدهر ، وقـــال تحت افياء ظلال دوحة الفخر ، واذا رقم فصفحة الفلك بالزواهر ، مرقومة ، واذا رسم فجبهة الأسد بايات الحرس مرسومة ، وشاهدي ما شاهدته في كتابـه المنيف الواصل الي ، وخطابه الشريف الوارد علي ، فعين الله على منشىء تلك الفصاحة سلمت من الحصر ، الا وان وردها الحضر أعيا البدو والحضر ، وقد صدر اليه ما أشار على المحب في ختام خطابه ، وعرج عليه هضما لنفسه فلم يك الا كالمسك يتنافس فيه ورّاد جنابه . ولو ان فيوضات العلوم والمعارف من غير حماكم لا تستباح ، وممدات المنح والعوارف من غير حيكم لا تستباح ، ولكن رأى الإطاعة في ذلك مغنما ، وتحقق التباطؤ في مثل ذلك مغرما ، فأشرق افق سعد القبول بمقياسه ، وسعى قلم الاجازة في الخدمة على كراسه ، وعطر بيان أسانيد العوالي فردوس الأسناد بأنفاسه ، وهبت غالية نسائم كمائم اللطائف ، وهبت بارقة غمائم المشارق والمراشف ، وتمايلت أفنان الاتصال برماح علو الاسناد ، وسقى قلم التحرير رياض الاجازة من جريال

---

(١) السلهب من الخيل : الطويل ، وفرس مُسْلَهِبٌ : ماض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهبّ .

الامداد ، فدونكها اجازة خاصة ، على مدارج كالاتك ناصة ، كأنها عروس جليت بالتاج ، وحليت بأفخر ديباج ، ولولا مخافة طول العهد ، والتماس السعد في الحث على انجاز الوعد ، بتنضد تاج الملفقات ، لكانت مفلقات الكلم المتفرقات ، بغيث ذكركم المنسجم مجلدات ، فهي بطاقة تحمل في كل كلمة غريدة بان ، وتنفث السحر في عقد البيان ، فامتط غارب سنامها ، واهتصر ثمرات نظامها ، دمت لذروة المعالي متسنما ، ولأنفاس رياض السعادة متنسما آمين .

أقول : والشيخ محمد بدير المذكور، هو الآن فريد عصره في الديار المقدسة ، يبدي ويعيد ويدرس ويفيد ، بارك الله فيه مدى الأيام ، وامتع بوجوده الأنام آمين .

وللمترجم أشعار كثيرة جوهرية النفثات صحاح ، وعرائس أبيات ذات وجوه صباح ، منها قوله من قصيدة يمدح بها الاستاذ العلامة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا أطال الله بقاه ، ويذكر فيها نسبه الشريف منها :

مدحت أبا الأنوار أبغي بمدحه ... وفور حظوظي من جليل المآرب
نجيباً تسامى في المشارق نوره ... فلاحت بواديه لأهل المغارب
محمد الباني مشيد افتخاره ... بعز المساعي وابتذال المواهب
ربيب العلا المخضل سيب نواله ... سماء الندى المنهل صوب السحائب
كريم السجايا الغر واسطة العلا ... بسيم المحيا الطلق ليس بغاضب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة ... ففات مرام المستمر الموارب
به ازدهت الدنيا بهاء وبهجة ... وزادت جمالاً من جميع الجوانب
مخايله تنبيك عما وراءها ... وأنواره تهديك سبل المطالب
له نسب يعلو بأكرم والد ... تبلج منه عن كريم المناسب

وهي طويلة ذكرها في خاتمة رفع نقاب الخفاء . ومن كلامه في مدح المشار اليه قوله :

زار عن غفلة من الرقباء في دجى الليل طيف حب نائي
يا لها زورة على غير وعد نسخت آيها ظلام النائي
بت منها منعما في سرور ومحا نورها دجى الظلماء
وتجلى إشراقها بوصال مهديا للقلوب كل هناء

ويقول في مديحها :

عمدة ماجد مكنى أبا الأنـــوار رب الفخار نجل الوفاء
أشرف العالمين أصلا وفصلا مفرد العصر نخبة الأصفياء

ويقول فيها :

أشرقت في قلوبنا من سناه نيرات بهية الأضواء
هو روح الإله في كل مجلى هو تاج الجمال للعلياء
هو بدر البدور في كل أوج هو نجم الهدى وشمس الضحاء
هو باب المنى فتحاً ونصراً منه تمت مظاهر النعماء
هو رجائي وعدتي ونصيري واعتمادي في شدتي ورخائي

ومدحه صاحبنا يتيمة الدهر ، وبقية نجباء العصر ، الناظم الناثر السيد اسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب ، بهذه القصيدة الغراء اللامية وهي :

ذاك المحيا وذاك الفاحم الرجل بآ بلبي وتلك الأعين النجل
وبي غزالاً إذا شمس الضحى أفلت أراه شمساً وجنح الليل منسدل
أغن أغيد وضاح الجبين له خد اسيل وطرف كله كحل
نشوان لم يحتسى صرفاً مشعشعة لكنه بالذي في ثغره ثمل
أقام في كبدي الوجد المضرّ به حتى تحلل فيما تسفح المقل
وفي الجوانح أذكى صده حرقاً تكاد من حرها الأحشاء تشتعل
حملت فيه الذي تعي الجبال به وما لقيس بما قاسيته قبل
كم بت فيه وأشواقي تؤرقني ودمع عيني على خدي ينهمل
وعاذل جاء يلحاني فقلت له دعني بمدحي إمام العصر أشتغل

محمد المرتضى الراقي ذرى شرف ... تلوح من دونه الجوزاء والحمل
السيد السند الثبت الموضح ما ... للعجز قد تركت ايضاحه الأول
صدر الشريعة مصباح البرية من ... يضيق عن وصفه التفصيل والجمل
أحيا معالم علم كنت أنشدها ... انا محبوك فاسلم أيها الطلل
وقام في الله للاسلام منتصراً ... وكاد لولاه يصغي الحادث الجلل
أعيا أكف الكرام الحافظين له ... في رقم صالح قول أثره عمل
للخط أولا فللخطي راحته ... فما له عنهما إلا الندى شغل

ومنها :

ضرائب من معال لم يخص بها ... الاه منها سواه حظه العطل
يا ابن الذي قدغدا جبريل خادمه ... وبشرت قومها قدما به الرسل
خذها اليك وإن كانت مقصرة ... حسبي علا انها حبلي بكم تصل
ما قالها في بني العباس شاعرهم ... أستاذ أهل القريض المادح الغزل
لازلت مبلغ مثلي ما يؤمله ... وللمروّع أمناً إن عرا وجل

فأجابه بقوله :

اعقد لآل أم نجوم ثواقب ... أم الروض فيه الورق جاءت تخاطب
والا غروس في ملاء محاسن ... لها الصون عن عين الحواسد حاجب
والانظام من حبيب ممجد ... أخي الفضل من دانت لديه الغوارب

وهي طويلة ، وله أيضاً :

إذا ما هب سلطان المريسي ... وأبدى الجو وجهاً للعبوس
فزعت بمفرد الكافات يأتي ... بجمع حاصل هو كاف كيسي
به أصبحت أرفل في كساء ... به أمسيت في كن نفيس
به تجلى من السمراء كأسي ... إلي على يدي غزلان خيس[1]
فارشف تارة منها وطورا ... من الثغر الشنيب بلا مقيس

---

(١) الخيس : الشجر الملتف واسم موضع .

وله في المعنى :

إذا ضم قطر الجو عنا معاشنا وهبت رياح بالعشية بارده
قصرت على كاف الكتاب مطالعاً ومقتبساً منه فوائد شارده

وله أيضاً :

قد عد قوم في الشتاء لذائذا كافية تكفي لدى الأنواء
كالكيس والكانون والكن الذي يأوى له العاني وكأس طلاء
ثم الكتاب وسادس الكافات من شمس تضيء دنت وكاف كساء
ولدي ان الكيس يجمع كل ما ذكروا من الأفراد والأجزاء

وله في المعنى :

لكاف الكيس فضل مستمر يفوق به على الكافات طرا
إذا ظفرت به كفاك يوماً تسنى سائر الكافات قسرا

وله أيضاً في المعنى :

إذا هب سلطان المريسي [1] غدوة وجلل آفاق السماء سحاب
وضاق لتحصيل الأماني مذاهب فنعم جليس الصالحين كتاب

وله أيضاً :

كاف الكياسة مع كيس اذا اجتمعا يوماً لمرء غلا في العصر سلطانا
بالكيس يصبح مقضياً حوائجه وبالكياسة يولى الكيس احسانا
والكيس منفردا مضن بصاحبه والكيس منفرداً يوليه مجانا

وله في اجازة :

اجزت لمن حوى قصب الفخار وجلى في العلوم فلا مجاري
رواياتي جميعاً عن شيوخ ثقات أهل فضل واختبار
لهم بين الملا صيت ومجد وفخر واعتماد في اشتهار
ومنظومي ومنثوري جميعاً وان لم اك أهلا لاعتبار

---

(١) المَرِيس : المجرّب في الحروب .

وحسن الظن بالاغضا كفيل ورعي العهد مع بعد المزار
فانت المفرد العلم المنادى ومثلك من اصاخ الى اعتذار
ولا تغفل محبك من دعاء بنيل القصد في تلك الديار
ويرجو المرتضى منكم قبولا عسى يعطى الرضى عند القرار
بجاه المصطفى خير البرايا امام المرسلين المستجار
على عليائه أزكى سلام وصحب ما أضت شمس النهار

وله في اسماء أهل الكهف على الخلاف الوارد فيهم :

بتمليخ مكسلمين مشلين بعده دبرنوش مرنوش اشداء الكهف
وخذشادنوشاسادس الصحب ذاكرا كفشططيوش في رواية ذي العرف
نوانس سانينوس مع بطينوشهم مكرطونش تلك الروايات فاستوف
وكشفوطط كندسلططنوس هكذا روينا وارنوش على حسب الخُلف
وبنيونس كشنيطط اربطانس ومرطوكش عند الاجلة في الصحف
وكلبهم قطمير سابع سبعة فخذ وتوسل يا أخا الكرب والرجف (١)

ومن كلامه أيضاً :

توكل على مولاك واخش عقابه وداوم على التقوى وحفظ الجوارح
وقدم من البر الذي تستطيعه ومن عمل يرضاه مولاك صالح
وأقبل على فعل الجميل وبذله الى أهله ما اسطعت غير مكالح
ولا تسمع الأقوال من كل جالب فلا بد من مثن عليك وقادح

ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير وذكره مستطير . وكنت كثيراً ما أجتلي وجه وداده ، وأوقد نار الفكرة بقدح واري زناده ، واستظل بدوحه المريع ، واستمد من بحره السريع ، وأسامره بما يذكرنا عهود الرقمتين ، وأتنزه من صفات فضله وذاته في الربيعين ، كما قيل :

---

(١) التوسل النافع بالايمان الصادق ، والعمل الصالح ، مع الإخلاص في النية لله رب العالمين ، والأبيات الأربعة التي بعدها تكفي وتشفي .

وكانت بالعراق لنا ليـــال سرقناهن من ريب الزمـــان
جعلناهن تاريخ الليـــالي وعنوان المسرة والأمـاني

وبالجملة فانه كان في جمع المعارف صدراً لكل ناد ، حتى قوض الدهر منه رفيع العماد ، وأذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ، كما قيل :

وزهرة الدنيـا وإن أينعت فانها تسقى بمـــاء الزوال

وقد نعاه الفضل والكرم ، وناحت لفراقه حمائم الحرم ؛ وأصيب بالطاعون في شهر شعبـــان ، وذلك انه صلى الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره ، فطعن بعد ما فرغ من الصلاة ، ودخل الى البيت واعتقل لسانه تلك الليلة ، وتوفي يوم الأحد ، فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر ، والامتعة والكتب المكلفة ، ثم أشاعوا موته يوم الاثنين ، فحضر اسماعيل بك طبل الاسماعيلي ، ورضوان كتخدا [1] المجنون وادعى ان المتوفى أقامه وصيا مختارا ، وعثمان بك ناظراً بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون ، يقال له حسين آغا ، فلما حضروا وصحبتهما مصطفى افندي صادق ، أخذوا ما أحبوه وانتقوه من المجلس الخارج ، وخرجوا بجنـــازته وصلوا عليه ، ودفن بقبر أعده لنفسه بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية ، ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم ، لاشتغال الناس بأمر الطاعون ، وبعد الخطة ، ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة ، ومات رضوان كتخدا في أثر ذلك ، واشتغل عثمان بك بالإمارة لموت سيده أيضا ، وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربها متروكاته ، ونقلوا الأشياء الثمينة والنفيسة الى دارهم ، ونسي أمره شهورا ، حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية ، وتزوجت زوجته برجل من الاجناد من أتبـاعهم ،

---

(١) كَتْخُدا : كلمة فارسية : معتمد ، وكيل ، أمين .

فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضي ، خوفاً من ظهور وارث ، وأظهروا ما انتقوه مما انتقوه من الثياب وبعض الأمتعة والكتب والدشتات ، وباعوها بحضرة الجمع ، فبلغت نيفاً ومائة الف نصف فضة ، فأخذ منها بيت المال شيئا ، وأحرز الباقي مع الأول ، وكانت مخلفاته شيئاً كثيراً جدا ، أخبرني المرحوم حسن الحريري وكان من خاصته وممن يسعى في خدمته ومهماته ، انه حضر اليه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته ، فأدخلوه اليه ، فوجده راقداً معتقل اللسان ، وزوجته وأصهاره في كبكبة واجتهاد في إخراج ما في داخل الحبايا والصناديق الى الليوان ، ورأيت كوماً عظيما من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشيمري والفراء ، من غير تفصيل نحو الحملين ، وأشياء في ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها ، قال : ورأيت عدداً كثيراً من ساعات العب الثمينة مبدداً على بساط القاعة ، وهي بغلافات بلادها ، قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ، ففتح عينيه ونظر إلي وأشار كالمستفهم عما هم فيه ، ثم غمض عينيه وذهب في غطوسه ، فقمت عنه ، قال : ورأيت في الفسحة التي أمام القاعة قدراً كثيراً من شمع العسل الكبير والصغير ، والكافوري والمصنوع والخام ، وغير ذلك مما لم أره ولم التفت اليه .

ولم يترك ابنا ولا ابنة ، ولم يرثه أحد من الشعراء ، وكان صفته ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد خط الشيب في أكثرها ، مترفهاً في ملبسه ، ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل طي العمامة ، وبعض أطرافه ظاهر ، وكان لطيف الذات حسن الصفات ، بشوشاً بسوماً ، وقوراً محتشما ، مستحضراً للنوادي والمناسبات ، ذكياً لوذعياً فطناً ألمعيا ، روض فضله نضير ، وماله في سعة الحفظ نظير .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شهر شعبان المعظم سنة خمس ومائتين والف ، ودفن في جانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية في القبر الذي أعده لنفسه هناك كما تقدم [١] جعل الله مثواه قصور الجنان ، وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران ، وعوضه جنة ونعمة وخيراً وأجرا ، وعوض المسلمين عنه خيرا ، وجمعنا جميعاً وإياه في مستقر رحمته آمين .

مريم بنت محمد بن طه العقاد الحلبية الشافعية

ام عمران المقرية المسندة الصالحة الكاملة العالمة العاملة ، مولدها في حلب سنة ست وخمسين ومائة والف . قرأت القرآن العظيم وبعض المقدمات على والدها ، وحفظت متون الفنون الى أن بلغت مرادها ، وكان جل انتفاعها على والدها ، وأجازها جملة من المحدثين والعلماء الكاملين ، منهم العلامة الجينيني وغيره من علماء عصرها . وقد اجتمع بها العلامة محمد خليل افندي المرادي حينما كان في حلب عام الف ومائتين وخمسة ، وأثنى عليها وشهد بعلمها وفضلها ، ولم أقف على تاريخ وفاتها [٢] رحمة الله عليها آمين .

الشيخ مراد بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن الشطي الحنبلي

ولد سنة تسع وثمانين ومائتين والف بدمشق ، ونشأ بها في حجر والده ، وقرأ لديه جملة صالحة من فن الفرائض والحساب وغيره ، وقرأ على الشيخ طاهر بن صالح المغربي ، وعلى الشيخ بدر الدين بن يوسف المغربي ، وحضر مجالس حديثية عند الشيخ بكري بن الشيخ حامد العطار ، واستجاز من غيرهم . وأقبل على تحصيل الفنون وضروب الآداب ، وبرع في فن الهندسة

---

(١) نقل المؤلف معظم هذه الترجمة عن المؤرخ الجبرتي معزواً اليه ما نقله عنه .

(٢) في تاريخ حلب للأستاذ الطباخ أن وفاتها كانت (سنة ١٢٢٠ هـ) .

والخط على اختلاف ضروبه [١] مع صلاح وعفاف وحياء ، وكنت أشاهد منه لطفاً وكمالا ، وأدباً زائداً واحتفالا ، ومحاضرة حسنة (وكمالات مستحسنة) وكان له همة ونظر في معالي الأمور ، وقد جمع مسودة في طبقات الحنابلة المتأخرين ، وجمع منظومات قريبه الأديب الشيخ عبد السلام الشطي في ديوان ، وغير ذلك من مجاميع بديعة . بيد أنه قطع عليه الطريق الأجل ، وناداه عجلا فقـــال أجل ، وذلك في شهر ذي القعدة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بتربة الذهبية من مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

السلطان مصطفى خان بن السلطان عبد الحميد خان

ولد سنة ألف ومائة وثلاث وتسعين ، وجلس على تخت الملك في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين فهابه الكبير والصغير والجليل والحقير ، وحصل الخوف لجميع أهل الاستانة منه ووقع الرعب في قلوب الجميع ، ثم أطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المنابر باسمه ، وتقدم المفتي شيخ الإسلام وقائمقام موسى

---

(١) وتلقى علم الهيئة والربع المجيّب عن الحافظ الشيخ حسين موسى نزيل دمشق ، والجبر والمقابلة عن العلامة الشيخ محمد الطيبي ، ولازم أخيراً العلامة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري ، وانتفع به كثيراً ، كان لهـــذا الأستاذ آمال فيه ، وطالما ذكره بألم وحسرة ، وقد قرأ عليه تيسير الوصول في الحديث ، وأجازه به وبغيره ، وكان عارفاً باللغتين الفارسية والتركية ، وأحسن آثاره مديجات عبد المنعم الأندلسي المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق . وألف رسائل لطيفة منها : « كشف المغيّب ، في العمل بالربع المجيّب » و « تحفة النسّاك في فضائل السواك » و « الفضائل المتقابلة في الجبر والمقابلة » وكان له شعر قليل ، فمنه قوله :

خالق النـــاس بخلق حسن ... ترتقي أسنى المقام الأحسن
واعتبر في حال أهل الزمن ... وانتبه من غمرات الوسن
وتيقن أن زرع الإحن ... موجب حقا لحصد المحن

ا هـ من « أعيان دمشق » في القرن الرابع عشر الهجري للشطي .

باشا إلى الجموع التي كانت مجتمعة في فسحة آت ميدان ، وأخبروهم أن السلطان مصطفى قد وعد بابطال ما كان مهتما به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وبارجاع العوائد القديمة ، فلما سمع الجميع هـذا الحديث تفرقوا ، وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائمقام كوسج موسى باشا والى المفتي شيخ الإسلام عطا الله أفندي ، ولما بلغت هذه الأخبار الصدر الأعظم چلبي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال الروسية كما تقدم ، حزن لذلك وغضب غضباً شديداً هو ومن معه من العساكر ، وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار ، فعقدوا صلحاً مع الروسية ، ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر ، وأرسلوا للعساكر الانكشارية يقولون لهم نحن قادمون لنجدتهم واتمام رغبتهم ليطمئنوا بذلك ، وما دخلوا القسطنطينية الا بعد مشاق ، وأراد البيرقدار مصطفى باشا ارجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى ، وطلب من الصدر الأعظم المساعدة على ذلك ، فأنكر عليه ذلك مبينا سوء عواقب الأمور ، فغضب البيرقدار غضباً شديداً وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناساً يقتلون السلطان سليم ، فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر ، فلم يمهلوه إلى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه إلى الأرض ، فنهض حالاً عليهم كالأسد وصرعهم ، وكان قوياً جداً ، ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات ، ورجعوا به إلى السلطان مصطفى مسرعين وطرحوه ميتاً أمامه ، وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف ، وعمر السلطان سليم ثمان وأربعون سنة ثم أرسل أناساً وأمرهم بخنق أخيه السلطان محمود ، وكان البيرقدار قد هجم بجماعة مسرعين لإنقاذ السلطان سليم فوجدوه قد مات ، فاهتموا بأمر السلطان محمود ، وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لأنه هو الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان ، فأخذت العساكر تطلب السلطان

مصطفى ، وتبحث عن السلطان محمود ، وان السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم بخنجر أصاب يده فهرب ، وصعد على سطوح السرايا ، فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلماً فنزل إلى صحن الدار ، حيث كان البيرقدار ، وعندما نظر إليه البيرقدار فرح فرحاً عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه ، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة ، وأرسل جنداً قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم ، وسلمه زمام الأحكام ، فأخذ يجتهد في أخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليم ، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد ، وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة ، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب ، وانفاذ أوامر السلطان طالباً رأيهم في ذلك ، فصادقوه مذعنين لأمره ، وتعهدوا بالمساعدة في كل ما يؤول لنجاح المملكة ، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين ، وأضمروا له السوء ، وصاروا يطعنون فيه جهاراً ويدعونه بالكافر ، وعلقوا أوراقاً ، ولا زال الأمر في اضطراب إلى أن قتل السلطان مصطفى المترجم باشارة من السلطان محمود ، سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين رحمه الله تعالى . وفي ترجمة السلطان محمود زيادة تفصيل وبيان فليراجع هناك .

الشيخ مصطفى بن احمد حسين بن احمد بن عبد الرزاق الحلبي الولي المستغرق

المجذوب المشهور صاحب الأحوال الغريبة الباهرة ، والكرامات البديعة العالية الظاهرة ، كان كثير الإنشاد ، من أقوال السادة الأمجاد ، ومن

الموشحات الأنيقة ، والمواليا الرقيقة ، وله حافظة قوية ، ونغمات لطيفة ندية ، ما رآه انسان الا وأحبه ، ورام دنوه وقربه ، وكان يرد عليه من الناس مال كثير ، فيدفعه في الحال لمستحقيه من مسكين وفقير ، وكان معتقداً عند الخاص والعام ، وكراماته مشهورة مشهودة للأنام . توفي بعد ألف ومائتين وخمسة في حلب ، ودفن بها رحمه الله تعالى ونفعنا به .

الشيخ مصطفى بن محمد بن ابراهيم بن محمد الطرابلسي الحلبي المولد والمنشأ الحنفي

العالم الفاضل ، والمتقن الكامل ، المولى السيد الشريف ، البليغ الأديب اللطيف ، نخبة البلغاء ، وكعبة طواف الفضلاء والرؤساء . ولد بحلب في شوال سنة ست واربعين ومائة وألف ، ونشأ بكنف والده الشمس محمد نقيب الأشراف ومفتي الحنفيه بحلب ، أحد العلماء والفقهاء المشهورين بعصره ، وقرأ عليه الكثير من الكتب وانتفع به وسمع عليه الكثير وأخذ عنه ، واشتغل على غيره بالأخذ والتحصيل وقرأ عليهم ، كأبي السعادات طه بن مهنا الجبريني وأبي عبد الفتاح محمد بن الحسين وقاسم بن محمد البكرجي ، وأجازه أبو البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي السويدي البغدادي عام دخوله حلب حاجاً سنة سبع وخمسين ومائة وألف ، وأبو عبد الله علاء الدين محمد ابن محمد الطيب الفاسي المالكي نزيل المدينة المنورة ، وسمع منهما الحديث المسلسل بالأولية . وأجازه الشهاب أحمد الملوى المصري وأبو عبد الله محمد بن علي الجمال الحلبي تلميذ والده فبرع وفاق ، وانعقد على فضله الاتفاق ، وحصل له الفضل الذي لا ينكر ، والاتقان الذي لا يجحد بل ينشر ويذكر ، وأقبل على الأدب ومطالعة كتب اللغة والعربية واشتغل بها حتى ضبط الكثير منها وحفظ غالبها ، وجمع كتاباً في اللغة لم ينسج على منواله ،

ولم يسبق إلى مثاله ، جعله أبواباً وفصولاً وتفرغ لجمعه وتحريره عدة سنين ، حتى جاء كتاباً وافياً مفيداً سهل المأخذ كثير الفائدة . وقدم دمشق ودخلها غير مرة ، وسمع من أبي يحيى علاء الدين علي بن صادق الداغستاني ، وسمع الكثير من العلماء واستفاد من فوائدهم ، ثم ارتحل إلى حلب وامتحن لما قامت الأشراف وقوي جانبهم ، وخرج من حلب واستقام مدة في مدينة صيدا وتلك النواحي ، ثم دخل القسطنطينية ، وكان قد مات والده في تلك الأيام [١] واجتمع بعلمائها وأعيانها ، وتقلبت به الأحوال بعد ذلك ، واستقر آخر أمره في بلدته الشهباء إلى أن اخترمته المنية ، سنة نيف وعشر ومائتين وألف ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ الملا مصطفى بن جلال الدين الكلعنبري النقشبندي الخالدي

العالم الفاضل الألمعي ، والحبر الكامل المرشد اللوذعي ، مرشد السالكين ، ومفيد الواصلين ، الخليفة لحضرة المولى الأستاذ ، والحبر البحر الملاذ ، حضرة مولانا خالد فخلفه عنه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، فأفاد بالشريعة والحقيقة حسب المراد ، ولم يزل إلى أن توفي سنة ألف ومائتين و .

الشيخ مصطفى زين الدين الحمصي صاحب معارضات الشيخ هلال

لقد ترجمه الإمام الأديب ، والهمام اللبيب ، محمد خالد أفندي چلبي الحمصي بقوله : أديب فريد ، وشاعر مجيد ، كان رحمه الله أديباً عاقلاً فاضلاً ، فطناً ذكياً ودوداً صالحاً ورعاً تقياً . ولد بحمص وبها نشأ ، ولما

---

(١) كانت وفاة والده محمد أفندي مفتي حلب (سنة ١١٨٤ هـ) كما رأيته في مجموعة لبعض بني الطرابلسي ١ هـ من تاريخ حلب الشهباء للأستاذ الطباخ .

كبر وشب حفظ القرآن وتعلم الخط والحساب ، ثم تعلق على العلوم فأخذ بقسم وافر من كل منها ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب والتواريخ ، وطالع أكثر دواوين الشعراء وأقوال البلغاء ، فحفظ منها في مدة يسيرة ما يعجز عن حفظه غيره في أعوام كثيرة ، وكان مع ذلك قد منح حسن الصوت وجودة الحفظ ، فتعلق على العلوم الموسيقية فبرع بها ، وأحبه أعيان البلدة وأكابرها ، فكان سمير العلماء ونديم الشعراء والبلغاء ، ثم زادت شهرته وبعد صيته وتولع به الخاصة والعامة ، فاعتنقه الشيخ الفاضل والمرشد الكامل ، أبو النصر بن الولي العارف بالله الشيخ عمر اليافي ، صاحب المنظومات الدرية والقدود البهية الموسومة في البكرية ، فنزل عنده منزلة عظيمة ، وحلت عليه أنظاره الكريمة ، ثم رحل مع الشيخ المذكور وتخرج بصحبته ، وصار منشد ذكره وحضرته ، فسافر معه إلى الاستانة العلية ، ونزلا عند عبد الله باشا أحد وزراء الدولة العثمانية ، وذلك في زمن السلطان ساكن الجنان السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ، فحصل لهما الاقبال التام ، ووجهت على الشيخ مصطفى رتبة روس ايبك بواسطة الباشا المذكور ، وانتظمت له الأمور ، وأحبه عبد الله باشا فحبسه عن المسير ، ونال منه الخير الكثير ، ثم سافر معه إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام ، وأقام عنده مدة طويلة بمزيد الانعام ، ورجع بعد ما طاف البلاد المصرية .

فرأى في تلك المدة بدور المنظومات الهلالية [1] طالعة ، وأنوارها

---

(١) نسبة إلى الشاعر الشهير محمد بن هلال بن محمود بن مصطفى بن اسماعيل ملا زاده المعروف بالهلالي . ولد بحماة (سنة ١٢٣٥ هـ) ونشأ بها ، وأخذ العربية والعلوم الدينية عن علمائها ، وتفنن في الأدب وأساليبه ، ونظم الشعر والموشحات ، ونادم الأدباء والظرفاء ، وتوجه إلى دمشق فطاب له المقام ، وعاشر أدباءها ، وأقام بها إلى أن توفي (سنة ١٣١١ هـ) ودفن في مقبرة الدحداح . وترجمته في مقدمة ديوانه المطبوع بحماة (سنة ١٣٣٠ هـ) رحمه الله .

لامعة ، والناس منها بين اعجاب واطراب ، وإطناب واسهاب ، فأخذ في معارضته ، وشمر إلى مبارزته ، ولكن تركه في واد وسلك في واد آخر ، وعن تلك الخطـــة رجع وتقهقر ، وعدل عن التغزل في الحور والبدور ، إلى وصف الموائد والقدور ، إلى غير ذلك مما ستقف على معانيه ، وتتأمل رصانة مبانيه ، من المنظومات الفائقة ، والأدوار الرائقة ، والكلام الذي فاق بسلاسته وعذوبته كل كلام في هذا الباب ، وأعجز فحول الشعراء عن مضاهاته وحير منهم الألباب ، حتى قال قائلهم ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا لشيء عجاب ! ومن ثمة أوغر عليه صدر الهلالي حنقاً ، وازداد تضجراً وقلقاً ، تأسفاً على اهمال نظمه الذي فاق الدر المنثور ، ونبذه خلف الظهور ، وتولع الناس بما يعارضه به الشيخ المذكور ، على أن الشيخ مصطفى لم يكن مقصوراً على النظم في المآكل ، إنما كان يأتي بذلك على سبيل التفكه والمداعبة . وكان له نظم جيد رقيق ، والذي يدعوه أيضاً لسلوك هذه الخطط وافتفاء تلك الرسوم ، كثرة ولعه في حب المآكل واللحوم ، فانه كان رحمه الله اكولا عظيما ، وقد قيل من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وسوف نأتي على نبذ من مهمات أمره ، مع ما فيه ، فانه كان رحمه الله مسامراً نديماً حافظاً ، إذا جالسك يملأك نكات وأخبارا ، وملحاً واثارا [١] .

توفي رحمه الله عام ألف وثلاثمائة وتسعة عشر اثر نزلة صدرية ، لم تنجع فيها حيل المطببين ، وله من العمر ما ينوف على السبعين ، وكانت موتته على هيئة تشعر بحسن الختام ، والفوز بدار السلام ، وذلك حيث كان رحمه الله رحمة واسعة في نهاية مرضه وقد أصبح يوم الجمعة ، حتى إذا كان قبيل الصلاة رأى في نفسه خفة وراحة فطلب ماء ليتوضأ معولاً على

---

(١) جمعت معارضاته للهلالي في كتاب « تذكرة الغافل عن استحضار المآكل » وهو مطبوع .

النزول إلى الجامع ، وكان قريباً لبيته ، ولما أتي له بالماء توضأ محسناً للوضوء ، وحيث أتم أمر بفرش مصلاه ، وشرع في صلاة سنة الجمعة قبل المسير ، فقبض قبل التشهد في السجود الأخير ، ودفن في عصر ذلك اليوم ، وكان له مشهد عظيم مشى في جنازته أكابر البلدة وأعيانها . وقد أرخ موته العلامة المحقق والحبر المدقق ، نخبة الفضلاء الكرام وعمدة العلماء الأعلام ، اتامي زاده السيد خالد أفندي مفتي حمص الأسبق ، قائلاً ـ وقد رقم على القبر :

هـــذا الضريح لمصطفى مداح خير المرسلين
من لابن زين الدين يعـــــزى نسبة في العالمين
لبى المهيمن ساجداً لمـــا رأى عين اليقين
العفو أرخ واقر ولنعم دار المتقين

ومن نظمه البديع الرقيق مطرزا باسم رفيق :

رماني بسهم من لحاظ فواتك غزال له دانت أسود المعارك
فما البدر يحكيه ولا الغصن إن بدا أو اختال في ثوب البها في مسالك
يلذ لي التعذيب في حب من غدا وأصبح من دون البرية مالكي
قليت الكرى لما شواني بحبه أراقب زهر الليل ضمن الحيالك

ومن كلام الشيخ هلال موشح لازمه

بالله يا باهي الشيم رفقـــاً بولهان
ما شاقه ذكر العلم لولاك والبان
أظهرت سري المكتتم ما بين دمعي والسقم
في لوحه خط القلم ان الهوى حكم حكم

دور

بدر منير أم ملك أم أنت إنسان
ما خاب راج امّ لك بالقرب احسان

كم من جهول امّ لك نال الشقا مع من هلك
سبحان من قد كملك في كل حسن تم لك

دور

أهوى الجمال المطلقا أيان ما كان
اذ مذهبي ان اعشقا حورا وولدان
أدهشتني عند اللقا يا بدر حسن مشرقا
يدري بذا من حققا ان الفنا عين البقا

دور

وا لوعتي من علما غزلان نعمان
عن حبهم منع اللمى ظلماً وعدوان
يا تاركين المغرما في حبهم يبكي دما
سكران من حر الظما يبغي السراب الأوهما

دور

سكرى لدى محو الأثر للدن أدنان
حيث المعاني والصور راح وريحان
كالشمس في روض القمر تجري لأبهى مستقر
طور على طور انجبر من لن تراني قد ظهر

وقال المترجم في معارضته

بالله يا شاوي اللحم قدم لجوعان
ما همه غير اللقم يملي لجسمان
أحييتني بعد العدم خاروف محشي محترم
ويا صديرا قد ألم كنافة تبري السقم

دور

رز دفين مأكلك أم لحم خرفان
ما جاع بطن لذّ لك بطول أزمان
سبحان من قد دعبلك يا ضلع محشي يا ملك
ما أسمنك ما أسمنك ما أدهنك ما أدهنك

دور

أكل المحاشي مطلقا شفاء أبدان
اذ مذهبي ان أشرقا سمناً وأدهان
قد هاش بطني مذلقا قطايفاً وقيمقا
بالله كسر فستقا واحشي بها المفرقا

دور

ما آن أحظى بالكما بالله ما آن
عليّ بها أن أصدما مع لحمة الضان
لا سيما لا سيما رز لديه قدما
والسمن فيها عوما فابلع وكبر لقما

دور

قلبي على كشك الفقر لا زال ولهان
اذ تحته ذاك الزفر من كل ألوان
فاصرف أخي للنظر عن غير أكل مفتخر
ما اللفت عندي والجزر الا غذاء للبقر

ومن كلام الشيخ هلال من الموشح

قلبي كووا عزا حووا وعلى العرش من الحسن استووا

دور

دار من تهوى ودع في كل دار مدّع في الحب جهلا غير دار

فالهوى كأس على العشاق دار فيه من فازوا وفيه من هووا

دور

ليت شعري من لقلبي أمرضوا هم إلى الآن غضاب ام رضوا
غرضي هم أعرضوا أم أغرضوا بالتجني أم على قتلي نووا

دور

آه من نار جفاهم والصدود بعد جنات وفاهم بالعهود
يا ترى عيشي بهم يوماً يعود بعد ما أغصانه الخضر زووا

وقال المترجم معارضاً له

لما شووا خبزاً طووا بيضاً قلوا وعلى السمن القباوات استووا

دور

مذ رآني شيخنا المغشي جار راح للحشي وبالكوسى استجار
أيها القطر انعقد مذ أنت جار لصدور للكنافات حووا

دور

أيها الاخوان للأكل انهضوا وذروا الجوع وعنه أعرضوا
وعلى الخاروف بالكف اقبضوا بأصابيع على الصحن هووا

دور

لحمة الضان شفاء للكبود ليس كالملغوف نفاخ الجلود
وكذا البيرق الزاكي الجدود من كرام الكرم عنه قد رووا

وللشيخ هلال موشح صبا

بدت لنا في طالع الاسعاد يمحو سناها الليل
شمس على غصن رطيب نادي تزهو بحر الذيل
أخا الأشجان دع الأحزان
وساقينا لنا قد آن منه الوفا بالكيل
ويا أغصان على كثبان أجيبوا داعي الألحان بالميل كل الميل

دور

لم أنس مسراها بلا ميعادي في غفلة الحراس
وقولهـا برقّة الانشاد بشراك زال الباس
عبير فاح هزار صـاح ونادى قم بنا يا صاح للأنس والإينـاس
ونجم لاح بشمس الراح وقد أهدت لنا الأفراح وللعـذول الويل

دور

ريح الصبا من حي ذاك الوادي زر ، ربّة الأستار
بنت الخبا ذات الجمال البادي فضاحة الأقمـار
فلو يا خال نظرت الخال وشعرا مد للخلخال
سلاسل الأقـدار ودرا حال بثغر حال فتاة طرفها بالحال
تردي غزاة الخيـل

وللمترجم معارضاً له

الجسم لا يقوى بغير الزاد ولا يشد الحيـل
ولحمة الخاروف لحم نادي والدهن منـه سيل
انا الزحان بالأسنان لكل الأكل يا اخوان للجوع مالي ميل
ولي مصران في جسمان دواما لم يزل ملآن في يومـه والليل

دور

خاروفنا المحشي عن الاكباد حقاً يزيل الباس
وقرعنا اليقطين ذو الامداد طابت به الأنفاس
ودهن ساح بلحم راح يقيت الجسم والأرواح
بالرز والقلقـاس وعطر فاح بالتفاح
وكفي لم يزل مساح للتمر عندي كيل

دور

باليبرق عج طيب الأجداد ان منك جوع ثار

وشيخنا المغشي مُرَوِّي الصادي من سمنه المدرار
اذا ما انسال كسيل سال رحيق منه كالسلسال
تجلى بـــه الأكدار ورز غال بسمن عال
عليه اللحم لما انهال يحكي ظلام الليل

وللشيخ هلال رحمه الله موشح

روح صب ولهان حور بين الولدان
والشادي يدعو الساقي يا سلطان الندمان
لاحت من خلف الأستار شمس تزري بالأقمار
لوحلت شهب الازرار عن صدرها النوراني
ما هند لكن حسنى ذات الأوصاف الحسنى
ما اسنى منها الحُسنى مقرونا بالاحسان

دور

قلت رفقاً بالمهجات قالت عن عجب هيهات
كم من جنات الوجنات أكباد في النيران

دور

من لي بالظبي الاغيد ذي القد الزاهي الاملد
ما أحلاه بعد الصد إذ حياني أحياني

دور

وحد مولى قد ولاّه قلباً لم يبرح يهواه
بدر عوزت مجلاه بسم الله الرحمن

وللمترجم رحمه الله معارضاً له :

من لحم الزاهي الضان قدم محشيّ الخرفان
وادر لي يا ساقي كأساً من الأدهان

دور

جاءتنا من بيت النار كبة تجلو الأكدار
والسمن منهـــا مدرار يطفو فوق الصواني

دور

ما لذِي الجوع المضنى غير ذي الدهن الاسنى
شيخنا المغشي يعنى في أول الألوان

دور

قلبي لتلك الفتات كم به قامت حسرات
فابعدوا صحن الكرات يا صحبي عن أعياني

دور

من لي وافى بعد الصد اليبرق الزاكي الجد
منه أكلي بلا عد لا يكفيني الألفان

دور

جل مولى قد أعطاه طولاً في أصل مبناه
قرع لو يحشى ناداه كفى اسرع القاني

وللشيخ هلال موشح :

ما أسعد الصبحية بالطلعة البدرية
والشمس منها تجري كواكب درية

دور

عن ذي الجمال السامي لم تلمني لوامي
لا والعِذار اللامي والطرة السنية

دور

من لي به من اغيد ريم يصيد الأصيد
حلو التثني مفرد ذو قامة خطية

دور

وافى مدير الخمر والخدالزاهي الزهري
فانهض لشم العطر من وردة جورية

دور

إن لم تعدني عدني فالشوق داء مضني
يا يوسفي الحسن أحزاني يعقوبية

دور

للحان والألحان والراح والريحان
هي اخا الأشجان نسكر مع الجمعية

دور

إن كنت بالأفراح ماحي دجى الأتراح
فاشرب عجوز الراح من راحة الصبية

وقال المترجم من الموشح معارضاً :

عقولنـــا مسبية بالكبة الصينية
والسمن منها يجري سجائب سخية

دور

شوقي نمـــا للبامي إذ غاصت بالألحام
والدهن منها طامي مشارب هنية

دور

سبحان من قد أوجد يبرقنا الزاكي الجد
على نعماه يحمد بكرة وعشية

دور

بصماء ضمن الصدر قد كللت بالقطر
حمرا سناها يزري بالأنجم الزرية

دور

قـــد لذ لي بالجبن قطائف لو تدني
عليها أمسى بطني ذا نعمة شجيه

دور

لموسم الخرفان ما زات كالولهان
نعم به تلقاني ذا همـة عليه

دور

ادر لي كاس الراح من دهنه السياح
فقد نفت أتراحي نفحاته العطريه

وللشيخ هلال موشح

بادر فنور الراح في الأقداح قد لاح كالارواح بالأشباح

دور

فهي المداما كم برت أسقاما كفوا الملاما معشر النصاح

دور

فاشرب زلالا لا تخف ازلالا والكأس لالاسقط زند الراح

دور

كانت وجرمي قبل خلق الكرم بالشهب ترمي مـارد الأتراح

دور

يسعى بها من للبرايا افتن ان ماس يطعن طعنة الارماح

وقال المترجم

ادر كؤوس القطر بالأقداح فالصدر وافى وانجلت اتراحي

دور

بصبا اذا ما القطر فيهـــا عاما فلا ملاما شربه كالراح

جبن تلالا في حشاها جالا والسمن سالا منعش الأرواح

دور

لو كان قسمي صدرها بل رسمي لكان جسمي يزهو كالمصباح

دور

حيا وقد رن والحشا له حن ما السلوى ما المن كسمنه الفواح

وللشيخ هلال موشح :

نبه الندمان صاح ان داعي الأنس صاح
حيث من أيدي الملاح لاح نور الكاس لاح
سيما والغيم يسجم دمعه فوق البطاح
ورياض الزهر يبسم عن ثغور من أقاح

دور

كوكب الحسن أدارا في الدجى شمس النهار
طور خديه انارا منه لي نور ونار

دور

يا كليم العشق كلم عاذلي ما العشق عار
فالهوى العذري يعلم اهله خلع العذار

وقال المترجم :

قدم الخرفان ناحي ان داعي البطن ناح
حيث من لحم الاضاحي راح هم الجوع راح

دور

سيما والدهن يصدم شربه يشفي الجراح
وكاج الخاص يؤدم مع قبوات ملاح

دور

منسف الرز انارا بسناه الاعتكار
وعليه السمن دارا فانتشق شم البهار

دور

وعلى المحشي فدمدم صاح واخلع للعذار
والى الكبة قـــدم قد سبتنا باحمرار

وللهلالي مهنئاً بقدوم والي سوريا أحمد جودت باشا :

صادح الأفراح بالافصاح صاح اذ محا الظلماء مصباح الصباح
ولأرباب التهـاني والصفا فتح الفتاح أبواب النجـــاح
بقدوم النير الاعلا الذي منه سورية حياهـــا الفلاح
وحماة الشام أضحت تنجلي كعروس ذات عقد ووشاح
بوزير الوزراء المجتبى آصف الهمـــة الشاكي السلاح
احمد الشان العظيم الجد في جودة الكف لمن منه استماح
لسن من كأس لفظ مسكر بمعان هي للأرواح راح
علم العـــلم بصيت صوته ما على الصابي اليه من جناح
ببديع وبيان في صفا خمرة قد مزج السحر المباح
فهلموا يا ذوي الحزم فقـــد جاء أمر الجد وانزاح المزاح
ولسان البشر نادى أرخوا في حماة الشام بدر الحق لاح

وقال المترجم :

ساح دهن اللحم فوق النار ساح أي راح أي عطر حين فاح
وعن القوم المعازيم الأولى أولموا قد راح هم الجوع راح
بقدوم الكبش ذو القرنين من لفساد البطن لقيـــاه صلاح
وبه السفرة صاحي أسفرت اذ من الالية لاح النور لاح
بعظـــيم بارك كالزق في جوفـــه رز ولحم مستباح

احمر الاجناب اذ بالسمن جا روا عليه لا ولم يخشوا جناح
كلما الأيدى أزالت قطعة فج منها نشأة تبري الرياح
ليت شعري من بهارات ذكت تلك أو من حيث مرعاه الشياح
نشأتي من كأس دهن منه لي قد سلا الساقي ولا من كاس راح
لو بأكلي أمزج القطعة من لية مع هبرة هلا مباح
لو رآه صاحب التقشيف و الزهد قال اليوم عنه لا براح

وللشيخ هلال :

ربح المتاجر لاكتساب معالي حسن الثناء على جميل خصال
للفضل اهل لا يقوم بغيرهم بيت سوى اهليه فيه خالي
يا خاطب العلياء جد فانها حسناء ذات تمنع ودلال
فمن الورى ما هم حلا للمجد من شنف ومن عقد ومن خلخال
ما الليث الا من حمى الغابات لا من يحتمي بعرينة ودحال
عقد به الخود المليحة جيدها حال وعقد بالمليحة حالي
بشرى لمحكمة التجارة والهنا ء لها بصارم عضبها الفصال

إلى آخر القصيدة كما هي مذكورة في ديوانه رحمه الله .

وللمترجم رحمه الله :

أكل المحاشي صنعتي وفعالي والرز لي فيه وسيع مجال
للأكل أهل لا يجاوز غيرهم أيديهم فيه كما الفصال
يا طابخ الضلع السمين أما ترى جوعي ومخمصتي وسيئة حالي
أنعم به ولك الثواب فانه لا شك يكفيني أنا وعيالي
ما العشق الا أن تهيم بكبة حمراء تهدا لا بذات حجال
والليث من صدم الموائد بل جثا متربعاً لا مبتغي لنزال
والقرن من بالكف يقبض رقبة الخاروف لا من يردي للأقيال

دعني ومن ألحان شاد مطرب طربي بوصف الأكل والأشكال
والعود ان تضرب به فيسؤني وعلى الطناجر ان نقرت حلالي
ما رنة القانون ابغي انما ابغي لرنة صدرنا المتلالي
وكذاك قعقعة المعالق فوقه وكذا الصحون بصنعة الاكال
وتلذذي بتعدد الألوان مع سلطاتها وكذلك الابقال
وتغزلي بسوى الكنافة لم يكن لا بالصبي وربة الخلخال

الشيخ مصطفى زين الدين ابو البركات بن محمد بن رحمة الله ابن عبد المحسن بن جمال الدين الأيوبي الأنصاري نسبة إلى سيدنا ابي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

هو الفاضل الإمام ، والحبر الهمام ، فقيه العصر ، ويتيمة الدهر ، عقد تاج الأفاضل والكمالات ، ومن بنى فوق ذرى المجد غرفات ، الإمام العلامة ، والمدقق الفهامة ، العابد الصالح والفالح الناجح ، الحنفي الدمشقي الشهير بالرحمتي .

ولد بدمشق ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من محرم الحرام سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ونشأ في حجر والده ، وقرأ عليه وعلى فقيه عصره العلامة الشيخ صالح بن الشيخ ابراهيم الجينيني والعلامة الشيخ محمد التدمري وفريد الدهر محمد أفندي فولقسز وأجازه سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي وسيدي السيد مصطفى البكري الصديقي والشيخ محمد الغزي والشهاب أحمد المنيني والشيخ علي كزبر والشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي والشيخ عبد الله البصروي الدمشقي وغيرهم من مشاهير العلماء الأعلام ، وأفاضل السادات الكرام ، فطلب وانتفع وأقرأ ونفع ، وقدم لنفسه صالح العمل ، وكان بالله حسن الأمل ، كثير الذكر والعبادة ، شديد الإقبال على الله . يألف الزهادة ، وقرأ حديث الأولية

وأوائل الكتب الستة على العالم العلامة السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد عقيل السقاف باعلوي ، سبط العلامة عبد الله بن سالم البصري المكي ، وكذلك على الشيخ عبد الرحمن الفتني والشيخ محمد بن الطيب المغربي والشيخ عبد الله السويدي . ورحل إلى مصر وأخـــذ عن علمائها منهم الشهاب الشيخ أحمد الملوي والشيخ حسن المدابغي والشيخ محمد بن سالم الحفني والشيخ محمد الدفري ، وقد كان في جانب عظيم من الورع والرضى بالقليل وتهذيب النفس ، وصار علم الشام وفقيهها ، وانتفع به الخلق الكثير من أهلها . وكانت ترفع له الأسئلة فيجيب عنها نثراً ونظماً ، وكان مولعاً بحب النبي ﷺ حتى ذهب بعياله من دمشق مع القافلة وجاور في المدينة المنورة سنة سبع وثمانين ومائة وألف ، وكانت شهرته في قطر الحجاز بالقطب الشامي ، وانتفع به أهل تلك البـلاد ، وأجاز لأهل عصره ومن أدرك جزأ من حياته بجميع مروياته ، كما كتبه في إجازته للسيد محمد كمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المسطرة بخطه ، سنة ألف ومائتين وسنة واحدة ، ومن قوله حين إجازته للسيد محمد شاكر العقاد :

ولست بأهل ان أجاز وانما تعديت طوري والحجا غير عاذري
وجاريت دهراً لا مردّ لحكمه قضى بارتقاء الدون مرقى الأكابر

ولقد ترجمه صاحب اللآلىء الثمينة فقال : علامة زخرت بحار علومه ، وفهامة غزرت أنهار فهومه ، فَأزْهَارُ رياض علومه اخجلت شقائق النعمان ، وجعبة أفـكاره ملئت من درر فقه النعمان ، له فيه اليد البيضاء ، والراية الخضراء ، برع يجد ساد فيه ، وشاد قصور مغاني معانيه ، وجلس في مجلس الإفادة والتدريس ، وأبدع بكل تحرير نفيس ، ولعمري انه الجهبذ الذي لديه من المسائل كل ما ند على غيره أوفرّ ، وعنده من سائر العلوم حظ أوفر ، والفاضل الذي لسان الثناء عنه كليل ، وكثير المديح فيه قليل ، فمن نظمه الذي هو لمقدمات البيان نتيجة ، ولوجوه الاحسان غرر بهيجة ، قوله :

وقالوا سموم في المدينة محرق ... فقلت سموٌ بالمكارم مغدق
وقالوا بها حُمىً تذيب لحومنا ... فقلت حِمىً عنا الجحيم تغلق
تذب لظى عنا وتكشف بأسنا ... مُحَبَّبَةً منا من الأم أشفق
وقالوا بها اللأوا فقلت هي الألى ... بصبر عليها بالشفاعة نطلق
وان ضاقت الأحوال أو زاد سعرها ... فأنا لفي فضل الإله لأوثق
فندّان ، والله المهيمن كافل ... ونصبر والمولى يمن ويرزق
وان أشكلت فينا أمور عظيمة ... فأنوار طه بالمواهب تشرق
فلا عجب تشتاقه النوق في الفلا ... تمد له أعناقها وهي تخفق
حبيب إله العرش موصل جوده ... وقاسم فيض الله إذ هو يطلق
فهل يشتكي ضيما منيخ ركابه ... بساحة بحر بالعطايا يدفق
عليه صلاة الله في كل لمحة ... وآل كرام أصلهم عنه ينطق
كذاك حماة الدين أصحابه ومن ... لآثارهم يقفو من الله يفرق

وله اذ ختم كتاب الشفاء ، عند باب الوفود بروضة سيد الشفعاء :

كتاب جامع أشتات علم ... بأوصاف النبي هو الشفاء
فكم نور بدا منه فجلى ... ظلام الجهل وانكشف الغطاء
أفاض عياض فيه بحر فضل ... على ظمأ القلوب فزال داء
وكم يتلو علينا فيه آياً ... بنور ضيائها ملىء الفضاء
وكم أثر رواه لنا مبينا ... مناقب من سما وله ارتقاء
عليه صلاة ربي مع صلاة ... وتسليم به زاد العلاء
وجاد على عياض من نداه ... بوفر العفو يتلوه الرضاء
وعم بلطفه عبداً ضعيفاً ... بأبواب الوفود له التجاء
مع الأحباب والأصحاب طراً ... وقادهم إلى الحسنى ففازوا

وكانت وفاته بعد العصر في خامس ذي الحجة الحرام سنة خمس ومائتين وألف ، ودفن بمنزلة يقال لها السيل ، فانه ذهب إلى الطائف لزيارة سيدنا

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، ثم قصد الحج الشريف فأدركته المنية في الطريق ، ودفن هناك رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحي الدمشقي الحنفي الصالحي

العالم الأديب ، والشاعر اللبيب : ولد في صالحية دمشق وتعلم حتى برع في العلوم منطوقها والمفهوم . ومات رحمه الله في ثالث ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة قاسيون .

الشيخ مصطفى بن محمود بن معروف بن عبد الله ابن مصطفى الدمشقي الحنبلي

المعروف بابن شطي [١] الصالح الورع الزاهد العابد ، أحد علماء دمشق الشام وعظمائها السادة الأعلام . ولد بدمشق سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف

---

(١) البغدادي الأصل الحنبلي الدمشقي ، كان والده الحاج محمود جلبي قدم دمشق من بغداد ، مع أخويه الحاج عمر جلبي والحاج خضر جلبي تجاراً ، في نحو (سنة ١١٨٠ هـ) فنزلوا في ديارهم المعروفة بهم قرب المدرسة الباذرئية ، وجعلوا تجارتهم في خان أسعد باشا في سوق البزورية ، — وبعد أن نقل الأستاذ محمد جميل الشطي في روض البشر ، خلاصة ترجمته بقلم حفيده الشيخ عبد السلام الشطي — ذيلها بقوله : ثم عكف المترجم على العبادة والتلاوة ، مشتغلاً بالتجارة مع أخويه المذكورين ، بورع تام واحسان عام ، فاشتهر أمرهم وارتفع ذكرهم ، وامتدحوا بالدائح الغراء ، منها قصيدة بديعة مذيلة بنثر لطيف ، بعث بها العلامة الشيخ محمد السيري المقدسي ، إلى المترجم وأخيه ، وقد نقل ذلك العم محمد مراد أفندي في كشكوله ، قال السيري :

سقى الله وادي الشام ذا الرفع والهبط بواكر غيث بين عال ومنحـــط

وهي قصيدة طويلة ، وصف فيها الشام وأهلها وصفاً جميلاً صادقاً ، خلص منه الى الثناء البالغ على فضل الأخوين من آل القطي وكرمهما ، وأعقبها بنثر لطيف يماثل النظم ، وصفاً ومديحاً .

ونشأ بها وأخـــذ الفقه عن العلامة الشيخ مصطفى السيوطي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ، وأخذ الحديث الشريف عن العلامة الشمس الشيخ محمد الكزبري ، والعلامة الشهاب أحمد العطار ، والعلوم العربية عن العلامة عبد القادر الميداني ، والعلامة السيد محمد شاكر العقاد الشهير بمقدم سعد . مات رحمه الله ليلة الجمعة غرة رجب الحرام سنة تسع وستين ومائتين وألف ، ودفن بسفح قاسيون قرب مغارة الجوعية .

الشيخ مصطفى الكردي الشافعي الدمشقي

الشيخ العالم الفاضل النبيه الورع الزاهد العفيف المتيقظ . ولد بدمشق سنة احدى وسبعين ومائة وألف ، وأكب على العلوم وأخذ عن العلماء ذوي القدر المعلوم ، ومن جملة من أخذ عنه وانتفع به غاية النفع والدي المرحوم وغيره من العلمـــاء الأفاضل ، والفضلاء الأكامل ، مات بدمشق سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ مصطفى بن عبد الجليل بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد شمس الدين بن تقي الدين بن أبي بكر بن عبد الهادي الدمشقي الحنفي العمري

نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولد المترجم في دمشق ومنذ نشأ لاحت عليه لوائح الأحوال ، إلى أن صار يعد من الابدال[1] ، وكان لا يخبر بخبر الا ووقع كما أفاد وأخبر ، وكان لا يتقيد بالأحوال الظاهرية ، وكان له في بعض الأيام تطورات قوية ، ويتكلم بكثير من

(١) ذيّلنا من قبل على مثل هـــذا الكلام ، وفسّرنا لفظ (الأبدال والأوتاد : (ج ٢ ص ٩٢٩) .

الكلام لا يعلم له مرام ، مات غرة ذي الحجة سنة خمس وستين ومائتين وألف ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي المعروف بالسيوطي

مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، أوحد الفضلاء الأعلام ، ولد في بلدة أسيوط من بلاد مصر في ربيع الأنور سنة أربع وستين ومائة وألف ، ونشأ بها ، ثم قدم دمشق بعد المائتين ، واستوطنها واشتغل بها في العلم والطلب ، وحاز على المرام والأرب ، وأخذ عن جملة من أفاضلها الكرام وعلمائها الأعلام ، وأخذ عن جملة من المصريين والمكيين ، والروميين ، والعراقيين ، وله من التأليفات كتب عديدة ، ورسائل في الحسن والاتقان فريدة ، منها شرح « كتاب الغاية [1] » بخمس مجلدات ، أتى فيه بالعجب

---

(١) هو « غاية المنتهى ، في الجمع بين الإقناع والمنتهى » تأليف الفقيه العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي المتوفى (سنة ١٠٣٣ هـ) وقد قال العلامة الشيخ محمد ابن أحمد السفّاريني المتوفى (سنة ١١٨٨ هـ) : « وعليك بما في الكتابين الإقناع والمنتهى ، فاذا اختلفا ، فانظر ما يرجحه صاحب الغاية ، وقد طبع كتاب « الغاية » في مطبعة دار السلام بدمشق الشام (سنة ١٣٧٧ هـ) في ثلاثة أجزاء ، على نفقة الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن قاسم الثاني ، حاكم قطر ، فالجزء الأول بتحقيق وتعليق الأستاذين محمد جميل الشطي ومحمد زهير الشاويش ، وأما الثاني والثالث ، فبتصحيح الأستاذ زهير فقط ، لانشغال الأستاذ الشطي (رحمه الله تعالى) وفي طليعة (ج ١) مقدمة بقلم صديقنا العلامة الجليل الشيخ محمد بن مانع ، ومقدمة الطبع للأستاذين الشطي والشاويش ، وتراجم الثلاثة مؤلفي الغاية ، والإقناع ، والمنتهى ، منقولة من « مختصر طبقات الحنابلة » للشيخ محمد جميل الشطي ، ثم ترجمة جدّه الأعلى الشيخ حسن الشطي المتوفى (سنة ١٢٧٤ هـ) لأن الكتاب مذيل بمختصر حاشية العلامة الشيخ حسن ، على كتاب الغاية وشرحه للشيخ مصطفى السيوطي (صاحب هذه الترجمة) . وقد كانت وفاة صديقنا الشيخ محمد جميل في المحرم من (سنة ١٣٧٩ هـ) ودفن في مقبرة الدحداح ، وقد ترجم نفسه في آخر كتابه « روض البشر » اقتداء بمن سبقه من المؤلفين والمؤرخين ، وهي في (ص ٢٦٧) بعنوان : « ترجمة المؤلف » رحم الله الجميع .

العجاب ، وبين فيه اختلاف الروايات والأقوال والمباحث تبيينا واضحاً ، وفي سنة خمس عشرة ومائتين وألف ، ولي افتاء الحنابلة بدمشق الشام ، وفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف ولي نظارة الجامع الشريف الأموي ومن جملة من أخذ عنه المترجم المرقوم الشيخ احمد البعلي ، ولد في ثامن رمضان سنة ١١٠٨ وتوفي سنة ١١٨٩ ، عن أبي المواهب الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، ولد في رجب سنة ١٠٤٤ وعاش ٨٢ سنة وتوفي سنة ١١٢٦ ، عن والده الشيخ عبد الباقي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، ولد سنة ١٠٠٥ وعاش ٦٧ سنة وتوفي سنة ١٠٧٣ ، عن الشيخ احمد بن علي الوفائي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد سنة ٩٣٦ وعاش ٩٩ سنة وتوفي سنة ١٠٣٥ ، عن الشيخ موسى الحجاوي مفتي الحنابلة ولد .... وتوفي سنة ٩٦٠ ، عن القاضي برهان الدين ابراهيم بن عمر نجم الدين بن مفلح مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد سنة ٩٠٣ في ١٤ ربيع الآخر وعاش ٦٦ سنة وثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوماً وتوفي سنة ٩٦٩ ، عن والده نجم الدين عمر بن ابراهيم بن مفلح الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، ولد سنة ٨٤٨ وعاش ٧١ سنة وتوفي سنة ٩١٩ ، عن والده القاضي برهان الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد سنة ٧٤٩ وعاش ١٠١ سنة وتوفي سنة ٨٤٨ (١) ، عن جده شرف الدين عبد الله ابن محمد بن مفلح الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد سنة ٧١٦ وعاش ٥٧ سنة وتوفي سنة ٧٦٣ ، عن الشهاب أحمد بن تيمية الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ وعاش ٦٧ سنة وثمانية أشهر وتوفي سنة ٧٢٨ ، عن أبي الحسن علي بن احمد الشهير بالفخر ابن البخاري الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد سنة ٥٩٥ وعاش ٩٥ سنة وتوفي سنة ٦٩٠ ، عن أبي علي

---

(١) على هذا ، عاش (٩٩ سنة) .

حنبل بن عبد الله الرصافي الحنبلي ولد سنة ٥١٤ وعاش ٩٠ سنة وتوفي سنة ٦٠٤ ، عن أبي القاسم هبة الله بن محمد الشيباني ولد سنة ٤٣١ وتوفي سنة ٥٢٥ ، عن أبي علي الحسن بن علي بن الشيخ محمد التميمي المعروف بابن المذهب ولد سنة ٣٥٥ وعاش ٨٩ سنة وتوفي سنة ٤٤٤ ، عن احمد ابن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي ، ولد سنة ٢٧٤ وعاش ٩٦ سنة وتوفي سنة ٣٦٧ ، عن عبد الله بن الإمام احمد بن حنبل ولد سنة ٢٠٣ عاش ٨٧ سنة وتوفي سنة ٢٩٠ ، عن والده الإمام الخليل احمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤ وعاش ٧٧ سنة وتوفي سنة ٢٤١ ، عن سفيان بن عيينة ، ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ ، عن عمرو بن دينار ، ولد سنة ٤٣ وعاش ٨٠ سنة وتوفي سنة ١٢٣ ، عن ابن عباس ، ولد قبل الهجرة وعاش ٨٣ سنة وتوفي سنة ٦٨ ، عن النبي ﷺ ولد عام الفيل وعاش ٦٣ سنة وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة عن جبرائيل عن رب العزة .

وتوفي المترجم المرقوم أعلاه في دمشق الشام ، ليلة الجمعة عند طلوع الفجر ثالث عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة مرج الدحداح وقبره ظاهر معروف رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى بن عبد الله بن محمود الكردي الأصل العبدلاني الشافعي الدمشقي الشهير بالكاتب

ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومائة وألف ، نشأ في حجر المجد والعز العالي ، وتربى في مهد السعد والمعالي ، أخذ عن والده المذكور ، ولزم العلامتين الملا حسن بن موسى الباني والملا الياس الكوراني ،

وعن العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي وسمع منه حديث الأولية ، وأبو المعالي الغزي الشافعي العامري وابن كنان وأعطاه الطريقة الخلوتيه ، والشيخ اسماعيل العجلوني والشيخ أحمد المنيني ، وحضر على الشيخ عبد الكريم الغزي الشافعي العامري ، والعلامة محمد المرادي . مات بدمشق سنة اثنتين ومائتين وألف في ذي الحجة الحرام .

الشيخ مصطفى الخياط الشافعي الأشعري المصري

عالم زمانه وأوحد أوانه ، قال الجبرتي : أدرك الطبقة الأولى من السادات العظام ، والأفاضل الكرام . ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ، ثم أقبل على العلم والعمل ، وتجنب عن الإهمال والكسل ، وأخذ عن رضوان أفندي ، والشيخ محمد النشيلي ، والكرتلي ، والشيخ رمضان الخوانكي ، والشيخ محمد الغمري ، والشيخ حسن الجبرتي ، ومهر في الحساب والتقويم وحل الازياج والتحاويل والحل والتركيب ، وتداخل التواريخ الخمسة ؛ واستخراج بعضها من بعض ، وتواقيعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ودلائل الأحكام والمناظرات ، ومظنات الكسوف والخسوف ، واستخراج أوقاتها ودقائقها ، مع الضبط والتحرير وصحة الحدس وعدم الخطأ ، وأقر له أشياخه ومعاصروه بالاتقان والمعرفة ، وانفرد بعد أشياخه ، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا ، وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الورداني وشهد به الشيخ حسن الجبرتي انه فريد عصره في الحسابيات ، وكان يستخرج في كل عام دستور السنة من مقومات السيارة ومواقع التواريخ وتواقيع القبط والمواسم والأهلة ، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة . وله مؤلفات وتحريرات في هذه الفنون ، منها جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم لابن المجدي ،

وهو عبارة عن تسهيل ما صنفه العلامة رضوان أفندي في كتابه أسنى المواهب في عشرة كراريس ، ولا زال يشتغل في صناعة الخياطة وتفصيل الثياب وهو جالس في زاويته ، يكتب ويمارس مع الطلبة والصناع في وسط المكان ، يفصلون الثياب ويخيطونها ويباشرهم أيضاً فيما يلزم مباشرته ، إلى أن توفي سنة ثلاث ومائتين وألف في بيته جهة الرميلة وقد جاوز التسعين انتهى ملخصاً .

الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي الشافعي الأزهري

العمدة الإمام ، خاتمة العلماء الأعلام ، ومسك ختـــام الجهابذة ذوي الأفهام ، ومن افتخر به عصره على الأعصار ، وصاح بلبل فصاحته في الأمصار ، يتيمة الدهر وشامة وجه أهل العصر ، العالم المحقق والنحرير المدقق ، بديع الزمان والتاج المرصع على رؤوس الأقران ، الناظم الناثر والفصيح الباهر . كان والده من أعيان التجار بمصر ، وأصل مرباهم بالسويس بساحل القلزم ، وصاوي نسبة إلى بلدة بشرقية بلبيس تسمى الصوة على غير القياس ، وهي بلدة والده ، ثم انتقل منها إلى السويس ، وكان يبيع بها الماء .

وولد بها المترجم فارتحل به الى مصر وسكن بحارة الحسينية مدة ، وأتى بولده المترجم إلى الجامع الأزهر ، واشتغل بالقراءة فحفظ القرآن والمتون ، واشتغل بالعلم ، وحضر دروس الأشياخ ، ولازم الشيخ عيسى البراوي ، وتخرج به ومهر ، وأنجب وأقرأ الدروس ، وشهد له الفضلاء . وكان لطيف الذات مليح الصفات ، رقيق حواشي الطبع ، مشاراً إليه في الافراد والجمع ، مهذب الأخلاق جميل الأعراق ، اللطف حشو إهابه والفضل لا يلبس غير جلبابه ،

لو مثل اللطف جسما لكان للطف روحـــا

إذا نزل بناد ارتحلت الهموم ، وارتضع من أخلاف أخلاقه نبت الكروم ، تقاريره عذبة رائقة وتحاريره فائقة ، ذهنه وقاد ونظمه مستجاد ، فمن نظمه قوله :

أقبل الأنس يحتلى بسرور ... وتولى الحزن الذي نحن فيه
وتناءت همومنا بعد قرب ... وتناهت لذات ما نرتجيه
واجتمعنا بليلة هي تزري ... بالضحى إذ صحا وما قد يليه
ودت الشمس أن يكون لها مثـ ... ـل ضيا حسنها فما نرتضيه
واجتلونا المدام أشهى مدام ... مع نديم يا حسن ما نجتليه
حيث كانت أكوابنا كنجوم ... كلما قد شربتها قلت إيه
واحتسينا كاساتها فطربنا ... بشذاها وراق ما نحتسيه
واجتنينا من نظم در حبيب ... نثره رائق كخمرة فيه
فرعى الله ليلة قد تقضت ... بالهنا والمنى وعز وتيه
وسقى الله عهدنا قطر سحب ... رائقات تجلو المرابع تيه
مذ صفا ودّنا برغم حسود ... مع كيد العذول ذي التشويه
يالها ليلة حكت جنة الخلـ ... ـد وفيها ما نفسنا تشتهيه
ليلة الأنس هل تعودي لصب ... صبة الوجد دائماً تعتريه
تجمعي شمله بأحمد من قد ... حمد الله فعل ما يصطفيه
هاك تجلى إليك خود عروس ... ثوبها العز والبها ترتديه
وهي تتلو عليك يا خير مولى ... ليس مهري سوى الرضا فاعطنيه

وله أيضاً :

نزلنا بهذا القصر والنيل تحته ... فلله قصر قد تعاظم بالمد
مع العالم النحرير أكرم ماجد ... إمام همام جامع علم فرد
فأين ابن هاني من فصاحة نطقه ... وأين أويس لايضاهيه في الزهد

تأمل فما أثر كعين مشاهد ... وأبصر فما قرب لديه كما البعد
وما هو إلا البحر لكنه حلا ... وما هو إلا البر بالدين والعهد
وأعني به شيخي البراويّ من به ... تحلى زمان العز في الجيد بالعقد

ومنها :

أقول لمن رام الوصول لقدره ... تمنيت أمراً مستحيلاً بلا حد
فهذا مقام ليس يعطى لغيره ... وحاشاه أن يحصى بسرد ولا عد
فيا أيها الملتاذ[1] ان رمت علمه ... تحدث عن البحر المحيط عن الجهد
ومن لي وقد قصرت في مدح سيدي ... ومعظم اسنادي وذى الحل والعقد
كذلك مولانا الشريف محمد ... هو العلوي الأصل قد فاز بالسعد
وينسب للمختار أشرف مرسل ... عليه صلاة الله طابت كما الند

وله :

لحاظك تزري بالحسام المهند ... وريقك لا يرويه غير المبرد
وطرفك ذا السفاك قد سفك الدما ... وقدك ذا السفاح في الصب معتدي
فيا وجهه كم قد هديت لحسنه ... ويا شعره كم قد أضليت مهتدي
ومالي لا أصبو بضوء جبينه ... وثغر شهي باللآلي منضد
ولام عذاريه تدور بخده ... كنام آس مع بنفسجه الندي
وخضرة ريحان بعارضه الذي ... يعارض قلبي في هواه وأكبدي
يريك ربيعاً بالبهاء بنانه ... على ورد خديه الزهي المورد
أروم حياة وهو يطلب قتلي ... بسيف معد للقتال ومرصد
فيا حسن لولاك ما كان محسن ... فأحسن لمضنى ساهر الجفن مسهد
يبيت يعاني أعظم السقم دائما ... سلوا ليله واستشهدوا الشهب تشهد
ويسند ارسال السحاب لدمعه ... مسلسل أحزان بوجد مجدد
يقول العذول ارجع فإني ناصح ... ورأيي لا يروى سوى عن مسدد
فقلت له دعني فرأيك فاسد ... وقولك بهتان بزور مفند

---

(١) مَن أسرع في عَدْوِه ليلحق به .

ولـــه :

من لمضنى أحشـــاؤه تتلاهب ... ما الفضا مثلها ولا يتقارب
جفنه ساهر وحزن جفـاه ... مستمر ودمعه يتساكب
يا خليليه من حوادث دهر ... حاربته فصار يدعى المحارب
لو رآه المتيمون لصاحوا ... مالهذا بالصد أضحى يعاقب
فرعـــاه الإلـٰه من مستهام ... ما أراد الوصال إلاّ يراقب
وحبيب ممنع ذو جمـــال ... وطبيب لمهجة الصب ماطب
حسن محسن بذات وفعل ... كل حسن لذاته يتناسب
حيثما وجهه له حسنـــات ... ان جنى الذنب فهو ليس يحاسب
يا غزالاً رفقاً بصب كئيب ... قد نآه الزمان ممن يحابب
وخف الله من محبيك وارحم ... من تلظى وغير شكلك ماحب

ولما عمر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي داره التي بالصنادقية بالقرب من الأزهر ، سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ، عمل المترجم أبياتاً وتاريخاً رقمت بطراز مجلس العقد الداخل وهي :

خليلي هذا الروض فاحت زهوره ... ولاح على الأكوان حقاً ظهوره
وزاد ثنـــاءً عبّق الجو طيبه ... فمنك عبير المسك طاب عبوره
سما في سماء الكون فابتهج العلا ... برفعته وازداد مـــراً سروره
ألم تر أجســـام الوجود تراقصت ... وجـــاء التهاني باسمات ثغوره
مكان على التقوى تأسس مجـده ... ومن سور التوفيق والهدي سوره
وفردوس عدن فاح فوح نسيمه ... وحفته ولدان النعيم وحوره
ومجلس أنس كل ما فيه مشرق ... ومقعد صدق قد تسامى حبوره
بناء يروق العين حسن جمـــاله ... ورونقه يشفي الصدور صدوره
ومن مجـــد بانيه تزايد بهجـــة ... وقلد من در المعـــاني نحوره

عزيز بنى بيت المكارم فانثنت تغني به حمداً ومدحاً طيوره
وأحيا رسوم المجد والفخر والتقى وزانت بأعلام الكمال سطوره
فلا زال فيه الفضل تسمو شموسه وتنمو على كل البدور بدوره
ودام به سعد السعود مؤرخاً حمى العز بالمولى الجبرتي نوره

وله في صيوان :

وصيوان حوى غراً وفخرا عليه من البهـا حسن متمم
كروض الأنس فيه الورق غنت وبلبـال السرور لهـا ترنم
على الإيوان يزهو بارتفـاع ويهـزو بالخيـام وبالخيم
فتحسبه وذا الإشراق فيـه سمـاء الجود قد ظلت مكرم
يقول السعد في تاريخه بي على مجـد الوزير العز خيم

ومن نثره ما كتبه تقريظاً على المؤلف الذي ألفه العلامة الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوي ، الذي ضاهى به عنوان الشرف للعلامة السيوطي ، قوله : حمداً لمولى يضيق نطاق المنطق عن شكره ، ويعجز لسان اللسن عن الافصاح بذكره ، يدني لب الموحد إلى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه سبل التهجد والتحميد ، ويسعده بنهاية الوصول ، إلى مقاصد فهم الأصول . وصلاة وسلاماً على المحمود بأكمل ثنـاء ، الممدوح بأجمل ضياء وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ، ما ألف كتـاب ، وكللت تيجان الربا بلآلىء السحاب ، أما بعد فقد سرحت طرفي في رياض هذا التأليف الرائق ، وفرحت بصري بالمشاهدة لمحاسن هذا التصنيف الفائق ، واقتطفت بيدي ثمرات أوراقه ، واستضـأت بأنوار إشراقه ، وحليت سمعي بدرر فوائده ، وفكري بغرر عوائده ، وعرضت على فهمي لآلىء جواهره ، فلاحت لعيني بدور زواهره ، فإذا هو عقد نظم من درر العلوم ، وتحلت به غواني الفهوم ، رشيق الألفاظ والمعـاني ، رقيق التراكيب والمباني ،

لم ينسج ناسج على منواله ، ولم يأت بليغ بمثاله ، قد أفحم فصحاء الرجال ، وألقت له البلغاء العصي والحبال ، وأعجز الفصحاء كبيراً وصغيرا ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، يفوق بحسنه كل مؤلف ، ويروق برونقه على كل مصنف ، جمع فيه من العلوم أشرفها وأشرقها ، ومن المعارف أرقها وأروقها ، فهو مجموع جامع مانع ، وروض يافع يانع ، فلا شك أنه صنعة قادر ، وصبغة لبيب ماهر ، وكيف لا وهو العلامة الإمام الفهامة الهمام ، المحقق الفاضل المدقق الكامل ، جامع شمل المعارف حائز أنواع اللطائف ، وحيد الكمالات اللدنية ، وفريد المحاسن الخلقية والخلقية ، مولانا الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوي ، قابل الله صنيعه بحسن القبول ، وبلغه من خير الدارين كل مأمول ، وأدام الكريم النفع بوجوده وأقام لديه جزيل إحسانه وجوده ، ما كرت الليالي ومرت الأيام ، وقطر غيث الغمام ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعـــده ، ومن نثره أيضاً هذه المراسلة .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من أجريت المقادير على وفق الإرادة ، وجعلت المطالب سبباً للإفادة والاستفادة ، ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الإحسان ، ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان ، ونصلي ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان ، إلى آخره .

وأيضاً :

إن أحلى ما تحلت به تيجان الرسائل ، وأعلى ما تجلت بـه مظاهر المقاصد والوسائل ، وأبهى ما رقمه البنان ، من بديع المعاني والبيان ، وأشهر ما فاهت به الأقلام ، وفاحت به نوافح مسك الختام ، إهداء تسليم تفوح فوائح المسك من طيب نشره ، وتلوح لوائح الإقبال من وجوه بشره ،

وتبتسم ثغور الأماني من شمائل شموله ، وتتنسم نسمات التهاني من إقباله وقبوله . واسداء تحيات يعبق شذاها ، ويشرق نورها وضياهـا ، تفوق الشموس نورا ، وتروق الخواطر منها سرورا ، نقدم ذلك ونهديه ونظهره ونبديه ، لحضرة ذوي المهابة والفخار والعلو والاقتدار ، الجامعين بين المتاجر والمفاخر ، الحائزين لجمال الأول والآخر ، القاطنين بخير البلاد ، القائمين بمصالح العباد ، مصابيح الدنيا وبهجتها ، وكواكب البلاد وتحفتها ، حماة حرم يجبى إليه الثمرات ، وزينة محل تقضى به الحاجات ، عين أعيان المكاسب والتجارة ، وزين أبناء المطالب والإشارة ، نعني بذلك فلانـاً وفلانا ، أسبغ الله عليهم سوابغ الإنعام ، وأسبل عليهم حلل الجود والإكرام ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم الأماني والآمال ، وبسط لهم الأرزاق ، وحباهم بلطفه الخلاق . أما بعد بسط كف الرجاء ، ومد سواعد القصد والالتجاء ، بدعوات مقرونة بالاناية ، ليس لها حاجب عن أبواب الإجابة ، فما يعرض عليكم وينهى بعد السلام إليكم ، انه قد وصل إلينا رقيمكم المكنون المحتوي على الدر المصون ، فشممنا منه نفحات مكية حرمية ، ونسمات سحرية بهية ، فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر ، وتطيبنا بعبير عنبرها الأزهر . وذكرتم انه بذلتم المجهود في طلب المقصود ، إلى آخره .

وله غير ذلك كثير ، وحاله وفضله شهير ، ولم يزل يملي ويفيد ويقرر ويعيد ، حتى قطفت يد الأجل نواره ، وأطفأت رياح المنية أنواره . وذلك يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنه ست عشرة ومائتين والف ، ورثاه الشيخ اسماعيل الزرقاني بقوله :

تداولت الأيام بالعسر واليسر ... وتلك شؤون الحق في مطلق الدهر
فكيف أرى قلبي على فقد ألفه ... حزيناً ودمع العين من فيضه يجري
فقال لنا في سيد الخلق أسوة ... فقد دمعت عيناه حزناً كما تدري
وهذا الذي أمسى حليف ضريحه ... إلى فضله تصبو الأنام مدى العمر

إمام له فضل الرواية والحجا ... فمن نقله يملي ومن عقله يقري
قوى فهمه صارت بنور معيدها ... ترى من مبادي الحال عاقبة الأمر
عتبت على الأيام في نثر عقدها ... وقد غاب من أثنائه معدن الدر
فقالت ومالي ذاك حبر موفق ... أحب لقـــاء الله أسرع للأجر
تلقته أملاك النعيم تحفه ... وتنقله من ورد نهر إلى قصر
إلى أن يرى وجه العزيز مكانه ... ويبقى حميداً في الترقي مع البشر
بمقعد صدق صار عند مليكه ... فيامصطفاه فزت مرتفع القدر

الشيخ مصطفى العتباوي المالكي الأزهري
وهو منسوب لمنية عقبة

الأجل العلامة والفاضل الفهامة ، نخبة الأنام وحسنة الليالي والأيام ، حضر إلى الأزهر صغيراً ولازم السيد حسن البقلي ثم الشيخ محمد العقاد المالكي ثم الشيخ محمدا عبادة العدوي ملازمة كلية ، حتى مهر في العلوم المعقولات والمنقولات ، وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلي والشيخ الأمير وغيرهم . وتصدر لإلقاء الدروس وانتفع به الطلبة ، واشتهر فضله ، وكان إنساناً حسن الاخلاق مقبلاً على الإفادة والاستفادة ، لا يتداخل إلا فيما يعنيه ، ويأتيه من بلدته ما يكفيه ، قانعاً متورعاً متواضعا . ومن مناقبه أنه كان يحب إفادة العوام ، حتى انه كان إذا ركب مع المكاري يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة ، إلى أن توفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة ، سنة إحدى وعشرين ومائتين والف ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن
الصفوي القلعاوي الشافعي

الأستاذ العلامة والملاذ الفهامة ، المهذب الفقيه والمحبب النبيه . ولد في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائة والف ، وتفقه على الشيخ الملوي

والسحيمي والحراوي والحفني ، ولازم الشيخ أحمد العرومي وانتفع عليه ، وأذن له في الفتيا عن لسانه ، وجمع من تقريراته واقتطف من تحقيقاته ، وألف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزي على أبي شجاع في الفقه ، وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازاني على التلخيص ، وشرح شرح السمرقندي على الرسالة العضدية في علم الوضع ، وله منظومة في آداب البحث وشرحها ، ومنظومة لمتن التهذيب في المنطق وشرحها ، وديوان شعر سماه : اتحاف الناظرين في مدح سيد المرسلين ، وعدة من الرسائل في معضلات المسائل ، وغير ذلك . ولم يزل على حالته الرضية وصنعته السنية ، إلى أن تمرض أياما ، ثم توفي ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر ودفن في زاوية الشيخ سراج الدين البلقيني [١] .

الشيخ مصطفى بن حسين بن علي بن محمد بن حسين بن محمد ابن عثمان الحلبي الحنفي الوفائي

أبو الصفا صفي الدين العالم العارف الصوفي الفاضل الدين الزاهد العابد ، التقي البركة المسند الأديب ، جمال المشايخ زينة المرشدين .

مولده في حلب سنة أربعين ومائة والف في سادس محرم ، وقرأ على

---

(١) قال الجبرتي في آخر ترجمته : رحمه الله تعالى فانه كان من أحسن من رأينا سمتاً وعلماً وصلاحاً وتواضعاً وانكسارا ، وانجماعاً عن خلطة الكثير من الناس ، مقبلاً على شأنه : راضياً مرضياً طاهراً نقيا ، لطيف المزاج جداً ، محبوباً للناس ، ووصفه الأستاذ الزركلي في الأعلام بأنه مؤرخ شاعر ، وكان مسكنه بقلعة الجبل وإليها نسبته ، يأتي منها كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة ، ثم نزل إلى داخل القاهرة وتوفي بها ، وعدّ من مصنفاته « صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان » و « مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى » .

والده شيخ تكية الشيخ أبي بكر خارج حلب ، وعلى الشيخ أبي التوفيق حسين شرف الدين وانتفع به وتأدب بآدابه وأخذ عنه ، وسمع شعره وديوانه الذي جمعه من لفظه ، وأخذ عنه آداب الطريق وسمع عنه الكثير من الفرائد والفنون ، وأجازه وخلفه مكانه ، وكان من المشايخ الأجلاء والعلماء المشهورين الفضلاء ، وقرأ على غير والده ، وأخذ على جماعة منهم أبو المحاسن يوسف ابن الحسين بن يوسف الدمشقي الحسيني النقيب والمفتي بحلب ، وأسمعه المسلسل بالأولية حديث الرحمة في التكية المذكورة في تربة الأستاذ الشيخ أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وهو أول حديث سمعه منه بشرطه ، وقرأ عليه أوائل ثبته وأجاز له بالإجازة العامة وكتب له بخطه ، وسمع عليه كتابه الذي ألفه بمناقب الشيخ ، وترجمته ، المسمى مورد أهل الصفا في ترجمة الشيخ أبي بكر ابن أبي الوفا ، وسمع الأولية من أبي عبد الكريم بن أحمد الشراباتي وأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري الأزهري البشّاري نزيل حلب ، وأبي عبد الله علاء الدين بن محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالكي لما قدم حلب ، وأبي الفتوح نور الدين علي بن مصطفى بن علي الدباغ الميقاتي الحلبي ، وهو أول حديث سمعه منهم وأجازوه به وبجميع ما تجوز لهم روايته غير مرة . وأخذ الطريقة الشاذلية عن عبد الوهاب ، والطريقة الوفائية عن والده ، وبقية الطرائق عن شيوخه بأسانيدهم ، وجلّ انتفاعه على والده وبه تخرج . ولما مات والده سنة ست وخمسين ومائه والف جلس مكانه في التكية شيخاً ، وقام مقامه ولازمه المريدون وأبناء الطريق ، وأقبل عليه الناس ، واستقام في التكية المذكورة شيخاً مبجلاً محترما ، وكان كثير الديانة وافر الحرمة ، يلازم قراءة الأوراد السّحَرية والعشائية ، وينفق ما يدخل عليه ، وكان يميل في ملبسه ومأكله إلى الترفه ، وحج ودخل دمشق ، ولما دخل خليل أفندي المرادي حلب سنة خمس ومائتين والف ، اجتمع به

وأخذ عنه واستجازه ، وسمع من لفظه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعه منه في المجلس الذي اجتمع به كما رأيت ذلك بخطه ، وتوفي رحمه الله بعد ذلك بمدة قليلة [١] .

الشيخ مصطفى المعروف لدى اهالي الشام بالدرويش مصطفى

العالم العامل ، والكامل الفضائل ، قد انفرد في عصره ، واجمع على تقدمه جميع أهل مصره ، قد استوى على أوج المراتب العالية ، واحتوى على أعلا الشمائل السامية ، وكانت شيوخ دمشق الشام ، تعترف له بالعلم والعمل ورفعة المقام ، والزهد والورع والقناعة وعدم الطمع ، ولم يزل يعلو مقامه ويزكو احترامه ، إلى أن تم أجله وانقطع من الدنيا أمله ، وذلك سنة الف ومائتين وعشرين ، ودفن بسفح قاسيون بين الأفاضل والصالحين ، وقبره معروف يزوره ويتبرك به العلماء والأكابر ، وان كثيراً من أهل الشام ، يقصده للزيارة وطلب المرام [٢] ! !

السيد مصطفى بن خليل الدمشقي الحنفي الشهير بقزيها ، أمين فتوى الشام

الإمام الذي فضائله أشهر من أن تذكر ، وفرائده أجل من أن تحصى أو تحصر ، اشتغل بطلب العلم واتقان القرآن العزيز ، من حين أن دخل في سن التمييز ، وتفقه على العلماء والساده الأعيان الفضلاء ، كالشيخ سعيد

---

(١) بعد هذه الترجمة التي عزاها الأستاذ الطباخ إلى (حلية البشر) قال : كانت وفاته (سنة ١٢١٣ هـ) كما رأيته مثبتاً في طرف كتاب « مورد أهل الصفا » ودفن في التكية المذكورة ، ولم يعقب ذكوراً بل إناثاً : حتى انه اشتهر بالشيخ مصطفى أبي البنات اهـ .

(٢) وكيف يطلب المرام ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ؟

الحلبي ، والسيد محمد عابدين ، وأخذ الحديث عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكزبري وغيرهم ، وأتقن الفنون غاية الإتقان ، كالنحو والصرف والمعاني والبيان ، وتبحر في المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، وولي امانة فتوى دمشق الشام ، في أيام مفتيها حسين أفندي المرادي المولى الهمام ، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة الحرام ، سنة سبع وخمسين ومائتين والف ، ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى .

السيد مصطفى بن السيد محمد المغربي الجزائري المالكي

الفاضل الإمام والكامل الهمام ، كعبة الأفاضل ومعدن الفضائل ، من رفع الله به قدر المواعظ والزواجر ، وأترع به حياض النواهي والأوامر ، وعمر بمتين كالاته القلوب وغمرها ، وجمع الخواطر بحسين جمالاته وجبرها ، وخشعت لمعالي عباراته الاسماع والأبصار ، واطمأنت لعرفانه القلوب عن الأغيار ، وعم ارشاده الآفاق ، وانتشر ذكره في الأقطار وفاق . وفي سنة ست ومائتين والف اختط قريته المعروفة بالقيطنة بوادي الحمام ، ونشر بها الطريقة القادرية بعد أن طوي بساط ذكرها ، وأحياها بعد أن اندرست معالم قدرها ، فأخذها الناس عنه ، وتلقوها بكمال القبول منه . ولم يزل على زهده وعبادته ، وتقواه وطاعته إلى أن جاءه الأجل المحتوم ، ونزل به القضاء المحتوم ، فتوفي في برقات عند ماء يعرف هناك بعين غزالة ، سنة اثنتي عشرة ومائتين والف ، وقبره هناك ظاهر مشهور ، عليه الجلالة والوقار ومناقبه معروفة مشهورة ، وكثيرة مذكورة .

الشيخ مصطفى بن محمد الحلبي الأصل الدمشقي الصوفي الشافعي الدسوقي طريقة

ولد بدمشق وأخذ عن علمائها الكرام ، وساداتها الجهابذة الأعلام ، واشتغل بالطريقة الصوفية ناهجاً منهج السادة الدسوقية ، وكان له من

الكرامات وخوارق العادات ، واقعات كثيرة ومشاهدات شهيرة ، منها أنه رؤي قبل موته بيوم يمشي على الماء ولم يبتل ، ومنها إخباره بمجيء الدولة المصرية إلى الشام قبل أن يكون لأحد خبر في ذلك ، توفي في قرية البويضة قرية من قرى دمشق الشام ،غرة ربيع الثاني سنة خمسين ومائتين والف ،ودفن بها وقبره هناك معروف .

الشيخ مصطفى بن سليمان البرقاوي بن محمد مزهر النابلسي البرقاوي مولداً الدمشقي إقامة

قدم دمشق سنة تسعين ومائة والف وبها استقام ، وأخذ عن علمائها السادة الأعلام ، منهم الشهاب أحمد العطار ، والشيخ محمد الكزبري [١] والشيخ مصطفى السيوطي ، وتولى قضاء الحنابلة مدة ثلاثين سنة . مات رحمه الله نهار الجمعة السادس عشر من ذي القعدة الحرام سنة خمسين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ مصطفى المرحومي الشافعي المصري الأزهري

الإمام العلامة الرحلة الفهامة ، المعمر المتقدم . ولد بمحلة المرحوم بالمنوفية وقرأ القرآن وحفظه وجوده ، وحضر إلى مصر وحفظ المتون وتفقه على الأشياخ المتقدمين ، كالدفري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والملوي والحفني وغيرهم ، ومهر في المعقول والمنقول ، وأملى الدروس بالأزهر وجامع أزبك وانتفع به الناس ، وكان يتردد إلى بيوت بعض الأعيان ويحبونه ويكرمونه ويستفيدون من فوائده ونوادره ، وكان له حافظة واستحضار للمناسبات والأشعار واللطائف ، لا يمل حديثه ومفاكهته ، توفي رحمه الله تعالى سنة سبع ومائتين والف .

---

(١) في روض البشر ما يأتي : ثم بعد وفاتها لزم ولديها العلامتين : الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار . . وكان ذا هيبة ووقار ، ولي القضاء الحنبلي بدمشق (سنة ١٢٣٠) وتصدر للقضاء والإمضاء في المحاكم الشرعية اهـ .

الشيخ مصطفى بن صادق أفندي اللازجي الحنفي

الوحيد المكرم والنبيه المفخم ، ولد سنة أربع وسبعين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده ، وحفظ القرآن وبعض المتون في صغره ، وحفظ البرجلي والشاهدي ، ومهر في اللغة التركية ، وتفقه على أبيه وقرأ عليه علم الصرف ، وحضر على بعض الأشياخ ، ولازم الشيخ محمد الفرماوي وأخذ عنه النحو وقرأ عليه مختصر السعد وغيره برواق الجبرت بالأزهر ، ثم تصدر للإفادة والمطالعة لطلبة الاتراك المجاورين برواق الاروام ، وليس له تاجاً [1] وفراجية ، وعمل له مجلس وعظ على كرسي بالجامع المؤيدي وذلك قبل نبات لحيته ، وكان وسيماً جسيماً بهي الطلعة أبيض اللون رابي البدن ، فاجتمع لسماع وعظه ومشاهدة ذاته كثير من الناس من أبناء العرب والاتراك والأمراء والاجناد ، فيقرر لهم بالعربي والتركي بفصاحة وطلاقة لسان ، وممن كان يحضره علي آغا مستحفظان ، وهام فيه وأحبه وصار يتردد إليه كثيرا ، ويذهب هو أيضاً إلى داره كثيراً كما قيل في المعنى :

بروحي واعظاً كالبـــدر حسنا بديع ملاحة ساجي اللواحظ
ولا عجب به إن همت وجدا فكم قد هام ذو وجد بواعظ

ووقع له بعد ذلك محن عظيمة ، وهموم شديدة جسيمة ، ثم أخذ همه في التلاشي حتى غار ماء حياته ، وانغلق عن الفتح باب قبره عند مماته ، وهو مقتبل الشبيبة سنة سبع ومائتين والف رحمه الله .

السيد مصطفى الدمنهوري الشافعي المصري الأزهري

العمدة الفاضل والنحرير الكامل ، الفقيه العلامة ، والهمام الفهامة ، تفقه على أشياخ العصر وتمهر في المعقولات ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ملازمة كلية واشتهر بنسبته إليه ، ولما ولي مشيخة الأزهر صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد في القضايا والمهمات والمراسلات عنـــد

---

(١) لعله : وليس (بالباء) أو ، وليس له تاج الخ .

الأكابر والأعيان ، وكان عاقلاً ذكيا ، وفيه ملكة واستحضار جيد للفروع الفقهية ، وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب ، وعبارته سلسة جيدة ، وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين ، واقتنى كتباً في ذلك مثل كتاب السلوك والخطط للمقريزي واجزاء من تاريخ العيني والسخاوي وغير ذلك ، ولم يزل حتى ركب يوماً بغلته وذهب لبعض أشغاله ، فلما كان بخطة الموسكي قابله خيال فرنساوي يركض قليلاً على فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكورة وألقته من على ظهرهـــا إلى الأرض ، وصادف حافر فرس الفرنساوي اذنه فرضّ صماخه ، فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه في تابوت إلى منزله ، ومات من ليلته رحمه الله تعالى ، سنة ثلاث عشرة ومائتين والف من الهجرة النبوية .

الشيخ مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى نجا الشافعي الشاذلي

شاب نشأ على كمال الطاعة ، وعالم قد اعتزل عن الابتداع والاضاعة ، فلا ريب أنه البحر الزاخر والحبر الباهي الباهر ، شمس فضائله لم يصبها كسوف ، وقمر معارفه لم تلمسه يد خسوف ، إن نثر فما ازاهر الرياض غب المزن الهاطل ، أو نظم فما جواهر العقود تحلت بها الأجياد العواطل .

ولد ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك سنه تسع وستين ومائتين والف ، وبعد سن التمييز أخذ في تعلم القرآن العزيز ، ثم طلب العلم في بيروت البهية ، على جماعة من العلماء ذوي مقامات سنية ، فاجتهد في الطلب وجد في نوال الأرب ، إلى أن فاق أمثاله ونال آماله ، ثم توجه إلى مصر بقصد المجاورة في أزهرها الشريف فلم يتيسر له ذلك ، بل عاد إلى وطنه بيروت وانكب على الطلب والتحصيل مع الجد والاجتهاد [1] والتفرغ للعبادة

---

(١) من أشهر من أخذ العلم عنهم من معقول ومنقول الأساتذة الأجلاء : عبد الباسط الفاخوري ، ويوسف الأسير ، وابراهيم الأحدب ، وعمر الأنسي وغيرهم . ولما أعلن الدستور العثماني انتخب المترجم مفتياً لمدينة بيروت (سنة ١٣٢٧ هـ) وبقي فيهـا الى سنة وفاته (١٣٥٠ هـ) . من مؤلفاته « نصيحة الإيمان ـ

حسب المراد ، ولم يزل على هذا الحال سالكاً مسلك الفضل والكمال ، إلى أن توفي والده وذهب عنه مساعده ، فاحتاج إلى تعاطي الأسباب ، فتعاطى التجارة بالعطارة ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن المرشد الكامل والهمام الفاضل ، الشيخ علي نور الدين بن يشرط المغربي التونسي ، أدام الله وجوده وأغدق علينا وعليه إحسانه وجوده ، فاشتغل بالطريق فوق العادة وبذل في الطاعة جده واجتهاده ، ولازم الاخوان في مسائه وصباحه ، وسلك مسالك نجحه وفلاحه ، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخدمة المريدين بالحظ الأوفر . وفي سنة أربع وثلاثمائة والف أجازه اجازة عامة ، وأذن له بتلقين الذكر وهو لهذا العهد يقيم الحضرة في داره ، وقد أخذ عنه كثيرون فأوضح لهم الطريقة وعلمهم كيفية السلوك إلى الحقيقة ، ودعاهم الى التمسك بالسنة والكتاب وعرفهم الفرق بين الخطأ والصواب . ومن نظمه يرد على من زعم أن التمسك بالحقيقة يغني عن اتباع الشريعة قوله :

عجباً لمن يعصي أوامر ربه ... ويقول لستُ بمذنب من عجبه
ويرى خلاف الشرع تحقيقاً ولا ... ينقاد جهـــلا بالطريق لحزبه
ويقول اني مطلق من قيده ... فدع المقيَّد هائماً في حجبه
ويظن مع أهل الضلال بأنه ... عرف الهدى ودرى نهاية دربه
وبأنه ممن يحب الله قد ... فازوا وقد سلكوا مسالك قربه
هيهات هيهات المحب حقيقة ... والله لا يعصي أوامر حبيبه
والمهتدون العارفون بربهم ... لا يجهلون وليس فيهم ما به
فاترك مصاحبة الذي هو مثله ... تلقى الأمان من الزمان وحربه

— في التربيـة والتعليم » و « أرجوزة في التربية والتعليم » و « كشف الأسرار » تصوف ، وهذه الثلاثـة مطبوعة ، و « تفسير جزء عمّ » و « إرشـاد المريد » في التجويد ، وثلاثة « موالد » وله نظم جمع في ديوان ، وهذه مخطوطة كما في الأعلام للزركلي ، وعن « ذكرى مصطفى نجـا مفتي بيروت الأكبر » .

واصحب إذا رمت الهدى من يقتدي بالمصطفى هادي الورى وبصحبه
فالأجرب المغرور تلتزم النهى عنه التجنب خيفة من خطبه
واخو الفطانة ليس يسلك مسلكا حتى يميز سهله . من صعبه

وله أبيات لطيفة وقصائد طريفة ، وموشحات حسنة وتوسلات مستحسنة ، وقدود تقال على الأذكار ، ألطف من نسمات الأسحار ، وله شرح على الصلاة الجليلة المزوجة المنسوبة إلى القطب الكبير ، سيدي العارف بالله عبد السلام بن بشيش سماه كشف الأسرار ، لتنوير الأفكار ، وله منظومة سماها الاستغاثة السنية برجال أهل سلسلة الطريق الشاذليـــة العلية ، وأولها قوله :

بك يستجير العبد من هفواته يا واحداً في ذاته وصفاته

حفظنا الله وإياه من الآثام ، ورزقنا وإياه حسن الختام [١].

الشيخ معروف التكريتي العراقي الخالدي النقشبندي

صاحب السكر والمحو والجذب والصحو ، والأحوال الغريبـة والصفات العجيبة ، كان فقيهاً عابداً ومرشداً زاهدا ، بارعاً في العلوم دقيق النظر في المنطوق منها والمفهوم ، وقد أخذ عن حضرة مولانا خالد ، وتخلف عنه خلافة عامة ، فاشتغل بالطريق والارشاد ، وسلك منهج الصواب والسداد . وكان حسن الاخلاق عالي المذاق ، لطيف العبارة جميل الإشارة ، ولم يزل يترقى على معراج الكمال إلى أن طلبته المنية لدار الجمال ، وذلك سنة الف ومائتين وخمسين تقريبا .

---

(١) كتب المؤلف هذه الترجمة في حياة المترجم ، وكانت وفاته (سنة ١٣٥٠ هـ) كما تقدم .

الشيخ منصور بن عمار بن كثير السلمي
الخراساني الصوفي الدمشقي

كان مسرفاً على نفسه ثم تاب ، وكان سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوبة بسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يجد لها موضعاً يضعها فيه فأكلها فرأى في المنام قائلاً يقول له : قد فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك للرقعة ، فقام من نومه نادماً على أفعاله تائباً من وقوعه في أوحاله ، مقبلاً على مولاه معرضاً عما سواه ، ففتح الله عليه أبواب القبول وسهل له أسباب الوصول ، ومنحه من العلوم الإلهية والتجليات العرفانية ، ما أثبت له الفضيلة وحقق له الشمائل الجميلة ، وفضل الله واسع لا راد له ولا مانع ، قال بعضهم : رأيت في المنام منصور بن عمار بعد موته وكان في أول أمره قد أسرف على نفسه ، فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال أوقفني بين يديه وقال لي أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغبهم في الآخرة ، فقلت قد كان ذلك وأنت يا رب أعلم ، ولكن وعزتك وجلالك ، ما جلست مجلساً إلا وبدأت بالثناء وثنيت بالصلاة والسلام على نبيك ورسولك ، وثلثت بالنصيحة لعبادك ، فقال الله تعالى صدق ، ضعوا له كرسياً في سمائي يمجدني كما كان يمجدني في أرضي انتهى . وفضله معروف وكماله موصوف غني عن البيان ، مات رحمه الله في دمشق ودفن بها سنة الف ومائتين و . .

الشيخ منصور بن مصطفى بن منصور بن صالح
ابن زين الدين السرميني الحلبي الحنفي

العالم المتقن الفاضل المحدث الأصولي الزاهد العابد التقي النقي ، مولده سنة ست وثلاثين ومائة والف بسرمين من أعمال حلب ونشأ بحلب ، ودخلها صغيراً

وقرأ القرآن العظيم وبعض المقدمات من الفقه والعربية وغيرها على أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري نزيل حلب وأبي عبد الله محمد بن محمد التافلاني المغربي ، وأخذ الطريقة القادرية عن أبي بكر تقي الدين بن أحمد القادري الحلبي ، وارتحل إلى حماه ، وقرأ بها على البدر حسن بن كديمة وأبي محمد عبد الله الحوّاط ، ثم ارتحل إلى مصر واشتغل بالتحصيل والأخذ وقرأ على علمائها في غالب الفنون ، منهم أبو المكارم محمد نجم الدين بن سالم بن أحمد الحفناوي وجل انتفاعه به وعليه ، واخوه الجمال يوسف وأبو العباس أحمد بن عبد الفتاح الملوي وأبو محمد الحسن المدابغي والشهاب أحمد الجوهري وعفيف الدين عبد الله بن محمد الشبراوي ونور الدين علي العمرومي وأبو عبد الله محمد بن محمد البليدي المالكي وأبو الصفا خليل المالكي وابو محمد عبد الكريم الزيات وأبو داوود سليمان الزيات وأبو السخا عطية الله الأجهوري والسراج عمر الشنواني وأبو الحسن علي الصعيدي وأبو الروج عيسى البراوي والشمس محمد الفارسكوري وأبو عبد الله العشماوي وغيرهم . وحج ولقي هناك عام حجه أبا الارشاد مصطفى بن كال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي ، وأخذ عنه الطرائق وغيرها وانتفع بدعواته ونفحاته وارتفع بأنظاره ولحاته ، وأخذ بالمدينة المنورة على أبي البقاء محمد حياه بن ابراهيم السِّنْدي ، واستقام بمصر عدة سنين وتفرق وتنبل ودرس بها ، وأقرأ بعض العلوم واشتهر أمره وراج حاله حتى شهد بفضله مشايخه ، وبعدها دخل حلب ، ومنها قدم إلى دمشق فرغب أهلها به وصار له حظ عظيم منهم ، ودرس في الجامع الأموي في دمشق ، واختلى على عادة مشايخ الطرق ، ولزمه جماعة وأخذوا عنه ، وأقبل عليه الناس واشتهر واستقام بدمشق بعياله نحو عشرين سنة ، وفي أثناء المدة كان يأتي إلى حلب لزيارة أحبابه وأقاربه . رأيت بخط خليل أفندي المرادي صاحب التاريخ قال : وكان والدي اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الأموي وجعله وقفاً على المترجم ، ومن بعده على من يصير خليفة بعده من

المشايخ البكرية الخلوتية ، وكان القاضي بالحكم سليمان بن أحمد الخطيب المحاسني الحنفي . وألف وهو بدمشق رسالة في البسملة سماها كشف الستور المسدلة عن أوجه أسرار البسملة ، وجعلها باسم والدي وكتب له عليها ، وشرح الأبيات الثلاثة التي مطلعها :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافاً لأرباب الصدور تصدرا

وسماه كشف اللثام والستور عن مخدرات أرباب الصدور ، وفي سنة إحدى ومائتين والف . اشترى دار بني الطيبي بحلب الكائنة بمحلة الفرافرة ، وجعلها زاوية للأذكار والتوحيد بعد أن وقفها ، وكان يقيم الذكر بها في الأسبوع مرة ، ويتري ويفيد ويدرس ويختلي في كل عام أربعين يوما ، ومن جملة من أخذ عنه واستجازه خليل أفندي المرادي سنة الف ومائتين وخمس ، وانتفع به وبعلومه ، وكان حسن المحاضرة قوي الحافظة نبوي الأخلاق لطيف المذاكرة ، توفي سنة الف ومائتين ونحو العشرة (١) .

الشيخ موسى السرسي الشافعي الأزهري

العمدة العلامة والنحرير الفهامة ، الأصولي الفقيه والمنطقي النحوي النبيه ، أصله من سرس الليانة ، بالمنوفية ، وحضر إلى الأزهر ولازم الاستفادة وحضور الأشياخ من الطبقة الثانية ، كالشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الفرماوي ، ومهر وأنجب في المعقولات والمنقولات ، وأقرأ الدروس وأفاد الطلبة ، ولازم الشيخ حسن الكفراوي مدة ورافقه في الافتاء والقضايا ، ثم لازم الشيخ أحمد العروسي وصار من خاصة ملازميه وتخلق بأخلاقه ، وألزم أولاده بحضور دروسه المعقولية وغيرها دون غيره ، لحسن إلقائه وجودة تفهيمه وتقريره ، واشتهر ذكره وراش جناحه وراج أمره ، بانتسابه للشيخ المذكور ، واشترى أملاكاً واقتنى عقاراً بمصر وببلده سرس

(١) الصواب أنه توفي سنة ١٢٠٧ كما ذكره العلامة ابن عابدين في ثبته (محمد راغب) .

ومنوف ومزارع وطواحين ومعاصر ، وأقبلت عليه الدنيا إقبالاً كاملا . وكان حلو المفاكهة حسن المعاشرة ، عذب الكلام مهذب النفس جميل الأخلاق . ودوداً قليل الادعاء ، محباً لإخوانه ، مستحضراً للفروع الفقهية . وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان الشيخ العروسي ويعتمده في القول والاجوبة عن المسائل الغامضة والفروع المشكلة . ولم يزل مشتغلاً بشأنه حتى تمرض وتوفي يوم السبت أواخر جمادى الثانيـــة سنة تسع عشرة ومائتين والف .

الشيخ موسى البشبيشي الشافعي الأزهري

إمام فقيه وهمام كامل نبيه ، قد استوى في عصره على أوج السيادة ، وانفرد في مصره بالانقطاع للإفادة ، وكان فاضلاً علامة كاملاً فهامة ، نحوياً منطقياً فرضيا ، تقياً نقياً رضيا ، نشأ في الجامع الأصغر[1] من صغره ، ولازم الأشياخ ومجالسهم إلى كبره ، حتى شهد له كل إنسان أنه عين العلماء الأعيان ، وأجازه كل من العلامة الصعيدي والمصيلحي والدردير والشوبري والصبان ، وغيرهم من السادات ذوي المعارف والاتقان ، فمهر وأنجب بين العلماء ، وصار معدوداً من القادة الفضلاء ، ودرس في الفقه والمعقول ، وأفاد في أنواع الفروع والأصول ، وكان كثير الملازمة للعلامة العروسي الهمام ، وقد أخذ عنه جل المراد والمرام . وكان مهذباً في نفسه متواضعا ، مقتصداً في ملبسه ومأكله ، عفيفاً قانعا ، لطيف المعاشرة والكلام حسن السيرة بين الأنام ، لا تمل مجالسته ولا تسأم مفاكهته ، ولم يزل منقطعاً للعلم والإفادة مقبلاً على شأنه فوق العادة ، إلى أن جذبته يد الأجل إلى الأماني والأمل ، وذلك سنة الف ومائتين وسنتين .

---

(١) كذا في الأصل .

الشيخ موسى البندنيجي الخالدي النقشبندي

العالم العامل والمرشد الكامل ، نخبة الفضلاء وزبدة النبلاء ، نشأ من صغره على الطاعة والكمال وتقوى الله ذي الاكرام والجلال ، إلى أن صار بين الناس آية ، وخفق له بين العلماء أعظم راية ، وكان ملازماً للتقوى والعبادة والورع والزهادة ، وكان من خلفاء سيدنا ومولانا خالد قدس الله سره ، فدار في البلاد وأرشد العباد ، إلى أن أقبل على ربه على أحسن حال ، مرتدياً برداء التقوى والجمال ، وذلك بعد الألف والمائتين والأربعين .

الشيخ موسى الجبوري البغدادي النقشبندي الخالدي

الفقيه الصوفي الكامل والنبيه العالم العامل ، والولي المرشد العارف بالله ، والمقبل عليه والمعرض عما سواه ، ذو الأنفاس والشمائل القدسية والبركات والنفحات الأنسية ، فإنه كان ممن شهد بكماله الخاص والعام ، وكان في الارشاد وتدريس العلوم والوعظ إماماً وأي إمام ، إذا جلس للتذكير تسابق الناس إليه وجلسوا حوله وبين يديه ، فما تجد غير مطرق باك ومتواجد متباك ، وصارخ ملء فيه ، ومضطرب كأن الموت يوافيه ، وليس السيان كالخبر ولا من غاب كمن حضر ، كان قد أخذ أولاً عن عبيد الله الحيدري خليفة مولانا خالد ، ثم بعد أن ذاق كؤوس العرفان ، واستوى على سرير الكشف والوجدان ، خلفه مولانا خالد خلافة مطلقة ، وأذن له بالارشاد في الجانب الغربي من مدينة بغداد ، فأخذ عنه العلماء الأفاضل والسادة القادة الأماثل ، وكان مشهوراً بكل كمال ، معروفاً بفضائل الأحوال ، ولم يزل يترقى في معاريج الفضائل ، ويتقلب على فراش المعارف ناهلاً أعذب المناهل ، إلى أن توفي ذلك الحبر المكين سنة ألف ومائتين وست وأربعين .

الشيخ موسى بن المرحوم عمر بن عبد الفتاح ابن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الجليل السباعي الحمصي

عالم شاعر ، وناظم ناثر ، قد فاق في عصره أقرانه ، مع زهد وتقوى وصيانة وديانة ، فلذا كان ممن يعتمد عليه ، ويشار في حل المشكلات والمعضلات إليه ، على أنه من بيت قد تأسس على العلم والتقوى ، وحسن العمل في السر والنجوى ، فهو الحبر الذي فاق بصفاته الأوائل ، والبحر المتموج بجواهر الفضائل ، الجامع شمل الكمال بعد شتاته ، والواضع في جسد المجد روح حياته ، فلا ريب أنها تضحك ببكاء أقلامه الطروس ، ويرى في صورة خطوطه حظوظ النفوس .

ولد في مدينة حمص سنة ألف ومائة واحدى وتسعين ، ونشأ بها إلى أن توفي والده . ذهب إلى مصر في نية طلب العلم في الجامع الأزهر والمقام الأنور ، فقرأ على علمائها وطلب على فضلائها ، ثم رجع إلى الشام وكمل طلبه على علمائها الأعلام ، وفي سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين سافر إلى بلده حمص ، ومرض بداء البطن ، وتوفي في تلك السنة ، ودفن في مقابر بني السباعي بالقرب من حضرة سيدي خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه . ومن بديع نظامه وفصيح كلامه ، معارضاً بانت سعاد يمدح بها رسول الله ﷺ :

صدت سعاد وما للحال تحويل ... وليس لي في سواها قط مأمول
وكيف لا وفؤادي صار مرتعها ... ولم يرعني بها قال ولا قيل
لم أخش في حبها عذلاً لذي عذل ... ولا لواش وفيها القلب مكبول
فكم لحاني لاح في الهوى سفهاً ... فقلت اقصر فلي في ذاك تنويل
الله أكبر كم في الحب من بطل ... لقد علاه اكتئاب وهو منبول

بمن غدت فتنة بين الورى وسمت ... والفرع منها يجنح الليل مسدول
اضحت فريدة حسن جل مبدعها ... إلى الملا مـــا بهذا القول تبديل
ترمي بلا قوس نبلا من لواحظها ... تصطاد أسد الشرى والسيف مسلول
مليحة ما بدت يوماً لعاشقهـــا ... إلا اعترى جسمه سقم وتنحيل
عذراء يقصر مدحي عن لطافتها ... هيهات هيهات تحصيـــا الأقاويل
مكحولة كحلت بالسحر ثم لها ... على العذارى بهذا الكحل تفضيل
حكت معاطفها السمر الرشاق وقد ... حازت جمالاً ومنها الطرف مكحول
رعبوبة من سناها النور مبتهج ... وما لها في الورى شكل وتمثيل
ما في المشارق تلفى مثل بهجتها ... تزري الغصون ومنها النور مدلول
تبسمت فشكى لي البرق قلت له ... يا أيها البرق اني عنك مشغول
يفوح من خالها المسك الشميم ومن ... بسامهـــا عنبر بالراح معلول
تميل تختال من عجب على مرج ... من ضوء مبسمها ضاءت قناديل
والصدغ واو به الأسماء قد رقمت ... على الغواني لها في ذاك تطويل
وان وجنتهـــا شبه العقيق وقد ... سما على رأسهـــا تاج واكليل
لا في العقيق ولا في المشرقين لها ... مثل كما ثبتت فيهـــا الأقاويل
تركية تركت جسمي بها شبحا ... والقلب ذاب وكم بيني لهـــا ميل
مكية الخال والتوشيم ذات سنا ... وعطرهـــا أبدا بالمسك مجبول
يا ربة الثغر والنهدين رق إلى ... صب براه الجوى والدمع مهطول
مليكة الحسن رفقاً وارحمي دنفا ... له بكى في بحور الشعر تفعيل
وهبتك ياسعاد الروح فانتصفي ... من مغرم ضره في الحب تسويل
أنهي لخصرك ما لاقيت من سقم ... عسى برقته تنفى الأهاويل
تيهي بذا عجباً فالناس قد خضعت ... إلى حماك وفيك دمعهم لولو
ما دعد ما زينب ما هند ما جمل ... الحسن حسنك فيه القلب متبول
أنت المنى ثم سؤلي فانعمي كرما ... إلى الكئيب الذي في الحب مهزول

لبست حلة حسن ياسعاد وقد ... لبست ثوب الضنى والجسم منحول
إن لم تجودي لصب مسّه قلق ... فلي بمدح رسول الله تأهيل
الفاتح الخاتم المفضال شافعنـــا ... خير النبيين من بالشرع مرسول
قد جاءنا بالهدى والفتح تم به ... عن الخلائق قد زالت أباطيل
طه الحبيب الذي نـار الوجودُ به ... وجاءه من لدى مولاه تنزيل
نبي صدق بدين الحق قام وفي ... كفيه سيف لقمع الشرك مسلول
حتى غدا الكفر مخذولاً لسطوته ... ومس أعداءه ذل وتنكيل
يا صفوة الحق حقق مـا أؤمله ... فباب جودك في الدارين مسؤول
وقل لصب غدا في الحب ذا سقم ... ادخل نعيماً به الاحسان مبذول
موسى السباعي له الآمال فيك إذا ... دنا الرحيل وعمته الأهاويل
صلى عليك الذي أعطاك منزلة ... علياء خادمها في الخلق جبريل
والآل والصحب من في الحرب كان لهم ... فتح ونصر وتأييد وتفضيل

وله قصائد كثيرة ومدائح شهيرة ، توفي كما تقدم في حمص سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين ودفن في مدفن بني السباعي بالقرب من سيدنا خالد ابن الوليد رضي الله عنه .

ناشد راشد باشا والي ولاية سورية الجليلة

الوالي المعظم والكبير المكرم ، ذو الشان الرفيع والمقام البديع ، والصولة السامية والدولة النامية . تعين والياً على الشام وعلى جميع البلاد السورية ذات الاهتمام ، وذلك بعد موت المرحوم أحمد حمدي باشا ، غير أن سلفه كان ممدوحاً بتمام العفة ، والركون وعدم الميل إلى الخفة ، ولذلك كان الجميع يثني عليه بكل ثناء رفيع . وأما دولة الوزير المترجم فكان عند العموم دون من تقدم ، ولذلك في آخر مدته كثر الكلام في حق حضرته ، فكتب أهل بيروت إلى الدولة العلية يسترحمون بطلب وال عليهم وانفصالهم عن ولاية الاحكام الدمشقية ، وتفاقم أمـر الطلب إلى أن كادوا يبلغون

الأرب ، فتغيظ الوالي المترجم ، إلى أن وقع بداء ذات الرئة ودام بهذا المرض خمسة وعشرين يوما ، فتسامع الخبر بين الناس أن الذات الشاهانية لم تسمح بقسم الولاية فتروح الوالي المذكور وكاد أن يبرأ من مرضه ، فلما كان اليوم الخامس والعشرون من مرضه دخل عليه بعض خدمته وأخبره بقرار قسم الولاية ، وتوجه وال مخصوص إلى بيروت وما يتبعها فعاوده المرض بشدة قوية ، ولم يمض عليه ساعات حتى زارته المنية . وذلك يوم السبت المبارك التاسع عشر من شهر رجب الحرام سنة خمس وثلاثمائة وألف ، ودفن في تربة العارف بالله سيدي الشيخ محيي الدين العربي الكائنة في سفح قاسيون في جامع السليمية بجانب قبر العارف بالله السيد عبد القادر الجزائري، قدس الله سره ، وعمره يزيد عن سبعين سنة ، رحمة الله عليه وعلينا .

الشيخ ناصر بن عيسى بن ناصر الدين الأدلبي الشافعي

العالم العامل الفقيه ، والكامل الفاضل النبيه . ولد في ادلب الصغرى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف ، وقرأ بها على أبي الثناء محمود بن حماد ومصطفى بن سمية وأبي عبد الرحمن بن علي الجوهري المفتي ، وحضر دروس أبي مدين شعيب بن اسمعيل الكيالي وأخيه الزين عمر الكيالي ، ودخل حلب واستوطنها ، وقرأ بها على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري ومصطفى بن عبد القادر الملقي وغيرهم ، ودرس بجامع بانقوسا وجامع الحدادين وجامع المشاطية ، ولزمه جماعة وأتقنوا عليه ، ولازم القراءة والتدريس مع التقوى إلى أن انفرد في مصره وفاق فضله لدى أهل عصره ، وفي سنة ألف ومائتين وخمس اجتمع به في حلب خليل أفندي المرادي مفتي دمشق وشهد بفضله واتقانه في العلوم والفنون ولم أقف على تاريخ وفاته[1] .

---

(١) في اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء أن وفاة المترجم كانت في حدود (١٢١٥ هـ) .

السيد نعمان افندي أبو البركات خير الدين بن محمود افندي الألوسي مفتي السادة الحنفية ببغداد دار السلام[1]

عمدة الأفاضل الأكارم ، ونخبة الأماثل ذوي المكارم ، من تحلى بملابس العلم والأدب ، وتولى عن كل ما اعتقاده يوجب اللوم والعطب ، فهو العلم

---

(١) كنا لخصنا صفحات من كتاب : « أعلام العراق » لصديقنا الأستاذ الجليل محمد بهجة الأثري — تعليقاً على ترجمة الهمام السيد محمود الألوسي صاحب التفسير الكبير « روح المعاني » وغيره من المؤلفـــات النافعة ، (المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ) ويجد المطالع ترجمته في هذا الجزء الثالث من (حلية البشر) .

ونوجز القول الآن في ترجمة ابنه السيد نعمان خير الدين — علاوة على ما ذكره المؤلف هنا — ويراها القارىء مفصلة في « أعلام العراق » :

ولد المترجم في بغداد (سنة ١٢٥٢ هـ) (وتاريخه : حق لنعمان ثابت) . وقرأ على فضلاء دار السلام ، ومن أجلّهم والده الإمام أبو الثناء ، وتلميذه العالم السلفي السيد أمين الواعظ ، وتولى المناصب والقضاء في الحلة وغيرها ، ثم ترك المناصب ، واشتغل بالعلم والتأليف والتدريس ، والوعظ والإرشـاد . وفي (سنة ١٢٩٥ هـ) سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، ومرّ بطريقه على مصر . وفي (سنة ١٣٠٠ هـ) سافر الى الأستانه ، فمر على سورية وبلاد الأناضول ، واجتمع بعلماء هاتيك الديار ، وأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني بمراتب عالية ، وأصدر أمره باعادة مدرسة مرجان اليه ، وبعد أن قضى فيهـا سنتين عاد الى بغداد ، وتصدّر للتدريس بعنوان رئيس المدرسين . وكان فيه رغبة لجمع الكتب النادرة ، فوفق لجمع مكتبه ـ ثم على مدرسته . وحفظ أوقاته بالتدريس والتأليف ، فكان يذهب الى المدرسة صباحاً ، ويعود الى داره مساء . وقد هنأته الشعراء بالعود الحميد ، وأرخت توجيه المدرسة اليه ، ومنها قصيدة السيد شهاب الموصلي ومن أبياتها :

وظيفـــة قبله كانـــت لوالده ... بموجب الشرط شرط الواقف الباني

وفي صكوك العلى والعلم أرخه ... سجل تدريس مرجـــان لنعمان

سنة ١٣٠٢ هـ

—

الفاضل المفرد ، والشهم الكامل الأوحد الأمجد ، من دل كلامه على علو مقامه ، ونظامه ونثره على سموه واحترامه .

ولد يوم الجمعة ثاني عشر شهر محرم الحرام سنة اثنتين وخمسين بعد المائتين والألف ، وقد أرخ ولادته الشـــاعر المجيد ، والناظم الوحيد ، المنلا عبد الحميد :

— يقول الضعيف محمد بهجة البيطار : زرت مدرسة مرجان في رحلتي الى بغداد صحبة وفد من العلماء ورأيت تلك المكتبة الحافلة ، والناظر عليها المقيم في تلك المدرسة أحد فضلاء الألوسيّين . وكانت وفاة المترجم في شهر المحرّم (سنة ١٣١٧ هـ) ودفن في مدرسته بجانب قبر مرجان ، عليهما الرحمة والرضوان .

أما صفاته وشمائله ، فقد كان عالماً ضليعا ، وأديباً واسعا ، نزيه القلم ، عف النفس ، واسع الحلم ، منصفاً في الحكم ، شديد التحري للحق ، جواداً معطاء ، ورعاً زاهدا ، حفياً بالأهل وذوي القربى والأصحاب ، منشطاً لأهل العلم ، لطيف المحاضرة ، بشوش الوجه ، حَسنَ اللقاء . وأما مؤلفـاته فهي (١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، أحمد بن تيمية وأحمد بن حجر الهيتمي ، طبع بمصر (سنة ١٢٩٨ هـ) (٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، ردّ به على الرسـالة المنسوبة لعبد المسيح ابن اسحـاق الكندي ، طبـع لاهور من ممالك الهند (باكستان) في مجلدين (٣) غالية المواعظ ، في الوعظ ، طبع في مصر مرتين (٤) الأجوبة العقلية لأشرفية الشريعة المحمدية ، طبعت في بمبي (سنة ١٣١٤) (٥) صـادق الفجرين في جواب البحرين ، في الإمام علي ومعاوية ، لم يطبع (٦) شقائق النعمان ، في ردّ شقاشق ابن سليمان ، لم يطبع (٧) الأجوبة النعمانية ، عن الأسئلة الهندية ، في مسألة الاستواء ، وخاتميّة النبوة المحمدية (٨) الإصابة في منع النساء من الكتابة (٩) الحباء في الإيصاء ، طبع في الاستانة (١٠) سلس الغانيـات ، في ذوات الطرفين من الكلمات ، في اللغة ، طبع ببيروت (١١) مختصر ترجمة الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي (١٢) الطارف والتالد في اكمال حاشية الوالد ، على حاشية القطر ، لابن هشام ، طبعت في القدس (سنة ١٣٢٠ هـ) (١٣) حور عيون الحور : مجموعة من نظمه ونثره .

هذه مقتطفات من ترجمته في (أعلام العراق) أضفناها الى ترجمته ههنا ، ولا يتسع المقام لأكثر من هذا .

بدا الكوكب الدري والقمر الذي محاسنه للشمس أضحت تسامت
فلا عجب ان فاح كالمسك عرفه فما هو من بيت النبوة نابت
له ثبت الحق الصريح من العلا وتاريخه : حق لنعمان ثابت

قرأ بعد تمييزه القرآن وأتقنه ، ثم حفظ المتون المستحسنة ، وحضر دروس العلماء الأعلام ، ولازم الاقبال على الاستفادة ملازمة النجم للظلام ، إلى أن ارتقى مقامه واستوى على عرش القبول كلامه ، وسرت في الناس فضائله واشتهرت مناقبه وشمائله ، وأجلسته معارفه على وجوه الأماني ، وقصده الطالبون من قاص ودان ، ومن أحسن ما جمعه وألفه ، ووضعه في قالب التحرير وصنفه ، كتابه المسمى بجلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، فإنه كتاب جلا العين من الغين ، وأزال عن محيا الحق الشك والرين ، فهو القول الفصل العاري من الهذيان والهذل ، ولعمري ان من دقق النظر فيه وجال في مناهج ظواهره وخوافيه ، عرف أنه حكم وعدل ، واعترف بأنه عن طريق الصواب ما عدل ، ونصر قول السنة والكتاب ، وماز القشر من اللباب ، نفع الله العموم بعلومه ورفع راية منثوره ومنظومه ، وقد صنف جملة صالحة من التصانيف وحرر زبراً نافعة من التآليف منها اكمال حاشية القطر لوالده ، والشقائق ، ورسالة في الفقه ، وله نثر ونظم يزري باللؤلؤ والنجم ، وكتب في المواعظ دروساً مفيدة ومجالس عديدة حميدة ، وله مجانسة الجليس ، بالوعظ والتدريس :

بوعظ قد تلين له قلوب وزجر قد تلين به الصخور

تفرد في الفحول بقوارع وعظه ، وأذاب القلوب بزواجر لفظه :

إذا ما رقى للوعظ ذروة منبر لخطبته فالكل مصغ ومنصت
فصيح عن الشرع الإلهي ناطق وعن كل مذموم من القول صامت

وحينما ألف كتابه غالية المواعظ ، ومصباح المتعظ وقبس الواعظ ،

ذكر في أوله حضرة ذي الشوكة والسلطان ، أمير المؤمنين المعظم عبد الحميد خان ، وقد مدحه بهذه الأبيات البديعة ، الدالة على ملكته الرفيعة :

بمولانا أمير المؤمنينـــا ... لقد سرت قلوب العالمينا
وفي ظل الإله هم أقاموا ... وظل الله يؤوي القائلينا
انام الكل في ظل ظليل ... فكان لجمعهم كهفاً أمينا
وأصناف الرعية قد تراءت ... بأنواع المعارف عارفينا
مليك ليس يشبهه مليك ... فلا تطلب له ملكاً قرينا
ملاذ الخلق في الدنيا جميعا ... وسيدنا إمـام المسلمينا
عياذ الناس سلطان البرايا ... وخاقان الخلائق أجمعينا
خليفة ربنا قد صار حقا ... فكان لتخته السامي مزينا (١)
وقد أحيا مآثر لن تضاهى ... ومهـــد ملكه للساكنينا
وقد عمت أياديه البرايا ... وأدب في الفلاة المارقينا
أدام الله دولته علينـا ... وأيدنا به دنيا ودينـــا
وأبقى ذاته العلياء فينا ... وأعطانا به فتحاً مبينا
وملكه أقاصي الأرض طرا ... شمائلهـا البعيدة واليمينا
وأبقى عبده المولى حميدا ... حميد العيش دهر الداهرينا
وأيد جنده الباري بنصر ... وفتح كائن حيناً فحينا

ولم يزل على درج الكمال يترقى ، وهو في كل يوم بالنسبة لما قبله أتقن وأتقى ، إلى أن أشاعت المنية أخباره ، وأذاعت أنه سكن في الجنان داره ، وذلك في شهر صفر عام ألف وثلاثمائة وسبعة عشر ، وذلك في مدينة بغداد ، دار السعادة والاسعاد ، ودفن في مقبرة أبيه ، رحمة الله علينا وعليه .

---

(١) في هذه الأبيـــات الثلاثة من الغلو والمبالغة في مدح السلطان ما لا يخفى ، وليته استغنى عنها .

السيد هاشم بن السيد محمد بن السيد فائز بن السيد أحمد عز الدين بن السيد ابراهيم الرفاعي قدس سره

الشيخ الكامل والإمام الفاضل ، قد ترجمه صاحب تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار ، فقال : ولد السيد هاشم صاحب الترجمة بكويت البصرة وشب في حجر والده ، وخلّف والده بعد مماته في مشيخة الطريق العلية الرفاعية ، وكان على جانب عظيم من الزهد والصلاح والتقوى ، وله كرامات وخوارق كثيرة ، ووالده كان من أكابر العارفين المعتقدين في الديار العراقية ، ومرقـــده في كويت البصرة مزار الخواص والعوام ، والمترجم سار سيرته وسلك طريقته ، وهو من بيت المجد والبركة ، توفي رحمه الله عام اثنين وسبعين ومائتين وألف ، وقبره في الكويت معروف يزار انتهى ملخصاً .

هاشم بن عبد الرحمن بن سعدي بن عبد الرحمن بن يحيى ابن عبد الرحمن بن تاج الدين عبد الوهاب الحنفي الكناني البعلي الشهير بالناجي

ولد بدمشق الشام ونشأ بها وكان من علمائهـــا وفضلائها ، وزهادها وعبادها وأعيانها وذوي شانها ، أخذ عن المشايخ العظام والسادة الجهابذة الفخام [1] وكانت له اليد العلية والشهرة السنية في فقه السادة الحنفيه ، وقد تخرج على يديه الكثير من ذوي الفضل الشهير ، وولي أمانة الفتوى النعمانية بدمشق المحمية .

---

(١) منهم علاّمتا الشام : الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي .

مات ثالث عشر رمضان المبارك سنة أربع وستين ومائتين وألف في مرض الهواء الأصفر . وكان له في قلوب الناس اعتقاد عظيم وجاه جسيم ، وتولى أمانة فتوى الشام أيام مفتيهـــا حسين أفندي المرادي ، وكان مشهوراً بالعبادة والصلاح ، وشيخ الطريقة الخلوتية فى الديار الدمشقية ، وكان ملازماً على إقامة الأذكار ، إلى أن دعاه الله لدار كرامتـــه في دار الكرامة والقرار .

هبة الله بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن موسى ابن عبده البعلي ، مفتي بعلبك الدمشقي الشهير بالتاجي

المولى الهمام فخر الأنام ، وصدر العلماء الأعلام ، الفقيه الشهير ، والمحدث الكبير ، فقيه مذهب النعمان ونبيه ذوي المعارف والشان .

ولد في دمشق في تاسع عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ بها واشتغل في طلب العلوم على جماعة منهم سعد الدين العيني ولد سنة ١٠٣٠ وتوفي سنة ١١٧٤ والسيد مصطفى الأيوبي ولد بدمشق سنة ١١٣٥ وتوفي بمكة سنة ١٢٠٥ وعطية الأجهوري البصير المتوفى سنة ١١٩١ والملوي المتوفى سنة ١١٨١ وطه بن مهنا الجبريني الحلبي المتوفى سنة ١١٧٤ وأسعد بن عبد الرحمن المجلد سنة ١١٧٤ ومحمد حياة السندي المتوفى سنة ١١٦٠ وعبد الكريم بن أحمد الشرباتي علامة حلب المتوفى سنة ١١٧٦ وعمر الطحلاوي مفتي المالكية بمصر المتوفى سنه ١١٨١ وصالح بن ابراهيم بن سليمان الجينيني المتوفى سنة ١١٧٠ والشهاب المنيني المتوفى سنة ١١٧٢ وأحمد ابن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٢ وأبو الفتح محمد بن محمد العجلوني الجعفري المتوفى سنة ١١٩٣ والشيخ علي السليمي الصالحي المتوفى سنة ١٢٠٠ والسيد علي البدري شيخ القراء بمصر المتوفى سنة ١١٩٠ وابراهيم الحلبي

محشي الدر المختار المتوفى سنة ١١٩٠ وعلي الصعيدي المتوفى سنة ١١٨٩ ومومى المحاسني خطيب جامع بني أمية المتوفى سنة ١١٧٣ وأحمد الجوهري المتوفى سنة ١١٨١ والجد الشمس محمد بن عبد الحي الداوودي المتوفى سنة ١١٦٨ والسيد الشريف محمد أبو السعود ابن العلامة اسكندر مفتي الحنفية في الديار المصرية المتوفى سنة ١١٧٢ وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، وقد أخذ عنه الجم الغفير والعدد الكثير .

ومات في عشرين من ذي القعدة الحرام سنة أربع وعشرين ومائتين وألف ، وله مؤلفات كثيرة منها حاشيته على الأشباه والنظائر لابن نجيم[1] .

ومن نظمه مهنئاً جناب الفاضل المحترم خليل افندي المرادي بافتاء دمشق الشام ، ومؤرخاً ذلك ، فقال :

سقيا لدهر كلّ هنّان بـــه ... جاء البشير موافيـاً بمرادي
هذي الأمانيّ التي بلّغتهـا ... رغماً على الأعداء والحساد
وافت عروساً في نحور عقدها ... نظم القلائد من ذرى الأجداد
وتبسمت عن ثغر روض مسرة ... فلذا الصوادح غردت بسداد
وأتت وراثة صدر فضل قد سما ... حيث السماء وقبلة القصاد
تسعى على هام السماك أبية ... منقـــادة للسيد المجواد
الشهم مولانا الهمام ومن له ... في كل علم يقتفيه أياد
من قد رقى رتب المعالي سيدا ... فكسا الفخار برود مجد وداد
وغذى لبان الفضل من زمن به ... غصن النبوة مثمر بجيـــاد

---

(١) في روض البشر للشطي ـ بعد أن لخص هذه الترجمة ـ ما يأتي : قد اطلعت لصاحب الترجمة على تحقيقات ومنظومات ، تدل على علمه الغزير ، وأدبه الكثير ، وقد أعقب ولده سعيد أفندي مفتي بعلبك بعد والده المترجم ، وهذا أعقب ولده راغب افندي مفتيها بعد والده المذكور أيضاً ، المتوفى بعد سنة ١٣٠٠ رحمهم الله تعالى .

در البلاغة من جواهر لفظه يزري بعقد فصاحة لإياد
منه استعار السحب فضل أنامل فسقى بها جودا مدى الآباد
فهو الكريم بن الكريم بن الكريـــم هو الخليل هو السري مرادي
نجل السراة ومن هم كهف الانا م وملجأ المحتاج والوراد
أعلام علم للورى وهدى وار شـاد وحلم سادة أمجـاد
مولاي يافرد الوجود فضائلا وشمائلا يا أوحد الآحـاد
رحماك إني عن علاك مقصر فانعم بعفو منك لايبعـاد
إذ لايزيد الشمس كثرة مدحها والدر لايغلو بنظم شـاد
فاليكها بنت اغتراب خانها فكر تردى من صدا ابعاد
جاءت تهني للوحيد بمنصب الـــفتوى التي شرفت ببيت مراد
فلها الهنا ولها المنى ولها السنا بالعالم الصنديد خير عمـاد
لمّا غدا الافتاء يبغى كفؤه أرخ له مفتي الشآم مرادي ١٢٩٢
قسما بلطفٍ مالكٍ لفؤادي وبمـا لوالده جميـل أياد
إني لبست من السرور ملابساً أزهو بها في الجمع والأعياد
لازلت ترفل في حبور مسرة تهنى بك الفتيا مدى الآباد

الشيخ هداية الله الاربيلي الشافعي النقشبندي الخالدي

العالم الفاضل العامل ، والمرشد الهمام الكامل ، ذو الهمم العلية والعلوم الربانية ، والشمائل العلية والفضـائل السنية ، والسيادة المذكورة والعبادة المشهورة . نشأ من أول زمنه في طاعة الله ولم يعول من صغره على غير طاعة مولاه ، ثم سلك الطريقة العلية النقشبندية على يد الإمام والقطب الهمام ، سيدي مولانا خالد شيخ الحضرة قدس الله سره ، ثم انه بعد

الكمال خلفه ذلك السيد المفضال ، خلافة عامة ، ولم يزل مجتهداً في العلم والطريق إلى أن اختار الآخرة على الأولى .

وكان الشيخ المترجم حين سلوكه من طلبة العلم ، فقال له حضرة مولانا خالد بعد أن خلفه سيأتي عليك زمان تحتاج فيه إلى تدريس العلوم النقلية والعقلية ، وان لم تدرس فانهم يخرجونك من وطنك ، فأمره بقراءة الورقة الأولى من كل كتاب معد للتدريس ، فقرأ ذلك على حضرة مولانا المذكور ، ثم أجازه بجميع العلوم النقلية والعقلية وتدريس كتبها الدقيقة ، وبعد وفاة حضرة مولانا خالد بمدة طويلة وزمان بعيد ، ظهر سر هذه القضية وهو أن محمد باشا الكردي متصرف راوندز ، استولى بطغيانه على اربيل ونواحيها ، وكانت له محبة عظيمة بالعلم والعلماء ، ولما تمكن في أربيل مدة طويلة ، قال ان كل من جلس في مسجد أو زاوية من أهل العلم ولم يدرس فليخرج من هذه البلدة لأني أريد العلم ولا حاجة لي بالطريقة ، فشرع الشيخ هداية الله المشار اليه بتدريس العلوم منقولها ومعقولها على وجه التحقيق ، بحيث انكب عليه أهل العلم للاستفادة وأتوه أفواجاً أفواجاً ، لأنهم رأوا عنده من التحقيق والتدقيق مالم يشاهدوه عند العلماء الراسخين في العلوم والتدريس (١) فتعجب الناس من ذلك لأنه لم

---

(١) هذه الحكاية التي أوردها الأستاذ المؤلف في هذه الترجمة ، كلها نصح وتذكير من حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة ، ومن محمد باشا الكردي المتصرف ، ومن الشيخ هداية الله الاربيلي المترجم ، وخلاصتها الترغيب في تحصيل العلوم النقلية والعقلية ، وفي تدريس كتبها لطلابها ، وقد أجمع الثلاثة على استحسان ذلك والعمل به ، فأي غرابة في ذلك ؟ وأما كون الطلاب وجدوا عند هذا المترجم من التحقيق والتدقيق مالم يجدوه عند غيره ، فالمعروف عند أهل الاستعداد والاجتهاد أن المستعد إذا طلب منه أمر وتعين عليه تنفيذه ، بذل من الهمة والوقت والاجتهاد أضعاف ما عند المتعلمين حتى يحفظ بينهم مقامه واحترامه ، والله تعالى يقول : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ومن التقوى المحافظة على الوقت والمواظبة على العمل .

يدرس مدة عمره ولم يقرأ من العلوم إلا شيئاً يسيراً جداً ، وإنما كان اشتغاله بالارشاد ، فسمع الباشا المذكور وأتى إلى خدمته وطلب الدعاء منه والعفو عنه ، وبقي الشيخ المشار اليه يرشد ويدرس إلى أن توفي في بغداد ودفن بجانب الشيخ يحيى المزوري سنة الف ومائتين وزيادة على الخمسين رحمه الله .

الشيخ هداية الله بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين البعلي المعروف ببختي بعلبك الدمشقي الحنفي

ولد بدمشق وطلب بها وصار من علمائها ، واشتهر بالعلم والفضل والصلاح ، والعبادة والتقوى والفلاح ، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف[1] .

الشيخ وهبة المشهور بابي العظام

كان من أهل الأحوال ، وله كرامات شهيرة تدل على أنه من كمل الرجال ، وهو مقصود للزيارة من كل مكان ، ومعدود من أهل الكرامة والولاية والشان ، وللناس به اعتقاد عظيم ، يقصدونه لدى كل مهم وخطب جسيم . نقل أن السبب في تكنيته بأبي العظام ، أنه انقطع في الأودية والجبال نحو سبعة أعوام ، وهو حامل للعظام على الدوام ، فلذا كني

---

(١) يستغرب موت المترجم هداية الله سنة ١٢٢٣ وموت والده هبة الله سنة ١٢٢٤ أي بعده بسنة كما ذكر قبل ورقتين فهل هنا سهو ؟ (الشطي)
أية غرابة في هذه الوفيات ؟ فالأستاذ الجد مؤلف هذه « الحلية » توفي بعد ابنه الشيخ أحمد بسنة ، إذ كانت وفاة ابنه سنة ١٣٣٤ هـ وكانت وفاة شقيقي فريد سنة ١٣٢٧ هـ وتوفي والدنا الشيخ بهاء الدين بعده بسنة ، كما يرى المطالع ذلك في ترجمته بحرف الباء (محمد بهجة)

بها بين الأنام ، ثم بعدها رجع إلى حاله ، ولبس أثواب بهـائه وكماله ، وانتفع الناس بأطواره ، وسلموا له بديع أوطاره ، ولو أردنا أن نحصي ما له من الكرامات الكبار ، لخرجنا عن منهج المقصود من الايجـاز والاختصار ، توفي سنة اثنتين واربعين بعد المائتين والألف ، ودفن في قرية القسطل ذات الجمال واللطف التابعة لقضاء النبك ، وقبره ظاهر مشهور وعليه قبة مجللة بالبهاء والنور ، رحمـة الله تعالى عليه ورضوانه ، وجوده وبره واحسانه .

الشيخ ياسين النابلسي الحنفي

فاضل إمام ، وعالم عامل همام . ولد سنة ألف ومائتين ، ونشأ على الجد في الطلب إلى أن بلغ المنى والأرب ، ولازم النسك والعبادة وصار من ذوي القدر والسيادة ، وذلك بعد أن قدم دمشق واستوطنها ، وقرأ على فضلائها وعلمائها واجلائها ، وكان له اليد العليا في العلوم من منطوق ومفهوم . مات بدمشق سنة ستين ومائتين وألف ، ودفن بقاسيون قرب مغارة الجوعية رحمه الله تعالى .

الشيخ يحيى افندي ابو النصر بن الشيخ عبد الغني بن الشيخ احمد بن محمد بن ناصر بن محمد السلاوي ، نسبة إلى مدينة سلا في المغرب كذا قرر في ترجمة جده الشيخ احمد السلاوي

ولد في الديار المصرية ، وبلغ مبلغاً من العلوم الأدبية ، وأتقن صناعة الشعر وأحسنه ، وكان يذكر عند مذاكرته في أنواع الأدب من كل شيء أحسنه . وفي سنة ثلاثمائة وألف شرف إلى الشام ، وكنت اجتمع به في

أكثر الأوقات والأيام ، فصيح اللسان ذو معرفة واتقان ، وكان مشتغلاً بنظم قصائد تسعة وعشرين ، من كل حرف من حروف الهجاء قصيدة ، على طرز قصائد صفي الدين أبي المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن أبي القاسم الحلي التي سماها درر النحور في امتداح الملك المنصور ، فكان يتلو علينا من أبياتها ، ويفكهنا بسكر نباتها ، وقد تخلص بكل قصيدة إلى مديح الحضرة المعظمة السلطانية الحميدية ، وقد سماها بالعصر الجديد ، جمع بها جواهر الآثار ، ودقائق المعاني الأبكار ، وبعد مدة سافر إلى الاستانة العلية ، وقدمها للسدة السنية الملوكانية ، فأحسن إليه برتبة محترمة ، وخدمة في دائرة المعارف العمومية الجليلة ، ولم يزل مكباً على الاشتغال بالأدب ، وآثاره مقبولة تألفها الطباع ، وتلتذ بها الأسماع ، ومن نظمه البديع وشعره الرفيع ، قوله :

أعِد الحديث عن الأماني الحفد ... واغنم مسالمة الليالي العوّد
وأدر كؤوس الراح فيها للهنا ... أيدي الصبا منها صحيفة عسجد
طوراً تطوف بها الشموس وتارة ... تسعى بها الأقمار حول الوفد
من كل وضاح الجبين اغرّ ذي ... شمم وعز بالشباب معربد
يلقاك ملتحف الوقار كلاهما ... بادي المشيخة في حداثة أمرد
يغدو بأصناف المسرة لاهيا ... يوماً ويوماً بالمقيم المقعِد
لاتبصر العينان منه لذي نهى ... إلا خلال ممجد ومسوّد
إن قال كان الرأي منه مسددا ... أو صال كان الخصم غير مسدد

ومنها :

وخضيبة الكفين مزر قدّها ... هيفا بأعطاف الغصون الميّد
نشوانة بالحسن تعبث بالنهى ... عبث الحوادث بالوليد المبتدي
تلقاك في ديباجتين منوطة ... من فوق ضاف بالعبير مقرمد
أقسى مساساً من فؤاد معذبي ... وأرق من قلب حزين المكمد

مابين طلعـــة بدر تم مشرق زاهي الجبين وليل شعر أجعد
فتاكـة فتانة مأسورهـــا لايفتدي وقتيلهـــا لايستدي
إن أقبلت فتنت وان ولت سبت مهج الأراقم دون نيل المقصد
تدني وتبعـــد بالذي تومي به لأخي العفاف وللبغي الأنكد
فتظنهـــا من ثم غير عصية وتخالهـــا من هنا كالعضلد (١)
وتروضهـــا كخليستين عروبة غض المساس وحيزبون علكد
لاينقضي من حبها وطر ولا يدنو لها بالغي عزم مجرد

وهي قصيدة طويلة تزيد على المائه وثلاثين بيتاً وتخلص بهـــا لمديح السيد احمد الرفاعي قدس الله تعالى سره . وله قصـــائد كثيرة واشعار شهيرة . ولقد اجتمعت به في الآستانة عام الف وثلاثمائة وسبعة ، فوجدته قد تغير عن حاله ، وتبدّل الجلال عن جمـاله ، وغلب عليه الجفا بعد ما كان عليه من الوداد والوفا ، واللطف والصفا ، فسبحـان من لا تغيره الأزمان ، ولا يحكم عليه وقت ولا أوان (٢) .

الشيخ يحيى الجامي المدني

ترجمه صاحب اللئالي الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، فقال : الأديب الذي كَنَهْوَرُ ذهنه (٣) بالمحاسن هامي ، وألفاظه تسكر الأسمـاع كابنة العنب ولا ينكر السكر من الجامي (٤) فكل بيت من أبياته راووق مدام

---

(١) لعل أصلها المعضّد ـ وهو حديدة كالمنجل لقطع الشجر ، ومسكين كبير للحام، يقطع به العظام .
(٢) من آثاره : ديوان شعر سماه : « حلية العصر الجديد ، في شمائل الملك الحميد » فرغ من نظمه سنة ١٣٠١ هـ معجم المؤلفين (ج ١٣/٢٠٧) .
(٣) قوله كنهور كسفرجل من السحاب قطع كالجبال أو المتراكم منه ا هـ . (المؤلف)
(٤) الجام : إناء من فضة ، قال في اللسان : عربي فصيح .

وكل لفظ منها زهر كام ، كلل برشح غمام ، ومع ذلك فهو في الفضل سامي المقام ، وفي المجد بالغ همام ، حـاوي شمائل كالنسيم رقة ، وكالمسك تشتهي الروح شمه ونشقه ، وجامع أدب شذي النفحة بهي اللمحة ، فمن نظمه البهج وشعره الأرج هذه القصيدة ، وأرسلها من الروم مبثاً بها ماحواه صدره من سر الغرام المكتوم :

على وادي النقا ، قفْ لي صباحا ... وحي الريم والغرر الصباحـا
وعانق لي بسح الدمـع بانا ... بسوح من العقيق لديه ساحا
ومرغ لي الخدود على تراب ... تشم به عبير المسك فاحـا
وغض الصوت في نجواك واخفض ... جناح الذل منك عسى نجاحا
وأم الجـانب الغربي منـه ... سقى الله رباه والبطاحـا
وسل عن جيرة في سفح سلع ... وقبل القول قبل لي المراحا
بهـم خز يشي حبرا برقتي ... بروق ظباه دع عنك الرماحا
لروحي من صداه غدا وراح ... غدا يحلو الصدا عنها وراحـا
ترى الأوتار ناطقة فصاحـا ... إذا غنى بنغمتها فصاحـا
به معنى فهمناه فهمنـا ... فلاح سنا فشاهدنا فلاحـا
فشاهد سـاعة وارجع سريعا ... وحاذر يستميلك أن تصاحا
فان حشاي مما في فؤادي ... يئن أنين من ذاق السلاحـا
وذلك ان بازاً لي تصـدى ... فأظهر لي الصداقة والمزاحـا
فلما أن رآني مطمئنـا ... أظن مزاجه الماء القراحـا
غزا بالبابلي[1] على غزالي ... فطارَ بهِ وكان له جَناحا
ولو بارزت لم يبرز لحربي ... ولكن خفت ارتكب الجُناحا
فقلت تعجبا سبحان ربي ... فقنعني ومن قنع استراحـا
ولي نفس أبت ذلا لمن لا ... يراعيها ولو ماتت جراحـا

(١) البابلي : الساحر ، ومنها : عيون بابلية ، أي ساحرة .

ولا حكـم على ملك بعنف خصوصا من يرى قتلي مباحا
فحسبي أن محبوبي بقلبي واني في الهوى أهوى الملاحا
وسلم لي على قمري العـلالي وندماني غبوقا واصطباحـا
وجمع الصحب بلغهم سـلامي لعل الله يجمعنـا صباحـا
وكرر لي السـلام على عقيق كذوب مكرّر يسقي الأقاحا
وتعرف يا عقيق الروح مني لمن في لحن قولي القصد لاحا

ولـه :

باتت تسامرني حمامة روضـة فوق الغضا بين الغدير وزرعه
تبكي على إلف لهـا بترنم من أجل تسكين الفؤاد وروعه
فشربت من ذاك الغدير تلذذا وطربت من ذاك الهدير ورجعه
وأجبتها بي مثل ما بك كلنا نبكي على ذكر الحبيب وربعه
لكن ما مثلي ومثلك واحد لا والذي سمع الدعاء بسمعه
إن الذي أهواه بدر كامل كل الأشعة فرعت من فرعه
قالت صدقت يحق أن تبكي الدما ونهيم في ريم النقـا مع سلعه

وله رحمه الله :

لقـد كمنت محبتكم بقلبي كمون النـار في قلب الزناد
ولكني افتضحت بدمع عيني وحـالي كل حين في ازدياد

انتهى توفي المترجم المرقوم في القرن الثالث عشر[1] رحمه الله تعالى .

---

(١) ترجمه الأستاذ الزركلي في الأعلام عن تاريخ مخطوط فقال : يحيى بن عبد الرحمن ابن أحمد المدني الشهير بالجامي ، أديب مكثر من النظم ، من أهل المدينة المنورة ، زار دمشق في طريقه الى القسطنطينية (سنة ١٢٠٥ هـ) فاجتمع به كمال الدين الغزي ، ونقل نحو ٣٠ صفحة من نظمه ، وكانت له معه مطارحات شعرية ولم يذكر وفاته . وأرخه الزركلي في الأعلام : (١١٤٨ - نحو ١٢١٥) .

الشيخ يحيى بن محمد بن منصور الحلي الشافعي

الفقيه العالم المقرىء المسند البركة الدّين التقي العابد الزاهد ، كان من السادة الأخيار ، والقادة الأتقياء الأبرار . مولده سنة عشرين ومائة وألف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وتلاه لحفص ، وأخذ القراءات عن الشمس البصيري شيخ القراء بحلب ، وأبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المصري ، ولازم القراءة والأخذ والتلقي والسماع ، وتلقى الكثير على الكثير ، منهم أبو عبد الفتاح محمد بن الحسين الزمار ونور الدين علي بن مصطفى بن علي الدباغ الميقاتي وأبو محمد صالح بن رجب المواهبي وبايعه وأخذ عنه الطريقة القادرية ، ولازم بعده ولده أبا عبد الله محمد وقاسم بن محمد البكرجي وأبو الثناء محمود بن شعبان البزستاني وقاسم بن محمد النجار وأبو المحاسن يوسف ابن الحسين الدمشقي وأبو عبد الله جابر بن عودة الحوراني وعبد الوهاب بن أحمد الأزهري وعلاء الدين محمد بن محمد الطيب المالكي لما قدم حلب ، وأبو جعفر منصور بن علي الصواف وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني وأبو عبد الله محمد بن كمال الدين الكبيسي وعبد الكريم بن أحمد الشراباتي وغيرهم . ويروي عالياً عن الشهاب أحمد بن محمد علوان بن عبد الله الشراباتي وأبي داود سليمان بن خالد بن عبد القادر النحوي وجمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد عقيله بن سعيد المكي وبدر الدين حسن بن علي الطباخ وأبي عبد الرزاق محمد بن هاشم الديري وأبي محمد حسن بن شعبان السرميني وآخرين ، وسمع الأولية من أكثرهم ولازم دروسهم وأكثر من السماع من صغره وكان لا يفتر عن حضور مجالسهم ، وأجازوه بالإجازة العامة . وكان كثير التلاوة للقرآن العظيم يشتغل به غالب أوقاته ، وكان من الصلحاء الأخيار ، والمعمرين الأبرار ، كثير الديانة مقبلاً على الآخرى معتنياً بما يقربه من مولاه ، رافضاً زخارف الدنيا راضياً بما قسم له ، يحب الناس ويحبونه . توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف في حلب ودفن بها .

الشيخ يحيى بن . . . . المزوري العمادي الشافعي البغدادي

بحر العلوم ، وحبر ذوي المنطوق والمفهوم ، جامع المنقول والمعقول ، وحاوي الفروع والأصول ، أستاذ علماء العراق على الإطلاق ، وملاذ فحول فضلاء الآفاق في حل المشكلات بلا شقاق ، النحرير الهمام حجة الإسلام ، الناسك العابد والتقي الزاهد ، المتوجه بكله إلى الله والمعتمد عليه لا على سواه .

نقل صاحب المجد التالد أن المترجم المذكور كان من أكابر هذه الأمة المحمدية ، وقد بلغ درجة الترجيح في الفقه ، مع كونه بحر جميع العلوم النقلية والعقلية والرياضية ، كما شهد له بذلك حضرة شيخ الحضرة مولانا خالد النقشبندي ، وكانت ولادته في حدود سنة ألف ومائة وخمس وأربعين ، وقرأ على مشايخ كثيرين وأساتذة معتمدين ، منهم الحبر العلامة والبحر الفهامة ، السيد عاصم الحيدري ، ومنهم العلامة المحقق والفهامة المدقق ، السيد صالح الحيدري . وكان حافظاً لأوقاته مراقباً لحركاته وسكناته ، مواظباً على الطاعة متباعداً عن الإضاعة ، وآدابه في التقوى والحلم ، ومكارم الأخلاق التي أدبه بها الفضل والعلم ، كثيرة شهيرة . وفي عام ستة وعشرين ومائتين وألف ، لما شرف حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة من الهند إلى السليمانية صمم الجماعة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية وأصحابهم وأتباعهم ، وكانوا نحو مائتي رجل على قتل الشيخ خالد المذكور ، واتفق رأيهم أن يقفوا بالسلاح يوم الجمعة خارج باب المسجد ، فإذا خرج قتلوه وقطعوه إرباً إرباً ، فلما جاء يوم الجمعة قام حضرة الشيخ قدس سره ومشى إلى المسجد ، وكان معه بعض مريديه وجماعة من الحيدريين ، فلما تمت صلاة الجمعة وقف الأعداء على الباب ينتظرون خروج الشيخ وهم بالسلاح الكامل ، وكان من عادة الشيخ أنه لا يخرج من المسجد

إلا بعد خروج الناس ، فلما تكامل خروج الناس ولم يبق في المسجد أحد ، خرج حضرة الشيخ والتفت إلى صفوف الأعداء بعين الجلالة ، فمنهم من هرب ومنهم من سقط مغمى عليه ، ومنهم من صاح وانجذب ، ومشى حضرة الشيخ إلى أن وصل إلى الزاوية بجماعته بدون أن يتعرض لهم أحد ، وهذه القضية وقعت على رؤوس الأشهاد ، فلم يبق أحد من أهل السليمانية إلا وعلمها ، فحقد عليه العلماء وأرادوا أن يهينوه في تجهيله في العلم ، فامتحنوه بمشكلات أنواع العلوم النقلية والعقلية فلم يقدروا عليه ، بل صاروا كأحقر الطلبة بين يديه ، فلما رأوا أنفسهم انهم بالنسبة إليه جهال ، وليس لهم قدرة عليه بحال ، كتبوا كتاباً وأرسلوه إلى حضرة المترجم ، ومضمون الكتاب من كافة علماء السليمانية إلى علامة الدنيا على الإطلاق والدين ، حجة الإسلام والمسلمين ، مولانا وشيخنا الشيخ يحيى المزوري العمادي متع الله تعالى المسلمين بطول حياته :

أما بعد فقد ظهر عندنا خالد وادعى الولاية الكبرى والإرشاد ، بعد عوده من الهند إلى هذه البلاد ، وهو رجل قد ترك العلوم بعد تحصيلها على وجه الكمال ، واختار سبيل الضلال ، ونحن قد عجزنا عن إلزامه ، وقهره وإفحامه ، فيجب عليك أن تتوجه إلى طرفنا لإفحامه ، ودفع ضلاله ومرامه ، وإلا فقد عم الضلال بين العباد ، وانتشر الفساد في البلاد ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فلما وصل الكتاب إلى الشيخ يحيى وقرأه ، قام وركب بغلته مع جملة من طلبته الفحول ، وتوجه إلى السليمانية وقد استحضر في فكره عدة سؤالات من أشكل المشكلات ، في المعقول والمنقول ، الفروع والأصول ، فلما قرب الشيخ من السليمانية خرج العلماء كافة وأكابر البلدة لاستقباله ، وتقبيل يديه ورجليه وأذياله ، فلما دخل البلدة دعاه كل إلى منزله من

السادة والأعيان ، فأبى وقال لا بد أن ألاقي هذا الرجل الآن ، فتوجه إلى زاوية الشيخ قدس الله سره ، فلما دخل عليه وسلم وحياه ، استقبله الشيخ وصافحه وأحسن لقياه ، فجلس الشيخ يحيى بجانب مولانا خالد وتهيأ للسؤال ، فابتدره الشيخ في الحال ، وقال له إن في العلوم مشكلات كثيرة ، منها كذا وجوابه كذا ومنها كذا وجوابه كذا ، وعدّد له جميع الأسئلة التي أعدها للسؤال عنها ، وأجاب عن كل منها بأحسن جواب بحيث لم يبق للاشكال باب[1] ، فانكب المترجم على قدمي حضرة الشيخ وعرف إجلاله ، وطلب منه العفو والسماح والتوجه له بما يصلح آماله ، وأعطاه الطريقة النقشبندية ، وعين له حجرة يسلك فيها فصار من أخص رجال السادة الخالدية ، فلما سمع المنكرون ولوا الأدبار وخابوا ، وبعضهم تاب وأكثر من الندم والاستغفار ، وكان حضرة مولانا خالد يحب الشيخ يحيى محبة عظيمة ، ويعامله مع كونه مريداً له معاملة الأقران ذوي العظمة والشان ، والشيخ يحيى لا يعد نفسه في مجلس الشيخ إلا من الخدام .

وقد حدث العالم الأديب الصالح الشيخ إسماعيل البرزنجي ، فقال كنت في خدمة الشيخ يحيى المزوري في حجرة واحدة ، وكان الشيخ نائماً وقت القيلولة ، فقام حضرة مولانا خالد من محله إلى حجرة الشيخ يحيى فاستقبلته ، وقلت له إن الشيخ يحيى نائم فقال لا تنبهه ، ثم دخل حضرة مولانا الحجرة وقبل فم الشيخ يحيى وهو نائم ، وقال بعد التقبيل متعنا الله تعالى بحياتك ، وخرج من الحجرة إلى محله ، ومما وقع له أيضاً مما يدل على رفعة مقامه ووصوله في الطريق إلى مرامه ، أن عبد الوهاب السوسي الذي خلفه

---

(١) ألا ليت هذه الأسئلة والأجوبة قد ذكرت ولو بالكلم الوجيز ، ليعيها ويستفيد منها طلاب العلم الشريف ، وكم ضاع على الناس من فوائد وفرائد بعدم التدوين ، ومنها ما دار بين هذين الشيخين الجليلين ، والأمر لله .

حضرة مولانا خالد في الاستانة العلية ، ثم طرده عن الطريقة لعجبه بنفسه بمخالطة أكابر الرجال ، وجمع الحطام والأموال ، دخل يوماً على الشيخ يحيى وقبل يديه ، والتمس منه أن يطلب العفو عنه من حضرة مولانا خالد قدس سره ، فقام الشيخ يحيى ودخل على حضرة مولانا خالد والتمس منه العفو عن عبد الوهاب ، فقال حضرة الشيخ ان الأمر لو كان بيدي لعفوت عنه ، ولكن جميع روحانيات السلسلة العلية النقشبندية قد طردوه عن باب طريقتهم ، اللهم إلا أن يحلق عبد الوهاب لحيته ويسود وجهه ويركب الحمار منكوساً ويشهر نفسه في الأزقة والأسواق كسراً لنفسه ، فإنهم قدس الله تعالى أسرارهم يعفون عنه حينئذ[1] فقال الشيخ يحيى قدس الله سره : يا شيخي إن عبد الوهاب لا تطاوعه نفسه على مثل هذا الفعل ، ولكن رخصني فإني أعمل هذا الفعل عوضاً عنه لعله يعفى عنه وأنا أفدي نفسي في حاجه المسلم ، فبكى حضرة مولانا خالد قدس سره وتعانق مع الشيخ يحيى وبقيا يبكيان ثم قام حضرة الشيخ قدس سره لصلاة النافلة وذهب الشيخ يحيى قدس سره إلى محله ، وقال لعبد الوهاب فلا تلومن إلا نفسك ، وقام عبد الوهاب خائباً والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب .

ومن جملة أدب المترجم مع السنة أنه كان يعاون زوجته في غسل الثياب والطبخ وحوائج البيت ، وكان يغسل أولاده إذا ماتوا بنفسه ، ويقول لزوجته لا تضجري من موتهم ، واشكري الله تعالى . ولما قتل اليزيديون

---

(١) من المعلوم أن مما تتحقق به التوبة النصوح : الإقلاع عن الذنب في الحال ، والندم على ما فات ، والاستعداد لما هو آت ، قال تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيما » الفرقان ، الآية (٧٠) وهذا الإذلال الوارد في السؤال ، ليس شرطاً شرعيا ، ولم يذكر له مستندا .

ولده العلامة المحقق عبد الرحمن في الجبال وأتى خبر قتله إليه وهو يدرس العلم ، قال حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ، ولم يترك الدرس ، ولما مات الخبر العلامة السيد اسعد صدر الدين الحيدري كان المترجم نازلاً في بيتهم ضيفا ، فقال أنا أغسل السيد المرقوم فقام وغسله على ملأ من الناس ، وكان السيد عبيد الله الحيدري يصب له الماء ، وصلى عليه مع خلائق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وكان ذلك في أوائل سنة ألف ومائتين وثلاث وأربعين . ثم لما توفي الشيخ المترجم قدس الله سره في بغداد تعاطى غسله العالم الصالح الورع والتقي الملا حسين بن ملا جاحي والسيد محمد أمين ابن السيد عبد الله الحيدري وأخوه السيد صالح الحيدري وعدد كثير من العلماء الأعلام ، يصبون الماء على جسده الشريف مناوبة ، وصلى عليه العلامة الفهامة النحرير الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني طاب ثراه ، ولم يبق أحد بحسب الظاهر من أهل بغداد إلا ومشى خلف جنازته ، وكأن القيامة في يوم موته قد قامت ، ودفن في جوار الغوث الأعظم والقطب الأفخم سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره ، وكان عمره يوم وفاته نحواً من مائة سنة ، ومات في حدود سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين .

الشيخ يحيى افندي مفتي انطاكية بن المرحوم ...

عالم زمانه وإمام أهل وقته وأوانه ، عمدة الأماثل ونخبة الأفاضل ، ولد سنة ألف ومائتين وثلاثين تقريبا ، ثم منذ نشأ وشب أقبل على العبادة والطلب ، فبرع وفاق واشتهر في الآفاق وتفنن في العلوم وبرع في فنّي المنطوق والمفهوم ، وأقبل الناس عليه للاستفادة منه والنظر إليه ، وأخذ عن مشايخ ذوي رتب سامية أسانيدهم في الأخذ عالية ، ولما رأوا منه المعرفه التامة أجازوه بالإجازة العامة ، ثم ولي منصب الافتاء بانطاكية ، وله بإقليمها شهرة عالية ، وله معرفة بالسياسة قوية ، ومهارة بالألسنة الثلاث

العربية والتركية والفارسية ، ونظره في الأمور دقيق ، مقصود في الاستشارة لكل بعيد أو قريب أو عدو أو صديق .

وفي سنة ثلاثمائة واثنتين بعد الألف جاء إلى حلب جميل باشا والياً عليها ، وكان له شدة عظيمة على أهل الرآسة في حلب وما يتبعها من بقية الولاية ، فاضطر المترجم أن يخرج من محله وأن يخرج من الولاية فرحل إلى دمشق ، واتصل برؤوسها وولاتها وأكابرها وذواتها ، وله حاضرة عجيبة ، وحافظة غريبة ، فكثيراً ما كان يستشهد تارة في العربية وتارة في التركية وتارة في الفارسية ، بأبيات لطيفة رقيقة ذات معان أنيقة ، وله حكايات ونوادر تشهد له أنه في الأدب له المقام النادر ، ومعرفته في الشطرنج حظها وافر ، فكان كثيراً ما يلعب به مع الحكام والأكابر ، وكانت لي معه الصحبة الوافرة ، والمحبة المتكاثرة ، والمباحثة والمذاكرة والمسامرة والمحاضرة ، وقد أخبرني بأنه ولد في الشام حين كان أبوه بها مستقيما ، ثم عاد به أبوه إلى وطنه المذكور ، ثم انه لا زال في الشام يعلو مقامه وينمو احترامه ، إلى أن وقع بينه وبين المشير حسين فوزي باشا بعض منافرة ، وكان قد عُزل جميل باشا من حلب فرجع إلى وطنه ، وذلك عام ألف وثلاثمائة وخمسة ، أطال الله بقاءه وحرسه بنه وأبقاه (١) .

الشيخ يحيى بن علي بن محمد الشوكاني

العالم الذي فاق أهل زمانه وترقى في فضله على أهل أوانه ، ولحق من سلف وسبق من خلف ، ولد في رجب سنة ألف ومائة وتسعين ، قرأ على جملة من المشايخ المتصدرين والأفاضل الجهابذة المتصدين ، كالعلامة محمد

---

(١) قال الأستاذ الطباخ — بعد أن نقل هذه الترجمة عن (الحلية) — أقول : كانت وفاته — كما كتب لنا من انطاكية — أول ليلة من رمضان سنة ١٣١٤ عن اثنين وسبعين عاما ، فتكون ولادته على التحقيق سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى .

ابن أحمد السودي ، والعلامة سعيد الرشيدي ، وكان مواظباً على الطاعة حافظاً أوقاته عن الإضاعة ، قليل الكلام ، كثير القيام في الظلام ، دائم الفكر حسن الصبر ، يحب الاستفادة ولا يبخل بالإفادة ، له مشاركة في العلوم وأعلا نثر وأحلا منظوم ، سيرته حسنة وأوصافه مستحسنة ، زاهد في الدنيا راغب في الأخرى ، كثير الأذكار في الليل والنهار ، محافظ على أوقاته متباعد عن غفلاته ، وقد أجاز واستجاز وكان في الحقيقة على أحسن مجاز . وبالجملة فهو حسنة من حسنات الزمن ، وفرد من أفراد قطر اليمن ، قد انتفع به الكثير وأخذ عنه الجم الغفير ، وانقاد له الأفاضل وذوو السيرة العاليـــة والشمائل ، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وستين تقريبا .

الشيخ الإمام يحيى بن المطهر بن يحيى

العالم الفاضل الزاهد الورع العابد العامل ، عمدة الأقران ونخبة العصر والأوان . نشأ في مدينة صنعاء ولازم العلامة الشوكاني ، واستفاد من علومه ، وقرأ جميع مؤلفاته عليه ، وأكب على علم الحديث فبلغ فيه النهاية ، وترك التقليد واشتغل بالاجتهاد . وله شرح على سنن أبي داوود أربع مجلدات ، وله رسائل متعددة في فنون مختلفة ، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وثمان وستين .

الشيخ يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين بن عبد الكريم الدمشقي الشافعي الشهير بالكزبري

الشيخ الأمجد والإمام الأوحد ، علامة الزمان وفهامة الأوان . ولد بدمشق الشام ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، ومن أجلهم والده المرقوم ، والعلامة الشهاب المنيني الكبير ، والإمام العلامة الثاني علي أفندي الداغستاني ، وأجازه خال والده العلامة علي بن أحمد بن علي الكزبري وغيرهم ، وكان

صالحاً عابداً فالحاً زاهداً متواضعاً فقيهاً محدثاً نبيهاً . توفي ثاني شهر محرم الحرام سنة إحدى ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ يحيى السردست الحنفي الدمشقي

الإمام الفاضل والهمام الكامل ، علامة الزمان وفهامة العصر والأوان ، كان من العلماء العاملين والصلحاء الواصلين ، إمام المحققين وهمام المدققين ، وكان منقطعاً في المدرسة الباذرائية مقبلاً على الآخرة مدبراً عن الدنيا . توفي في دمشق سنة أربع وستين ومائتين وألف سابع عشر شهر شوال . ودفن في مقبرة الذهبية ، في مرج الدحداح .

الشيخ يحيى المساطي الحلبي

الإمام الأديب الماهر ، والهمام الفاضل الباهر ، الكامل الفقيه واللوذعي النبيه ، أخذ عن الشيخ محمد الكزبري وعن غيره من المشايخ العظام . توفي قريباً من عشرين ومائتين وألف ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ يوسف آبو خوج الدمشقي المجذوب

الولي المشهور ، والقطب المعروف بطول الباع وبكل منقبة مذكور ، قد اشتهر فضله في هذه الديار اشتهار الشمس في رابعة النهار . وكان معتقداً لا منتقدا ، ومع جذبه كانت أحواله لا تنكر عليه بل تجد أموره مائلة إلى ظاهر الشرع مستندة إليه ، وكان جليلاً مهاباً معظماً فخما ، عليه مخايل الولاية . توفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين ومائتين وألف ، ودفن بباب الصغير وقبره ظاهر يزار .

الشيخ يوسف أبو الفتوح جمال الدين بن أحمد بن مصطفى بن احمد بن إبراهيم بن شمس العمري القادري الدمشقي الشافعي

الإمام ، المحدث الهمام ، العلامة المحقق والسيد السند المدقق ، ذو المعارف والكمال ، واللطائف والجمال ، عمدة المحققين ونخبة المدققين . ولد بدمشق

ليلة الثلاثاء ثاني ذي الحجة الحرام سنة ثمان وخمسين ومائة وألف ، وأخذ عن العلامة الشيخ عبد الرحمن العيدروس ، وأحمد بن خليل التميمي الخليلي ، ومحمد بن المرحوم ميرزا محمد ، وتاج الدين الياس زاده المدرس بالحرم الشريف ، والشيخ علي بن محمد بن سليم السليمي الصالحي ، وأبي الفتح محمد بن محمد العجلوني ، والسيد مصطفى بن ولي الدين محمد الأيوبي الأنصاري الحنفي الشهير بالرحمتي ، وعلي الكاملي ، وأحمد الداراني ، وحسن بن علي المدابغي ، وعيسى أفندي بن صبغة الله افندي الحيدري ، والسيد محمد البخاري ، وأحمد البعلي ، وأسعد المجلد ، ومحمد التافلاني ، وعلم الله الهندي اللاهوري ، وإبراهيم الحافظ ، وعبد الرحمن بن الملا حسن الكردي ، وصالح الجينيني ، والشهاب أحمد المنيني ، وخليل الكاملي ، ومحمد العربيلي ، وابن بدير المقدسي ، وأبو الجود محمود الكردي الكوراني ، والسيد محمد السمان المدني ، وعيسى البراوي ، والشهاب الراشدي ، وعطية الأجهوري ، والحفني ، والملوي ، وأحمد الجوهري ، والدمنهوري ، ومحمد الفارسكوري ، وأحمد الطبنشي وغيرهم ، وعن الشيخ محمد الكزبري ، والشيخ علي الداغستاني[1] . مات رحمه الله تاسع شوال سنة خمس عشرة ومائتين وألف ودفن في مقبرة سيدي الشيخ أرسلان .

الشيخ يوسف بن عبد الله بن منصور السنبلاوين الشهير برزه

الشافعي الإمام العلامة النبيه الفاضل ، الأستاذ الفهامة ، العالم العامل . تفقه على بلديه الشيخ أحمد رزه ، وحضر دروس الشيخ الحفني والشيخ البراوي

---

(١) في « تعطير المشام في مآثر دمشق الشام » لأستاذنا القاسمي رحمه الله ما نصه : ولما توفي شيخه الداغستاني المذكور ، وكان مدرس قبة النسر ، طلب القوس في المكان المذكور السيد محمد المطار أحد أكابر دمشق ، فوجه إليه ، ثم أناب في التدريس عنه صاحب الترجمة ، فدرس بالوكالة عنه الى وفاة السيد محمد المذكور ، وذلك سنة ١٢٠٩ هـ .

والشيخ عطية والشيخ الصعيدي وغيرهم من الأشياخ ، وأنجب ودرس وأفاد ، ولازم الاقراء ، وكان انساناً وجيهاً محتشماً ساكن الجأش وقوراً ، بهي الشكل ، قانعاً بحاله لا يتداخل كغيره في أمور الدنيا ، مجمل الملابس ، لا يزيد على ركوب الحمار في بعض الأحيان لبعض الأمور الضرورية ، ولم يزل حتى تعلل وتوفي سنة سبع ومائتين وألف .

الشيخ يوسف المصيلحي الشافعي الأزهري

الشاب الصالح والمهاب الفالح ، الفاضل الفقيه والكامل النبيه ، حفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدي والبراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ أحمد العروسي ، وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحي وأنجب ، وأملى دروساً بجامع الكردي بسويقة اللالا . وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح ، ولم يزل ملازماً على حاله حتى اتهم أيضاً في حادثة الفرنسيس ، وقتل مع من قتل شهيداً بالقلعة سنة أربع عشرة ومائتين وألف ، ولم يعلم له قبر رحمه الله .

الوزير المعظم يوسف باشا والي الشام

أصله من الأكراد الدكرليه ، وينسب إلى الأكراد الملية ، وفي ابتداء أمره ، هرب من أهله وعمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ، فوصل إلى حماة وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث ، ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين ، إلى أن ألبسه قلبقاً ، ثم خدم بعده ملا اسمعيل بلكباش وتعلم الفروسية ، فلعب يوماً في القمار وخسر فيه وخاف على نفسه ، فخرج هارباً إلى عمر آغا باسيلي من اشرافات إبراهيم باشا المعروف بالأردن ،

فتوجه معه إلى غزة ، وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد علي آغا متسلم غزة عمر آغا المذكور ، وجعله دالي باش [١] ففي بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد المذكور ، فقال له إن قلدتني دالي باش قدمته لك ، فأجابه إلى ذلك وعزل عمر آغا وقلد المترجم المنصب عوضاً عنه ، وامتنع من اعطائه ذلك الجواد ، وأقام في خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار خطاباً للمترجم بالقبض على المتسلم ، واحضاره إلى طرفه ، وان فعل ذلك ينعم عليه بخمسين كيساً ومائة بيرق ، ففعل ذلك وأوقع القبض على علي آغا المتسلم ، وتوجه به إلى عكا بلدة الجزار ، فقال المتسلم للمترجم في أثناء الطريق تعلم أن الجزار رجل سفاك للدماء فـــلا توصلني إليه ، وان كان وعدك بمال أطلقني وأنا اعطيك أضعافه ولا تشاركه في دمي ، فلم يجبه إلى ذلك ، وأوصله إلى الجزار فحبسه ثم قتله ورماه في البحر ، وأقام المترجم بباب الجزار ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى حيث يريد فانه لا خير فيه لخيانته لمخدومه ، فذهب إلى حماة وأقام عند اسماعيل آغا وهو متولّ من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم ، فأقام في خدمته كلارجي [٢] زمناً نحواً من ثلاث سنين ، وكان بين عبد الله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة فتوجه عبد الله باشا إلى الدورة ، فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق ، فسلك طريقاً أخرى ، فلما وصل إلى جينين وجه الجزار عساكره عليه ، فلما تقارب العسكران وتسامعت أهل النواحي امتنعوا من دفع الأموال ، فما وسع عبد الله باشا إلا الرحيل ، وتوجه إلى ناحية نابلس وحاصر بلدة تسمى صوفين ، وأخـــذ مدافع من يافـــا وأقام محاصراً لها ستة أيام ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم ورحل

---

(١) رئيس ، آمر ، مقدّم .

(٢) محافظ مخزن المؤونة . (تركية)

عنهم إلى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميري من البلاد ، وأقام هو في قلة من العسكر ، فوصل إليه خيال وقت العصر يخبره بوصول عساكر الجزار ، وأنه لم يكن بينه وبينهم إلا نصف ساعة ، وهم خمسة آلاف مقاتل ، فارتبك في أمره وأرسل إلى النواحي فحضر إليه من حضر ، وهم نحو الثلاثمائة خيال ، وبدائرته نحو الثمانين ، فأمر بالركوب ، فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدو وأيقنوا بالهلاك ، فتقدم المترجم إلى العسكر وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم لم يكن غير ذلك فإننا إن فررنا هلكنا عن آخرنا ، وتقدم المترجم مع آغاته ملا إسماعيل ، وتبعهم العسكر وولجوا وسط خيل العدو وصدقوا الحملة جملة واحدة ، فحصلت في العدو الهزيمة وركبوا أقفيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا برؤوس القتلى والقلائع ، فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير وهي نحو الألف رأس وألف قليعة ، فخلع عليهم وشكرهم ، وارتحلوا إلى دمشق ، وذهب المترجم مع آغاته إلى مدينة حماة ، واستمر هناك إلى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا المعروف بالمعدنلي إلى دمشق ، بسبب الفرنساوية ، ففارق المترجم مخدومه في نحو السبعين خيالاً ، وجعل يدور بأراضي حماة بطالاً ، ويقال له قيس ، فيراسل الجزار لينضم إليه ، وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ووجه ولايتها إلى عبد الله باشا العظم ، فلما بلغ المترجم ذلك توجه إلى لقاء عبد الله باشا بالمعرة ، فأكرمه عبد الله باشا وقلده دالي باشا (١) كبيراً على جميع الخيالة حتى على آغاته ملا اسماعيل آغا ، وأقام بدمشق مدة إلى أن حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس ، فوصل إليه الخبر بأن عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها ، فركب عبد الله باشا وذهب إلى دمشق ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها ، فوصل خبر ذلك

---

(١) رئيس ، مقدّم .

إلى الجزار ، فكاتب عساكر عبد الله باشا بتسليمهم ، لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيانته والقبض عليه وتسليمه إلى الجزار ، وعلم ذلك وتثبته فركب في بعض مماليكه وخاصته إلى المترجم ، وهو إذ ذاك دالي باشا ، وأعلمه الخبر وأنه يريد النجاة بنفسه ، فركب بمن معه وأخرجه من بين العسكر قهراً عنهم ، وأوصله إلى شول[1] بغداد ثم ذهب على الهجن إلى بغداد ، ورجع المترجم إلى حماة فقبل وصوله إليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه ، فذهب إليه فجعله مقـــدم ألف ، وقلده باش الجردة فسافر إلى الحجاز بالملاقاة ، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك سليمان باشا عوضاً عن مخدومه أحمد باشا الجزار ، فلما حصلوا في نصف الطريق وصلهم خبر موت الجزار ، فرجع يوسف باشا المترجم إلى الشام ، واستولى اسماعيل باشا على عكا ، وتوجـــه منصب ولاية الشام إلى إبراهيم باشا المعروف بقطر اغاسي ، أي اغات البغال ، وفي فرمان ولايته الأمر بقطع رأس اسماعيل باشا وضبط مال الجزار ، فذهب المترجم بخيله وأتباعه إلى إبراهيم باشا وخدم عنده ، وركب إلى عكا وحصروها ، وحطوا في أرض الكرداني مسيرة ساعة من عكا ، وكانت الحرب بينهم سجالا ، وعساكر اسمعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع وكل وقعة يظهر فيها على الخصم ، ففي يوم من الأيام لم يشعروا إلا وعسكر اسماعيل باشـا نافذ إليهم من طريق أخرى ، فركب المترجم وأخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم ، وقاتلهم وهزمهم إلى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق ، ثم آخرجهم بالأمان إلى وطاقه وأكرمهم ، وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم إلى عكا بغير أمر الوزير ، ثم توجه إبراهيم باشـا إلى الدورة وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج إسماعيل باشا من عكا وأغلقت أبوابها ، فاتفقت عساكره وقبضوا عليه وسلموه إلى إبراهيم باشا ، فعند ذلك برز

---

(١) إشارة للبيد .

أمر إبراهيم باشا بتسليم عكا إلى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم فأدخله إليها ورجع إلى مخدومه ، وذهب معه إلى الدورة ، ثم عاد معه إلى الشام ، وورد الأمر بعزل إبراهيم باشا عن الشام وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم ، على يد باشت بغداد ، فخرج المترجم لملاقاته من على حلب ، فقلده دالي باشا على جميع العسكر ، فلما وصل إلى الشام ولاه على حوران واربد والقنيطرة ليقبض أموالها ، فأقام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج ، وتلاقوا مع الوهابية في الجديدة فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتمروا ورجعوا ، ومكثوا إلى السنة الثانية ، فخرج عبد الله باشا بالحج وأبقى المترجم نائباً عنه بالشام ، فلما وصل إلى المدينة المنورة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج ، ووصل خبر ذلك إلى الدولة فورد الأمر بعزل عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحي والعربان ، وأقام السنة ولم يخرج بنفسه إلى الحج ، بل أرسل ملا حسن عوضاً عنه ، فمنع أيضاً عن الحج فلما كانت القابلة انفتح عليه أمر الدورة ، وعصى عليه بعض البلاد ، فخرج اليها وحاصر بلدة تسمى كردانية ووقع له فيها مشقة كبيرة إلى أن ملكها بالسيف ، وقتل أهلها ، ثم توجه إلى جبل نابلس وقهرهم وجبى منهم أموالاً عظيمة ، ثم رجع إلى الشام واستقام أمره وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل في الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة وأبطل البدع والمنكرات واستتاب الخواطىء وزوجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمر بترك الاسراف في المآكل والملابس ، وشاع خبر عدله في النواحي ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم ، ثم انه ركب إلى بلاد النصيرية [1] وقاتلهم وانتصر عليهم وسبى نساءهم

---

(١) فرقة من الغلاة ، يراجع ما كتب عنها في كتاب الملل والنحل ، للامام الشهرستاني القسم الأول (الطبعة الثانية ص ١٦٨) .

وأولادهم ، وكان خيّرهم بين الدخول في الإسلام والخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم ، فلما شاهدوا ذلك أظهروا الإسلام تقية ، فعفا عنهم وعمل بظاهر الحديث وتركهم في البلاد ، ورحل عنهم إلى طرابلس وحاصرها بسبب عصيان أميرهـا بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصراً لها عشرة أشهر حتى ملكها واستولى على قلعتها ، ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم ، ثم ارتحل إلى دمشق وأقام بها مدة ، فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا إلى المزيريب ، فبادر مسرعاً وخرج إلى لقائهم ، فلما وصل إلى المزيريب وجـدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياماً ، فوصل اليه الخبر بأن سليمان باشا وصل إلى الشام وملكها ، فعاد مسرعاً إلى الشام ، وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران إلى المساء ، وبات كل منهم في محله ، ففي نصف الليل في غفلتهم والمترجم نائم وعساكره أيضاً هامدة ، فلم يشعروا إلا وعساكر سليمان باشا كبستهم ، فحضر اليه كتخداه وأيقظه من منامه ، وقال له ان لم تسرع وإلا قبضوا عليك ، فقام في الحين وخرج هارباً وصحبته ثلاثة أشخاص من مماليكه فقط ، ونهبت أمواله وزالت عنه سيادته في ساعة واحدة ، ولم يزل حتى وصل إلى حماة ، فلم يتمكن من الدخول اليها ومنعه أهلها عنها ، وطردوه فذهب إلى سيجر ، وارتحل منها إلى بلدة يعمل بها البارود ، ومنها إلى بلدة تسمى ريمة ، ونزل عند سعيد آغا فأقام عنده ثلاثة أيام ، ثم توجه إلى نواحي انكاهية بصحبته جماعة من عند سعيد آغـا المذكور ، ثم إلى السويدة ، ولم يبق معه سوى فرس واحد ، ثم انه أرسل إلى محمد علي باشا صاحب مصر واستأذنه في حضوره إلى مصر ، فكاتبه بالحضور اليه والترحيب به ، فوصل إلى مصر في التاريخ المذكور ، فلاقاه صـاحب مصر وأكرمه ، وقدم اليه خيولاً وقماشاً ومالا ، وأنزله بدار واسعـة بالأزبكية ، ورتب له خروجاً زائدة من لحم وخبز وسمن وارز وحطب ،

وجميع اللوازم المحتاج اليها ، وأنعم عليه بجوائز وغير ذلك ، وأقام بمصر هذه المدة ، وأرسل في شأنه إلى الدولة ، وقبلت شفاعة محمد علي باشا فيه ووصله العفو والرضا ، ماعدا ولاية الشام ، وحصلت فيه علة ذات الصدر ، فكان يظهر به شبه السَّلَعة [١] مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيداً عنه ، ويذهب اليه جماعة الحكماء من الافرنج وغيرهم ، ويطالع في كتب الطب مع بعض الطلبة من المجاورين ، فلم ينجع فيه علاج ، وانتقل إلى قصر الآثار بقصد تبديل الهواء ، ولم يزل مقيما هناك حتى اشتد به المرض ، ومات في ليلة السبت العشرين من شهر ذي القعدة سنة الف ومائتين وإحدى وثلاثين ، وحملت جنازته من الآثار إلى القرافة من ناحية الخلاء ، ودفن بالحوش الذي أنشأه الباشا وأعده لموتاه . وكانت مدة إقامته بمصر نحو الست سنوات ، فسبحان الحي الذي لا يموت .

الشيخ يوسف بن بدر الدين المغربي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني المواكشي السبتي المالكي المصري مولداً الدمشقي إقامة

إمام لا يبارى وهمام في ميدان العلوم لا يجارى ، قد اتصف بالعلم والعمل ، ونال من مرغوبه فوق ما يتعلق به الأمل ، ورقا فضله وفاق ، واشتهر فضله في الآفاق ، وكان ورعاً زاهداً تقياً عابدا ، له شعر رقيق ونثر أنيق ، ومحاضرة لطيفة ، ومذاكرة ظريفة ، وسيرة حسنة ، وصفات مستحسنة ، قرأ على السادة الأفاضل إلى أن جمع الفضائل ، ومما اتفق له وكتب في صحيفته أن بعض الأروام القاطنين في دمشق الشام استولى على الدار التابعة لدار الحديث الأشرفية الواقعة في العصرونية ثم ضم إليها

---

(١) السَّلَعة : خراج في البدن أو زيادة فيه كالغدة بين الجلد واللحم ، والسلوع من جسده سلعة .

الزاوية الغربية من المدرسة المرقومة التي كانت محل تدريس الإمام النووى قدس سره ومحل روايته للأحاديث ، فصارت محلاً لوضع براميل الخمر ، فتعرض المترجم المرقوم وطلب إعادة المحل لحاله ، ورفع الأمر إلى الوالي ، فلم تلتفت الحكومة إلى دعواه ، فتوجه المترجم إلى الاستانه وتعاطى أسباباً كثيرة لانقاذ هذا المحل من أيدي الرومي ، إلى أن استحصل فرماناً [1] سلطانياً في ذلك ، فعاد الى الشام وقدمه إلى الوالي فطرحه في زوايا الاهمال ، وبقي الأمر على ذلك ، ولم يقع المترجم على ثمرة ، الى أن جاء الأمير السيد عبد القادر المغربي أمير الجزائر من فرانسا الى الاستانة ، اجتمع به المترجم وشكى الأمر إليه ، ومشى مع الأمير الى بروسة محل إقامة الأمير في ذلك الوقت ، ثم انه استأذن من الأمير في العود الى الاستانة ، بقصد الرحلة إلى المدينة الشريفة والإقامة بها ، وبقي حضرة الأمير في بروسة بعد ذلك مدة طويلة ، نحو خمس سنوات ، ثم انه لما توالت هناك الزلازل ، وخربت كثيراً من المحلات ، وخرجت الناس من العمران وسكنت في الصحراء ، رحل الأمير الى دمشق الشام وأقام بها ، ورأى الأمر كما أخبره المترجم ، فأخذته الحمية الدينية والغيرة الإسلامية ، لانقاذ هذا المحل ، فأحضر الرومي ودفع له مالاً جزيلاً واشتراه منه ، وجعله وقفاً على المترجم وعقبه ، وأمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته ، ثم أرسل خبراً الى المترجم المرقوم الى المدينة المنورة ، وبعد حضوره من المدينة قرأ حضرة الأمير صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري في المدرسة المرقومة ، وكان ختامه في اليوم الرابع والعشرين من شوال سنة أربع وسبعين ومائتين وألف ، وعند الختم قدم المترجم هذه القصيدة للأمير السيد عبد القادر :

بك المسرات قد نالت أمانيها ... يانعمة ما لها شيء يدانيهـا
إن كان عيد الهنا تهنى بموسمه ... فالعيد كونك يا أقصى أمانيها

---

(١) أمراً سلطانيا .

يا نجل فاطمة الزهراء من فضلت ... طراً نساء الدنا من ذا يضاهيها
اني أهنيك بالعيد المبارك بل ... بكون مثلك في الدنيا أهنيها
نعم أهني دمشق الشام إذ ظفرت ... بمثلك الآن تغدو في ضواحيها
لما بدا وجهك الأبهى بساحتها ... ترادف الخير فيها مع نواحيها
لا سيما سيدي ما كان مدخراً ... من فك دار حديث من خنا فيها
بك استنارت وأحيا الله مربعها ... لما تلوت البخاري وسط ناديها
تلاوة ما سمعنا من تلاه بها ... من عهد يحيى النواوي في مغانيها
فاشكر إلهك إذ ولاك منه يدا ... ليست لغيرك جل الله معطيها
وابشر بخير فإن الله ذو كرم ... يخفي مقادير أشياء ويبديها
في علمه غيب أمرار إذا بلغت ... آجالها فلذا المخلوق يبديها
فالله يحبوكم عزاً كعزته ... أصحاب بدر الأولى ثم المضاهيها
لا زلت يانجل محيي الدين مرتقياً ... أوج الكمالات باديها وخافيها
ودام اشراقكم فيها ولكم ... بالبيت ارخت [1]
واجعل دعاء بظهر الغيب جائزتي ... ولا تُعِد لي الدنا إذ لست أبغيها

وللمترجم المرقوم هذه القصيدة الآتية ، وقد أنشدها في ذلك اليوم عند ختم الصحيح بين يدي الأمير ، فأحببت ذكرها لاشتمالها على فضل الممدوح حضرة الأمير ، ودلالتها على فضل المترجم المذكور ، وهي :

باب القبول لهذا الختم قد فتحا ... فلاح من يمنه برق السعود ضحى
وهبّ من روضة الرضوان عارفة ... أضحى بها القلب مسروراً ومنشرحا
أما ترى السعد قد لاحت بشائره ... وطائر اليمن في أدواحه صدحا
وهذه أوجه الإقبال مسفرة ... والوقت بالبشر والإقبال قد سمحا
فسل إلاهك ماترجوه من أمل ... واضرع إليه فوجه القرب قد وضحا
وابسط يديك إلى مولاك مبتهلا ... فسعي من أم باب الله قد نجحا
ان البخاري معلوم الإجابة في ... ما أمه المرء في أقرانه ونحا

(١) لبتنا هف على تمام البيت وتاريخه .

فما توسل محزون به ورجا ... إلا وأبدل من أحزانه فرحا
ولا تلاه لكشف الضر ذو حرج ... إلا تباعد عنه الضر وانفسحا
ولا تنفس من أنفاسه أرج ... إلا أتى فرج باللطف مفتتحا
فالهج به ورواة فيه قد وصلوا ... به حديث رسول الله متضحا
هم الأئمة تجلى كل داجية ... بنورهم وهم الأقطاب والصلحا
وهم أولو القرب في دنيا وآخرة ... والسادة القادة الهادون والنصحا
أهل الحديث حماة الدين تابعهم ... في متجر الحق والتحقيق قد ربحا
فازوا بدعوة خير الخلق ما وجدوا ... إلا ونور الهدى من وجههم لمحا
رووا حديث رسول الله عن كتب ... غضاً طرياً عليه الصدق متضحا
وقد نفوا كل شك عن شريعته ... فأرغموا أنف من للشك قد جمحا
جزاهم الله خيراً عن نبيهم ... ودينه وحباهم أجر من نصحا
وقد تسامى ابن اسماعيل في شرف ... بهم فنال العلا والفخر والمدحا
أدى إلينا صحيحاً من حديثهم ... بجامع فاق ترتيباً ومصطلحا
آتاه مولاه أجر المحسنين فقد ... أهدى المحدث عقداً ما له طمحا
قد اعتنى كل ذي دين وذي رشد ... به فحاز به التقديم والمنحا
ورددوا سرده في كل آونة ... يرجون من يمنه تقريب ما نزحا
وحاز قصب سباق في دراسته ... وفهمه عارف بالفضل قد رجحا
في مسجد الأشرف السلطان ماوسما ... دار الحديث بدرس أبهر الفصحا
ضبطاً وبحثاً مع الاتقان مقتضيا ... آثار من حلّها من سادة صلحا
مثل الإمام النواوي والمضاهي له ... ممن على منهج الإرشاد قد سبحا
فالله ينفعنا فضلا بجاههم ... ويكشف الكرب عن ذا الجمع والترحا
مولى به ملة الإسلام باسمة ... والدين عال وحال الناس قد صلحا
فكفه لذوي الحاجات بحر ندى ... وسيفه لضلال الكافرين محا

وصيته ألبس الإسلام عزته ... وعلمه لمعاني الدين قد شرحا
نور النبوة يبدو في أسرته ... وسرها من حلى أخلاقه وضحا
قد أكسب الدين رفعا والعلوم حلا ... فالكفر أصبح والعصيان منطرحا
وعمّر العمر بالطاعات مجتهدا ... في أشهر الخير للخيرات مقترحا
أدم إلهي لعز الدين عبدك من ... للقادر انضاف وامنحه العلا منحا
هو الإمام ابن محي الدين من ظهرت ... منه الكمالات في الدنيا كشمس ضحى
من قام لله في أمر الجهاد ومن ... غدا به صدر دين الله منشرحا
في عصرنا ماسمعنا من سواه حُبي[1] ... مثل الذي نال أو طرف كَهُو لمحا
أضحى له وزرا في كل نائبة ... تعرو وحصناً حصيناً كلما سنحا
وجاء للدرس والإملا جهابذة ... للبحث ان عدّ أو للفهم ان جنحا
قد لازموه ونالوا من معارفه ... مايخرس اللسن أو مايبهر الفصحا
فليهنأ الحاضرون نيل مقصدهم ... من الفوائد ان الباب قد فتحا
وليسأل القوم ماشاءوا لأنفسهم ... من فضله الجم ان الله قد منحا
والعلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... وخير ما اغتبق النحرير واصطبحا
وأسعد الناس من كانت بضاعته ... علم الحديث الذي قد صح واتضحا
وأسند العلم أخذاً عن أئمته ... فنال من علية الاسناد ما اقترحا
وللبخاري رجال يستغاث بهم ... في المحل ان حل أو في الخطب ان قدحا
بجاههم اسأل الرحمن مغفرة ... ورحمة تذهب الأحزان والترحا
ونكبة لعدوّ الدين عاجلة ... تدير بالهلك والتدمير كل رحا
بك انتصرنا وانت الله ناصرنا ... فالنصر منك لمن يدعوك مابرحا
انزل بهم ياشديد البطش قارعة ... تكسوهم الذل والتبديد والبرحا
وامدد بنصرك والتأييد عبدك من ... أضفته للمجيد القدر ممتدحا

(١) حباه يحبوه كذا : أعطاه إياه بلا جزاء والحبوَة جمعه حُبى : مايحتبى به .

وانظم به شمل هذا الدين واكس به ... جماعة المسلمين الأمن والفرحا
واجعل بطاعته يارب عصمتهم ... وألّف الكل واهد كل من نزحا
وزده حلماً وتوفيقاً وعافية ... واجعله أفضل من أمسى ومن صبحا
وارفع عماد الهدى والدين واحم به ... شرع النبي وخذ من زاغ أوجحا
واحفظ بطانته أركان دولته ... ممن أعان على خير ومن نصحا
ولا تدع لذوي العدوان قائمة ... وطهر الأرض ممن عاث أو مرحا
بخاتم الرُسُل المختار سيدنا ... محمد من به باب الهدى انفتحا
ما خاب من جعل المختار واسطة[1] ... ووصلة للذي يرجوه واقترحا
فإنه باب فضل الله ما برحت ... سحائب الجود منه تمطر المنحا
ما نال ذو مطلب دنيا وآخرة ... إلا استعار من المختار ما منحا
صلى عليه إله العرش ما طلعت ... شمس وما سار عيس بالحجيج ضحى
والآل والصحب ما انجاب الظلام وما ... ورق على غصن أيك ناح أو صدحا
أو قال يوسف بدر الدين مبتهلا ... باب القبول لهذا الختم قد فتحا

وللمترجم قصائد شهيرة ومقاطيع كثيرة ، وتآليفات بديعة ، وكتابات رفيعة ، وأسانيد عالية ، وأساتذة ذوو رتبة سامية . وقد أجازني بجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه العظام ، وقادته الكرام ، وقد انتفعت بفوائده ، وارتضعت من ثدي عوائده ، وأجازني أيضاً بسند عال ، ينتهي فيه إلى القاضي شمهورش عن النبي ﷺ ، وكان كثير الالتفات إلي حسن الثناء علي ، يذاكرني بمشكلات المسائل ، ويعرض لي لأولى جواب أجلا الوسائل ، وكان يطلب مني كثيراً قراءة حصة من القرآن ، على طريقة التجويد والاتقان ، وكان يحفظ القرآن الكريم المصون ، وكثيراً من القواعد والمتون بأنواع الفنون ، ويستشهد بها لإظهار الصواب ،

---

(١) « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » سورة الحشر الآية (٧) .

ولا يسأل عن شيء إلا وبأحسن الأجوبة أجاب . وله شرح على مولد العلامة الدردير ، لقد حمله من المعارف ما يحتاج إليه كل نحرير ، وحضر في الجامع الأزهر والمحل الأنور ، على أفاضل سادة وجهابذة قادة ، كالشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ محمد الأمير ، وأمثالهما من كل همام خبير ، وساح في كثير من الأقطار وأخذ عن علمائها الأخيار ، حتى شهد له العموم بأنه قطب دائرة المنطوق والمفهوم . وكان له مع والدي محبة عظيمة ، ومودة جسيمة ، ومذاكرات تشهد لهما بالفضل والسيادة ، ونصائح تدل على سلوكهما مناهج السعادة . وكان كثير التلاوة ، ملازماً للصلاة على النبي ﷺ متمسكاً بالشريعة الغراء لا ينفك عن العمل بها إن فعل أو تكلم ، متخلقاً بالأخلاق النبوية متحلياً بالشمائل الأحمدية ، ان جلس في مجلس كان نقطة مدار كلامه ، وواسطة عقد نظامه ، مع ماعنده من الجسارة في إظهار الملائم ، والديانة التي دعته أن لا تأخذه في الله لومة لائم . وكان لا يهاب في الحق كبيرا ، ولا يخشى حاكماً ولا وزيرا ، فلذلك كان يهابه كل من رآه ، ويتأمل منه الخير كل من رجاه . وقد كان منهلاً لكل وارد ، وملجأ لكل راج وقاصد ، ولم يزل على حاله متزايداً في تقواه وكماله ، مستقيماً على أطواره متحلياً بأجل أوطاره ، إلى أن دعاه المنون لمقامه الأجل المصون ، فلبى الدعوة العليا واختار الآخرة على الدنيا ، سنة تسع وسبعين ومائتين وألف ودفن في تربة باب الصغير .

الشيخ يوسف بن الشيخ عمر البشتاوي النابلسي محتداً الدمشقي وطنا النقشبندي طريقة

فاضل نجيب وعالم أريب ، وغصن في رياض المعالي رطيب ، وبدر في سماء الأدب لا يغيب . لم يزل صدراً للافادة ، يرعى في ربيع فضله ذوو الاستفادة . وله نظم ونثر تنقله الركبان ، وتقف دونه سوابق الحسن

والاستحسان ، قد ألقى الدهر له مقاليد الاسعاد ، وجعل من جملة مريديه الحاج محمد نجيب باشا والي بغداد ، واطلع محيـــا بدره في أفق الجلالة والتعظيم ، وخفض له جنـــاح ذوي الفضل والتكريم . ومن جملة نظمه مستغيثاً بسيدنا يحيى الحصور [١] ﷺ :

باكر مصل بني أمية في الدُّجا ... واعطف على كنز السماح معرجا
وارقب مهب الجود من أعتابه ... والزم لذياك المقـام أخا الحجا
يمم وقف متضرعـاً يجنـــابه ... وابسط أكف الفقر في باب الرجا
وادعوه يا يحيى الحصور وقل له ... عطفاً على جان إليك قد التجا [٢]
يا سيداً وصف الإله كمالـــه ... في محكم التنزيل أضحى مدرجا
ذو الجاه يرجى في الخطوب ولم يزل ... عند الشدائد مسعفاً ومفرجـــا [٣]
إني رجوتك حاجة فاشفع بهـا ... عند الكريم ومن رجاك فقد نجا
عجل بها يا ابن الكرام أجب أجب ... فالأمر ألجـأ للجاج وأحوجـــا
سل خالقي فيما رجوت اجابة ... واسأله لي من كل ضيق مخرجا
صلى عليك الله ربي دائمـــاً ... ما البدر أشرق فاستنار به الدجا

ومن نظمه :

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قـــد حملت اليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا ... زاراك حبـــواً لا على قدميهما
ما كان ذنبهما إليك فطالمـــا ... منحـاك نفس الود من نفسيهما
كانا إذا ما أبعـــرا بك علة ... جزعـــا لما تشكو وشق عليهما
كانا إذا سمعـــا أنينك أسبلا ... دمعيهما أسفـــاً على خديهما
وتمنيا لو صادفـــا لك راحة ... بجميع ما تحويه ملك يديهما

---

(١) « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لـكم » (الأنفال ، الآية ٩) .
(٢) قال تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي ، لعلهم يَرْشدون » (البقرة ، الآية ١٨٦) .
(٣) وقال سبحانه : « أمّن يجيب المضطر اذا دعاه، ويكشف السوء » (النمل ، الآية ٦٢).

فنسيت حقها عشية أسكنـــا دار البلا وسكنت في داريها
فلتلحقنها غـــداً أو بعـــده حتما كما لحقـــا هما أبويها
ولتندمن على فعـــالك مثل ما ندما همـــا حقاً على فعليهما
بشراك لو قدمت فعلاً صـــالحاً وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تسطيعـــه وبعثت ذاك إليهما
فاحفظ حفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنـــال الفوز من بريهما

وله نثر بديع وانشاء قدره رفيـــع ، توفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وستين ومائتين وألف من هجرة سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، مدى الليالي والأيام .

الشيخ يوسف بن محمد البطاح الأهدل الشافعي

العلامة الماجد ، والتقي النقي الراكع الساجد ، نخبة العلماء وزبدة الفضلاء ، ولد سنة الف ومائة و . . . ثم بعد حفظ القرآن وتجويده مع الاتقان أخذ العلوم العقلية ، والمعارف النقلية ، عن السيد العلامة والسند الفهامة ، سليمان ابن يحيى الأهدل ، ولازمه كثيراً وكان لعمري بالملازمة جديرا ، وأخذ عن أهل اليمن والحرمين الشريفين ، وكانت له اليد الطولى في كل علم بلا ريب ولا مين . وتفرغ بمكة والمدينة تفرغاً عظيماً لنشر العلوم ، وبرع وفاق على ذوي المنطوق والمفهوم ، وألف ودرس ووقع به النفع العام ، ومن مؤلفاته : إفهام الأفهام شرح بلوغ المرام في مجلدين ، وكان رحب الصدر لين الجانب ، له في الدرس صبر عظيم وتقدير يزدري بالدر النظيم ، وقد قال فيه صاحب النفس اليماني :

العالم الفاضل النحرير أفضل من بث العلوم فأروى كل ظمآن

مات شهيداً في الوباء العام الواقع سنة الف ومائتين وست وأربعين الذي مات فيه خلائق لا يحصون عدداً من الحجاج ، حيث انتهى الأمر الى العجز

عن دفن الأموات ، وخلت في تلك السنة بيوت كثيرة في جدة ومكة من أهاليها بحيث لم يبق فيها أحد ، وتركت أموال عظيمة لا يدري من يستحقها من الورثة ، وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة فكان يموت كل يوم أكثر من ألف ، وخلا كثير من القرى بحيث لم يبق فيها إلا المواشي والأموال ، ولا يزال ينتقل هذا الوباء في النواحي والأقطار ، والقرى والأمصار ، حتى عم البلاد الشامية والمصرية ، والتركية والعربية ، وكان تاريخ هذا العام « لنهلكن الظالمين » ، ومن الذي لم يظلم نفسه ، نسأل الله العفو والعافية والسلامة الوافرة السامية ، ودفن ذلك المترجم في مكة في مقبرة المعلى رحمه الله تعالى آمين .

الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي رحمه الله تعالى

قد انكب على العلم واجتهد ، حتى تميز بين العلماء وانفرد ، ولقد ترجمه العلامة الشوكاني بقوله : شيخنا المسند الحافظ ، ولد تقريباً عام الف ومائة وأربعة عشر ونشأ بزبيد ، وأخذ عن علمائها ، ومنهم والده ، وبرع في العلوم دراية ورواية إلى أن صار حامل لواء الإسناد في آخر أيامه ، ووفد الى صنعاء في شهر ذي الحجة سنة الف ومائتين وسبع ، وسمع منه العدد الكثير والجم الغفير . وقد رووا عنه أسانيد الحافظ الشيخ ابراهيم الكردي ، وهو يرويها عن أبيه عن جده علاء الدين ، عن الشيخ ابراهيم . مات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثلاث عشرة ، وكان رحمه الله تعالى له حب لآل بيت النبي ﷺ ويقول عند ذكر حبه لهم .

وهل يستوي ود المقلد والذي له حجة في حبه ودلائل

يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ ازمان قرية اجزم (بصيغة الأمر) الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين من البلاد المقدسة ، وهي الآن تابعة لقضاء حيفا من أعمال عكا التابعة لولاية بيروت[١]

أقول ان هذا الإمام ، والشهم الأديب الهمام ، قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم الزواهر ، وسعدت مطالع شمائله بآدابه المعجبة البواهر ، فهو الألمعي المشهود له بقوة الادراك ، واللوذعي المستوي مقامه على ذروة الأفلاك ، وله ذكاء أحد من السيف إذا تجرد من قرابه ، وفكر إذا أراد البحر أن يحكيه وقع في اضطرابه ، ونثر يزري بالعقد الثمين والدر المنثور ، وشعر يدل على كمال الادراك وتمام الشعور ، فهو فارس ميدان اليراع والصفاح ، وصاحب الرماح الخطية والأقلام الفصاح ، فلعمري لقد أصبح في الفضل وحيدا ، ولم تجد عنه النباهة محيصاً ولا محيدا ، وناهيك بمحاسن قلدها ، ومناقب أثبتها وخلدها ، إذا تليت في المجامع ، اهتزت لهـا الأعطاف وتشنفت المسامع . ومن جملة آثاره ، الدالة على علوه وفخاره ، تآليفه الشريفة ، التي من جملتها أفضل الصلوات ، على سيد السادات ، ووسائل الوصول ، الى شمائل الرسول ، والشرف المؤبد ، لآل محمد ، ﷺ وقد اطلعت على هذا الكتاب ، فوجدته قد ارتدى بالكمال وتمنطق بالصواب ، وقد اشتمل آخره على شذرة من ترجمة هذا الهمام ، قد ترجم بها نفسه فنقلتها بحروفها تتميماً للمرام .

---

(١) لم تعد تابعة لولاية بيروت ، بل احتلتها الصهيونية اليهودية العالمية منذ خمسة عشر عاما ، بمعاونة بعض الدول الأجنبية ، وأهلها مشرّدون ، « وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » .

وهي : ولدت في قرية اجزم المذكورة آنفاً سنة خمس وستين تقريبا ، وقرأت القرآن على سيدي ووالدي الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ اسماعيل النبهاني ، وهو الآن في عشر الثمانين كامل الحواس قوي البنية جيد الصحة ، مستغرق أكثر أوقاته في طاعة الله تعالى ، كان ورده في كل يوم وليلة ثلث القرآن ، ثم صار يختم في كل أسبوع ثلاث ختمات ، والحمد لله على ذلك ، « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »[1] ثم أرسلني حفظه الله وجزاه عني أحسن الجزاء إلى مصر لطلب العلم ، فدخلت الجامع الأزهر يوم السبت غرة محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وثمانين بعد المائتين والألف ، وأقمت فيه إلى رجب سنة تسع وثمانين ، وفي هذه المدة أخذت ما قدره الله لي من العلوم الشرعية ووسائلها ، عن أساتذة الشيوخ المحققين ، وجهابذة العلماء الراسخين ، من لو انفرد كل واحد منهم في اقليم ، لكان قائد أهله إلى جنة النعيم ، وكفاهم عن كل ما عداه في جميع العلوم ، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم ، أحدهم ، بل أوحدهم ، الأستاذ العلامة المحقق ، والملاذ الفهامة المدقق ، شيخ المشايخ وأستاذ الأساتذة سيدي الشيخ إبراهيم السقا الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين سنة ، وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل في قراءة الدروس ، حتى صار أكثر علماء العصر تلاميذه إما بالذات أو بالواسطة ، لازمت دروسه رحمه الله ثلاث سنوات ، وقرأت عليه شرحي التحرير والمنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بحاشيتيهما للشرقاوي والبجيرمي ، وقد أجازني رحمه الله بإجازة فائقة وهي هذه بحروفها .

بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها ، ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها ، بحسن الإنشاء وصحيح الخبر ،

---

(١) الآية (٥٨) من سورة يونس .

يا من تجيز من استجازك وافر الهبات ، وتجير من استجارك واعر العقبات ، فيغدو موقوفاً على مطالعة الأثر ، مابين مؤتلف الفضل ومتفقه ، ومختلف العدل ومفترقه ، جيد الفكر سليم الفطر ، يجتنى بمنتج قياسه شريف الفوائد ، ويجتبى بمهج اقتباسه شريف الفرائد . ويحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر ، فان صادفه مديد الإمداد ، وصادقه مزيد الإنجاد ، وصفا مشربه الهني ولا كدر ، ووجد درر الجواهر ويا نعم الوجادة ، بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة ، ولا أشر ولا بطر ، فبذل المعروف وبدل المنكر ، إذ ليس عنده إلا صحاح الجوهر ، معتنى وما اقتنى غيرها عندما عثر ، لايزور ولا يدلس ، ويطهر ولا يدنس ، ولا يعاني الشرر ، فيامن منّ على هذا المنقطع الغريب ، ومنحه منحة المتصل القريب ، امنحني السلامة في داره ونجني من سقر ، ومنك موصول صلات صلواتك ومقطوعها ، وسلسل سلسبيل تسليماتك ومجموعها ، على سندنا وسيدنا محمد سيد نوع البشر ، وعلى آله وأصحابه ، وحملة شريعته وأحبابه ، ومن اقتفى أثرهم وعلى جهاد نفسه صبر .

أما بعد فلما كان الاسناد مزية عالية ، وخصوصية لهذه الأمة غالية ، دون الأمم الخالية ، اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر ، اذ الدعيّ غير المنسوب ، والقصي غير المحسوب ، وسليم البصيرة غير أعشى الفكر ، ولما كان منهم الإمام الفاضل ، والهمام الكامل ، والجهبذ الأبر ، اللوذعي الأريب ، والألمعي الأديب ، ولدنا الشيخ يوسف بن الشيخ اسماعيل النبهاني الشافعي أيده الله بالمعارف ونصر ، طلب مني إجازة ليتصل بسند سادتي سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، وينتظم في سلك قد فاق غيره وبهر ، فأجبته وإن لم أكن لذلك أهلا ، رجاء أن يفشو العلم وأنال من الله فضلا ، وأنجو في القيامة مما للكاتمين من الضرر ، فقلت : أجزت

ولدى المذكور بما تجوز لي روايته ، أو تصح عني درايته ، من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر ، كما أخذته عن الأفاضل السـادة ، الأكابر القادة ، مسددي العزائم في استخراج الدرر ، منهم أستاذنا العلامة ولي الله المقرب ، وملاذنا الفهامة الكبير ثعيلب ، بوأه الله أسنى مقر ، عن شيخه الشهاب احمد الملوي ذي التآليف المفيدة ، وعن شيخه احمد الجوهري الخالدي صاحب التصانيف الفريدة ، عن شيخهما عبد الله بن سالم صاحب الثبت الذي اشتهر ، ومنهم شيخنا محمد بن محمود الجزائري عن شيخه علي بن عبد القادر بن الأمين ، عن شيخه أحمد الجوهري المذكور الموصوف بالعرفان والتمكين ، عن شيخه عبد الله بن سالم الذي ذكره غير ، ومنهم الشيخ محمد صالح البخاري ، عن شيخه رفيع الدين القندهاري ، عن الشريف الادريسي عن عبد الله بن سالم راوي أحاديث الأبر ، ومنهم سيدي محمد الأمير ، عن والده الشيخ الكبير ، عن أشياخه الذين حوى ذكرهم ثبته الشهير ، ومنهم غير هؤلاء ، رحم الله الجميع ولي وللمجاز ولهم أكرم وغفر ، وهؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير ، وجمع كثير ، كالشيخ الحفني والشيخ علي الصعيدي وغيرهما فسانيدهم مسانيدي فما أكرمها من نسبة وأبر ، وقد سمع مني المجاز كتباً عديدة ، معتبرة مفيدة ، كالتحرير والمنهج ، وفقه الله لمحاسن مابه أمر ، آمين ، بجاه طه الأمين ، في ١٨ رجب سنة الف ومائتين وتسع وثمانين هجرية .

الفقير اليه سبحانه ابراهيم السقا الشافعي بالأزهر عفي عنه . ومن أشياخي المذكورين سيدي الشيخ المعمر العلامة السيد محمد الدمنهوري الشافعي المتوفى سنة الف ومائتين وست وثمانين عن نحو التسعين سنة ، وسـيدي العلامة الشيخ ابراهيم الزرو الخليلي الشافعي المتوفى سنة الف ومائتين وسبع وثمانين

عن نحو السبعين ، وسيدي العلامة الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي المتوفى سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين عن نحو الستين ، وسيدي العلامة الشيخ حسن العدوي المالكي المتوفى سنة الف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو الثمانين ، وسيدي العلامة الشيخ السيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى سنة الف وثلاثمائة وخمس وقد أناف على السبعين ، رحمهم الله أجمعين ، وجمعني بهم في مستقر رحمته بجاه سيد المرسلين . ومنهم وحيد مصر وفريد هذا العصر سيدي العلامة الشيخ شمس الدين محمد الانبابي الشافعي شيخ الجامع الأزهر الآن ، لازمت دروسه سنتين في شرحي الغاية لابن قاسم والخطيب وفي غيرهما ، وسيدي العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي ، وسيدي العلامة الشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي الطرابلسي شيخ رواق الشوام ، وسيدي العلامة الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي شيخ رواق الحنابلة حفظهم الله ، وأطال أعمارهم وأدام النفع بعلومهم . ولي شيوخ غيرهم ، منهم من هو موجود الآن ، ومنهم من قد دخل في خبر كان ، وكلهم علماء أعلام ، جزاهم الله عني خيراً وجمعني بهم في دار الكرامة والسلام .

الشيخ يوسف بن عبد القادر بن محمد المشهور بالأسير

شيخ فاضل ، وعالم كامل ، ذو أسلوب حسن ، وبلاغة ولسن ، وقريحة جيدة ، وفكرة لما تبديه مجودة ، قد سار ذكره مسير المثل ، واشتهر أمره اشتهار الأثل ، وانتفع به عدد وافر ، وأذعن لفضله أعيان الأكابر ، ولد في مدينة صيدا في حـــدود سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين ، وتعلم القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين على الشيخ ابراهيم عارفة ، وجوده على الشيخ علي الديربي ، ثم شرع في طلب العلم ، فقرأ على الشيخ محمد الشرنبالي نحو خمس سنين ، ثم توجه إلى دمشق الشام ، فحضر على أعيان علمائهـا الأعلام ،

وأقام في المدرسة المرادية ستة أشهر ، وذلك سنة سبع وأربعين بعد المائتين والف ، ثم بلغه وفاة والده فعاد إلى وطنه وبلده ، وأقام بها نحو ثلاث سنين يتعاطى التجارة في مكان أبيه ، ويربي إخوته مع عدم تركه لطلب العلم ، ثم توجه إلى الأزهر الشريف فأقام به سبع سنين ، وقرأ فيه على جملة من العلماء الأعلام ، منهم الشيخ محمد الشبيني والشيخ محمد الطنتدائي والشيخ محمد الدمنهوري والشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ أحمد الدمياطي وغيرهم ، ثم عاد إلى بلده صيدا وقرأ بها الفقه للعموم ، ثم توجه إلى طرابلس الشام وأقام بها نحو ثلاث سنين ، فحضر عليه بها جماعة من أفاضلها ، ثم تقلد القضاء في لبنان نحو سبع سنين ، ثم صار معاوناً لقاضي بيروت ، ولم يزل يتعاطى التدريس للعموم وللخصوص ، وقد ألف جملة من الكتب ، منها رائض الفرائض ، ومنها شرح أطواق الذهب ، وغيرهما ، ومن نظمه :

لطيبة الغراء ذات النور ... سِرْ بي أُمَرْ
فان بي لتربها الكافور ... شوقاً أَمَرْ
ابقى إذا ما لاح للبرق ابتسام ... من نحوها أو فاح لي عرف انتسام
أو مَرَّ بي ذكر لتلك الدور ... كالمحتضر
قد جد بي وجدي وأغراني الغرام ... إلى مقام المصطفى خير الأنام
من جاء كالمصباح في الديجور ... يهدي البشر
وقام يسعى في صلاح المهتدين ... ثم انتحى للمارقين المعتدين
مثل انتحاء البازِ للعصفور ... حتى قهَرْ
وجاء للخلق بقرآن مجيد ... في الدين والدنيا بلا شك مفيد
ألفاظه كاللؤلؤ المنثور ... فُصِحَ غُرَرْ
حلو المعاني لذة للسامعين ... يا حبذا هادٍ إلى الحق المبين
به انمحت آثار كل زور ... لما ظهر

كم من براهين على صدق الرسول فيه وكم داع لأرباب العقول
إلى الهـدى والعمل المبرور وكم عِبَرْ
محمـد رسول رب العالمين بر رؤوف راحم بالمؤمنين
وقد غزا بجيشه المنصـور من قد كفر
وعنه قد أخبرنا موسى الكليم بأنه رسول مولانا الكريم
وخط في كتابه المسفور هذا الخبر
كذاك روح الله عيسى عنه قال بأنه ليس لشرعـه زوال
وذاك في انجيـله المسطور قد انسطر
يا ربنا احشرنا جميعاً آمنين ومن نحب من خيار المسلمين
تحت لواء عزه المنشـور يوم الحذر
عليه من ربي الصلاة والسلام وآله وصحبه الغر الكرام
ما انتظم الورد مع المنثور غب المطر
وغرد القمري مع الشحرور فوق الشجر

ومن موشحاته التي عارض بها الأندلسيين قوله :

يا بريقاً من ربا نجـد بدا حي عني حي ذاك الوطن
لست أنسى حسن أنس أبدا كان كالعرس بذاك المسكن

دور

شهد الله شجـاني ذكره لأريج جـاء من أرجائه
فعليّ اليوم حقـاً شكره والثنـا مني على اثنـائه
لا تلم صبـاً تبدى سكره ان تلا الأنباء عن أبنائه
هم بدور الدور أرباب الندى وأولو الحسن وأهل اللسن
سكنوا الوادي دهراً فغدا كسما الدنيا كذا في حضن

دور

بينهم لي فرقد قد أشرقـــا ورعى مني الحشـــا لاذمي
يتهادى بين غزلان النقـــا كتهادي البدر بين الأنجم
مفرد العصر جمالا مطلقـــا فلذا أسري إليـــه ينتمي
منجد لكنه ما أنجـــدا متهما في وصله من شجن
مخلف وعد وصـــالي سرمدا وإذا أوعدني لم يخن

دور

ياله ظبيـــاً بعقلي لعبـــا طلق الوجه وقيـــد الناظر
فاق إن قيس ببلقيس سبا[1] مع سنا الملك بحسن باهر
نونه أبدى سبيلاً عجبـــا صيده الصيد يحفن فـــاتر
ومن الشـــام له خال شدا بلبلاً في مصر حسن الحسن
ومن الحور له القلب فـــدا طرفه الهندي اليماني اليزني

دور

كنز در ثغره قد حرســـا بارق رطب أنيق منتظم
عجباً كيف به قد غرســـا في عقيق وبيـــاقوت ختم
يا حريقي لو أسا مني الأسى[2] برحيق فيه بالريق وســـم
كنت أروي القلب من حر الصدى وأرى طرفي لذيذ الوسن
وأصوغ الشعر شفعـــا مفردا في حلى الشهم الزكي الفطن

دور

---

(١) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حِمْيَر ، ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وتراجم ترجمتهـــا ومصادرها في الأعلام ، للأستاذ الزركلي .

(٢) أسا يأسو الجرح : داواه ، والأسى : الحزن من أسِيَ يأسَى بمعنى : حزن .

هو ذو الفضل سليم سلمـــا من عدو وظلوم وحسود
طلب العلم فأمسى حلمـــا فيه وازداد ارتقاء في السعود
وهو من قوم فخـــام كرما زانهم مجد وافضال وجود
فهو في تلك المزيّات اقتدى بأبيه ذي العلا عبد الغني
من لأهل الفقر أضحى سنداً ودواماً عنده الفضل عني

دور

باسم شهر الصوم في القوم اشتهر وهو ذو فضل على باقي السنه
وهو في الأعيان ذاك المعتبر مدحته في الصدور الألسنه
ذو أيادٍ بهرت جود المطر وهو في تلك الوجوه الحسنه
كعبة للجود ركن للجدا محمل المـــدح لكل الألسن
فهو في عصر سعيد وجدا ثم لا زال بطول الزمن

دور

ملتقى الأبحـــر تلقى داره وبهـــا المجد ينادي با لفصيح
أبشروا بالسعد يا أقمـــاره واهنأوا بالمنزل العالي الفسيح
وتـــلا بشر بهـــا آثاره وبهـــا رونقه زاه صريح
فهي صرح بالمعـــالي مردا والمعـــالي وعلى التقوى بني
مُدّ باليمن وفيـــه شيدا قصرهـــا دام بذاك المأمن

دور

وبنوا بانيه أبنـــاء العلا كنجوم في سماء بل بدور
قصروا الجهـــد على نيل العلا فاستطالوا وسواهم في قصور
واستووا في أوجها حيث علا وعلى الأوجه منهم كل نور

عندهم سوق المعالي والهدى نافق والكل بالعـــلم غني
فهم الغُرّ الكرام السعـدا والثنـــا منهم عليهم ينثني

دور

لسليم الطبع أهـــدي جملا ذاك من حلفي ويانعم الرفيق
هو ممدوحي لدى كل الملا وهو حقا كامل حـر رقيق
فهو لازال كريماً مفضلا لذوي الحب ومسرور الصديق
فأهنيه وأهـــدي منشـدا بهداه شـــاديا في العلن
فهنيئـــاً ثم تاريخ بدا جليت شمس إلى البدر السني

وله نظم كثير ، ونثر بديع شهير ، وقد نعـــاه الناعي ليلة السبت خامس ربيع الثاني سنة سبع وثلاثمائة والف ، فندبه كماله وفضله ، وبكاه العلم وأهله ، وحزن له البعيد والقريب ، وأسف لفقده النسيب والغريب ، وانفتح للتعازي والمراثي باب المقال ، وانفسح للنوادب في تعداد محاسنه المجال ، وعظم الكرب والهم ، واشتد الخطب والغم ، وقد ألبس الحزن بلدته لباس البوس ، ووجه نحوها وجهه العبوس ، وفي صباح ذلك اليوم حشر الناس لحضور مناحته ، وشهود تشييع جنازته ، وبعد تجهيزه والصلاة عليه وتوجيه أعالي الدعوات اليه ، سار الناس بنعشه والنوح يحدوه ، وصياح اللوعة لايعـــدوه ، إلى أن دفنوه ، في مقبرة البشورة ، ولا غرو فانهم فقدوا من بلدهم فاضلاً عالماً عاملاً كاملاً ، كان خير جليس مفيد ، وملجأ للمتعلم والمستفيد ، وما أحسن ماقيل من بديع الأقاويل :

الا إنما الدنيا نظارة أيكة إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ماالآمال إلا فجائع عليها ولا اللذات إلا مصائب
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة على ذاهب منها فانك ذاهب

مستدركات

بيان وإيضاح

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار : كان استعار مني الشيخان الجليلان محمد راغب الطباخ ــ مؤلف تاريخ حلب ــ ومحمد جميل الشطي مؤلف روض البشر ــ استعارا مني تاريخ الأستاذ الجد « حلية البشر » ونقلا منه مافاتهما في تاريخيهما معزوّاً إلى المؤلف ، رحمهم الله تعالى وأثابهم على عملهم خير الثواب .

وأرى الآن أن أنقل ملاحظة للأستاذ الشطي كان كتبها بخطه ، وهي محفوظة عندي ، وأجيب عنها بما هو واضح للقراء . قال رحمه الله تعالى : يستغرب من أستاذنا المؤلف أنه لم يترجم شقيقه العلامة الفقيه الشيخ محمد البيطار ، مع أنه ترجم ولده الشيخ محمود البيطار ، فلا عجب إذا لم يترجم صديقيه العالمين الشيخ محمد الشطي والشيخ أحمد الشطي ، رحمه الله رحمة واسعة ، آمين اه . (ج . ش)

والجواب عن هذا الاستغراب ، ما نشرته في مقدمة الكتاب ، وهو أن مؤلفه رحمه الله ورضي عنه ، قد كتبه في أدوار متفرقة من أيام شبابه وكهولته وشيخوخته ، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنوات ، لما أضرّ بيده اليمنى من الأسى والشلل القليل ، إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ هـ . غير أنك تجد في « حلية البشر » من الفوائد ما لا تجده في غيره ، وقد اعتذرت عن المؤلف في كل ما يظهر فيه مجال للنظر أو موضع للنقد ، بنحو ما تقدم من ضرورات ألجأته إلى ترك الكتابة . على أني استدركت بعض ما فات المؤلف أو سها عنه ،

ومنه الترجمة لشقيقه الأكبر الشيخ محمد ، فقد أوردتها في آخر من اسمه محمد من حرف الميم ، واني مورد هنا ما كتبه صديقنا الأعز الشيخ محمد جميل الشطي في تاريخه لصديقي المؤلف الشيخين محمد وأحمد الشطي ، رحم الله الجميع رحمة واسعة .

قال في « تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري » مانصه :

الشيخ محمد الشطي

ترجمه ولده سيدي العم مراد افندي فقال ما خلاصته : هو محمد بن حسن بن عمر بن معروف الشطي الحنبلي الدمشقي . العالم الفاضل الفقيه الفرضي الحيسوبي الهمام ، كان من أعيان العلماء سخياً ودوداً حسن العشرة . ولد بدمشق في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٤٨ ، ونشأ في حجر والده العلامة ، وقرأ القرآن وجوده وحفظه على الشيخ مصطفى التلي ، ولازم دروس والده توحيداً وفقهاً وفرائض وحساباً ونحواً وصرفاً وغير ذلك ، وبه تخرج وانتفع ، واستجاز له والده المنوه به من أئمة دمشق وقتئذ الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار والشيخ عبد الرحمن الطيبي ونزيل دمشق الشيخ محمد التميمي ، فأجازوه ، وروى عنهم حديث الأولية ، ولازم بعد وفاة والده (سنة ١٢٧٤ هـ) الشيخ عبد الله الحلبي فحضر عليه طرفاً من الحديث والفقه والنحو . ولما ورد إلى دمشق الشيخ محمد أكرم الأفغاني ، لازمه مدة في علم الفلك وغيره ، وكتب له إجازة عامة .

وقد عُني المترجم بالتأليف والجمع ، فألف وجمع كتباً ورسائل جمة . منها في الفرائض رسالة الفتح المبين (طبعت بدمشق سنة ٣١٣ ثم أعيد طبعها سنة ٣٥٣) وكتاب صحائف الرائض ، وقد جعل في كل صحيفة منه بحثاً خاصاً . ومنها في الهندسة بسط الراحة لتناول المساحة ، اختصره من كتاب والده ، وذيله بخريطة فيها رسم الأشكال الهندسية ، مع بيان

مساحتها بالأرقام ، (مطبوعة) ، وكان أرسلها إلى الأستانة ، فأصدرت نظارة المعارف أمرها بطبعها ومكافأته عليها ، وذلك سنة ٢٩٢ ، ومنها في الفقه : توفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية ، نحو مائتي مادة ، (طبعت في مصر سنة ٣٢٥) وتسهيل الأحكام فيما يحتاج إليه الحكام ، نحو ألف مادة ، والقواعد الحنبلية في التصرفات العقارية (مطبوعة) ومنها شرح على الدور الأعلى للشيخ الأكبر ، وشجرة في النحو على طريقة الإظهار واختصر منسك والده ومعراجه (مطبوع) وجمع دفتراً كبيراً في تقسيم مياه دمشق وبيان أسهمها المترية ، وله غير ذلك .

وكان يميل إلى إحياء المذاهب المندرسة ونشرها ، وله اطلاع واسع على أقوال المجتهدين ، حتى ان العلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق كان طلب منه جمع مسائل الإمام داود الظاهري ، فجمع رسالة في ذلك قدمها إليه في أيام يسيرة ، (طبعت بدمشق سنة ١٣٣٠) . ثم ذكر وظائفه وأعماله مرتبة على السنين ، وكانت وفاته سنة ١٣٠٧ ، ودفن في مقبرة الذهبية بمشهد عظيم انتهى .

قال : وقد ترجمه الأستاذ القاسمي في تاريخه المخطوط ، والسيد تقي الدين في تاريخه المطبوع ، رحمه الله وجزاه عنا خيراً ، (قال) : وأعقب صاحب الترجمة أولاده الأربعة والدي العالم الفرضي عمر افندي المتوفى سنة ٣٣٧ ، والتقي معروف افندي المتوفى سنة ٣١٧ والمتفنن مراد افندي المتوفى سنة ٣١٤ والقاضي المتقاعد الشيخ حسن افندي الباقي الآن سلمه الله اهـ . توفي الشيخ حسن في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ ٢٦ ت الأول ١٩٦٢ رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد الشطي

هو أحمد بن حسن بن عمر الشطي الدمشقي ، مفتي الحنابلة بدمشق ، وأحد علمائها الأعلام ، المحدث الفقيه الفرضي الحيسوبي . أستاذي وعم والدي . ولد في ٢٤ صفر سنة ١٢٥١ ، ونشأ في حجر والده العلامة على أكمل تربية وأحسن أدب . وقد قرأ القرآن وجوّده وحفظه على الشيخ مصطفى التلي ، ثم لازم دروس والده من حديث وفقه وفرائض وحساب وهندسة ونحو وغير ذلك ، وبه انتفع وتخرج ، واستجاز له والده المنوّه به من علماء دمشق وقتئذ : الكزبري والعطار والحلبي والطيبي والتميمي نزيل دمشق ، فأجازوه ، وروى عنهم حديث الرحمة بأولية حقيقية ، واستجاز كلا من الشيخ أحمد البغال والشيخ قاسم الحلاق فأجازاه ، ولازم بعد وفاة والده الشيخ عبد الله الحلبي وحضر دروسه . ولما توفي والده سنة ٢٧٤ قدم للتدريس في مكانه ، فدرس في محراب الحنابلة من الجامع الأموي في محفل عظيم ، واستمر يدرس به في رمضان إلى وفاته — وأما دروسه الخاصة في داره فكانت شائقة جداً ، بحيث يجتمع عنده كثير من الطلاب ، فيقرئهم في الحديث والتوحيد والفقه والفرائض والحساب والنحو . وكان حلو التقرير ، حسن التعبير ، طلق اللسان ثابت الجنان ، ولم يؤلف شيئاً ، وإنما كانت له حواش مفيدة على بعض كتب الفقه والفرائض ، وقد انتفع به خلق كثير من دمشق ونابلس ونجد وحوران ودوما وغيرها ، وفيهم علماء معروفون . وفي سنة ٢٧٣ وجهت عليه من الدولة العثمانية رتبة تدريس ادرنة . وفي صفر سنة ٢٨٨ وجهت عليه فتوى الحنابلة بدمشق ، بإذن من مفتي دمشق العام ، فأفتى في حوادث شتى ، وفي سنة ٢٩٥ ولي نيابة محكمة العمارة بدمشق . ولما توفي الشيخ محمد البرقاوي قاضي الحنابلة ، ولي القضاء في مكانه واستقال من النيابة ، ولم تطل مدته فيه حيث ألغي القضاء من أصله يومئذ ، وكان ترك له أخوه سيدي الجد فرضية البلدية بدمشق ، فاستقر بها وبالفتوى إلى وفاته .

وتولى هو والجدّ الموما إليه نظـارة وتدريس المدرسـة البادرائية ، وكانا مرجع أهل دمشق في المناسخات والمساحات وتقسيم المياه والدور . وبالجملة فقد كان المترجم حسنة من حسنات الدهر . وكانت وفاته فجأة عقب نزوله من بستان قرب الربوة ، وذلك يوم الاثنين ١٢ صفر عام ١٣١٦ هـ ودفن في مقبرة الذهبية بمشهد حافل رحمه الله تعالى .

وقد ترجمه الأستاذ القاسمي والشريف تقي الدين في تاريخيهما وأثنيا عليه كثيرا ، وأعقب المترجم أولاده الأربعة ، العـالم الصوفي الشيخ مصطفى افندي المتوفى سنة ١٣٤٨ والنبيل طاهر افندي المتوفى سنة ١٣٥٦ ، والذكي سعيد افندي المتوفى سنة١٣١٥رحمهم الله ، والوالي المتقاعد عبد اللطيف الباقي الآن حفظه الله . وقد توفي ٢ رجب سنة ١٣٦٧ هـ رحمه الله تعالى

الشيخ محمد جميل الشطي

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار :

بعد أن أوردنا تراجم الأعلام الثلاثة : الشيخ محمد بن حسن البيطار ، والشيخين الأخوين محمد وأحمد الشطي ، استجابة لاستدراك صديقنا الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله ، رأينا أن نختم هذه التراجم بترجمته لنفسه مكتوبة بقلمه في كتابه (روض البشر) وبها نختم تراجم الأستاذ الجد البيطار لمؤلفه (حلية البشر) والحمد لله أولاً وآخراً .

قال : جرى بعض المؤلفين والمؤرخين ، على أن يترجموا أنفسهم في آخر كتبهم صوناً لسيرتهم من التشويه والعبث . وهي فكرة حسنة إذا لم يكن في الترجمة ما ينكره المعاصرون من أرباب العقل والفضل (انظر صحيفة ٩٠) على انا لا نكلف أحداً بشهادة أو مجاملة . وانما نريد ذكر وقائع وحوادث ظهرت للعيان ، وشهد بهـا الزمان والمكان ، فها نحن نذكر من ذلك ما استحضره الفكر ، وصلح للذكر ، فنقول :

كان مولدي بدمشق في ١٨ صفر سنة ١٣٠٠ ومن الاتفاق الغريب انها آخر سنة في هذا القرن الذي عنيت بتاريخه ، ونشأت في حجر والدي عمر افندي رحمه الله ، وقرأت مبادىء العلوم على عمي مراد افندي ، ثم على الشيخ أبي الفتح الخطيب ، وأخذت الفقه والفرائض عن والدي ، ثم عن عمه الشيخ أحمد الشطي ، وتلقيت طرفاً من الحديث عن العلامة الشيخ بكري العطار ، ثم عن العلامة الشيخ بدر الدين المغربي ، وحضرت دروس الأستاذ صاحب التآليف الشيخ جمال الدين القاسمي ، وغيره من علماء دمشق ، واستجزت بعض الشيوخ فأجازوني بما تجوز لهم روايته لفظاً وخطاً جزاهم الله عني خيراً — وقد طالعت بنفسي بعض كتب التفسير والحديث والفقه والفرائض وانتفعت بها ولله الحمد .

وقد ولعت بالأدب والتاريخ وانا دون الخمسة عشر فنظمت ونثرت ، وكان باكورة أعمالي رسالة في تراجم بني فرفور ، سميتها الضياء الموفور جمعتها سنة ١٣١٧ وهي مخطوطة توجد الآن في دار الكتب الظاهرية — وفي سنة ١٣٢٢ طبعت القطعة الأولى من منظوماتي — وفي سنة ١٣٢٣ شرعت بجمع تاريخ القرن الثالث عشر — وفي سنة ١٣٢٩ طبعت القطعة الثانيـــة من منظوماتي — ورسالتي الأولى في علم الفرائض — وفي سنه ١٣٣١ ترجمت وطبعت قانون الصلح وغيره من القوانين التركية المعمول بها اليوم — وفي سنة ١٣٣٩ طبعت معجماً كنت جمعته في تراجم علمائنا باسم (مختصر طبقات الحنابلة) — وفي سنة ١٣٤٠ وضعت وطبعت رسالة في الوهابيين وخصومهم باسم (الوسيط بين الإفراط والتفريط) — وفي سنة ١٣٥٠ كتبت ونشرت رداً على الطائفة القاديانية باسم (السيف الرباني) — وفي سنة ١٣٦٠ كتبت وطبعت رداً على أحد فقهاء المالكية باسم (البرهان على صحة رسم مصحف الحافظ عثمان) — وفي سنة ١٣٦٣ طبعت رسالتي الثانية في الفرائض باسم (الدروس الفرضية) — وفي السنة المذكورة هذبت كتاب السراجية باسم (تنقيح السراجية في فرائض الحنفية) وهو لم يزل مخطوطاً محفوظاً عندي ، مع ديوان شعري الأخير ، وتاريخ سنة ١٣٤٠ — وفي سنة ١٣٦٣ أيضاً أخرجت من تاريخي العام المقدم ذكره هذا التاريخ المقصور على رجال دمشق .

وقد طبعت من مؤلفات آل الشطي وغيرهم شيئاً كثيراً ، فمن ذلك مختصر عقيدة السفاريني لجدي الأعلى (مجلد) وتوفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية ، وأقوال الإمام داود الظاهري لجدي الأدنى ، وأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم ، والرسائل الفاتحية للهبراوي ، وغير ذلك .

وأما ما كتبته في المجلات والصحف فشيء كثير قديم وحديث ، ومن ذلك الرد على شيخ الأزهر المراغي ، في قوله ان وجه المرأة ليس بعورة ، والرد على المحدث الدهلوي في كتابين له ، وكل ذلك منشور في مجلة التمدن الإسلامي .

وأما وظائفي فقد لازمت المحاكم الشرعية بدمشق منذ سنة ١٣١٣ مقيداً في محكمة البزورية فكاتباً في محكمة العمارة ، ثم في محكمة الباب الى سنة ١٣٢٧ — وفيها عينت في المحاكم العدلية كاتباً في دائرة الإجراء ، ثم في محكمة الحقوق ، ثم في محكمة الصلح ، ثم معاوناً لمأمور الإجراء بدمشق ، ثم معاوناً للحاكم المنفرد في دوما ، ثم عضواً في محكمة حماة سنة ١٣٣٧ — ثم عينت نائباً حنبلياً ، ثم رئيس كتاب في محكمة دمشق الشرعية إلى سنة ١٣٤٨ ، وفيها انتخبت مفتياً حنبلياً في مدينتنا دمشق ، وهي الوظيفة التي أقوم بها الآن مع الإمامة الحنبلية في الجامع الأموي منذ سنة ١٣٣٤ والخطبة في المدرسة البادرأية منذ سنة ١٣٥٢ .

وأما البحث عن أخلاقي وأحوالي فهذا ما أتركه لأبنـاء وطني الأعزاء اعتماداً على انصافهم ومحبتهم .

وأما شعري الكثير فسأقتصر منـه على بيتين كتبتهما إلى نجم الدين افندي الأتامي في حمص ، أشكره على تراجم أرسلها اليّ سنة ١٣٢٤ ، وهما قولي:

مولاي لولا كنت أول فاضل ... لم تدر أهل الفضل بالتبيين
فاذا ضللنا في أكابر ديننـا ... فبك الهدى إذ أنت نجم الدين

وأختم هذه الترجمة ببيتين ، رقمتهما على كتاب أهديته الى أحد أساتذتي الأجلاء سنة ١٣٢٦ ، وهما قولي :

أتى يهدي لك العبد الذليـل ... كتابا أيها المولى الجليـل
إذا هو لم يكن أثراً جميلاً ... أليس يقال مهديه جميـل ؟

كانت وفاة هذا الصديق في ١٦ المحرم سنة ١٣٧٩ هـ رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الموجز

[لما اشتمل عليه الجزء الثالث ـ من حلية البشر ، في تاريخ القرن]

(الثالث عشر ـ من فوائد وفرائد)

قدمنا في مدخل الجزء الأول ، وفي آخـــر الجزء الثاني خلاصة ماتضمناه من مطالب مهمة ، يهم المؤرخ والعالم والأديب الوقوف عليها ، وهذه مقتطفات من الجزء الثالث نوردها ههنا ، وهي لاتقل فائدة وعائدة عن اخواتها في الجزءين السابقين :

السيد محمد بن أحمد بن اسماعيل بن الشهاب أحمد المنيني مفتي الحنفية بدمشق : لقد حاز هذا المترجم على ماكان لجدّه الشهاب من الخطبة في جامع بني أمية ، وإقراء صحيح البخاري بعد صلاة الجمعة تحت قبة النسر ، وهذا الدرس وهذه الخطبة كان أولها في هذا البيت لجد المترجم الشهـــاب ، وهو طرابلسي الأصل ، منيني المولد ، دمشقي المنشأ ، عدوي النسب ، (من

ذرية عدي بن مسافر) . ونقل المؤرخ المرادي أن الشهاب درس في المدرسة السميساطية (وصفنا هذه المدرسة في ذيل هذه الترجمة ص ١١٨٥) وفي الصفحة التالية تعريف بالمدرسة العادلية الكبرى ، (وهي مقر المجمع العلمي العربي من عام ١٩١٩ ، وما زال مجتمعاً لرئيسه وأعضائه ، ومصدراً لمجلته) وتعريف بالعادلية الصغرى أيضاً ، ومنشئها الملك العادل . وقد انتقل التدريس بالعادلية الكبرى من الشهاب أحمد إلى أولاده وأحفاده ، إلى أن آل إلى المترجم ، وكانت وفاته (سنة ١٣١٦ هـ) وكان أمناء الفتوى في عهده كل من المشايخ الأجلاء محمد البيطار ، وأبي الخير عابدين ، وأبي الخير الأسطواني ، وعبد المحسن الأسطواني ، وقد توفي الأخير في أوائل هذا العام (عام ١٣٨٣) وله من العمر مايقرب من مائة وعشر سنين رحمهم الله (ص ١١٨٨) ومن بدائع الشعر ، ماوُصف به عوّاد وعوده في صفحتي (١١٩٢ و ١١٩٣) . وقد أورد للشاعر الأديب محمد أمين الزللي المدني الخطيب ، قصائد ومقطوعات ، كلها غرام وهيام ، ببنت الحان والألحان ، ونقل عن حديقة الأفراح من شعره مالا يقوله عاقل ، كقوله :

ودع المساجد عنك والزم عادة الا دبا ، وخل ثقالة الفقهـاء
واصرف زمانك كله في شربها صرفا وحاذر مزجها بالماء !!

قلت ولكن هذه الصبوة ، قد ختمها بالتوبة ، كما ترى في ختام هذه الأبيات ، من الاستعداد لما هو آت ، عفا الله عنه .

في (الحلية) ترجمة العلامة محمد بن عبد الله الخانى (ص ١٢١٠) ، قلت : له ترجمة وافية في كتاب « الحـدائق الوردية » لحفيده الشيخ عبـد المجيد (ص ٢٦١ إلى ص ٢٧٢) وقد ولد المترجم سنة ١٢١٣ هـ في خان شيخون ، محل مشهور في طريق حلب ، على مرحلة من حماة ، منه العارف الشيخ قاسم الخاني ، صاحب كتاب : سير السلوك إلى ملك الملوك ، وغيره . ونسبة آل الخاني الكرام ، إلى ذلك البلد الطيب ، وهم سلفاً وخلفاً قد جمعوا بين العلم والعمل ، ودارهم بدمشق إلى جانب جامع النقشبندي . وقد اشتهرت هذه الأسرة بالتقى والصلاح والعفة والاستقامة ، وفي ختام ترجمة المترجم مرثية لحفيده الشيخ عبد المجيد ، جمعت بين التفجع والتوجع ، والطريقة والحقيقة ، وهي أكثر من خمسين بيتاً ، وأولها :

متى يسعف الصبر الجميل ويسعد وحزن على حزن يقيم ويقعـد

وفي ص ١٢١٥ ترجمة والد الشيخ عبد المجيد، وهو محمد بن محمد بن عبد الله الخاني، وفي طليعتها شذرات جامعة لأسماء أكثر من ثلاثين كتاباً غالبهـــا في التصوف، ومنها ماهو في الحديث وعلوم العربية، نقلاً عن كتاب الحـدائق الوردية، كما أورد منها أسماء الكتب التي قرأهـا المترجم على أبيه من نحو وفقه وتفسير وكلام وتصوف وحساب وفلك وغيرها، كما حضر دروس الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني في الحقائق، ولازمه ملازمة تامة، ومنذ (سنـة ١٢٩٥) عقدالمترجم في جامع السُّوَيقة (أي النقشبندي) وفي داره دروساً في الحديث علاوة على دروسه الأخرى. وقد أقامه الأمير عبد القادر وصياً على أنجاله القاصرين، فأحسن خدمتهم، وحفظ أموالهم احتساباً، وكان كوالده يكتسب من الزراعة (إلى ص ١٢١٨). ومن نوادر التراجم ترجمـة الحكيم محمد مؤمن الجزائري الأصل، الشيرازي، الشيعي، الصوفي، الأديب الشاعر. فقد أورد له في معجم المؤلفين أسماء مؤلفات تدل على سعة علم وأدب، فله: مجانس الأخبار ومجـالس الأخيار، في سبع مجلدات، ومقامات العارفين في شرح منازل السائرين، وديوان شعر،

وخزانة الخيال ، بأمثال اللآل ، في ثلاث مجلدات ، وطيف الخيال في مفاخرة العلم والمال وشرحه اهـ وقد أورد له في هذه الحلية قصائد شاكية باكية في رثاء أمير المؤمنين أبي تراب ، وولده الحسين عليهما السلام ، ففي بكاء الأول قصيدة اولها :

دع الأوطان يندبها الغريب وخلّ الدمع يسكبه الكئيب

وفي رثاء الثاني مخمّسة مطلعها :

جاء شهر البكاء فلتبك عيني بحنيني على مصاب الحسيني
وإمام الأنام من غير مين وابن بنت الرسول قرة عيني
آه واحسرتا لرزء الحسين

ونقل الأستاذ الجد في (الحلية) عن (العقود اللآلي ، في الأسانيد العوالي) للعلامة السيد محمد عابدين ، ترجمة الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمن الكزبري مدرس الحديث تحت قبة النسر في جامع بني أمية بدمشق ، وفي هذه الترجمة وصف جامع لعلم المترجم وعمله ، وأبيات ينوّه بها ابن عابدين بدرس سميه وأستاذه الكزبري ، بالجامع الأموي ، في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، فيقول :

من به قبة ذاك الجامع لم تزل في كل عام تسعد

حين يروي في الحديث الجامع لحديث المصطفى أو يسند
ياله من خير درس جامع ولأهل العلم فيه مشهد
فكأن الوجه منه حينما ينثر الدُّرّ على الملتمس
قمر عن جانبيه العلما كنجوم أشرقت في الغلس

وعقب هذه الترجمة، جاءت ترجمة تلميذه السيد محمد أمين عابدين، وفي أولها نعته بالمفسر المحدث الفقيه، النحوي اللغوي البياني العروضي، وفي هذه الطليعة ذكر مؤلفاته العديدة، وقال في آخرها: وله من الرسائل، في تحرير المسائل، نيف وثلاثون رسالة معلومة في ثبته، فمن أرادها فليراجعها. وله قصيدتان في مديح النبي (ﷺ)، وأول الاولى:

لبيك ياقمرية الأغصان فلقد صدعت القلب بالألحان

والثانية تقرب من ستين بيتاً، وأولها:

أشكو إلى الله ماألقاه من نصب مستشفعاً بشفيع الخلق كلهم

وقد علقنا على معنى ماجاء في شعر العلماء ونثرهم، وما جرت به أقلامهم من التوسل والاستشفاع بسيد الشفعاء صلوات الله عليه، وأتينا بالأمثلة والشواهد، من الوقائع والحوادث التي وقعت في الصدر الأول للإسلام (ص ١٢٣٥)، ثم

أورد له المؤلف ألغازاً شعرية ومقطوعات وختم ذلك كله بترجمته، وذكر مشايخه الكبار، وسمى كثيراً من الكتب التي قرأها عليهم في مختلف العلوم والفنون، إلى آخر (ص ١٢٣٩). ونقلنا عن أعلام الأستاذ الزركلي أسماء ما ألّف في سيرة محمد علي باشا الارنأوطي خديوي مصر القاهرة من الكتب، ونقل شذرات (في الحلية) من سيرته، تدل على أنه مصلح كبير، وقدوة صالحة للولاة والحكام (إلى ص ١٢٤٢) وفي سيرة محمد سليم باشا الصدر الأعظم والي دمشق الشام عظات وعبر. وذكرنا نبذة (من ج ٣ من خطط الشام) للأستاذ كرد علي رحمه الله، تزيد المستبصر بصيرة، وتوضح أن عاقبة الظلم وخيمة. (إلى ص ١٢٤٦). وفي ترجمة محمد بن محمد المغربي الأزهري سؤال عما ذكر صاحب المختار في اللغة في مادة عكك بأن النبي (ﷺ) قال طوبى لمن رأى عكّا، فكتب المترجم رسالة مطولة أزال بها الشكوك والأوهام، ونقل عن ابن الجوزي قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، ومعنى مناقضة الأصول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام

من المسانيد والكتب المشهورة . ثم ذكر أقسام الواضعين ، والحامل لهم على الوضع ، وحكمهم في الدين ، وبعض من عرفوا بوضع الحديث ، وما يعرف به الوضع للحديث ، مما هو مذكور في كتب مصطلح الحديث ، وقد وفى الكلام في هذا المقام ، (من ص ١٢٤٨ ـ ١٢٥٢) ثم أورد في الحلية رسالة هذا المترجم في الوضع والوضاعين ، وجاء في آخرها : (تذييل) لايغتر بأحاديث الخطب ، ولا كتب التواريخ ، ولا القصص ، ولا الرقائق ، ولا كتب اللغة ، حتى تراجع أصولها وتحقق فصولها ، وكانت الخاتمة بايراد أبيات تضمنت حقائق في علم الحديث ، وبيان الصحيح وغير الصحيح ، وهي جديرة بالحفظ والرعاية (إلى ص ١٢٥٧) . وعلقنا على ترجمة الشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي الشهير بأن تآليفه كلها جمعت وطبعت كما في معجم الأعلام (ج ٦/٢٤١) ومعجم المطبوعات (ص ٨٧٥) وقد رثاه الشيخ حسن العطار بقصيدة منها :

عزاء بني الدنيا بفقد أئمة لكأس مرير الموت ، كلٌّ تجرّعا

ومن آخرها :

فقدناه لكن نفعه الدهرَ دائم ومامات من أبقى علوما لمن وعى

(إلى ص ١٢٦٤) ويجد المطالع في ترجمة الشيخ محمد الحفني الأزهري عظة وعبرة ، فقد كان والده من الأقباط ، فأسلم هو قبل بلوغه على يد الشيخ الحفني ، فحلت عليه أنظاره ، وحضنه الشيخ ورباه ، وأنزله بمنزله مع خـــاصته وأولاده ، فلازم دروس الشيخ وأخيه وغيرهما من السادة الأعلام ، وتصدر للتدريس (سنة ١١٩٠ هـ) ... وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل في الأكابر ، ونال منهم حظاً وافراً بحسن معاشرته ، وعذوبة ألفاظه ، وتنميق كلماته ، ومعاملة كل إنسان بما يليق به . ولما دخل الفرنسيون مصر خافهم الناس ، وهرب كثير من العلماء والأعيان ، فكان للمترجم عندهم قدر عظيم ، فلا تهان جماعته ولا ترد شفاعته ، وصار يلقب عند الاهالي والاجانب بكاتم السر ، وجعلوه رئيس الديوان ، إذا حكم قابله الجميع بالرضى والإذعان ، وكان يؤمن مَن أراد ، ويردّه إلى الوطن والبلاد ، فحسن صنعه ، وعم نفعه . ولما انتقل الحكم إلى العثمانيين ، بقي على حاله وقدره المكين . (إلى أن قال في أواخر ترجمته): وحـاصل أمر المرحوم المترجم أنه كان من فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب في المعقول والمنقول ، بالتحقيق والتدقيق ،

وانتفع عليه الكثير من الطلبة ، إلى أن صاروا مدرسين مميزين على أقرانهم من أهل العصر ، ولو أنه استمر على طريقة أهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا ، وكثرة المداخلة مع الأكابر وذوي الحكومة ، لكان نادرة عصره ، ولكن ذلك أداه إلى قطع الاشتغال ، حتى إنه إذا ابتدأ كتاباً كان في الغالب لايتمه ، ثبت الله قلوبنا على التقوى ، وحفظنا من كل تقصير ، وعصمنا والمسلمين ، من كل مايضر ويشين اهـ ملخصاً (إلى ص ١٢٦٦) ، في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالأمير الكبير ، أن هذه الشهرة إنما جاءته من جده الأدنى أحمد ، وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما إمرة بالصعيد ، وأخبر المترجم عن نفسه أن أصلهم من المغرب (ص ١٢٦٧) وتصدر لإلقاء الدروس في حياة أشياخه ، وشاع ذكره في الآفاق وخصوصاً بلاد المغرب ، وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام ، وتوجه في بعض المقتضيات إلى دار السلطنة ، وألقى هناك دروساً حضره فيها علماؤهم ، واستجازوه فأجازهم . وأكثر مؤلفاته التي ذكرت في ترجمته مطبوع ، كما في معجم

المطبوعات وغيره (ص ١٢٦٨) وفي تاريخ الجبرتي — بعد هذه الترجمة — مايأتي : وخلّف ولده العلاّمة النحرير ، الشيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصدور كوالده ، يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية ، بارك الله فيه (اهـ من ج ١٦١/١٢) على هامش تاريخ الكامل لابن الأثير الجزري ، و (ص ١٢٧٠ من الحلية) . وبعده ترجم الشيخ محمد الشنواني ، وانه بعد وفاة الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة ، فأحضروه قهراً عنه وولوه المشيخة ، وتقلد المشيخة بعده : الشيخ محمد بن الشيخ أحمد العروسي من غير معارض ولا منازع . وفي ترجمة الشيخ محمد المعروف بالدواخلي — انه — من بعد أن برع في المعقول والمنقول ، وأقرأ الدروس من سائر الفنون ، ـ تداخل في قضايا الدعاوي بين الناس ، واشتهر ذكره ، وعلا قدره ، وكان له لدنياه والمال والجاه ميل كثير ... وتقلد النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفاء وركب الخيول ولبس التاج الكبير ، ومشى أمـــامه الخدم والمقدمون ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوي والتشكيات ، وعمر داره وأنشأ تجاهها جامعاً عظيماً ، وداخله الغرور ، فأول

ما ابتدأه الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد ، وقد ناهز البلوغ ، ولم يكن له من الذكور غيره ، ودفنه في جامعه الذي بناه تجاه بيته ، وبنى عليه بناء ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة . (أقول : وفي هذا ذهول ، عما برع المترجم فيه من معقول ومنقول ، وعما ورد من الوعيد الشديد في البناء على القبور ، ولا قوة إلا بالله) ثم عاد إلى غروره وأموره ، وأفرط كل الإفراط ، فضاق صدر الوالي منه ، وأعرض بالكلية عنه ، وأمر بنفيه إلى دسوق ، ثم إلى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها منحرف المزاج ، وهو يراجع السيد المحروقي في أن يشفع له عند الباشا في الإذن بالحج أو بالعود إلى مصر ، فلم يؤذن له ، ولم يزل في المحلة إلى أن توفي سنة ١٢٣٣ ، وهذه خاتمة الغرور ولله عاقبة الأمور . وفي ترجمة الشيخ محمد القبرستاني (ص ١٢٨٣) نبذة تاريخية مفيدة ، وهي أن هذه النسبة إلى قبر الست (نسبة على غير قياس ، وهي قرية من جهة الشرق إلى القبلة ، على ثلاثة أميال من دمشق) أي السيدة زينب أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) وزينب هذه هي زوج عمر بن الخطاب (رض)

وقد ولدت له زيداً الملقب بذي الهلالين ، ودفنت بهذه القرية وسميت باسمها ، وما ذكره في محاسن الشام من أن قبرهـا في في باب الصغير غير معروف عنـد أهل دمشق ، وأصل اسم هذه القرية (راوية) قبل دفن هذه السيدة بهـا . وكان محمد القبرستاني : حسن الأخلاق ، طيب الأعراق ، وكان يعتمد عليه في الاستفتاء أهل القـــرى كالمَرجين وغوطة دمشق ، ويأخذون منه الفتوى لإقناع خصمهم ، فيقنع بها بعد تحققها ولا يردّهـا ، وكان لايفتي في مسألة إلاّ بعد الوقوف على النص . وفي ترجمة الشيخ محمد الطنطاوي الشهير ، مايدعو إلى علو الهمة ، وصدق العزيمة فقد طلب العلم في بلده طنطا ، ثم سافر مع أخيه الأكبر إلى بلاد الروم وبلاد الترك ، ودخل حلب في سبيل الطلب ، وشدّ الرحل إلى دمشق (سنة ١٢٥٥) وقرأ على كبار شيوخها كالحلبي والطيبي والكزبري والخاني ، وعاد إلى مصر (سنة ١٢٦٠) فدخل الأزهر ، وانقطع للتحصيل فيه ، على مثل الباجوري والسقا وعليش المغربي ، وكالشيخ محمد الخضري ، وكانت أكثر قراءته عليه في العلوم الغريبة كالميقات والفلك والجبر والمقابلة ، إلى أن صار إماماً في العلوم العقلية

والنقلية، ثم رجع إلى الشام ، واستوطن دمشق في محلة الميدان ، (سنة ١٢٦٥) ولم يزل يقـــرىء الطلبة ، قال الأستاذ الجد المؤلف : توفي والدي فحضرت عنده في دروسه كلها ، ولم أزل أقرأ عليه (إلى سنة ١٢٧٨) ، ثم ان الأمير السيد عبد القادر الجزائري استأجر له داراً قريباً من داره ، وعين له معاشاً ، وأرسل اليه جميع أولاده للقراءة عنده ، فكان يقرؤهم ويقرىء غيرهم في حجرته في مدرسة البادرائية ، وكان مع ذلك يشتغل بحساب جداول مما يتعلق بالجيوب وغيرها ، مما له تعلق بعلم الفلك والميقـات ، والربع المقنطر والمجيّب والاسطرلاب قال المؤلف : وقد قرأت عليه جملة رسائل مما يتعلق بذلك ، وقال كاتب هذه السطور : ينظر التعليق السابق على هـذه الأرباع والآلات الفلكية (ج ٢ ص ٣٦٠ من الحلية) وفي منتخبات التواريخ لدمشق أن صاحب الترجمة تفرد في علم الهيئة السماوية والفلك بعد ابن الشاطر (الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٧) الذي أخذ عنه علماء الغرب ودونت مؤلفاته ، وللمترجم آثار كثيرة منها في حساب البسيط والربع ورسمه رسائل كثيرة لم نقف عليها ، وله كشف القناع ، وله تقريرات مهمة على جميع الكتب

التي كان يقرؤها ، تشهد بعلو باعه وفضله (مات سنة ١٣٠٦ اه) (إلى ص ١٢٨٨) . ولمحمد بن ابراهيم أبي عبد الرحمن شمس الدين الأريحاوي الشهير بالعاري ــ الذي أفتى بأريحا بعد والده وخطب وأم بجامعها قدر ستين سنة ــ له تخميس بديع على قصيدة الشيخ عبد الرحيم البرعي ، منه :

وجهز فاتني للحرب جيشا وعقلي زاده التعنيف طيشا
ذكرت مغانيا جمعت قريشا وذكرني الصبا النجدى عيشا
بذات البان ما أحلى وأغنى

من (ص ١٢٨٩ ــ ١٢٩٧) ولنا تعليقات عليها قليلة . وفي ترجمة الشيخ محمد حافظ الأورفلي الخالدي النقشبندي ، فسرنا بعض المصلحات الصوفية نقلا عن الرسالة القشيرية ، فعند القوم : صاحب التمكين : وصل ثم اتصل ، وعندهم أن علم اليقين ، ماكان بشرط البرهان ، وعين اليقين ، ماكان بحكم البيان ، وحق اليقين ماكان بنصب العيان (ص ١٣٠٠) . وفي (ص ١٣١٣) بينت ماورد في سورتي النجم والتكوير من حديث المعراج . (ومن ص ١٣١٦ ــ ١٣٢٠) تراجم أئمة من علماء اليمن يعملون بهدى الكتاب والسنة . وفي ذيل

(ص ١٣١٩) بيان الطريقة المثلى بين الجمود والتقليد، والتهور المسمى بالتجديد ! ومن (ص ١٣٢١ ــ ١٣٢٤) تراجع ترجمة الشيخ محمد الشهير بابن الجوهري ، فهي فريدة في بابها ، وهي ملخصة من تاريخ الجبرتي (ج ٧ ص١٩١ ــ ٢٠٢) . وفي (ص ١٣٢٩) وما بعدها ترجمة السيد محمد نسيب حمزة نقيب الأشراف ، بقلم ولده العلامة محمود أفندي حمزة مفتي دمشق الأسبق ، وهي جديرة بالمطالعة . وترجمة الشيخ محمدكمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق،مذيلة بتاريخ قدوم بني الغزي الأكارم، إلى دمشق من غزة بني هاشم (ص١٣٣٢ ــ ١٣٣٣) . الشيخ محمد المعروف بابن سنان ، كتب عنه في الحلية أسطراً ، وظفر المؤرخ الشطي بالتذكرة الكمالية التي وصفها في ترجمة مؤلفها الشيخ كمال الدين الغزي ، فكانت كنزاً ثميناً ، عثر فيه على تراجم ، لم يكن مثلها في غيره ، ومنها ترجمة ابن سنان ، وقد نقلت ترجمته في ذيل (ص ١٣٣٤) عن روض البشر باختصار قليل ، وقد أثرها هو عن (التذكرة الكمالية) . وذكر في ترجمة الشيخ محمد نجيب القلعي ، انه أخذ عن جملة من العلماء الأعلام من دمشقيين وحجازيين ومصريين وعراقيين ، قال وأعلا أسانيده في أخذ الأحكام الفقهية عن السيد مصطفى

الأيوبيّ المولود سنة ١١٣٥ ـ المتوفى سنة ١٢٠٥ وهكذا استمر في هذا السند حتى ارتقى به إلى النبي (ﷺ) مقروناً بتاريخ ولادة كل شيخ ووفاته ، ويقتصر على سنة الوفاة إن جهل تاريخ الولادة ، إلى أن قال عن النبي ﷺ المولود عام الفيل، والمتوفىّ سنة ١١ بعد الهجرة.

ثم قال في الحلية : هذا ، وان والدي يروي عنه ما تجوز له روايته عن مشايخه ، ، ويروي عنه بالسند الحديث المسلسل بالأولية، كما يرويه هو عن الشيخ محمد عقيلة ، قال : وهو أول حديث سمعته منه ، وهكذا رفعه إلى النبي (ﷺ) ولكن مع عدم ذكر تاريخ الولادات والوَفيات (إلى ص ١٣٤٤) ، ونقلنا عن تاريخ تعطير المشام لعلامة الشام شيخنا القاسمي شذرة مهمة من حياة الشيخ محمد الدسوقي الدمشقي (ص ١٣٥٣) . وفي ذيل ترجمة شيخنا الجليل محمد المبارك، طائفة من سيرته في العلم والتعليم، واللغة والأدب والتأليف (ص ١٣٥٤). ونشر من رسائله (في الحلية) محاورة الليل والنهار ، وقد امتدت مع باقي ترجمته (إلى ص ١٣٦٨) ومرّ في أثنائها ذكر الفرزدق همّام بن غالب بن صعصعة التميمي ابو فراس ، فأوردنا نبذة من أخباره وآثاره ، ملخصة من كتب المعاجم والتراجم ، وإن

في ترجمة السيد الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري عجائب وغرائب، ولا يغني وصفها عن مراجعتها، (ص ١٣٧١ ـــ ١٣٧٥) ولنا تعليق وجيز عليها . وما أكثر ما قرأ وأقرأ السيد محمد أبو العرفان بن علي الصبان ، من العلوم والفنون العربيه والدينية والعقلية ، وله في كل ما تعلمه وعلّمه تآليف شاهدة بطول باعه . وفي آخر ترجمته المنقولة عن الجبرتي قصائد له غر ، كأنها الياقوت والدرّ ، ومن وقف على هذه الترجمة ، ينشد قول من قال :

هكذا هكذا وإلاّ فلا لا طرق الجدّ غير طرق المحال

(من ص ١٣٨٤ ـ ١٣٩٣) . ومن أطرف التراجم وألطفها ، وأفضلها وأكملها ، ترجمة سليل العلم والفضل ، ومعدن الذكاء والنبل ، محمد خليل أبي المودة المرادي مفتي دمشق الشام ، ومؤلف « سلك الدرر ، في أعيان القرن الثاني عشر » فقد كان رحمه الله مغرماً بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم العصريين ، على طريق المؤرخين ، كما جاء في طليعة ترجمته ، التي سطرها يده ، في كتابه الذي سماه (عَرف البَشام [1] ، فيمن ولي فتوى دمشق الشام) وبدأها بقوله : لا مزية

---

(١) البشام : جمع بشامة : شجر طيب الرائحة .

فتذكر ، ولا محمدة فتشكر ، وافتنّ أيّ افتنان ، يبديع معاني هذا البيان . الذي وصف فيه أسلافه النحارير فقال : خضعت لهم من الأقيال شم الأنوف والمعاطس ، وتناولوا من المعالي والمفاخر ما لا تلامسه كف ملامس ، وجرى على هذا الأسلوب ، الذي تتجه إليه الأنظار والقلوب . وأورد من شعره ، ما لا يقل بلاغة عن نثره ، فمن ذلك قوله مفتخراً وهو في بلاد الروم :

أما نحن أبناء السراة الأكاسر لنا في الندى والحلم جم المآثر
نجود بما نحوي ونعفو عن السّوى ونصفح عن زلات باغ وقاصر

وهي تزيد على أربعين بيتا ، وكلها مفاخر ومآثر . وشطر رحمه الله أبيات ابن عبد ربه التي أولها :

ودعتني بزفرة واعتناق ثم قالت متى يكون التلاقي :

فقال :

ودعتني بزفرة واعتناق وأثارت لواعج الأشواق
وتهادت عند الفراق عشيا ثم قالت متى يكون التلاقي؟

وكاتب المترجم السيد المرتضى الزبيدي محرّضاً إياه على جمع تراجم المصريين والحجازيين ، ومن له الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار ، من أبناء القرن الثاني عشر . وذيلنا ترجمته

بما أورده في (روض البشر) من توليه نظارة الجامع الأموي وفتوى الحنفية بدمشق سنة ١١٩٢ ، وجاء تاريخ فتواه (أفتى الخليل) ، وصار بدمشق صدر الصدور ، وألّف مؤلفات أدبية تاريخية . ترى في ذيل (ص ١٤٠٤) . وفي آخر ترجمة أبي عبد الله بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي المالكي أنه لما توفي محمد سلطان المغرب ، ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمـــر ، بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن المحمدية ، وبايعه الكافة بعـدُ ، على ذلك ، وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم ، والمكوس والمحارم ، وكان كذلك (ص ١٤٠٨) :

هكذا هكذا وإلاّ فلا لا طرق الجِدّ غير طرق المحال!

ومن غرائب التراجم ونوادر الناس ترجمة الشيخ محمد بن عبد الحافظ افندي أبو ذاكر الخلوتي ، فقد ذكر أنه لم يتزوج قط ، وكف بصره (سنة ١١٨١) . وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنـة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ولا جارية ولا عبد ... وبابه مفتوح دائماً ، وعنده الأغنام والدجاج

والأوز والبط والجميع مطلوقون في الحـــوش ، وهو يباشر إطعامهم وسقيهم الماء بنفسه[1] ، ويطبخ طعامه بنفسه ، وكذلك يغسل ثيابه ... وعنده عـــدة كثيرة من السنانير ، ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانهـــا ، ويقول : هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة ، إلى غير ذلك اهـ (ص ١٤١٢) . وللشيخ محمد شمس الدين المصري مصنفات وقصائد تاريخية ، وقد ذيلنا ماله صلة بالتاريخ بموجز من تراجم أبي الطيب المتنبي ، وأبي عبادة البحتري ، وأبي تمام الطائي ، وابن سناء الملك السعدي ، وفي ختام ترجمة هذا المترجم محمد شمس الدين قصيدة طويلة ، ضمنهـا ماوقع للأمير مصطفى بك مولى محمد بك في سنـة أربع وتسعين في طريق الحجاز حين ولي أميراً على الحج ، وهي بديعة سلسة النظم حاوية وقائعه التي جرت له مع العربان ، وأولها :

إمارة حج البيت في سالف الدهر هي المنصب الأعلا وحقك في مصر

وأورد منهـا نحو خمسة وستين بيتاً ، وختمها بقوله : وهي طويلة . والترجمة منقولة عن تاريخ الجبرتي ، وهي في الحليـة إلى (ص ١٤٢٠) ،

---

(١) كذا في الأصل .

وفي (ص ١٤٢١) تحت عنوان : (استدراك) ترجمنا شقيق المؤلف الأكبر الشيخ محمد بن حسن البيطار إذ فات مؤلفنا أن يترجمه رحمهما الله تعالى ، ونقلنا شذرات من ترجمته من منتخبات التواريخ للسيد التقي الحصني ، وفيها وصف لأسرتنا البيطارية بالكلم الوجيز ، ومنها قوله : خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلة العلماء والشعراء ، وتقدم ذكرهم في كتابنا في العصر الأخير ، وهم الشيخ محمدأمين الفتوى الخ .ومن روض البشر للأستاذ الشطي ، وقد ذكر هذا المترجم في وفيات (سنة ١٣١٢ ﻫ) وقال : إن المترجم من كبار علماء دمشق وفقهائها، وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة ، ثم نقل ترجمته عن التقي الحصني ، وزاد عليها زيادات جعلها بين هلالين . ثم نقلت جملة من كلامه ، تدل على جلالة قدره وعلو مقامه ، وقلت في آخرها : وقد أجاز الشيخ محمداً أخوه في الطلب والتحصيل على والده الشيخ حسن البيطار ، عن الشيخين عبد الرحمن الكزبري وحامد العطار ،بشرطه المعتبر . ويطالع القارئ بعد هذه الترجمة ما كتبه المؤلف عن صديقه الصفي الوفي ، الشاعر الناثر ، والقائد الباسل ، الأمير محيى الدين باشا نجل الأمير المجاهد الكبير ، السيد عبد القادر الحسني الجزائري الشهير ، ففي هذه

الترجمة من فنون الشعر والمساجلات والآداب ،ما يدهش القارىء، ويرى فيه من مودة الصديقين العجب العجاب ، وقد استغرقت حياة هذا الأمير ، ستاً وعشرين صفحة (ص ١٤٢٣ــ١٤٤٩) وهي قليل من كثير ، وقد ذيلتها بجملة : هكذا هكذا يكون الإخاء ، رحم الله المؤلف وصديقه الباشا فقد كانا زينة المجالس ، وقرة عين المجالس ، وقد أسعدني الحظ مرة بالتشرف بزيارة الباشا مع سيدي الجد ، فرأيت من سروره بصديقه الحميم ، وعنايته به ورعايته له ، ما يفوق حدّ الوصف ، وكانت وفاة المترجم ـ بعد السنة التي توفي فيها المؤلف ــ في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٦ ه تغمدهما المولى برحمته . وورد بعده ما ذكره المؤلف في ترجمة السيد الشيخ شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المفسّر الشهير ، وانه اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ودرّس ووعظ وافتى للحنفية في بغداد المحمية ، واكثر من إملاء الرسائل ، والفتاوى والمسائل . ونقل المؤلف عن نجل المترجم السيد أحمد في ترجمته لأبيه المسماة بأرج الند والعود ، أنه رحمه الله كان عالماً باختلاف المذاهب ، مطلعاً على الملل والنحل والغرائب ، سلفي الاعتقاد ، (قال) : ومن مؤلفاته مـا هو أعظمها قدراً وأجلها

فخراً ، تفسيره المسمّى «بروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني» وسمّى بعض مؤلفاته . وطالعنا بقصيدتين من مدحه ورثائه للشاعر الكبير السيد عبد القادر العمري ، وبلغ عمره ثلاثاً وخمسين سنة . وقد ذيلت هذه الترجمة بأكثر من ثلاث صفحات ذكرت في أولها أن هذه الأسرة المباركة تنتسب إلى (ألوس) بالقصر على الأصح ، وهي قرية على الفرات قرب عانات ، والألوسيون سادة أشراف ، وهم — على ثبوت نسبهم — من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب . هذا وقد لخصت ترجمته من كتاب (أعلام العراق) لصديقنا العلامة الشيخ محمد بهجة الأثري ، فقد وصف الشهاب أبا الثناء هذا بأنه طود العلم ، وعضد الدين ، وفحل البلاغة ، وأمير البيان ، وعين الاعيان ، وانسان عين الزمان ، وانه استجاز شيوخه فأجازوه في علوم اللغة والدين والآداب والفقه والحديث وغيرها من المعقول والمنقول ، وكان يدر على سائليه ما نالته يده من الذهب ، وما بلغ إليه علمه من الفضل والأدب ، وتخرج فريق من أهل الفضل به ، فذاع صيته في الآفاق ، وفي سنة ١٢٦٧ توجه إلى الأستانة ، وكان قد أتم تفسيره فاصطحبه معه ، والتقى بشيخ الإسلام عارف حكمة صاحب خزانة الكتب الشهيرة في

المدينة المنورة وأجاز كل صاحبه ، وبعد لأي ما صدرت إرادة السلطان عبد المجيد بأعطائه مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش استنبولي ، وله مثلها أو ما يزيد عليها في كل عام من بيت المال ، وأنعم عليه صاحبه شيخ الإسلام بخمسين الف قرش استنبولي من خالص ماله . وما زال بيته في بغداد مثابة للناس إلى أن توفي (سنة ١٢٧٠ هـ) . وقد بلغ ما سمي من مؤلفاته اثنين وعشرين مؤلفا ، وله علاوة على ما ذكر حواش وتعليقات ورسائل وفتاوي كثيرة. قلت: ومن أراد الاطلاع على تراجم نبغاء هذه الأسرة الألوسية الجليلة ، وعلى مآثر رجالها ومفاخرهم ، ومصنفات كل منهم ، وجد ذلك كله في كتاب (أعلام العراق) لصديقنا السمي الأثري ، وقد ألفه إحياء لذكرى أستاذه أبي المعالي السيد محمود شكري الألوسي الشهير (المتوفى سنة ١٢٤٢) وهو حفيد المفسر الكبير ، رحمة الله عليهم أجمعين (إلى ص ١٤٥٥) . وتراجع سيرة السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد خان ، وهو الذي شرع في تنظيم العسكر الجديد ، وجعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم ، فأخذ هذا يبين لأهل الحل والعقد شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب ، وإنفاذ أوامر السلطان ، ورتب ترتيبات جديدة أوجبت عليه

الملام من كثيرين ، ودعوه بالكافر ، وهددوه بالقتل ، وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ، ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها واستقرت السلطة للسلطان محمود بعد قتل أخيه السلطان مصطفى الذي كان يحرض الجيش الإنكشاري على قتال الجند النظامي وكانت عساكر الروس آنذاك تتقدم ، فحاربها ، ولم يقبل توسط فرانسا بالصلح لتأثره من الشروط التي عقدها نابليون مع روسيا ، ومضمونها اقتسام أوربا بينها مع بلاد الدولة العثمانية ، واستمر الحرب إلى أن وقع خلاف بين فرنسا وروسيا (سنة ١٢٢٨ هـ) فعقد الروس صلحاً موافقاً للدولة . (وفي عام ١٢٣٧) أعلن اليونان في المورة العصيان ، وانظر (ص ١٤٥٩) أسباب ذل المسلمين وعز غيرهم ، وما حصل لمسلمي المورة من القتل والسلب والنهب إلا من فرّ منهم وهاجر إلى بلاد الإسلام ، وكان أخذ المورة من يد المسلمين هو أكبر أسباب خروج الروملّي بأجمعه من الدولة العلية ، ثم عادت الحرب الهائلة بين العساكر النظامية والانكشارية ، فقتل منهم ألوف كثيرة حتى ارتاحت الدولة والناس من مظالمهم ، (ص ١٤٦١) . وقد عنونا من بعد لمطالب مهمة في هذه الترجمة للسلطان محمود

ففي (ص ١٤٦٢) ذكر القتال مع روسية، وفي (ص ١٤٦٤) ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر، وفي (ص ١٤٦٥) ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود. ولنا تعليقات في عدة صفحات، منها تفسير مفردات تركية، ومعاهدة بخارست، وبمناسبة استقلال الجزائر وسائر الشمال الإفريقي العربي، واحتلال الصهيونية لبعض المدن الفلسطينية، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

ومن فتوحات السلطان محمود المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كمال الاعتناء، فقد صدر الأمر منه بتجديد كتابة أسماء المستحقين، وإعادة جميع حقوقهم لهم كاملة غير منقوصة، فحصل تجديد ذلك في المدة التي كان فيها محمد علي باشا بمكة. ومن خيراته أنه جدد لأهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذي كان مرتبا لهم من أسلافه، وذلك أنه في (سنة ١٢٥١ هـ) رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين، وللقائمين بخدمة المسجدين مثل المؤذنين والفراشين والكناسين والبوابين، وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود، بعضها شهريات وبعضها سنويات، واشترى لذلك عقارات كثيرة،

وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة ، فصارت حسنة جارية . ثم إن ولده السلطان عبد المجيد ضم إلى ذلك مثله في مدة سلطنته ، وكانت مدة سلطنة السلطان محمود اثنتين وثلاثين سنة ، وعمره خمس وخمسون سنة ، وكانت وفاته سنة ١٢٥٥ (ص ١٤٦٧) . ومن الغرائب في ترجمة السيد محمود حمزة مفتي دمشق الشام أنه كان عجيباً في كتابة الخطوط الدقيقة ، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة الرز والخط واضح ، وأغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم أسماء شهداء بدر ، (ص ١٤٦٨) وفي منتخبات التواريخ : تولى المترجم السيد محمود حمزة إفتاء دمشق ، وظل به إلى آخر حياته ، وأهداه نابليون الثالث امبراطور فرنسا — على أثر حادثة الستين المشهورة — جفتاً بطقم ذهب إقراراً بجميله لما أتاه من الخير والمساعدة لمسيحيي دمشق ، ولكونه ميالاً إلى الرياضة والصيد لتجديد قواه ، فكانت هذه الهدية أقبل لديه ، واشتهر في الرمي ولا يخطىء به اهـ . وفي سنة سبع وسبعين (سنة ١٢٧٧) عين في هيئة المجلس الذي أسسه المرحوم فؤاد باشا حين وقعت الشام في ورطة الفتنة التي وقعت من رعاع دمشق

وقراها ومن الفرقة الدرزية ، وحرقوا محلّة النصارى ، ووقع ماوقع من السفك والنهب ، وكان في ذلك الوقت السيد الأمير عبد القادر الجزائري قد بذل في حماية النصارى جهده ، وأوسع لهم عطـــاءه ورفده ، فحينما حضر فؤاد باشا إلى الشام غب الواقعة ، خفض رؤوسها ، وأذلّ نفوسها ، وشتت شملها وأثقل حملها ، بيد أن حضرة الأمير كان حينئذ عين الشام وهامها ، وسيدها وهمامها ، لاتعتمد الوزارة والقناصل إلا عليه ، ولا تجنح في مهماتهـا إلا إليه ، فحينما أزمعت الوزارة على نفي الأعيان ، وإيقـاعهم في حضيض الذل والهوان ، ضم المترجم إليه ، فاستثني من التكاليف والنوائب ، واضطره الأمر إلى أن قال في أهل بلده ووطنه مـالا يقال ، ونص ماقاله وهو فيه معذور ، ولا يبعد أن يقال انه عليه مقهور :

أشرقت بالعدل أنوار الشآم مذ فؤاد الملك والاها نظام

وهي قصيدة طويلة تبلغ نحو أربعين بيتاً ، ومنهـا يخاطب أهل الشام بقوله :

يا أهيل الشام ماذا غركم إذ غدرتم ملة حازوا زمام
ياوحوشا صادفت في غابها آمنـا واستقبلته بالسـام

ومنها في حكم الإسلام وعدله بين الأنام :

حرّم الأعراض مع أموالهم والدما عهداً إلى يوم القيام
إذ لهم من كل حق مالنا وعليهم ما على أهل السلام

وفي نهاية القصيدة وصف ناظمها بأنه نهج منهج الغلو ، وهجا بها أهل الشام من قديم وحديث ، وطيب وخبيث ، والفاعل بالذم أحرى ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ومن العجيب ورود هذا البيت في أئمة آل البيت :

فتككم بالآل محفوظ لكم وهو منقول لكم من ألف عام

وأجيب عنه بأن من طالع صحيح البخاري وكتب التاريخ المعتمدة ، وجد أن قصة الحسين ليست لأهل الشام مستندة ، على أن يزيد لم يكن من أهل الشام ، وليس له بها من قرابة ولا نسب ، والملام إنما يكون على ذوي المضرة والباس ، لا على جميع الناس !

ومن تآليفه تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة سماه « درر الأسرار » وكتاب في اللغة سماه « دليل الكمل إلى الكلام المهمل » وسمّى له المؤلف أكثر من عشرين مؤلفاً ، وهذه المؤلفات أكثرها مطبوع ، كما في الأعلام ، وفي معجم

المطبوعات ، وختمت هـذه الترجمة بأن للمترجم ديوان شعر بديع ، وأورد منه قصيدة في مدح الأمير الجزائري ، وذكر طائفة من أعلام شيوخه ، وبعد وفاته رحمه الله تعالى ، وجّه الافتـاء من المشيخة الإسلامية على محمد افندي المنيني ، وقد فسرنا في الترجمة كلمات تركية ، ومن مرثية الشيخ محمد صالح المنيّر للمترجم قوله فيه (ص ١٤٧٧) :

فهو محمود طاب حيّاً وميتاً وغدا الاسم فيه طبق المسمّى

ومن التراجم مايبعث اليقظة في النفـوس ، ويثير الهمم والعزائم فترقى إلى أرفع ماقدر لها من علاء ، ومصداق هذا في سيرة محمود بك بن خليل بك بن أحمد بك بن عبد الله باشا العظم الدمشقي ، فقد قرأ بعض الفنون على بعض الأفاضل ، ثم انفرد في دار وحده ، وكان غنياً غنى مفرطا من جهة أمّه ، إلا أنه سلط على ماله يد الإتلاف ، إلى أن قلّ مـاله ، وبدا له ممن كان يتردد عليه إهماله ، فاختار العزلة في أكثر أوقاته ، ولما قدم الشام الشيخ محمد الفاسي الشهير ، أخذ منه المترجم الطريقة الشاذلية ، وبدت له نفحات رحمانية ، وكان حسن المعاشرة ، جميل المذاكرة ، كثير الابتسام ، عذب الكلام ، وكان له قلم

عال سيال ، فمن مؤلفاته كتاب « رسائل الأشواق ، في وسائل العشاق » وهو كتاب يشتمل على القصائد الأنيقة ، وأنواع الموشحات والمقاطيع العاليات ، وكثير من فنون الشعر مما لايوجد بغيره من كتب النظم والنثر ، ويشتمل شعره على حكم ومواعظ ونوادر وآداب ، وله عدة دواوين شعرية ، وقد أورد في الحلية من شعره قصائد منوعة ، ذات معان مختلفة ، قلت وله ديوان شعر منها مطبوع ، ومن شعره القوي في الفخر والحماسة :

سل الخطار والبتار عني وسل جود السحائب عن سخائي
ظمئت فما شربت الماء صرفا ولا أدليت دلوي في الدلاء

إلى أن قال :

ولي نفس الملوك بجسم عبد تنزه أن يذل له ثرائي

وكانت وفاته في حياة والده ، ومدته من العمر أربعون سنة ، والمترجم هو والد المؤرخ الشهير رفيق بك وعثمان بك العظم (ص ١٤٨١) . أمّا السلطان مراد الخامس ففي تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك : انه كان متعلماً مهذباً ميالاً للإصلاح ، محباً للمساواة بين جميع أصناف رعيته ، مقتصداً في مصرفه غير

غير ميال للسرف والترف ، وقد رسم خطة الإصلاح الذي كان يريد إجراءه ، ولكنه من بعد أن خلع السلطان عبد العزيز باتهامه بالاختلال ، خلع السلطان مراد أيضاً بعد جلوسه على عرش المملكة بثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، بدعوى وقوع خلل في شعوره ، فاقتضى المقام خلعه ، وكان خلعه يوم مبايعة السلطان عبد الحميد سنة ١٢٩٣ هـ .

وهذه الدار لاتبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

وقد فسرنا بالعربية مفردات تركية كثيرة ، ويراها المطالع في تراجم ملوك آل عثمان ، وقد كانت في عهد المؤلف مفهومة الدلالة على معانيها . وما أجلّ ترجمة العلامة الجليل ، اللغوي ، الكبير ، والمحدث الشهير ، السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس فهو أعجوبة الزمان ، بما أوتيه من سعة علم وعرفان ، ولما كان بمكة (وقد حج مراراً) واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس وكان من جملة شيوخه (قال) وهو الذي شوقني إلى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها ، وما فيها من المشاهد الكرام ، فاشتاقت نفسي لرؤيتها ، وحضرت مع الركب ،

ثم ورد مصر (سنة ١٢٦٧) وسكن بخان الصاغة ، وحضر دروس أشياخ الوقت كالملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه ، وصنف عدة رحلات في انتقالاته القبلية والبحرية ، لو جمعت لكانت مجلداً ضخماً . وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً ، وسماه تاج العروس وأطلع أجلاء العلماء عليه ، وكتبوا عليه تقاريظهم نظماً ونثراً ، (ونقل في الحلية عن صاحب عجائب الآثار بعضها) . ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب جامعه بالقرب من الأزهر ، واشترى جملة من الكتب ووضعها في خزانة الكتب التي عملها فيه ، أنهوا إليه شرح القاموس هذا ، فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ، ووضعه فيها ولم يزل المترجم يحرص على جمع الفنون ، التي أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث ، واتصال طرائق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين ، وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة ، وكان يعرف اللغة التركية والفارسية ، بل وبعض لسان الكرج ، فانجذبت القلوب اليه ، وتناقلوا خبره وحديثه ، ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف ، في

ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة.
ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة، فقال لهم: لابد من قراءة أوائل الكتب، فشرعوا في صحيح البخاري فازداد شأنه وعظم قدره، واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة والأكابر والأعيان، والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية إلى الدراية، وصار درساً عظيماً، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية، وقد استغنى هو عنهم أيضاً، وصار يملي على الجماعة — بعد قراءة شيء من الصحيح — حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه، ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك، فيتعجبون من ذلك، لكونهم لم يسمعوها فيما سبق في المدرسين المصريين، وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته، لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم. ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملي وكاتب الأسماء، فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية، كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات، بحضور الجماعة وصاحب

المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده ، وبناته ونسائه من خلف الستائر ، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد ، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك ، صحيح ذلك ، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق كما رأيناه في الكتب القديمة . وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار فسعوا إلى منزله ، وترددوا لحضور مجالس دروسه ، وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال ، واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف ، وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة . ولما حضر محمد باشا عزت الكبير ، رفع شأنه عنده وأصعده إليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعييناً من مخصصاته لكفايته من لحم وسمن وأرز ، وحطبٍ وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالاً من الأنبار ، وأنهى إلى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل ، وذلك في (سنة ١١٩١) فعظم شأنه وانتشر صيته ، وطلب إلى الدولة في (سنة ٩٤) فأجاب ثم امتنع ، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة ، وواصلوه

بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق ، وطار ذكره في الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والعراق ، وملوك المغرب والسودان ، وفزان والجزائر ، والبلاد البعيدة ، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة ، وأرسلوا إليه من أغنام فزان ، وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة ، يشبه رأسها رأس العجل ، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا ، ولذلك أرسلوا إليه من طيور الببغاء والجواري والعبيد والطواشية ، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغرب ذلك عندها ، ويأتيه في مقابلتها أضعافها ، وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكاري والمربيات والعود والعنبر ، والعطرشاه بالأرطال ، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد ... فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب ، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئاً ما (ص ١٥٠٠) وإذا ظفر منه بقطعة ورقة ولو بقدر أنملة ، فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ! وحفظها معه كالتميمة ،

ويرى أنه قد قبل حجه ، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده !! وقس على ذلك مالم يقل . وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء ، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ، ليشتهر مثل شـــرح القاموس ، ويرغب في طلبه واستنساخه . وماتت زوجته في سنة ٩٦ فحزن عليها حزناً كبيراً ، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية ، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة وستوراً وفرشاً وقناديل [1] ولازم قبرها أياماً كثيرة وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمـــة المنوعة ، واشترى مكاناً بجوار المقبرة وأسكن به أمها ، ويبيت به أحياناً ، وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم على ذلك . قال الجبرتي : ورثاها هو بقصائد وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة ، على طريقة شعر مجنون ليلى ، منها قوله :

أعاذل مَن يرزأ كرزئي لايزل كئيباً ويزهد بعده في العواقب

---

(١) إذا كان القبر روضـــة من رياض الجنة فهل ينقصه الفرش والنور والستور ؟ وإن كان غير ذلك فهل تغني هذه عن الميت شيئاً ؟

فتاة الندى والجود والحلم والحيا ولا يكشف الأخلاق غير التجارب

وقوله :

فإما تروني لا تزال مدامعي لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

وقوله أيضاً :

مضت فمضت عني بها كل لذة تقرّ بها عيناي فانقطعا معا

وقوله :

تأخرت عنها في المسير وليتني تقدمت لا ألوي على حزن نادب

وقوله أيضاً :

سأبكي عليها ما حييت وإن أمت ستبكي عظامي والأضالع في القبر

وقوله :

ماخلفت من بعدها في اهلها غير البكا والحزن والأيتام

يالهف نفس، حُسن أخلاق لها جبلت عليه ووصلة الأرحام

ثم تزوج بعدها بأخرى ، وهي التي مات عنها ، وأحرزت ماجمعه من مال وغيره .

ولما بلغ مالا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام ، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية ، —

لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلاّ في النادر لغرض من الأغراض، وترك الدروس والإقراء واعتكف بداخل الحريم، وأغلق الباب، وردّ الهدايا التي تأتيه من أكابر المسلمين، وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين إردَبّاً (مكيال ضخم) من البر، وأحمالاً من الأرز والسمن والعسل والزيت وخمسمائة ريال نقود، وبقج كساوي أقمشة هندية، وجوخاً وغير ذلك، فردّها، وكان ذلك في رمضان، وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما، وحضرا إليه، فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما، ورجعا من غير أن يواجهاه، واتفق أن مولاي محمداً سلطان المغرب رحمه الله وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده، وكان يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء، فأرسل له (سنة ١٢٠١) صلة لها قدر، فردّها، وتورع عن قبولها وضاعت، ولم ترجع إلى السلطان، وعلم السلطان من جوابه، فأرسل إليه مكتوباً قرأته، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق، ومضمونه العتاب والتوبيخ في ردّ الصلة، ويقول له: إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين، وليتك حيث تورعت

عنها ، كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين ، فيكون لنا ولك أجر ذلك ، إلا أنك رددتها وضاعت ، ويلومه أيضاً على شرحه كتاب الإحياء ، ويقول له : كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك ، ويذكر وجـــه لومه له في ذلك ، وما قاله العلماء ، وكلاماً مفحماً مختصراً مفيداً رحمه الله تعالى [١] .

وقد عدّ له أكثر من أربعين مصنفاً عدا شرحي القاموس والإحياء ، أشرنا إلى بعض المطبوع منها (ص ١٥٠٥ و ١٥٠٦) وله بعد هذا نثر وشعر يشهدان بمزيد فضله فيهما ، « ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير » ، وترجمته في الحلية من (ص ١٤٩٢ ـــ ١٥١٦) ونقل المؤلف معظمها عن المؤرخ الجبرتي معزوّاً إليه مانقله عنه . ومما يذكرنا بالسلف الصالح ترجمة المقرية المسندة الصالحة ، العالمة العاملة مريم بنت محمد طه الحلبية ، فقد أجازهـا جملة من المحدثين ، واجتمع بها العلامة محمد خليل المرادي حينما كان في حلب ،

---

(١) اعترف الإمام الغزالي بأن بضاعته في الحديث كانت مزجاة ، ولكنه أقبل عليه ، ووضع كتابي الصحيحين بين يديه ، وجعلهما أمـــام ناظريه ، ولنا كلمة فيه مطبوعة في القاهره بعنوان : حجة الإسلام أبو حامد الغزالي .

(عام ١٢٠٥) وأثنى عليها، وشهد بعلمها وفضلها (ص ١٢١٦).
وفي ترجمة الشيخ مصطفى الزين الحمصي صاحب معارضات الشيخ محمد بن هلال الهلالي الحموي - (وترجمته في مقدمة ديوانه المطبوع في حماة سنة ١٣٣٠) - قصائد وموشحات في المآكل والمشارب، يعارض بها قصائد وموشحات للهلالي في الغزل والمديح، (ص ١٥٢١ — ١٥٣٦) وهي مشهورة. وفي (ص ١٥٣٩) كلمة جميلة بقلم صديقنا الشيخ محمد جميل (رحمه الله) في أسلافه آل الشطي الكرام.

وفي ترجمة الشيخ مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي المعروف بالسيوطي مفتي الحنابلة بدمشق الشام، شرح كتاب الغاية بخمس مجلدات، بين فيها اختلاف الروايات والأقوال والمباحث تبييناً واضحاً، وقد ولي إفتاء الحنابلة ونظارة الجامع الأموي بدمشق. قال في الحلية: ومن جملة من أخذ عنه المترجم المرقوم الشيخ أحمد البعلي، ولد ثامن رمضان سنة ١١٠٨ وتوفي سنة ١١٨٩، عن أبي المواهب الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام، ولد في رجب سنة ١٠٤٤ وعاش ٨٢ سنة وتوفي سنة ١١٢٦، وهكذا رفع في الحلية هذا السند المعنعن كل عن

شيخه بذكر تاريخ ولادته ووفاته ومدة حياته ، حتى بلغ به النبي ﷺ ، ومنهم من لم يذكر تاريخ ولادته ، وقد ذيلنا (ص ١٥٤١) من هذه الترجمة بكلمات عن الإقناع والمنتهى وغاية المنتهى ، ومؤلفيها وطبعها ومصححيها ، وفوائد أخرى تراجع في هذا التذييل .

وفي ترجمة الشيخ مصطفى الخياط المصري ، شهادة الشيخ حسن الجبرتي له أنه فريد عصره في الحسابيات ، وله مؤلفات وتحريرات في هذه الفنون ، منها جداول حل عقود مقومات القمر ، بطريق الدر اليتيم لابن المجدي ، وتراجع ترجمته فهي آيات بيّنات ، في علوم الحساب والفلك والميقات (ص ١٥٤٤) .

وممن امتاز ديناً وعلماً وأدباً وخلقاً الشيخ مصطفى القلعاوي فقد ذكر له في الحلية مصنفات في الفقه والبلاغة ، واللغة وآداب البحث والمنطق وديوان شعر ، وعدة رسائل ، في معضلات المسائل . وأضفت في الحاشية من قول الجبرتي في المترجم : كان من أحسن من رأينا سمتاً وعلماً وصلاحاً وتواضعاً وانكساراً ، راضياً مرضياً ، طاهراً نقياً ، ووصفه الأستاذ الزركلي في الأعلام بأنه مؤرخ شاعر ، وكان مسكنه بقلعة الجبل

وإليها نسبته ، يأتي منها كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة ، ثم نزل إلى داخل القاهرة وتوفي بها . وعدّ من مصنفاته « صفوة الزمان ، فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان » و « مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى » (ص ١٥٥٣) . وعلقنا في ترجمة أحد الصالحين على القول بأن كثيراً من أهل الشام ، يقصده للزيارة وطلب المرام ، قلت : كيف يُطلب المرام ممن لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا ؟ وعلقنا على ترجمة الشيخ مصطفى نجا (ص ١٥٥٩) بما يأتي : من أشهر من أخذ العلم عنهم من معقول ومنقول الأساتذة الأجلاء : عبد الباسط الفاخوري ويوسف الأسير وابراهيم الأحدب وعمر الأنسي وغيرهم . ولما أعلن الدستور العثماني انتخب المترجم مفتياً لمدينة بيروت (سنة ١٣٢٧) وبقي فيها إلى سنة وفاته (سنة ١٣٥٠ هـ) . من مؤلفاته « نصيحة الإيمان » في التربية والتعليم ، و « أرجوزة في التربية والتعليم » و « كشف الأسرار » تصوف ، وهذه الثلاثة مطبوعة . و « تفسير جزء عم » و « إرشاد المريد » في التجويد . وثلاثة موالد ، وله نظم جمع في ديوان ، وهذه

مخطوطة كما في الأعلام للزركلي، وعن « ذكرى مصطفى نجا مفتي بيروت الأكبر ». وقد ذيلنا (صفحتي ١٥٧١ ــ ١٥٧٢) بمقتطفات من كتاب «أعلام العراق» لصديقنا الأستاذ الجليل السميّ محمد بهجة الأثري ــ تعليقاً على ترجمة العلامة السيد نعمان خير الدين نجل المفسر الكبير السيد محمود الألوسي ، علاوة على ماذكره المؤلف هنا، ويراها القارىء مفصلة في أعلام العراق، كما كنا لخصنا صفحات منه أضفناها إلى ترجمة السيد والده (المتوفى سنة ١٢٤٢) ويجدها المطالع في هذا الجزء الثالث من الحلية أيضاً . وذكر المؤلف في ترجمة هبة الدين الشهير بالتاجي مفتي بعلبك كثيراً من مشايخه مع تاريخ وفياتهم، وهذه فوائد تاريخية . وقد أعقب المترجم ولده سعيد افندي مفتي بعلبك بعد والده، وهذا أعقب ولده راغب افندي مفتيها بعد والده المذكور أيضاً، المتوفى سنة ١٣٠٠ رحمهم المولى . ولنا تعليق على ترجمة الشيخ هداية الله الاربيلي في طلب العلم وتحصيله، (ص ١٢٧٩) . وفي روض البشر ملحوظة في تاريخ الوفاة، ولنا جواب عليها (ص ١٥٨٠) ومن عجائب التاريخ ماوقع في السليمانية للشيخ خالد النقشبندي بعد عوده إليها من

الهند فقد تآمر على قتله الجماعة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية وأصحابهم وأتباعهم ، فلما تمت صلاة الجمعة في المسجد وقف الأعداء على الباب ينتظرون خروج الشيخ وهم بالسلاح الكامل ، فلما تكامل خروج الناس ولم يبق في المسجد أحد ، خرج الشيخ والتفت إلى صفوف الأعداء بعين الجلالة ، فمنهم من هرب ، ومنهم من سقط مغمى عليه ، ومنهم من صاح وانجذب ، ومشى الشيخ بجماعته ، ولم يتعرض له أحد ، وهذه القضية وقعت على رؤوس الأشهاد ، وقد وقعت هذه القصة في ترجمة الشيخ يحيى المزوري العمادي البغدادي الملقب (كما في المجد التالد) ببحر العلوم النقلية والعقلية والرياضية ، وفي هذه الترجمة أن العلماء حقدوا على الشيخ خالد المذكور وأرادوا إهانته وتجهيله في العلم ، ولما عجزوا عنه كتبوا كتاباً إلى المترجم ومضمونه : من كافة علماء السليمانية إلى علاّمة الدنيا الخ فلما وصل ودخل على شيخ الحضرة وحياه ، استقبله وصافحه وأحسن لقياه ، فجلس الشيخ يحيى بجانب مولانا خالد ، وتهيأ للسؤال ، فابتدره الشيخ في الحال ، وقال له : إن في العلوم مشكلات كثيرة ، منها كذا وجوابه كذا ، ومنها كذا وجوابه

كذا، وعدّد له جميع الأسئلة التي أعدها للسؤال عنها، وأجاب عن كل منها بأحسن جواب ... فلما سمع المنكرون ولوا الأدبار!

وقد علقت على هذه الطرفة بقولي: ألا ليت هـــذه الأسئلة والأجوبة قد ذكرت ولو بالكلم الوجيز ، ليعيهـــا ويستفيد منها طلاب العلم الشريف ، وكم ضاع على الناس من فوائد وفرائد بعدم التدوين ، ومنهـا مادار بين هـــذين الشيخين الجليلين ، والأمر لله .

ومن الغريب في سيرة مولانا خالد أن أحد خلفـائه في الأستانة قد طرده عن الطريقة لعجبه بنفسه ، بمخـالطة أكابر الرجال ، وجمع الحطام والأموال ، فالتمس الشيخ يحيى العفو عنه ، فقال الشيخ خالد: إن الأمر لو كان بيدي لعفوت عنه ، ولكن جميع روحـانيات السلسلة العلية النقشبندية قد طردوه عن باب طريقتهم ، اللهم إلا أن يحلق (عبد الوهاب السوسي) لحيته ، ويسود وجهه ، ويركب الحمار منكوساً ، ويشهر نفسه في في الأزقة والأسواق كسراً لنفسه ! فعلقت على هذه الحكاية بقولي : من المعلوم أن مما تتحقق به التوبة النصوح : الإقلاع عن الذنب في الحال ، والندم على مافات ، والاستعداد لما هو آت ،

قال تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيما » الفرقان الآية (٧٠) وهذا الإدلال الوارد في السؤال ، ليس شرطاً شرعياً ، ولم يذكر له مستنداً (ص ١٥٩١) ، وبعد هذا ترجمة الشيخ يحيى مفتي انطاكية ، وله باقليمها شهرة عالية ، وله معرفة بالسياسة قوية ، ومهارة بالألسنة الثلاث العربية والتركية والفارسية ، ونظره في الأمور دقيق ، مقصود في الاستشارة لكل بعيد أو قريب أو عدو أو صديق . (قال المؤلف) : وكانت لي معه الصحبة الوافرة ، والمباحثة والمذاكرة والمسامرة والمحاضرة . قال الأستاذ الطباخ — بعد أن نقل هذه الترجمة عن (الحلية) أقول : كانت وفاته — كما كُتب لنا من انطاكية — أول ليلة من رمضان سنة ١٣١٤ عن اثنين وسبعين عاماً ، فتكون ولادته على التحقيق سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى . (قلت : وهذا تصحيح لما قيل بأنه ولد سنة ١٢٣٠ تقريبا) . ونقلنا في ترجمة الشيخ يوسف أبي الفتوح العمري الدمشقي من تعطير المشام في مآثر دمشق الشام لأستاذنا القاسمي رحمه الله مانصه : ولما توفي شيخه الداغستاني المذكور — وكان مدرس قبة النسر ، طلب الدرس في المكان

المذكور السيد محمد العطار ، أحد أكابر دمشق ، فوجه إليه ، ثم أناب في التدريس عنه صاحب الترجمة ، فدرس بالوكالة عنه إلى وفـــاة السيد محمد المذكور ، وذلك سنة ١٢٠٩ هـ (ص ١٥٩٥) .

وفي سيرة الوزير يوسف باشا والي الشام (ص ١٥٩٦ ــ ١٦٠٢) وفي زمنه ، قواد عسكريون كثيرون ، في مدن الشام وفي فلسطين ، وبينهم من التباغض والتعادي وسفك الدماء ما :

يصم السميع ويعمي البصير ويسأل من مثله العـــافية

ثم من بعد أن استولى على البلاد التي قاتل أهلها « رجع إلى الشام واستقام أمره وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل في الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتـاب الخواطىء وزوّجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهـل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمـــر بترك الإسراف في المآكل والملابس ، وشاع خبر عدله في النواحي » قلت : في هذا كله عظة بالغة للحكام ، فمن أراد منهم أن يجعل له لسان صدق في الآخرين ، فهذا سبيله وهذا دليله . وفي ترجمة

الشيخ يوسف بن بدر الدين ، والد شيخنا محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين صدع بالحق وإزالة لمنكر كبير ، فمما اتفق له وكتب في صحيفته أن بعض الأروام ، القاطنين في دمشق الشام ، استولى على الدار التابعة لدار الحديث الأشرفية الواقعة في العصرونية ، ثم ضم إليها الزاوية الغربية من المدرسة المرقومة التي كانت محل تدريس الإمام النووي ومحل روايته للأحاديث ، فصارت محلا لوضع براميل الخمر !! فرفع المترجم الأمر إلى الوالي ، فلم تلتفت الحكومة إلى دعواه ، فتوجه إلى الأستانة وتعـاطى أسباباً كثيرة لإنقاذ هذا المحل من أيدي الرومي ، إلى أن استحصل أمراً سلطانياً في ذلك ، فعاد إلى الشام وقدمه إلى الوالي فطرحه في زوايا الإهمال ، وبقي الأمر على ذلك ، ولم يقع المترجم على ثمرة ، إلى أن جاء الأمير السيد عبد القادر أمير الجزائر ، من الأستانة وبروسة محل إقامته ، إلى دمشق ، فأخذته الحمية الاسلامية ، فأحضر الرومي ودفع له مالاً جزيلاً واشتراه منه ، وجعله وقفاً على المترجم وعقبه ، وأمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته ، وقرأ حضرة الأمير صحيح الامام أبي عبد الله البخاري في المدرسة المذكورة ،

(وكان ختامه في ٢٤ من شوال سنة ١٢٧٤) وعند الختم قدم المترجم إلى الأمير قصيدة هذا مطلعها :

بك المسرات قد نالت أمانيها يانعمة مالها شيء يدانيها

ومنها :

نعم أهني دمشق الشام إذ ظفرت بمثلك الآن تغدو في ضواحيها

. . .

لاسيما سيدي ماكان مدخراً من فك دار حديث من خنا فيها

بك استنارت وأحيا الله مربعها لما تلوت البخاري وسط ناديها

وعند ختم الصحيح أنشد المترجم بين يدي الأمير قصيدة كبرى أربت على ستين بيتاً ، أولها :

باب القبول لهذا الختم قد فتحا فلاح من يمنه برق السعود ضحى

ومنها :

في مسجد الأشرف السلطان ماوسما دار الحديث بدرس أبهر الفصحا

ضبطا وبحثا مع الإتقان مقتفيا آثار من حلها من سادة صلحا

مثل الإمام النواوي والمضاهي له ممن على منهج الإرشاد قد سبحا

وختامها :

أو قال يوسف بدر الدين مبتهلاً باب القبول لهذا الختم قد فتحا

قال المؤلف : وللمترجم قصائد شهيرة ، وتأليفات بديعة ،

وأسانيد عالية ، وقد انتفعت بفوائده ، وأجازني أيضاً بسند عال وحضر في الجامع الأزهر على جهابذة كالباجوري والأمير ، وساح في كثير من الأقطار وأخذ عن علمائها ، وكان له مع والدي مودة ومذاكرات علميـــة ، إن جلس في مجلس كان واسطة عقد نظامه ... لايهاب في الحق كبيراً ، ولا يخشى حاكماً ولا وزيراً ، (إلى ص ١٦٠٨) قلت ما أحوجنا إلى مثله ، بشجاعته مع كمال فضله . وأما الشيخ يوسف البشتاوي النابلسي الدمشقي ، فله أبيات في بر الوالدين جديرة بالحفظ والرعاية ، وأولها :

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا زاراك حبواً لا على قدميهما

ومنها :

بشراك لو قدمت فعلا صالحاً وقضيت بعض الحق من حقيهما

. . .

فاحفظ حُفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من بريهما

وأما الشيخ يوسف البطاح الأهدل ، فمن مؤلفاته شرح بلوغ المرام في مجلدين . ونقل المؤلف عن صاحب النفَس اليماني أنه مات شهيداً في الوباء العام (سنة ١٢٤٦ هـ) ومات فيه

خلائق لايحصون عدداً في أرض الحجاز ، وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة وعم البلاد الشامية والمصرية والتركية والعربية ، وكان تاريخ ذلك العام « لنهلكن الظالمين » . ودفن المترجم في مكة في مقبرة المعلّى ، وفي أول (ص ١٦١٢) يقول عن عكا : التابعة لولاية بيروت . قلنا : لم تعد تابعة لولاية بيروت ، بل احتلتها الصهيونية اليهودية العالمية منذ خمسة عشر عاماً ، بمعاونة بعض الدول الأجنبية ، وأهلها مشرّدون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وفي هذه الصفحة وما بعدها (إلى ص ١٦١٦) ترجمة الأستاذ الشيخ النبهاني بقلمه ، ذاكراً شيوخه الأزهريين ومدة حياة كل منهم ، وتاريخ وفاته ، ونصّ إجازة الشيخ المعمّر ابراهيم السقا له . وفي حياة الشيخ يوسف الأسير الشهير ، مايشهد له بأنه نابغة الأدب ، لاسيما لشرحه لأطواق الذهب ، وموشحاته التي عارض بها شعراء الأندلس ، وفي موشحه الذي أثبته المؤلف في الحلية تنويه ببلقيس الحميرية ملكة سبأ التي ذكرت في القرآن الكريم . وقد ولد المترجم في مدينة صيدا ، وطلب العلم بها ، ثم توجه إلى دمشق الشام ، وحضر على أعيانها الأعلام ، ثم أقام في الأزهر

سبع سنين ، وقرأ فيه على مشاهير علمائه ، ثم قصد إلى طرابلس الشام ، فحضر عليه جماعة من أفاضلها ، ثم تقلد القضاء في لبنان ، ولم ينقطع عن التدريس ، وقد ألف جملة من الكتب كرائض الفرائض وغيره ، وكانت وفاته في بيروت (سنة ١٣٠٧) رحمه الله تعالى . (إلى ص ١٦٢١) . (وفي ص ١٦٢٢) وما بعدها (إلى ص ١٦٢٨) كتبت تحت عنوان « مستدركات » ماخلاصته أن صديقنا الأستاذ الشطي قد استغرب من مؤلف الحلية الأستاذ الجد أنه لم يترجم شقيقه الأكبر الشيخ محمد أمين فتوى دمشق ، وقد ترجم لولده الشيخ محمود ، كما أنه لم يترجم صديقيه الشيخين الجليلين محمد وأحمد الشطي ، وقد أجبته بأن هذا كان سهواً منه ، ولم يستدرك ، إذ ترك الكتابة في تاريخه قبل وفاته (سنة ١٣٣٥ هـ) بأكثر من عشر سنوات ، لما أضر بيده اليمنى من الأسى والشلل القليل ، على أني استدركت وترجمت للشقيقين محمد وأحمد نقلا عن أعيان دمشق ، وعن منتخبات التواريخ للتقي الحصني ، ولشقيق المؤلف الأكبر الشيخ محمد ، عن هذين التاريخين ، وعما خطه هو بقلمه . وبعد

أن أوردنا تراجم الاعلام الثلاثة ختمناها بترجمة المؤرخ الشيخ جميل الشطي لنفسه مكتوبة بقلمه في كتابه (روض البشر) وبها نختم تراجم الأستاذ الجد البيطار لمؤلَّفه (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) رحمة الله عليهم أجمعين ، والحمد لله أولاً وآخراً . وتم هذا في مطلع شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هـ وتموز سنة ١٩٦٤ م .

وكتبه حفيد المؤلف :

محمد بهجة البيطار

فهرس الجزء الثالث

من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
	حرف الميم	
١١٨٣	محمد بن احمد المنيني	١٣١٦
١١٨٩	محمد بن عمر الرفاعي	....
١١٩٠	محمد سعد بن محمد سعد المصري	....
١١٩٤	محمد بن محمد يوسف الانصاري في أوائل القرن (١٣)	
١١٩٥	محمد أمين الزللي المدني	بعد ١٢٢٢
١٢٠١	محمد يوسف البلجرامي الحسيني في الأعلام :	١١٧٢
١٢٠٢	محمد علي الجيلاني المعروف بالحزين في القرن الثالث عشر	
١٢٠٣	محمد نجم الدين خان أوائل القرن (١٣)	
١٢٠٤	محمد باقر النوايتي في القرن (١٣)	
١٢٠٥	محمد بن اسحاق أوائل القرن (١٣)	
١٢٠٦	محمد الجرموزي	بعد ١٢٠٠
١٢٠٧	محمد بن صلاح الهادي أوائل القرن (١٣)	
١٢٠٨	محمد بن أحمد مشحم في الاعلام :	١١٨١
١٢٠٩	محمد بن محسن القرشي في أثناء القرن (١٣)	
١٢١٠	محمد بن عبد الله الخاني	١٢٧٩
١٢١٥	محمد بن محمد بن عبد الله الخاني	١٣١٦
١٢١٨	محمد سعيد الحمادي المدني أوائل القرن (١٣)	
١٢٢١	محمد مؤمن بن محمد الجزائري الشيرازي	١١١٨
١٢٢٤	محمد بن عبد الله البيلولي	بعد ١٢٠٠
١٢٢٥	محمد بن سهل العلوي المدني في القرن (١٣)	
١٢٢٥	محمد بن اسحاق اليمني	....
١٢٢٦	محمد بن أمين چلبي المدني أوائل القرن (١٣)	
١٢٢٧	محمد بن عبد الرحمن الكزبري	١٢٢١
١٢٣٠	محمد أمين بن عمر عابدين	١٢٥٢
١٢٤٠	محمد بن محمد المغربي الأصل المدني	١٢٠١
١٢٤٠	محمد علي باشا خديوي مصر	١٢٦٥
١٢٤٢	محمد سعيد بن حمزة الشهير بابن المنقار	١٣٠٤
١٢٤٣	محمد سليم باشا الصدر الأعظم	١٢٤٧

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٢٤٦	محمد بن عبد الجليل النابلسي	١٢٥٢
١٢٤٦	محمد بن عبد الله الرومي الدمشقي	١٢٥٢
١٢٤٧	محمد بن اسماعيل العجلاني	١٢٥٣
١٢٤٧	محمد بن محمد المغربي الأزهري	بعد ١٢٠٠
١٢٥٧	محمد سعيد بن عبد الستار الأتامي	١٢٧٦
١٢٥٨	محمد الخشني المصري الأزهري	١٢٢١
١٢٥٨	محمد بن يوسف الحفناوي الأزهري	١٢٢٢
١٢٥٩	محمد الحصافي المصري	١٢٢٢
١٢٦٠	محمد بن عبد الفتاح الأزهري	١٢٢٢
١٢٦١	محمد بن عبد الرحمن المالكي	١٢٢٨
١٢٦١	محمد الاسناوي الأزهري	١٢٢٩
١٢٦٢	محمد بن أحمد الدسوقي	١٢٣٠
١٢٦٤	محمد المهدي الحفني الأزهري	١٢٣٠
١٢٦٦	محمد بن محمد الأزهري الشهير بالأمير الكبير	١٢٣٢
١٢٧٠	محمد الشنواني الأزهري	١٢٣٣
١٢٧١	محمد بن احمد الشافعي	١٢٣٣
١٢٧٢	محمد سعيد بن ابراهيم الحموي	١٢٣٦
١٢٧٣	محمد بن محمد الجديني	١٣٠٤
١٢٧٣	محمد بن مصطفى السمّرجي	بعد ١٢٠٠

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٢٧٤	محمد بن عثمان الشماع	١٢٠٤
١٢٧٥	محمد بن حجازي الحلبي	بعد ١٢٠٥
١٢٧٦	محمد بن عبد اللطيف العقيلي	١٢١٠
١٢٧٧	محمد بن عبد الكريم الحلبي	١٢٠٣
١٢٧٨	محمد بن محمد الأريحاوي الحلبي	١٢٠٤
١٢٧٩	محمد مكي بن موسى الحلبي	بعد ١٢٠٥
١٢٨٠	محمد بن عمر الرفاعي الشاذلي	١٢١٩
١٢٨١	محمد بن عبد الله الجزائري	١٢٨٣
١٢٨٣	محمد بن حسن القبرستاني تقريباً :	١٢٨٠
١٢٨٤	محمد بن مصطفى الطنطاوي	١٣٠٦
١٢٨٨	محمد بن ابراهيم الاريحاوي	بعد ١٢٠٠
١٢٩٨	محمد بن عثمان الحلبي العقيلي بعد :	١٢٠٠
١٢٩٩	محمد الملقب بالجديد البغدادي	١٢٤٦
١٢٩٩	محمد حافظ الأرفله النقشبندي تقريباً :	١٢٤٠
١٣٠٠	محمد الإمام البغدادي الخالدي تقريباً :	١٢٣٠
١٣٠١	محمد القزلري الخالدي نيف و	١٢٣٠
١٣٠١	محمد ناصح النقشبندي تقريباً :	١٢٤٥
١٣٠٢	محمد المجذوب العمادي تقريباً :	١٢٤٢

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٣٠٢	محمد بن محمد المغربي المالكي	١٢٩٤
١٣٠٣	محمد بن الحروبي المغربي	١٢٧٩
١٣٠٤	محمد صالح الكردي الشافعي تقريباً :	١٢٢٠
١٣٠٥	محمد بن قسيم السنندجي	١٢١٢
١٣٠٦	محمد بن اسماعيل الموصلي	١٢٥١
١٣١٠	محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي	١٢٠١
١٣١٢	محمد بن علي المغربي التونسي	١٢٠٢
١٣١٤	محمد مصطفى بن جاد المصري	١٢٠٢
١٣١٥	محمد الكيالي الحسني	١٢٩٤
١٣١٥	محمد بن اسماعيل الربعي بعد	١٢٠٠
١٣١٦	محمد بن محمد الشامي	١٢٥١
١٣١٦	محمد بن علي الصنعاني	١٢٦٣
١٣١٧	محمد بن حسين حوتي الصنعاني	١٢١١
١٣١٧	محمد بن حسن دلامة الذماري	١٢٠٩
١٣١٨	محمد بن الحسن الصنعاني	١٢٠١
١٣١٩	محمد بن حسن المعروف بالمحتسب	١٢٥٧
١٣١٩	محمد بن حسن الذماري بعد	١٢٦٠
١٣٢٠	محمد بن احمد مشحم	١٢٢٣
١٣٢٠	محمد بن احمد الشاطبي الصنعاني بعد	١٢٠٠
١٣٢١	محمد بن احمد الخالدي الشهير بابن الجوهري	١٢١٥
١٣٢٤	محمد بن محفوظ بن منفاخ	١٢١٧
١٣٢٥	محمد بن سعيد سنبل الدمشقي	١٢١٨
١٣٢٦	محمد المهدي المغربي	١٢٧٨
١٣٢٧	محمد أبو القاسم بن عربي	١٢٨٧
١٣٢٧	محمد بن صالح بن عبد القادر	١٢٤٤
١٣٢٨	محمد أنيس بن حسن الطرابلسي الدمشقي المولد	١٢٩٥
١٣٢٨	محمد نسيب الحسيني بن حمزة	١٢٦٥
١٣٣٠	محمد بن محمود الدمشقي الحنفي	١٢٧٨
١٣٣١	محمد بن عمر البرجكلي	١٢٨٥
١٣٣١	محمد كال الدين بن محمد الغزي	١٢١٤
١٣٣٣	محمد أمين الكردي الشافعي	١٢٧٣
١٣٣٤	محمد بن احمد المعروف بابن سنان	١٢٤٠
١٣٣٥	محمد علاء الدين بن محمد عابدين	١٣٠٦
١٣٣٧	محمد شمس الدين بن حسن الدمشقي المعروف بالطباخ	١٢٣٧
١٣٣٨	محمد بن عبد الرحمن الكفرسومي	١٢٢٩
١٣٣٨	محمد الزهري بن عمر الدمشقي	١٢٧٠
١٣٣٨	محمد سعيد بن محمد الكيلاني	....
١٣٣٩	محمد عبيد بن محمد العاني	١٢٤٨
١٣٤٠	محمد بن مصطفى الأيوبي	١٢٥٠
١٣٤١	محمد نجيب بن أحمد القلعي	١٢٤١

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٣٤٤	محمد عطا الله بن محمد سعيد الأيوبي	١٢٨٢
١٣٤٥	محمد المغربي السوسي ثم الدمشقي	١٢٥٠
١٣٤٥	محمد بن عبد الرحمن الكزبري	١٢٤٩
١٣٤٥	محمد بن سليمان الجوخدار	١٢٩٨
١٣٤٦	محمد بن سعيد المنير	١٢٩١
١٣٤٧	شمس الدين محمد الجابي الدمشقي	١٢٩٨
١٣٥٠	محمد بن أحمد العجلوني	١٢٨٨
١٣٥٠	محمد المصري المجذوب	١٢٧١
١٣٥١	محمد بن محمد المقدسي المعروف بابن بدير	١٢٢٠
١٣٥١	محمد بن عثمان العقيلي	١٢٠٩
١٣٥٢	محمد بن أحمد الحلواني مفتي بيروت	١٢٧٤
١٣٥٢	محمد الدسوقي الدمشقي	١٢١٩
١٣٥٣	محمد بن شاكر السكري	١٢٩٣
١٣٥٤	محمد الدمشقي المعروف بسكر	بعد ١٢٦٠
١٣٥٤	محمد بن محمد المبارك	١٣٣٠
١٣٦٨	محمد المصيلحي المصري	١٢٠١
١٣٦٩	محمد كاظم الأزري البغدادي	١٢٣٠
١٣٧٠	محمد بن محمد الشهير بالحوت الشامي البيروتي	١٢٧٧
١٣٧١	محمد الفيومي الشهير بالعقاد	١٢٠٢
١٣٧١	محمد المبارك المغربي الجزائري	١٢٦٩
١٣٧٥	محمد العطار جد بني الحسيبي	١٢٠٩
١٣٨٢	محمد الشافعي المصري	١٢٠٢
١٣٨٢	محمد بن الحسن الطيب المصري	١٢٠٥
١٣٨٣	محمد بن سليمان جليان المصري	١٢٠٥
١٣٨٤	محمد أبو العرفان بن علي الصبان	١٢٠٦
١٣٩٣	محمد خليل أبو المودة بن علي المرادي	١٢٠٦
١٤٠٥	محمد بن الطالب بن سودة المري الفاسي	١٢٠٧
١٤٠٨	محمد بن داوود الخربتاوي	١٢٠٧
١٤١١	محمد بن عبد الحافظ أبو ذاكر المصري	١٢٠٧
١٤١٢	محمد البكري الصديقي نقيب الأشراف بمصر	١٢٠٨
١٤١٥	محمد السقاط الخلوتي المغربي	١٢٠٩
١٤١٥	محمد شمس الدين بن عبد الله الفرغلي	١٢١٠
١٤٢١	محمد بن حسن البيطار أمين فتوى دمشق والأسرة البيطارية	١٣١٢

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٤٢٣	محيي الدين بن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري	١٣٣٦
١٤٥٠	شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي	١٢٧٠
١٤٥٥	محمود الصاحب أخو الشيخ خالد الحضرة	١٢٨٧
١٤٥٦	محمود خان بن عبد الحميد خان	١٢٥٥
١٤٦٢	ذكر القتال مع روسية	
١٤٦٤	استيلاء الفرنسيين على الجزائر	
١٤٦٥	ذكر القتال بين محمد علي والسلطان محمود	
١٤٦٧	محمود بن محمد الأنطاكي	١٢٠٥
١٤٦٧	محمود بن نسيب حمزة مفتي دمشق	١٣٠٥
١٤٧٧	محمود بن علي الحلبي المشهور بابن قَنْصَة	١٢١٠
١٤٧٧	محمود بن خليل العظم	١٣٩٢
١٤٨١	محمود بن غزالي الكردي	١٢١٢
١٤٨٣	محمود بن محمد بن حسن البيطار	١٣١٦
١٤٨٣	السلطان مراد الخامس بن عبد المجيد	١٢٩٣
١٤٨٧	محيي الدين بن محمد النابلسي	١٢٨٨
١٤٨٧	محيي الدين بن محمد العاني	١٢٩٠
١٤٨٩	محيي الدين والد الأمير عبد القادر الجزائري	١٢٤٩
١٤٩٢	محيي الدين بن عبد العزيز الادلبي	١٢٧٨
١٤٩٢	مرتضى بن محمد الزبيدي شارح القاموس	١٢٠٥
١٥١٦	مريم بنت محمد العقاد الحلبية	١٢٢٠
١٥١٦	مراد بن محمد الشطي الحنبلي	١٣١٤
١٥١٧	السلطان مصطفى خان بن عبد الحميد خان	١٢٢٣
١٥١٩	مصطفى بن أحمد الحلبي بعد :	١٢٠٥
١٥٢٠	مصطفى بن محمد الطرابلسي الحلبي نيف و :	١٢١٠
١٥٢١	مصطفى بن جلال الدين الكلعنبري بعد :	١٢٠٠
١٥٢١	مصطفى زين الدين الحمصي	١٣١٩
١٥٣٦	مصطفى زين الدين بن محمد الأيوبي	١٢٠٥
١٥٣٩	مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحي	١٢٦٥
١٥٣٩	مصطفى بن محمود الدمشقي	١٢٦٩
١٥٤٠	مصطفى الكردي	١٢٣٩
١٥٤٠	مصطفى بن عبد الجليل العمري	١٢٦٥
١٥٤١	مصطفى بن سعد السيوطي	١٢٤٣
١٥٤٣	مصطفى بن عبد الله العبدلاني الشهير بالكاتب	١٢٠٢
١٥٤٤	مصطفى الخياط الأشعري المصري	٢٠٣
١٥٤٥	مصطفى بن أحمد الصاوي	١١٢١٦

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٥٥٢	مصطفى العقباوي الأزهري	١٢٢١
١٥٥٢	مصطفى بن محمد الصفوي القلعاوي	١٢٣٠
١٥٥٣	مصطفى بن حسين الحلبي الوفائي	١٢١٣
١٥٥٥	مصطفى المعروف بالدرويش مصطفى	١٢٢٠
١٥٥٥	مصطفى بن خليل قزيها أمين فتوى الشام	١٢٥٧
١٥٥٦	مصطفى بن محمد الجزائري	١٢١٢
١٥٥٦	مصطفى بن محمد الحلبي الدسوقي	١٢٥٠
١٥٥٧	مصطفى بن سليمان النابلسي البرقاوي	١٢٥٠
١٥٥٧	مصطفى المرحومي المصري	١٢٠٧
١٥٥٨	مصطفى بن صادق اللازجي	١٢٠٧
١٥٥٨	مصطفى الدمنهوري المصري	١٢١٣
١٥٥٩	مصطفى بن محيي الدين نجا	١٣٥٠
١٥٦١	معروف التكريتي العراقي، تقريباً:	١٢٥٠
١٥٦٢	منصور بن عمار السلمي الخراساني بعد:	١٢٠٠
١٥٦٢	منصور بن مصطفى السرميني	١٢٠٧
١٥٦٤	موسى السرمي الأزهري	١٢١٩
١٥٦٥	موسى البشبيشي الأزهري	١٢٠٢
١٥٦٦	موسى البندنيجي الخالدي، بعد	١٢٤٠
١٥٦٦	موسى الجبوري البغدادي	١٢٤٦
١٥٦٧	موسى بن عمر السباعي الحمصي	١٢٥٥

حرف النون

١٥٦٩	ناشد راشد باشا والي سورية	١٣٠٥
١٥٧٠	ناصر بن عيسى الادلبي، تقريباً:	١٢١٥
١٥٧١	نعمان بن محمود الألوسي مفتي بغداد	١٣١٧

حرف الهاء

١٥٧٥	هاشم بن محمد الرفاعي	١٢٧٢
١٥٧٥	هاشم بن عبد الرحمن التاجي	١٢٦٤
١٥٧٦	هبة الله بن محمد التاجي مفتي بعلبك	١٢٢٤
١٥٧٨	هداية الله الاربيلي، بعد:	١٢٥٠
١٥٨٠	هداية الله بن هبة الله البعلي مفتي بعلبك	١٢٢٣

حرف الواو

١٥٨٠	وهبة المشهور بأبي العظام	١٢٤٢

حرف الياء

١٥٨١	ياسين النابلسي	١٢٦٠
١٥٨١	يحيى بن عبد الغني السلاوي، بعد:	١٣٠٧
١٥٨٣	يحيى الجابي المدني	١٢١٥
١٥٨٦	يحيى بن محمد الحلبي بعد	١٢٠٠

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٥٨٧	يحيى المزوري العمادي، في حدود	١٢٤٥
١٥٩١	يحيى افندي مفتي انطاكية	١٣٠٥
١٥٩٢	يحيى بن علي الشوكاني تقريباً :	١٢٦٠
١٥٩٣	يحيى بن المطهر	١٢٦٨
١٥٩٣	يحيى بن عبد الرحمن الكزبري	١٢٠١
١٥٩٤	يحيى السردست الدمشقي	١٢٦٤
١٥٩٤	يحيى المسالخي الحلبي، تقريباً :	١٢٢٠
١٥٩٤	يوسف أبو خرج المجذوب	١٢٢٦
١٥٩٤	يوسف بن أحمد العمري	١٢١٥
١٥٩٥	يوسف بن عبد الله السنبلاويني	١٢٠٧
١٥٩٦	يوسف المصيلحي الأزهري	١٢١٤
١٥٩٦	يوسف باشا والي الشام	١٢٣١
١٦٠٢	يوسف بن بدر الدين المغربي	١٢٧٩
١٦٠٨	يوسف بن عمر البشتاوي	١٢٦٣
١٦١٠	يوسف بن محمد البطاح الأهدل	١٢٤٦
١٦١١	يوسف بن محمد المزجاجي الزبيدي	١٢١٣
١٦١٢	يوسف بن اسماعيل النبهاني	١٣٥٠
١٦١٦	يوسف بن عبد القادر الأسير	١٣٠٧

(مستدركات)

١٦٢٢	بيان وإيضاح	
١٦٢٣	محمد بن حسن الشطي	١٣٠٧
١٦٢٥	أحمد بن حسن الشطي	١٣١٦
١٦٢٦	محمد جميل بن عمر الشطي	١٣٧٩